

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم

الأدعية

و

ابتهالات ربانية

بين الكتاب و السنة

وساير الكتب السماوية

المجلد (٢١)

آيت الله العظمى الصادق
الطهراني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فهرس المطالب

٧.....	المقدمة.....
٨.....	أهم الأدعية في السبع المثاني.....
٨.....	سورة الفاتحة - مكية - وآياتها سبع.....
٦٠.....	عود على بدء في السبع المثاني.....
٦٥.....	مسأله فقهية حول الحمد.....
٦٩.....	إفي قريب.....
٦٩.....	اجيب دعوة الداع.....
١٠٣.....	دعوة عامة للمؤمنين.....
١٠٤.....	ادعية.....
١٠٤.....	من الراسخين في العلم.....
١٠٧.....	دعاء من صالحى المصطفىين لخلافة الأرض.....
١٢٤.....	ادعيه من المضطرين.....
١٢٤.....	غير الصالحين.....
١٢٩.....	ادعية من المضطرين الضالين.....
١٣٢.....	ادعيه من المضطرين الضالين.....
١٣٦.....	غير الله لا يملكون كشف الضر إلا بإذن الله.....
١٤١.....	اذ امسكم الضر ضل إياه.....
١٤٤.....	وهناك رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه.....
١٥٧.....	من آداب الدعاء.....
١٥٧.....	دعوة الله.....
١٥٧.....	بالأسماء الحسنى لله.....
١٦٧.....	من آداب الدعاء تضرع وخفية.....
١٧٤.....	ادعية عشر.....
١٧٤.....	رسولية ورسالية.....
١٨٥.....	اعترافات وادعية للمؤمنين.....
٢١١.....	اطمئنان القلوب بذكر الله.....
٢١٧.....	صبر النفس مع من يدعون الله.....
٢٢٨.....	الخشية من الله.....
٢٣٧.....	... خروا سجداً لله.....
٢٤١.....	ادعيه وانايات الى الله من المرسلين، ودعاء من آدم X.....
٢٤٧.....	ادعيه من نوح X.....
٢٤٧.....	١.....

٢٥١	ادعية من نوح X
٢٥١	٢
٢٦٦	ادعية ابراهيميه
٢٦٦	١
٢٨٧	ادعية موسوية
٢٨٧	١
٢٩١	ادعية موسوية
٢٩١	٢
٢٩٥	ادعية موسوية
٢٩٥	٣
٣٠٤	دعاء من داود X
٣٠٧	من ادعية سليمان X
٣٢٥	٣
٣٢٥	من ادعية سليمان
٣٣١	ادعية لايوب X
٣٤٠	دعاء من زكريا
٣٤٣	دعاء زكريا
٣٤٣	٢
٣٤٨	دعاء من المسيح X
٣٦٦	دعاء من الرسول محمد 3
٣٦٦	٢
٣٧٠	إبتهاال محمد 3 الى الله
٣٧٠	٣
٣٨٢	دعاء محمد 3 بامر الله
٣٨٢	٤
٣٩٣	ادعية من حملة العرش

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على خير خلقه محمد وآله الطاهرين.
هذا الكتاب يتحدث عن أدعية وابتهالات الى الله بين الكتاب و السنة لأهل الله من
معصومين عليهم السلام ومن يتلوا تلوهم، وابتهالات المعصومين انما هي باذن الله
كما رسمها الله في كتابات الوحي ذودأعنه ما لا يصلح لهم من دعاء وابتهال وعلينا
نحن المسلمين أن نحذوا محذاهم ونقتدى بهداهم في ابتهالاتنا و أدعيتنا حتى نصيح
من عبادالله الصالحين، و نظمئن ان الله تعالى يجيب ادعيتنا كما يصلح و كما يقول:
﴿ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾
و ذلك تهديد مجيد بالنسبة لهؤلاء الذين لا يدعون الله او يدعون غير الله ﴿و الله
يهدى من يشاء الى صراط مستقيم﴾.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
قم المقدسة : محمد الصادق الطهراني

تليفون: ٢٩٣٤٤٢٥

أهم الأدعية في السبع المثاني

سورة الفاتحة - مكية - وآياتها سبع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ
يَوْمِ الدِّينِ (٤) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ
أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (٧)

❖ سورة الفاتحة التي افتتح بها الكتاب
تأليفاً كما افتتح تنزيلاً - هي صورة مصغرة عن
❖ تفصيل الكتاب لاريد فيه من رب العالمين
أفرد الله بها الإمتنان علي الرسول العظيم 3 إذ
جعلها ردفًا للقرآن العظيم: ❖ ولقد آتيناك
سبعاً من المثاني والقرآن العظيم ❖ (١٥):
(٨٧) ١

نجد فيها تجاوباً رائعاً بين كتابي التدوين
والتكوين عِدَّة وَعِدَّة، فأياتها سبع، وأسماءها
سبعة، كما السماوات سبع، والأرضون سبع،
وأيام الأسبوع سبعة، والطواف بالبيت سبع
والسعى سبعة أشواط، ثم وتغلق بسبعها أبواب
الجحيم السبع ٢ كما نرمى الشياطين بجمرات

١ . عيون اخبار الرضا X باسناده الي الامام الحسن
العسكري X مسلسلاً عن ابيه عن آباءه عن علي X قال:
سمعت رسول الله 3 يقول: ان الله عزوجل قال: يا محمد!
ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم.
فأفرد الإمتنان علي بفاتحة الكتاب اشرف ما في كتوز
العرش، وإن الله عزوجل خص محمداً 3 وشرفه بها ولم يشرك
معه فيها أحداً من انبيائه ما خلا سليمان فإنه
اعطاه منها ❖ بسم الله الرحمن الرحيم ❖ (١: ٣٠١
والبحار ٩٢: ٢٢٧) وفي الدر المنثور ١: ٢ - أخرج
الوإحدى في اسباب النزول والتعلبي في تفسيره عن
علي X قال: نزلت الفاتحة بمكة من كنز من كنوز
العرش.

٢ . تفسير الفخر الرازي ١: ١٧٥ روى ان جبرئيل X
قال للنبي 3 يا محمد! كنت اخشي العذاب علي أمتك
فلما نزلت الفاتحة أمنت، قال 3: لم يا جبرئيل!
قال: لان الله تعالي قال ❖ وان جهنم لموعدهم اجمعين
لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم ❖ وآياتها
←

سبع حيث الشيطانات هي السبع^١ : كما وتفتح بها أبواب الجنة الثمان^٢.
١ - فهي فاتحة الكتاب^٣

لافتتاحه بها تنزيلاً وتأليفاً براعة بارعة لاستهلاله، حيث تذير علينا دروباً من علوم الكتاب جملة كما يفتح الكتاب تفصيلاً، فتتفتح بها أبواب خزائن أسرار الكتاب لأنها مفتاح كنور لطائف الخطاب.

٢ - ٣ وهي أم القرآن وأم الكتاب^٤.

أما لتفصيل الكتاب بآياته المحكمات



سبع فمن قرأها صارت كل آية طبقاً علي باب من ابواب جهنم فتمر أمتك عليها سالمين.

١. وهي الشيطان - البقر - النمر، ثم كل جمع بين اثنين منها ثم مجموع الثلاثة فهي سبع.

٢. وعليها باب المعرفة بما تكبر الله في صلاتك و ٢ - باب الذكر بالبسملة و ٣ - باب الشكر بالحمد له و

٤ - باب الرجاء بالرحمتين الرحمانية والرحيمية و ٥ - باب الخوف يوم القيامة و ٦ - باب الاخلاص في العبودية والاستعانة الناتجة عن معرفة الربوبية و

٧ - باب الدعاء والضراعة في طلب الهداية و ٨ - باب الاهتداء الي صراط اهل النعمة.

٣. وقد توارث الاحاديث لهذا الاسم.

٤. الدر المنثور عن النبي³ أنها أم القرآن وأم الكتاب وفيه اخرج البخاري والدارمي في سننه وابو داود والترمذي وابن المنذر وابن ابي حاتم وابن مردويه في تفاسيرهم عن ابي هريرة قال قال رسول الله³

: الحمد لله رب العالمين^٥ أم القرآن والكتاب والسبع المثاني - ومن طريق اهل البيت (عليهم

السلام) روي العياشي^١ : ١٩ عن الامام الصادق^X قال: اسم الله الأعظم مقطوع في أم الكتاب، وعن عبد

الملك بن عمر عنه^X إن ابليس رن أربع رنات..

وحين نزول أم الكتاب، وفي دعوات الراوندي عن موسى بن جعفر (عليهما السلام) قال: سمع بعض آبائي رجلاً

يقراء أم القرآن فقال: شكر واجر (البخار ٩٢ : ٢٦١) و رواه مثله محمد بن احمد بن يحيى بسند عن جعفر

بن محمد^X عن ابيه^X (تهذيب الاحكام ٨ : ١٩٠) وروي

الشيخ الطوسي في تبيانه ١ : ٢٢ عن النبي³ انه سماها أم القرآن وأخرجه القرطبي في الجامع لأحكام

القرآن عن الترمذي عن ابي بن كعب قال قال رسول الله³ ما أنزل الله في التوراة ولا في الإنجيل مثل أم

القرآن.

والمتشابهات، كما المحكمات هن أم الكتاب،
فكما المحكمات هن أم للأطفال المتشابهات،
كذلك آيات الكتاب كله هي أطفال الأم
السيدة.

فكل أصل وكل مجتمع وكل مأوي ومحور أم،
والقرآن المفصل يضم مربع الربوبية والنبوة
والمعاد وما بين المبدء المعاد بتفاصيلها،
وأم القرآن يضمها محكمة مختصرة، حكمة
مختصرة.

ومن ثم الأم تأتي بمعنى الراية للعسكر
والفاتحة راية لعساكر السور بآياتها وهيبة
لجنودها، فحقاً هي راية القرآن إذ تقدمه
وتعرفه وتعنيه!

٤- وهي ❀ أساس القرآن ❀:

إذ أسست تفاصيله فيها جملة جميلة وضاءة^١
في أولي السورتين من الأوليين لفظياً حيث
تكفي من سائر القرآن في الركعتين ولايكفي
سائر عذها فيهما، ومعنويًا فإنها علي
اختصارها تحمل متناً حاصراً من غزيرة الوحي
الهاطل، وخطاباً لربنا في معراج الصلاة إذ
تكفي عن كافة التفاصيل المسرودة في الذكر
الحكيم حيث تناسب ذلك الخطاب.

وهي ❀ الكافية ❀...

٦- وهي ❀ الحمد ❀:

حيث تحمل أحمد حمدٍ لرب العالمين، وخير
ما يحمده به الحامدون، حمد غائب
❀ الحمد لله... ❀ ومن ثم حاضر ❀ إياك نعبد... ❀
فإنها بشرطها حمد مهما اختلف الموقف
والتعبير وكله عبير، ثم وهي بادة الحمد،
فلذلك كله سميت - فيما سميت - بسورة
الحمد.

١ . الدر المنثور ١ : ٢ اخرج الثعلبي عن الشعبي ان
رجلاً شكاً اليه وجع الخاصرة فقال: عليك بأساس
القرآن قال: وما اساس القرآن؟ قال: فاتحة الكتاب.

٧- وهي السبع المثاني:

لأنها حسب القرآن العظيم سبع من المثاني: ﴿ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم﴾ ومهما كان القرآن كله مثاني: ﴿الله نزل احسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني..﴾ (٣٩: ٢٩) ولكن ﴿سبعاً﴾ ومن ثم ﴿القرآن العظيم﴾ تخصصها بهذه المثاني بهما لها من مَثْنِيَّاتٍ ومعاني، فهي تحمل إزدواجية المثاني.

ثم ﴿المثاني﴾ جمع المَثْنِيَّةِ او المَثْنِي وهو الذي يثنى، فأقلها ثلاث مَثْنِيَّاتٍ ولكننا نجد لها سبعاً من المثاني:

١ . الدر المنثور ٤ : ١٠٥ - اخرج الدارمي وابن مردويه عن ابي بن كعب قال قال رسول الله 3 : فاتحة الكتاب هي السبع المثاني - وفيه ١ : ٣ - اخرج الدار قطنى وصححه والبيهقى فى السنن عن ابي هريرة قال قال رسول الله 3 : اذا قرأتم الحمد فاقرؤا : بسم الله الرحمن الرحيم - إنها ام القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني و﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ إحدى آياتها واخرج ما فى معناه عن رسول الله 3 البخارى والدارمى فى مسنده وابو داود والترمذى وابن المنذر وابن ابي حاتم وابن مردويه واحمد فى مسنده وابن جرير والطبرانى فى الأوسط والبيهقى والبخارى والنسائى وابن حبان وابو عبيد وابن خزيمة وابو ذر الهروى وعبدالله بن احمد بن حنبل فى زوائد المسند وابن الضريس فى فضائل القرآن - أخرجه هولاء الحفاظ فى مسانيدهم كما رواه على امير المؤمنين X وعمر ايضاً عن رسول الله 3 - فما يروى عن ابن عباس فى بعض رواياته وسعيد بن جبیر دون نسبة الي رسول الله 3 انها للسبعة الطوال: البقرة - آل عمران - النساء - المائدة - الانعام - الأعراف - يونس - وأنها نزلت قبل السبع الطوال وسواها من مدنيات و مكيات، وانها ليست مثاني باى معنى من معاني المثاني اللهم إلا كما القرآن كله مثاني ﴿كتاباً مثاني﴾ ولايخص السبع - .

ومن طريق أهل البيت(عليهم السلام) عن محمد بن مسلم قال: سألت ابا عبدالله X عن الآية فقال: فاتحة الكتاب يثنى فيها القول (العياشى ١ : ٢٢) ورواه مثله عن يونس بن عبد الرحمن عن رفعه قال: سألت ابا عبدالله X عن هذه الآية قال: هي سورة الحمد، ورواه مثله عن محمد بن مسلم وعن السدى عن سمع علياً X يقول مثله.

- ١ - مثنى نزولاً فى عهدى المكى والمدنى،
أول ما نزلت بمكة، وحين حولت القبلة فى
المدينة، ولا مثنى هكذا إلا هيه!
- ٢ - مثنى فى أوليتها فى التأليف كما فى
التنزيل ولا مثنى هكذا إلا هيه!
- ٣ - مثنى فى الصلوات مفروضات ومسنونات
إذ تثنى فى أوليها إلا فى وتر الليل.
- ٤ - مثنى إذ تثنى بغيرها فى الصلوات كلها
إلا فى وتيرة العشاء.
- ٥ - مثنى فى ثنائية التأويل حيث تعنى
القرآن جملة ويعنيها القرآن بالتفصيل.
- ٦ - مثنى فى المعنى الإتجاه فنصفها ثناء
الله ونصفها عطاء الله.
- ٧ - ومثنى بثنائية الآيات حيث تتبنى فى كل
من السبع أمرين اثنين فـ :
- ١ - *بسم الله الرحمن الرحيم* ٢ - *الحمد
لله - رب العالمين* ٣ - *الرحمن - الرحيم* ٤
- *مالك - يوم الدين* ٥ - *اياك نعبد -
واياك نستعين* ٦ - *اهدنا - الصراط
المستقيم* ٧ - *صراط الذين انعمت عليهم -
غير المغضوب عليهم ولا الضالين*!
- مثنان سبعة فى السبع المثنانى فى أم كتاب
التدوين تتجاوب مع سبع التكوين، سبع
الزمان وسبعى المكان: سماوات وأرضين،
وسبعى الطواف حول البيت وبين الصفا
والمروة، كما ومراتب خلقة الإنسان سبع:
*ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين. ثم

١ . الدر المنثور ٦ : ١٠٤ - اخرج البيهقى فى شعب
الايمان عن ابن عباس فى الآية قال: هى ام القرآن
تثنى فى كل صلاة وأخرج ابن جرير وابن الضريس عن
قتادة فى الآية قال: فاتحة الكتاب تثنى فى كل ركعة
مكتوبة وتطوع وأخرجه ابن الضريس عن أبى صالح
مثله.

وفى تفسير العياشى ١ : ١٩، عن يونس بن عبدالرحمن
رفعه قال: سألت ابا عبدالله X عن هذه الآية قال: هى
سورة الحمد، وانما سميت المثنانى لانها تثنى فى
الركعتين، وعن محمد بن مسلم عن أبى عبدالله X هى
فاتحة الكتاب يثنى فيه القول.

جعلناه نطفة في قرار مكين. ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ﴿٢٣: ١٤﴾
 كذلك ومراتبه الباطنة سبع: الروح - الفطرة - العقل - الصدر - القلب - اللب والفوآد، وكما الصلاة أعمالها الظاهرة الملموسة سبعة حيث النية فعل القلب، وهي: القيام - الركوع - الإنتصاب منه - السجدة - والإنتصاب جلوساً بينهما - والقعود تشهداً وسلاماً، والسبع المثاني لهذه السبع كالروح في الجسد، كما هي روح للإنسان.
 وكما الشيطانات والشياطين وأبواب الجحيم سبع وهي تُغلق بالسبع المثاني!
 *والذي نفس محمد بيده ما أنزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها ﴿١﴾ ف ﴿٢﴾ من قرأ فاتحة الكتاب فكأنما قرأ التوراة والإنجيل والزبور والفرقان ﴿٣﴾.
 لذلك ﴿٤﴾ رن إبليس أربعاً حين نزلت فاتحة الكتاب وحين لعن وحين هبط إلي الأرض وحين بعث محمد ﴿٥﴾ فقد جعلت عدلاً للرسول كما هي عدل القرآن، حيث الرسول ﴿٦﴾ هو القرآن و القرآن هو الرسول ﴿٧﴾ وهي تمثلهما جملة كما هما يمثلانها تفصيلاً.

- ١ . الدر المنثور ١ : ٤ - اخرج جماعة ان رسول الله ﴿٨﴾ خرج علي ابي بن كعب فقال، يا ابي! وهو يصلي - فالتفت ابي فلم يجبه فصلي ابي فخفف ثم أنصرف الي رسول الله ﴿٩﴾ فقال: السلام عليك يا رسول الله ﴿١٠﴾ فقال رسول الله ﴿١١﴾: كيف تقرء في الصلاة؟ فقرأ بأمر القرآن فقال رسول الله ﴿١٢﴾: والذي نفسي بيده... .
- ٢ . المصدر ١ : ٥ - اخرج ابو عبيد في فضائله عن الحسن قال قال رسول الله ﴿١٣﴾... .
- ٣ . المصدر اخرج وكيع في تفسيره وابن الأنباري في المصاحف وابوالشيخ في العظيمة و ابو نعيم في الحلية عن مجاهد قال: رن إبليس اربع رنات، ومن طريق اهل البيت(عليهم السلام) في تفسير البرهان ١: ٤١ عن ابي عبدالله X مثله ورواه مثله العياشي ١: ٢٠.

إنها أوّل ما نزلت علي الرسول³ فانها فاتحة الكتاب، وأصل الكتاب المنزل ثم الكتاب المؤلف، ولاتحمل الخمس الأول من العلق النازلة قبل الفاتحة إلاّ البسمة^١. فقد توحى ﴿اقراء﴾ أنه ما كان قارئاً قبله، ثم ﴿باسم ربك﴾ يعلمه بماذا يبدأ قراءة الوحي، ولأن أفضل اسماءه هو الله، فباسم ربك هو ﴿بسم الله﴾ ثم ﴿الذي خلق﴾ هو ﴿الرحمن﴾ حيث الخلق هو اعم الرحمات ولا اعم من ﴿الرحمن﴾.

ومن ثم ﴿خلق الانسان من علق﴾ هو الرحيم، فانه رحمة خاصة، ثم الأخص منه ﴿الأكرم الذي علم بالقلم﴾ ثم ﴿علم الإنسان ما لم يعلم﴾ رحيم في أخصه حيث يعم سائر الوحي علي سائر رجالات الوحي.

فبداية الوحي تلميح كتحريجة بأفضل آية من كتاب الله ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ حيث هي تقرأ قبل كل أمر ذي بال والقرآن يفوق كل أمر ذي بال!

وقد صلي الرسول³ مع علي وخديجة لما رجع من بازغة الوحي، وبطبيعة الحال قرأ الحمد، إذ ﴿لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب﴾^٢.

١ . القمي في تفسيره في قوله تعالى: اقرأ باسم ربك... قال قال: اقرأ بسم الله الرحمن الرحيم، وفي أسباب النزول للواحد النيسابوري عن ابن عباس انه قال: أوّل ما نزل به جبرئيل عن النبي³ قال يا محمد استعد ثم قل: بسم الله الرحمن الرحيم.

٢ . الدر المنثور ١: ٢ - اخرج ابن ابي شيبة في المصنف وابو نعيم والبيهقي كلاهما في دلائل النبوة والواحد والثعلبي عن ابي ميسرة عمرو بن شرحبيل ان رسول الله³ قال لخديجة: إني اذا خلوت وحدي سمعت نداءً فقد والله خشيت أن يكون هذا امرأ فقالت: معاذ الله ما كان الله ليفعل بك فوالله إنك لتؤدى الأمانة، وتصل الرحم وتصدق الحديث - إلي ان قال - : سمعت نداءً خلفي يا محمد يا محمد فأطلق هارباً في الأرض فقال ورقة لا تفعل اذا أتاك فائيت حتي تسمع ما يقول ثم اتنني فأخبرني فلما خلا ناداه يا محمد! قل: بسم الله الرحمن الرحيم لحمد لله رب العالمين - حتي بلغ - ولا الضالين - فاتي ورقة فذكر له ذلك فقال ورقة

ورواية نزولها في المدينة تعزى نزولها الثاني عند تحول القبلة، وهي نازلة قبلها في مكة، وآية السبع المثاني المكية ليست لتعزى سورة مدنية لولا نزولها بداية في مكة.

وكما القرآن المحكم نزل علي قلب الرسول³ في ليلة مباركة هي ليلة القدر بعد زهاء خمسين ليلة من بداية الوحي، ثم القرآن المفصل بعد الحمد إلي المائدة، تفصيلاً للمحكم النازل ليلة القدر.

فالحمد لله الذي جعل لنا نصيباً من القرآن المحكم كما خص رسوله بنصيبه ليلة القدر، واين محكم من محكم؟

ثم البسملة هي افضل آيات السبع المثاني، كما السبع أفضل القرآن العظيم، مهما كانت الأقوال حول: هل هي آية من الحمد وسائر القرآن إلا البرائة عشرة كاملة^١ إلا أن تسعة منها ناقصة مناقصة لحجة الكتاب والسنة.

فكونها آية من النمل دون خلاف يؤكد كونها آية قرآنية أينما حلت، فجملة واحدة كيف تكون هنا آية وفي سواها ليست آية وليست هي إلهيه؟!!

وكون السورة سبعة من المثاني بشهادة القرآن والرواية المتواترة تجعلها آية منها، وإلا فهي ست من المثاني، وقد رقت



ابشر ابشر فاني اشهد أنك الذي بشر به ابن مريم وانك علي مثل ناموس موسى وانك نبي مرسل.
١ . وهي - ١ - ليست آية من آية سورة! ٢ - آية من كل سورة سوي البرائة ٣ - آية من الفاتحة دون غيرها ٤ - بعض آية من الفاتحة فقط ٥ - آية مستقلة انزلت لبيان رؤوس السور تيمناً ولفصل بينها ٦ - يجوز جعلها آية من الحمد وغير آية لتكرر نزولها بالوصفين ٧ - بعض آية من جميع السور ٨ - آية من الفاتحة جزء آية من سائر السور إلا البرائة ٩ - جزء آية من الفاتحة وآية من السور إلا البرائة ١٠ - انها آيات مستقلة حيثما كانت، وتري ان ما سوي القول الأول من هذه العشرة متفقة علي كونها آية وان اختلفت في جهات آخري ولا حجة في القول الاول كما لاحجة في كونها بعض آية - تأمل:

بواحدة مهما لم ترقم في سواها، فما أمرها إلا واحدة لأنها آية واحدة. وكونها فصلاً بين السور لاتجعلها غير آية، ولا تفتتح بها البراءة وهي سورة فذة، ولا غرو أن تفصل بين السور بأية مكررة كما يعرف بها ختام سورة وبداية أخرى. وكيف يُقحم في القرآن ما ليس منه مهما كان لفصل وسواه، إذ يحصل الفصل بسواه، أفأقحاماً في القرآن جملة كآية لكل سورة إلا البراءة؟

وقد امر الرسول 3 في بازغ الوحي ان يقرأه بالبسملة * اقرء باسم ربك... كما أمر دائباً مستمراً بقراءتها في الصلاة * وذكر اسم ربه فصلي (٨٧: ٥) والصلاة بلا تكبيرة او بسملة دخول في الدار دون استئناس واستئذان من صاحب الدار^١.

ثم وفي كل القرآن * واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلاً (٧٣: ٨) أفليست هي بعد آية من القرآن، وهي أفضل آية من القرآن حيث تعني أم القرآن إجمالاً كما هي تعنيه اجمالاً وهما تعنيانها تفصيلاً مهما بان تفصيل عن تفصيل. ولان البسملة افضل آية في الذكر الحكيم^٢

١ . الدر المنثور ١ : ٧ - أخرج ابن ابي حاتم والطبراني والدار قطني والبيهقي في سننه عن بريدة قال قال رسول الله 3 : لا أخرج من المسجد حتي أخبرك بآية - أو سورة - لم تنزل عي نبي بعد سليمان غيري قال: فمشي فتبعته حتي انتهى الي باب المسجد فأخرج إحدي رجله من اسكفة المسجد وبقيت الأخرى في المسجد فقلت بيني وبين نفسي ذلك فأقبل علي بوجهه فقال: بأي شيء تفتتح القرآن اذا فتحت الصلاة؟ قلت : بسم الله الرحمن الرحيم - قال 3 : هي هي ثم خرج، واخرج الدار قطني عن ابن عمر ان رسول الله 3 قال: كان جبرئيل اذا جاء بالوحي أول ما يلقي علي * بسم الله الرحمن الرحيم.

٢ . تفسير البرهان عن تفسير العياشي عن ابي حمزة عن ابي جعفر X قال: سرقوا أكرم آية في كتاب الله: بسم الله الرحمن الرحيم، وعن الحسن بن خرزاد وروى عن ابي عبد الله X قال إذا أم الرجل القوم جاء الشيطان الديق هو قريب الإمام فيقول: هل ذكر الله؟ يعنى: هل قرأ بسم الله الرحمن الرحيم؟ فان قال: نعم هرب منه،



فلتذكر في أفضل عبادة هي الصلاة، وليكن عبداً لله بسملة لله في مجراه ومرساه، فابتداء أقواله وأفكاره وأعماله ﴿بسم الله﴾ وانتهاءها ﴿بسم الله﴾ إذا قام ﴿بسم الله﴾ وإذا نام ﴿بسم الله﴾ إذا عقد النطفة ﴿بسم الله﴾ وإذا حضر الموقف ﴿بسم الله﴾ وليكن هو بتمامه اسماً لله، يدل بكله على الله، اعلاناً بالثناء على الله، وإذاعة لذكر الله، كما وان الكون كله اسم الله.

فما لهم تركوا أفضل آية من كتاب الله، اخفتوا بها ثم تركوها، والكتاب القاطع والسنة القاطعة حجتان لامرد لهما أنها آية

← وإن قال: لا ركب عنق الإمام ودلي رجليه في صدره فلم يزل الشيطان إمام القوم حتى فرغوا من صلاتهم. وعن عيسى بن عبد الله عن أبيه عن جده عن علي X قال: بلغه أن أناساً ينزعون بسم الله الرحمن الرحيم. قال: هي آية من كتاب الله أنساهم إياها الشيطان، وعن اسماعيل بن مهران قال قال أبو الحسن الرضا X إن بسم الله الرحمن الرحيم أقرب إلي اسم الله الأعظم من سواد العين التي بياضها، أقول وسواد عين البسملة هو الله حيث توسط بياضها وعن خالد بن المختار قال سمعت جعفر بن محمد (عليها السلام) يقول: ما لهم قاتلهم الله عمدوا إلي أعظم آية في كتاب الله فزعموا أنها بدعة إذا أظروها وهي بسم الله الرحمن الرحيم.

أ. في تفسير الثعلبي روي الشافعي عن مسلم بن جريح عن ابن أبي مليكة عن أم سلمة أنها قالت: قرأ رسول الله 3 فاتحة الكتاب فعد ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ آية ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ آية ﴿الرحمن الرحيم﴾ آية ﴿مالك يوم الدين﴾ آية ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ آية ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ آية ﴿صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ آية، وفي الدر المنثور 1: 3 - أخرج الدار قطني وصححه والبيهقي في السنن عن أبي هريرة قال قال رسول الله 3 إذا قرأتم الحمد فاقرأوا ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ أنها أم القرآن وأم الكتاب السبع المثاني و﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ أنها أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني و﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ آية واحدة، وفيه أخرج الدار قطني والبيهقي في السنن بسند صحيح عن عبد خير قال: سئل علي X عن السبع المثاني فقال: الحمد لله رب العالمين، فقليل له: إنما هي ست آيات؟ فقال: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ آية، وفيه أخرج الطبراني

يجهر بها في الجهرية فرضاً وفي الاخفاتية نفلًا. فمن تركها فلا صلاة له كما استفاضت بها السنة مهما اختلف المتخلفون عنها فيها. فعلي كل من يؤمن بالقرآن وأنه لم يحرف بزيادة ولا نقصان، الايمان بانها آية من القرآن.

وعلي كل من يؤمن بالسنة المحمدية³ أن يتابع أثر الرسول فيما كان يفعل ويقول،



في الاوسط وابن مردويه في تفسيره والبيهقي عن ابي هريرة قال قال رسول الله³ الحمد لله رب العالمين سبع آيات ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ احداهن وهي السبع المثاني والقرآن العظيم وهي فاتحة الكتاب، اقول: ومن امثاله نتبين ان ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ تعبيراً عن السورة لايعني استثناء البسمة عنها، بل هو تعريف باول آية غير مشترك فيها ولانها سورة الحمد.

وأخرج الدارقطني، والبيهقي، عن ابي هريرة ان النبي³ كان اذا قرء وهو يؤم الناس افتتح بـ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾، واخرج ابو عبيد وابن سعد في الطبقات وابن ابي شيبة واحمد و ابو داود و ابن خزيمة وابن الأباري في المصاحف والحاكم وصححه والخطيب وابن عبد البر كلاهما في كتاب المسألة عن ام سلمة أن النبي³ كان يقرء ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾. الحمد لله... قطعها آية آية و عددها عد الاعراب وعد بسم الله الرحمن الرحيم، واخرج الثعلبي عن ابي هريرة قال: كنت مع النبي³ في المسجد اذ دخل رجل يصلي فافتتح الصلاة وتعود ثم قال: الحمد لله رب العالمين - فسمع النبي³ فقال: يا رجل اقطع علي نفسك الصلاة؟ اما علمت ان ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ من الحمد فمن تركها فقد ترك آية ومن ترك آية فقد افسد عليه صلاته، واخرجه الثعلبي عن طلحة بن عبيد الله مثله، واخرج الشافعي في الام والدارقطني والحاكم وصححه والبيهقي عن معاوية انه قدم المدينة فصلي بهم ولم يقرء ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ولم يكبر اذا خفض واذا رفع فناداه المهاجرون والانصار حين سلم يا معاوية! اسرقت من صلاتك؟ اين بسم الله الرحمن الرحيم؟ واين التكبير؟ فلما صلي بعد ذلك قرء ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ لإم القرآن و للسورة التي بعدها وكبر حين يهوى ساجداً، واخرج البيهقي عن الزهري قال: سنة الصلاة أن يقرء بسم الله الرحمن الرحيم وإن أول من أسر بسم الله الرحمن الرحيم عمرو بن سعيد بن العاص بالمدينة وكان رجلاً حياً!

وكما أجمع عليه ائمة اهل البيت (عليهم السلام) والخلفاء الثلاثة في أصلها، والشافعي في الجهر بها، وأحمد أنها آية منها، وأبو حنيفة في أصل قرائتها وجماعة آخرون من الصحابة والتابعين في أنها آية جهراً أو اخفائاً^١.

فحتي ولو لم تكن آية فلتُقرء قبل كل تلاوة لا سيما القرآن، ف❦ كل امر ذي بال لا يبدء فيه بسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع أو ابتر أو اجزم كما في مستفيض السنة، فهلاً تكون الفاتحة أمراً ذا بال وفي الصلاة وهي خير

١ . كابن عباس وعمار واسحاق وابوثور وابو عبيد و ابو هريرة وابن عمر و عايشة وام لمة والنعمان بن بشير والحكم بن عمير وانس وبريدة وجميع من روى حديثها عن رسول الله³ وعن وائمة اهل البيت(عليهم السلام).

٢ . رواه عن النبي³ فيمن رواه علي بن ابي طالبX وعمار وابو هريرة وانس وابن عمر انه صلي خلف النبي³ و ابي بكر و عمر فكانوا - يجهرون بسم الله الرحمن الرحيم، والنعمان بن بشير أن رسول الله³ قال: اتي جبرئيل فجهر بها، والحكم بن عمير أنه³ جهر بها في المكتوبة والنافلة، وعن عائشة أنه³ كان يجهر بها، وأخرج الدار قطني عن ابي هريرة قال قال رسول الله³ : علمني جبرئيل الصلاة فقام فكبر لنا ثم قرء ❦ بسم الله الرحمن الرحيم❦ فيما يجهر به في كل ركعة، وأخرج الثعلبي عن علي بن زيد بن جدعان أن العبادة كانوا يتسفتحون القراءة بسم الله الرحمن الرحيم يجهرون بها وهم: عبدالله بن عباس وعبدالله بن عمر وعبدالله بن الزبير، وأخرج البزار والدار قطني والبيهقي في شعب الايمان من طريق ابي الطفيل قال: سمعت علي بن ابي طالبX وعماراً يقولان: ان رسول الله³ كان يجهر في المكتوبات بسم الله الرحمن الرحيم في فاتحة الكتاب، وأخرج الطبراني والدار قطني والبيهقي في شعب الايمان من طريق ابي الطفيل والدار قطني والحاكم عن انس قال: سمعت رسول الله³ يجهر بسم الله الرحمن الرحيم، وأخرج الدار قطني عن علي بن ابي طالبX قال: كان النبي³ يجهر بسم الله الرحمن الرحيم في السورتين جميعاً، وأخرج عن ابن عمر قال: صليت خلف النبي³ و ابي بكر و عمر فكانوا يجهرون بسم الله الرحمن الرحيم، وأخرج عن النعمان بن بشير قال قال رسول الله³ : أمّذي جبرئيلX عند الكعبة فجهر بسم الله الرحمن الرحيم.

موضوع، وهذه عمود الدين وتلك عمود القرآن،
إذا فالصلاة دون بسملةٍ مقطوعةٌ بتراءٍ والله
منها براء.

وكما أن الفاتحة هي فاتحة الكتاب، فأولي
بالبسملة لأنها فاتحة لكل كتاب من قرآن
وسواه.

فكيف لا يُجهر بها أو تُترك من أصلها وهي
إعلان ثناءٍ علي الله وكما يُعلن بالثناء علي
غير الله: ﴿فاذكروا الله كذركم آباءكم أو أشد
ذكراً﴾ (٢: ٢٠٠) أشد نداءً في الجهر به،
وأشد ذكراً في اكثره، وأشد تبركاً في
الإفتتاح به، وأشد معرفياً في عبوديته:

ولان القرآن هو كتاب من الله الي الناس
ليحيدوا عن أخلاق النسناس نري كتاب الله يبدء
باسم الله ويدختم بالناس، إيجاءً بأنه يحمل
جميع رحمت الله، عامةً رحمانية، وخاصةً رحيمية
للجنة والناس وللعالمين أجمعين.

وكما التنزيل بازغ باسم الله كذلك التأليف،
فهو البداية وهو النهاية، وهو المبدء و
هو الغاية.

ولكى نقرء القرآن سوراً أم آيات فلنبدء
بالإستعاذة ﴿فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله
من الشيطان الرجيم﴾ (١٦: ٩٨) فقل: اعوذ بالله
- او - استعيذ بالله من الشيطان الرجيم.

يُردّد المسلم هذه السورة قليلة الآيات،
كثيرة الطويّات والمحتويات في الصلاة مرات
ومرات، حين يقف بين يدي ربه مبتهلاً، فارضاً
او متنفلاً، ولا تقوم صلاة إلا بها وكما استفاض
عنه 3: لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب.

وفيها من كليات التصورات الأصلية والعقيدة
الإسلامية، والمشاعر السلمية، ما توحى بطرف
من حكم اختيارها مناجاةً في معراج الصلاة،
فكل صلاة دونها باطلة، وكل صلوات من دونها
عاطلة، كما وكل صراط غيرها مائلة قاحلة.

ان الصلاة وهي خير موضوع، قد وضعت الحمد
قبلها كخير موضوع في خير موضع، إنها تتبني
أركاناً معنوية هي الركينة فيها وقد

تتبنها أركانها بسائر فروضها الظاهرية .
 فلتعرف يا عارجاً معراج ربك من أنت؟ وأمام
 من واقف أنت؟ وماذا تعذى في ما تفعله
 وتقوله أنت؟:
 أنت الأشياء حقاً، مهما كنت شيئاً بما هياك
 الله، فكل شيئك أمام ربك لا شيء، فانه الواهب
 كل شيء لكل شيء!
 وهو كل شيء إذ خلق الشيء الذى منه كل شيء
 لامن شيء!
 أنت الفقير فى غناك فكيف لا تكون فقيراً فى
 فقرك، وهو الغنى...
 إعرف من أنت، وأمام من واقف أنت، وماذا
 تقول أو تعذى بما تفعله أنت، وليكن فى
 صلاتك قطعاً بصلاتك عما سوي الله، وصلة كلك بالله،
 ولا حول ولا قوة إلا بالله.

❁ بسم الله الرحمن الرحيم ❁

لانها تحوى ما تحويه الحمد كما حوت هي
 القرآن كله، فالبسمة اذاً هي القرآن كله،
 فعلينا التدبر فيها بكل إناقة وعملاقة لكى
 نحصل - لأقل تقدير - على الاصول الثلاثة،
 الاستفادة من خماسية الكلمات فى البسمة .
 فالباء هي مثلثة المعانى مصاحبة واستعانة
 وابتداءً، والاسم مسبّعة المصاديق، والحاصل
 واحد وعشرون اكثرها معنية بالبسمة،
 و❁ بسم ❁ تتعلق بالمعانى الثلاثة: أبتداء
 وأصاحب وأستعين باسم الله الرحمن الرحيم .
 وهل الإسم من الوَسْم: العلامة؟ او السَّمُو:
 الرفعة؟ ظاهر الأدب لفظياً والمناسبة معنوياً
 يساعد الوسم، قلباً للواو الي الألف خلاف
 السَّمُو، وأن الاسم علامة لمسماه وليس يعلوه
 مرتفعاً عليه .
 إلا أن وصلية الألف حذفاً لها عند الوصل،
 دليل لعدم أصالة الألف بديلة عن الواو، ثم
 تصغيره عي سُمى وجمعه الأسماء دليل حذف
 الواو عن آخره، وإلا فلا سُمى ولا أسماء ولا

حذف للألف عند الوصل لو كانت من الأصل.
 إذاً فالإسم من السمو الرفعة، رفعة العلامة
 علي المعلم، في الدلالة دون الرتبة، حيث
 الإسم يتقدم المسمي معرفة مهما كان المسمي
 يتقدمه مرتبة ورفعة.

وعله مشتق من الوسم والسمو معاً باعتبار
 المعنيين واللفظ للسمو، فهو - إذاً - علامة
 لشيء تعلوه لتدل عليه، علو التذليل دون
 التعالي لديه، مهما كان أدنى منه أو
 يساويه أم ويعلوا عليه.

ثم الإسم منزه لفظي هو الأدنى علامة فانه
 بالوضع، ومنه عيذى و هو أعلي منه حيث
 الدلالة ذاتية دون وضع، ثم الإسم العيذى لله
 تبارك وتعالى منه ذاتى كصفات ذاته الثلاث:
 الحياة والعلم والقدرة، أم فعلى كصفات
 الفعل المشتقة من صفات الذات، أم خلقى
 كسائر الخلق، فانه مثلاً لله يدل عليه بما
 يفتقر في ذاته إليه.

١ - فمن أسماء اللفظية: ❀ الله - الرحمن -
 الرحيم ❀ أمهيه.

٢ - وأسماء الذاتية هي واقع الحياة
 والعلم والقدرة.

٣ - وأسماء الفعلية هي واقع صفاته
 الفعلية.

٤ - ومن أسماء الخلقية كل الخلقية.

٥ - ثم الخاص منها أنت الواقف أمامه.

٦ - ثم الأخص منها العبادة فانها سمة من
 سماته.

٧ - ثم أخص الخواص هم انبياء الله وفضلهم
 خاتمهم وأئمة أهل بيته المعصومين (عليهم
 السلام).

ففي اسمه اللفظي تأتي الإبتداء والمصاحبة
 كما يُروى عن الإمام علي X: ❀ إن العبد إذا
 أراد أن يقرء أو يعمل عملاً يقول: بسم الله
 الرحمن الرحيم - أى: بهذا الإسم أعمل هذا
 العمل، فكل عمل يعمل يبدء فيه بـ ❀ بسم الله

الرحمن الرحيم فانه مبارك له فيه ﴿١﴾ ثم لا استعانة بهذا الإسم إلا بضرب من التأويل. وفي أسماء الذاتية والفعلية تأتي الإستعانة كما عن الإمام علي الهادي X: ﴿٢﴾ أستعين علي أمورى كلها بالله الذى لا تحق العبادة إلا له ﴿٣﴾ وأما الإبتداء فضلاً عن المصاحبة فلا يناهز هذه الأسماء، مهما صاحبنا الله بصفاته الفعلية أم والذاتية بضرب من التأويل، و ﴿٤﴾ الإسم صفة لموصوف ﴿٥﴾ ونحن لانصحب صفات الله او نبتديء بها، فان صفاته تعالى تصاحبه ذاتية أم فعلية، ونحن نستعين بها فيما نروم من مرضاته.

وفي أسماءه الخلقية بوجه عام مصاحبة ولا استعانة ولا إبتداء إلا فى مثلث الخواص، اللهم إلا مصاحبة فى عبادة الله والسجود لله ف ﴿٦﴾ الله يسجد من فى السماوات ومن فى الأرض وظلالهم ﴿٧﴾ (١٣:١٥) واستعانة بهم فيما يصح سلوكا الي الله.

وفى ذاتك كاسم من اسماءه الخلقية تأتي مثلث معانى الباء، مصاحبة واستعانة وابتداءً، أ صاحب نفسى فى عبادة الله وسواها فلأجردها عن الهوي حيث النفس آية من آيات الله فلتصاحب نفسها كآية تدل علي الله.

وأبتداءً بنفسي فى العبادة وسواها مما يرضاه الله، حيث البداية فى الخير بازغة بنفسك ثم من سواك: ﴿٨﴾ قوا أنفسكم وأهليكم ناراً ﴿٩﴾.

ثم إبتداءً بعبادة الله وبكل فعل يرضاه الله

١ . تفسير البرهان نقلاً عن تفسير الامام العسكرى X عن الامام علي X وعن محمد بن جرير الطبرى باسناده عن ابن عباس قال: إن أول ما نزل به جبرئيل علي محمد ³ قال يا محمد قل استعين بالسميع العليم من الشيطان الرجيم ثم قال: بسم الله الرحمن الرحيم، قال قال له جبرئيل: قل بسم الله يا محمد! يقول: اقرء بذكر الله ربك وقم واقعد بذكر الله.

٢ . تفسير الإمام العسكرى عن الامام علي X.

٣ . ابن بابويه بسنده عن ابن سنان قال: سألت ابا الحسن الرضا X عن، الإسم، ما هو؟ قال: صفة لموصوف.

تقديماً لمرضاته علي سواه، ومصاحبة لها علي
أية حال، واستعانة بها في كل حل وترحال:
❖ واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا
علي الخاشعين❶ (٢: ٢٥) وكما عن الإمام
الرضا X: ❖ أسمي علي نفسي سمّة من سمات الله وهي
العبادة والسمّة هي العلامة❶.

ثم ابتداءً - في عبادة الله - برسول الله 3 وأهل
بيت الرسالة كدلالة للطريق فهم السبل الي
الله والأدلاء علي الله.

واستعانة بهم في سلوكنا الي الله، ومصاحبة
لهم، فما صحبة الرسول هي ملازمته في حياته
الجسدية الدنيوية، بل هي صحبته في رسالته
الإلهية، إستناناً بسنته واتباعاً لشرعته
واستجابة لدعوته، فهم القائلون ❖ نحن أسماء
الله الحسني❶ ويصدقهم قول الله. ❖.. وعلم آدم
الأسماء كلها❶ فانهم الذوات القدسية من أهل
بيت الرسالة المحمدية (عليهم السلام) كما
❖ ثم عرضهم❶ يدل عليه حيث ❖ هم❶ - وهو
لذوى العقول - لا تعنى إلا إياهم!

فنحن في مثلث الإستعانة المصاحبة الإبتداء
للسبعة أسماء الله، إلا ما لا يناسب ساحته
وسماحته، فإبتداء كل أمر ذي بال بسم الله
توحيد لله، وتركه الحاد في الله، وإشراك غيره
في الإبتداء به إبتداع وإشراك بالله، وكل ذلك
- لأقل تقدير- في لفظة القول، وعلي الموحّد
أن يوحد الله قالاً وحالاً وافعالاً.

ولأن الإسم في ❖ بسم❶ جنسه لاشخصه، فقد تعنى
كل هذه الأسماء، حيث تتبناها ❖ الله - الرحمن -
الرحيم❶.

فالله هو ذاته بصفاته الذاتية والفعلية كما
هو إسمه اللفظي، والرحمن هي صفاته الفعلية
العامّة، والرحيم هي الخاصة، وهما تعمان
المنفصلة وسواهما وهكذا تعنى البسملة ما

١ . تفسير البرهان ١ : ٤٤ عن ابن بابويه القمي في
توحيده بأسناده الي علي بن الحسن الفضال عن أبيه
قال سألت الرضا X عن بسم الله قال...

تعزیه السبع المثانی والقرآن العظیم جملةً وتفصيلاً!

ثم ﷻ الله - الرحمن - الرحيم ﷻ أسماء ثلاثة تكفي عن سائر الأسماء ولا تكفي عن سائر الأسماء.

فـ ﷻ الله ﷻ هو إسم للذات المقدسة لا يسمي به سواه ﷻ فهل تعلم له سميّاً ﷻ (١٩:٦٥) كلاً يا الله! وهو الإسم الأعظم الظاهر، كما ﷻ هو ﷻ هو الاسم الأعظم الباطن، وقد اشتقت منه كلمة التوحيد: ﷻ لا إله إلا الله ﷻ حيث ألفت من حروفه الثلاثة، وكذلك ﷻ هو ﷻ في وجهه.

وفيما يروي عن امير المؤمنين X ﷻ الله أعظم الأسماء من أسماء الله وهو الإسم الذي لا ينبغى ان يسمي به غير الله لم يتسم به مخلوق ﷻ. فطالما المشركون يسمون اصنامهم وطواغيتهم آلهة، ولكنهم لم يسموها ﷻ الله ﷻ اذ كانوا يرونه الأصل في الألوهية فجادوا عن تسميتها باسم ﷻ الله ﷻ.

فكما لله واحد في ذاته وأفعاله وصفاته، كذلك في اسمه ﷻ الله ﷻ وقد ذكر في الذكر الحكيم (٩٧:٢٦) مرة وهي اكثر بكثير من سائر أسماءه وأسماء من سواه، اهتماماً زائداً به إلي مسماه، وأنه اسم للذات المقدسة المستجمعة لجميع صفات الكمال جمالاً وجلالاً. ثم ﷻ الله ﷻ علم للذات المقدسة، سواء أكان أصله ﷻ الإله ﷻ، معرفاً فعلم باختصاص، أم علماً في الأصل عربياً كان أم عبرياً او سريانياً، جامداً او مشتقاً، كما اختلف فيه علماء اللغة والادب واحتاروا فيه كما احتار

١ . من لطيف الامر في ميّزات اسم الجلالة ﷻ الله ﷻ بين اسمائه الحسنی أنك كلما حذفته منها حرفاً تبقى الدلالة على الذات المقدسة بحاله ومحفوظة عن شريك فـ ﷻ الله ﷻ تجده محذوف الالف في ﷻ الله ﷻ ومحذوف اللام ايضاً في ﷻ إله ﷻ ثم محذوف اللام الثاني في ﷻ هو ﷻ حيث الواو ليست فيه متناً يبقى كما وتحذف في ﷻ هم - هما ﷻ فـ ﷻ الله ﷻ و ﷻ هو ﷻ اسمان مختصان بالذات المقدسة.

الفلاسفة والعرفاء في ذاته المقدسة وصفاته ذاتية وفعلية.

وعلي أية حال فالألف واللام فيه أصليان لاتسقطان ولا الألف، بخلافهما في التعريف والوصل، فالهمزة أصل وليس وصلاً سواء أكان أصلها غيرها وهي بديلها أم هي هيه، وحتى إذا كان للتعريف فهو الآن لا يحتاج إلي تعريف فمنسلخ - هو - إذاً عن التعريف.

أو عله ليس مشتقاً من شيء كما لا يُشتق منه شيء، فلا يقال أللهي أو الأها أمأهيه.

ولان ❀الله❀ في العبرانية في الاصل ❀يهواهُ❀ وعللي الهامش ❀إلَوَه❀ فقد نحتمل أنه معرب ❀إلَوَه❀ أم وله أصل في العربية ايضاً بين ❀إله❀ و ❀ولاه❀ هما من ❀إلَوَه❀ ولكن الوهيم...؟

- العقل والآيات حيث توحد الربوبية في الله وتوحده في كافة الربوبيات.

وهذا هو مفرق الطريق بين نظام الربوبية وفوضاها، تزيل كل شائبة وكل غَبْش وهاجسة عن توحيد الله، هذه التي تعزل الرب عن الحياة وتصرفاتها، انقساما في الألوهية بين الذات والصفات والأفعال.

ولكن ❀إلوهيم❀ جمع ❀إلَوَه❀ قد يجعل الأصل العبراني سواه فإن الله لا يُجمع، وقد لاينافيه كما يجمع الإله ايضاً بالآلهة وإن كان الله ليس ليُجمع.

إذا فـ ❀إلَوَه❀ هو ❀إله❀ يُجمع بـ ❀إلوهيم❀ في العبرية و بـ ❀آلهة❀ في العربية ولكن ❀الله❀ لا يُجمع بشيء.

ثم الأصل العبراني لـ ❀الله❀ عله كما أنه ❀إلَوَه❀ : ❀إله❀ كذلك هو وبأحري معنوياً ❀يهواهُ❀.

و ❀الله❀ كإسم ظاهر لله هو أقرب أسمائه إلي الإسم الباطن ❀هو❀ وعله مشتق من ❀هو❀ كما هو مشتق من ❀إله❀ وقد تشهد له آياته الـ ❀٨٠❀.

ثم الأصل المشتق منه فعلاً في العربية في

نظرة لغوية أوسع مما قدمناه بين *وَلَهُ -
 آلَة - آلَة * وتناسبه كلها في معناه، وأصل
 هذه الثلاث *إله *

فهو من *آلَة * يعنى عَبْد ، والله هو المعبود
 الحق وسائر الآلهة باطلة، أم من ألّهت إلي
 فلان اي سكنت ولجأت حيث يُطمئن ويسكن إليه
 ألا بذكر الله تطمئن القلوب (٢٨:١٣)
 أم من الولد و هو ذهاب العقل والحيرة
 الكاملة التائهة، و هو لا مردّ له بالنسبة
 للساكين في سبيل المعرفة فقد تاهت العقول
 عن كنه معرفته.

ام من *لاة * : إرتفع - لانه المرتفع
 المترفع عن سائر الكون ذاتاً وصفاتٍ وأفعالاً،
 وعن أن تطير إليه طائرات العقول.
 ام من *آلَة * فيه يألّه الهَا * إذا تحير، إذ
 حارت العقول عن كنه معرفته.

ام من *لاة يلوهُ * إذا احتجت حيث احتجب
 بكنه ألوهيته، فلا يرتفع حجاب ذاته
 للساكين اليه وحتى لأول العابدين محمد3
 فضلاً عن سواه:

يا من هو اختفي لفرط نوره

الظاهر الباطن في ظهوره

ام من *آلَة * الفصيل إذا ولع بأمه، حيث
 العباد يولعون به ويتضرعون إليه.
 أم من آلَة الرجل يألّه إذا فزع الخلائق
 يفزعون إليه ويستجيرون به.
 ثمانية معان عدد أبواب الجنة الثمان كلها
 واردة بحق الله تبارك وتعالى فانه - ١ -
 المعبود - ٢ - المسكون إليه - ٣ - المؤلّه
 فيه - ٤ - المرتفع عن خلقه - ٥ - المتحيّر
 فيه - ٦ - المحتجب عن خلقه - ٧ - المولع
 به - ٨ - المفزوع إليه، وهي كلها منصوصة
 في روايات عدة متظافرة.

ثم *الرحمن * هي في الدرجة الثانية من
 صفاته وأسمائه الحسنی، فإنها الرحمة
 العامة بجميع خلقه، ولاتعم صفات ذاته فضلاً
 عن ذاته، فـ *الله * تعزى الذات المقدسة

بنوعى الصفات، و ﴿الرحمن﴾ تخص صفات الفعل المتشعبة عن صفات الذات: ﴿العلم والقدرة والحياة﴾ فإنها صادرة عن هذه الثلاث، كما هى والذات واحدة وحدة الذات وصفات الذات، دون زيادة صفات علي ذات ولا تعطيل للصفات. ثم ﴿الرحيم﴾ هى الثالثة حيث تخص خاصة الرحمات ولا تعم عامتها، وهى والرحمن مبالغتان فى الرحمة، ولكنما الرحمن أبلغ من الرحيم لزيادة المبذى وتوسُّع المعنى، والرحيم أرق وأدق لأقلية المعنى كما والمبني، مهما كان كيفها أعمق واشفق:

تذكر ﴿الرحمن﴾ فى ساير القرآن (٥٧) مرة وحدها، أم مع الرحيم التى تقابلها، أم عامة الرحمات التى تفسرها، فى حين لانجد ﴿الرحيم﴾ فى سائر القرآن لـ (٩٥) مرة، لانجدها وحدها إلا قرينة بخاصة من الرحمات تدليلاً على أنها أخص من الرحمن.

والرحمة الرحمانية المطلقة ليست إلا الخلق والهداية . . . الذى اعطى كل شىء خلقه ثم هدى ﴿٢٠: ٥٠﴾ وهى الهداية العامة التى تعم كل شىء .

ومن ثم سائر الرحمات كلها رحيمية قياساً لها، مهما كانت بالنسبة لبعض البعض، رحمانية ورحيمية مع بعض.

ف ﴿ربك الذى خلق﴾ رحمانية مطلقة، و ﴿خلق الانسان من علق﴾ رحيمية بالنسبة لمطلق الخلق، ولكنها رحمانية أمام ﴿وربك الاكرم الذى علم بالقلم. علم الانسان ما لم يعلم﴾ ثم وهذه الرحيمية رحمانية بالنسبة لرحمة الايمان فى الانسان المعدم ما لم يعلم.

وفيما يروي عن الرسول 3 وأئمة أهل بيته (عليهم السلام) تجاوباً لطيف حفيف مع الآيات كما هى دأبهم دائبين مشياً على ضوء القرآن الكريم!

﴿فالرحمن اسم خاص بصفة عامة والرحيم اسم

عام بصفة خاصة ﴿١﴾ ومن خاص الرحمن اختصاصها تسمية ومعني بالله إذ لا يسمي بها سواه، وكما رحمة عامة لسواه، والرحيم يسمي بها سواه كما الرحمة الخاصة، كما هي له تكون لسواها، مهما بان البون بين الرحمتين علي أية حال.

كما والرحمن خاصة بالأولي لعموم الخلق والهداية فيها، دون الأخرى حيث المعاد في المعاد هم المكلفون فقط لا سواهم، والمرحومون بينهم هم المؤمنون لا سواهم، والرحيم تعم المنشأتين ﴿٢﴾ فالرحيم أرق من الرحمن وكلاهما رقيقان ﴿٣﴾.

وقد تعم الرحمن الآخرة كما الأولى نسبياً فـ ﴿٤﴾ المُلْك يومئذ الحق للرحمن ﴿٥﴾ (٢٥:٢٦) فهو رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما ﴿٦﴾ حيث المكلفون كلهم يحشرون برحمة رحمانية كما خلقوا أول مرة ثم المؤمنون منهم يُرحمون برحمة رحيمية.

ولأن الرحمة العامة أوفق بالأولي من الأخرى، كما الخاصة أوفق بالأخرى من الأولى، إذا فـ ﴿٧﴾ الرحمن رحمن الدنيا والرحيم رحيم الآخرة ﴿٨﴾.

﴿٩﴾ ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين آمنوا وكانوا يتقون ﴿١٠﴾ (٧:١٥٦) فالرحمة الواسعة هي الرحمانية حيث تسع كل شيء، والمكتوبة هي الرحيمية التي تخص المؤمنين

١ . نورالثقلين عن الامام الصادق X. ٢ . الدر المنثور ١ : ٩ - أخرج البيهقي عن ابن عباس عن النبي 3 في حديث تقسيم الحمد، بين الله وعبده فاذا قال العبد ﴿١﴾ بسم الله الرحمن الرحيم ﴿٢﴾ قال الله: عبدي دعاني باسمين رقيقين أحدهما ارق من الآخر فالرحيم ارق من الرحمن وكلاهما رقيقان. ٣ . المصدر - اخرج ابن ابي شيبة عن عبد الرحمن بن سابط قال كان رسول الله 3 يدعو بهؤلاء الكلمات ويعلمه: اللهم فارح الهم وكاشف الكرب ومجيب المضطر ورحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما ارحمذي رحمة تغنيني بها عن رحمة من سواك. ٤ . مجمع البيان للطبرسي عن ابي سعيد الخدري عن النبي 3: ...

المتقين.

وما ﴿الرحمن بجميع خلقه والرحيم بالمؤمنين خاصة﴾^١ إلا بياناً لمصداق خاص للرحيم بين مختلف مصاديقها، فإنها تعم الكافر الذي هو في سبيل الهدى كما تصرح لها آيات وتلمح لها أخرى، كما تعم السابقين والمقربين المخلصين، وبينهما متوسطون، وهم المؤمنون فعلاً بدرجاتهم ﴿بالمؤمنين رءوف رحيم﴾^٢ (١٢٨:٩).

ثم الرحمة وهي في الخلق رقة، ليست في الخالق كما هي، فإنه ﴿رحيم لا يوصف بالرقة﴾^٣ فـ ﴿ان الرحمة ما يحدث لنا منها شفقة، ومنها وجود، وان رحمة الله ثوابه لخلقه، والرحمة من العباد شيان أحدهما يحدث في القلب الرأفة والرقة لما يري بالمرحوم من الضر والحاجة وضروب البلاء، والآخر ما يحدث منا بعد الرأفة واللفظ علي المرحوم، والمعرفة بما نزل به، وقد يقول القائل: أنظر إلي رحمة فلان، وإنما يريد الفعل الذي حدث عن الرقة التي في قلب فلان، وإنما يضاف إلي الله عزوجل من فعل ما حدث عنا من هذه الاشياء، وأما المعني الذي في القلب فهو منفي عن الله كما وصف عن نفسه، فهو ﴿رحيم لا رحمة رقة﴾^٣.

فالرحمن والرحيم هما من الصفات المتشابهة: كالسميع والبصير وأضربهما، يجب ان تجرد الله عن صفات الحدوث، مشاركة في الألفاظ ومباينة في المعاني، فإنه تعالي وتقدس ﴿باين عن خلقه وخلقه باين عنه﴾^٤ و ﴿لا يتغير بانغيار المخلوقين كما لا يتحد بتحديد المحدودين﴾^٥ فإنما رحمته تعالي

١ . تفسير البرهان ١ : ٤٤ محمد بن يعقوب باسناده عن عبدالله بن سنان قال سألت ابا عبدالله X عن تفسير ﴿بسم الله الرحمن الرحيم فقال...﴾

٢ . نهج البلاغة عن الامام المؤمنين X.

٣ . في كتاب الاهليجييه عن الامام الصادق X.

رحمانيةً ورحيميةً هي معاملة الرحمة دون رقة في قلب أو سواه، إذ ليس له انفعال وانغيار أو رقة في قلب أو سواه، فصفات الله تعالى تفسر كما يناسب ساحة الذات ❀ فسبحان الله عما يصفون. إلا عباد الله المخلصين ❀.

وإذا كان البدء باسم الله يمثل ما يعيشه المسلم من الكلية الأولى من توحيد الله؛ فإن استغراق الرحمة لحالاتها ومجالاتها رحمانية ورحيمية يمثل كدية ثانية تقريراً لعلاقة المسلم في حياته كلها بالله، عائشاً في ظلال رحمته أينما حلّ وارتحل.

وقد أجملت البسملة عن الأصول الثلاثة، ما توضّحه الفاتحة، وتفصله القرآن العظيم.

❀ بسم الله ❀ تعذّي الفقير الي الله، ولزوم مصاحبة عبادة الله، تدليلاً من رسول الله، وسواهما مما تعذيه في مثلث معاني الباء ومسبّع الاسم.

كما ❀ الله ❀ تدل علي وحدانيته، حيث الكائن اللأ محدود وهو صرف الوجود بكافة اللأنهايات من كمالات الوجود، يستحيل تعدده، فان لزام التعدد وجدان كل ما يفقده الآخر وهو نقص وحد.

ثم الرحمن تدلنا علي باسط رحمته وواسع رأفته، وقضيته ❀ اعطي كل شيء خلقه ثم هدي ❀ (٥٠:٢٠) وكما الأشياء درجات، فهدايتها درجات حسب الدرجات، وللإنسان وهو في أحسن تقويم أعلى الهدايات.

ثم الرحيم تقتضي هذه الرحمة الخاصة بالإنسان، وقضيته هداية الوحي المعصوم بواسطة نبي معصوم حيث يحمل رسالة الله بهداه، وقضيته ثانية ضرورة المعاد ❀ لتجزى كل نفس بما تسعي ❀ ولولا المعاد لكانت رحمة الهداية زحمة، وكيف العالم القادر العدل الرحيم يترك القضاء العدل بين عباده؟ فإذا لا نري جزاءً وفاقاً في الأولى فليكن في الأخرى ❀ والله الآخرة والأولى ❀.

فهذه جملة مما في البسملة من المبدء

والمعاد وما بين المبدء والمعاد .
وعَلَّ من حكم تثليث الأسماء ﷻ الله - الرحمن - الرحيم ﷻ لتشمل عباد الله أجمع ﷻ فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات ﷻ (٣٥:٣٢) فهو ﷻ الله ﷻ للسابقين اذ يعبدونه لانه الله وتلك عبادة الأحرار، وهو الرحيم للمقتصدين اذ يعبدونه بين طامع في ثوابه وخائف من عقابه، وهو الرحمن بسائر خلقه من الظالمين من يعفي عنهم ومن لا يعفي، فانهم تشملهم رحمته الرحمانية في الدنيا مهما كانوا كافرين!
والبسمة حتي الضالين من كلامنا كما علمنا ربنا كيف نكلمه في معراجنا، فانه تعالي لا يستعين أو يبتدء ويصاحب أمراً في أموره ﷻ إنما أمره إذ أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ﷻ كما وأنه لا يعبد ويستعين وإنما يعبد ويستعان، ولا يطلب الهداية لنفسه إلي صراطه المستقيم، مهما يحمد نفسه بـ ﷻ الحمد لله رب العالمين ﷻ ولكنه أيضاً إعلام وتعليم .
فـ ﷻ بسم الله ﷻ في كل ما عناه لأنه ﷻ الله ﷻ و ﷻ بسم الله ﷻ لأنه ﷻ الرحمن ﷻ و ﷻ بسم الله ﷻ لأنه ﷻ الرحيم ﷻ فاذا ﷻ الحمد لله رب العالمين ﷻ .
ﷻ الحمد لله رب العالمين ﷻ .

ان ﷻ الحمد له ﷻ تتلوا البسمة في الفضيلة فانها بداية كل امر ذي بال كماهيه فـ ﷻ كلُّ أمر ذي بال لم يُبدء فيه بحمد الله فهو أقطع ﷻ^١ فانها بلام الجنس تستغرق كل حمد من كل حامد لله دون إبقاء، إذ تستجيش له كل حمد دون سواه، أولاً لانه ﷻ الله - الرحمن - الرحيم ﷻ واخيراً لأنه ﷻ رب العالمين . مالك يوم الدين ﷻ دون سواه فـ ﷻ له الحمد في الاولي والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون ﷻ (٢٨:٧٠) إنها فاتحة الكتاب كأول دعوي في الاولي،

١ . حديث مستفيض في الحمد والبسمة عن الرسول3 والأئمة من آل الرسول3.

ثم في الاخرى لأهل الجنة هي آخر دعوي: ﴿وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين﴾ (١٠: ١٠): وهي خير تحميد لله تبارك وتعالى بخير أوصاف كما علمها عباده المخلصين: ﴿وقل الحمد لله﴾^١ وأكمله ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ كما هنا وفي سواها ﴿فادعوه مخلصين له الدين. الحمد لله رب العالمين﴾ (٤٠: ٦٥) وقد ذكرت الحمد لله رب العالمين قرينة بربوبيات خاصة (٣٢) مرة في سائر القرآن، بياناً لربوبيته تعالى في مختلف الخلق والتدبير وجمعه ﴿رب العالمين﴾.

وقد تشهد آيات من الحمد بخماسية السبب في اختصاص الحمد به دون سواه. فلأنه الله: ﴿قل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك﴾ (١٧: ١١١). ولأنه الرحمن: ﴿الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض...﴾ (٦: ١).

ولانه الرحيم: ﴿الحمد لله الذي أنزل علي عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً﴾ (١٨: ٢). ولانه رب العالمين في آيات خمس سوي الفاتحة و ﴿فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين﴾ (١٥: ٩٨).

ولانه مالك يوم الدين: ﴿الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوء من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العالمين﴾ (٣٩: ٢٤) وهذه الخمس هي أسس الربوبية المطلقة تبتدء بالله وتنتهي إلي ﴿مالك يوم الدين﴾ وبينهما متوسطات ﴿رب العالمين - الرحمن - الرحيم﴾.

ويا له من تجاوب لطيف بين القرآن المحكم ﴿الحمد﴾ والقرآن المفصل في آيات الحمد ما يُطْمئن أن السبع المثاني صورته مصغرة عن القرآن العظيم.

إن ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ هي رأس

١ . فانها بنفس الصيغة تذكر في (٤٥: ٦) (١٠: ١٠) و (٣٧: ١٨٢)

الشكر^١ و ﴿فاتحة الشكر وخاتمته﴾^٢ فائقاً
 علي النعم المشكور لها فلا قيمة لها
 أمامها^٣ وهي ﴿كمال العقل في مدحته لربه﴾^٤.
 وكما الحمد تستغرقه لله، كذلك اللام في لله
 تختصه بالله دون أن يعدوه إلي سواه.
 وعلي الحامد لله أن يحمده بفطرته وعقله
 وصدرة وقلبه ولبه وفؤاده وكل جوانحه
 و جواره، فيصبح بكماله حمداً لله وفاقاً بين
 جنباته دون نفاق، دن قوله فارغة منافقة
 يكذبها الجنان وسائر الأركان.
 فعلينا أن نعيش ﴿الحمد لله رب العالمين﴾^٥
 ونعيش به ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ في كل حل
 وتر حال، علي أية حال ومجال، في كل فكر او
 فعل او قال حتي نصبح ﴿الحمد لله رب
 العالمين﴾ تجاوباً مع الكون كله في محراب
 الحمد، من رعه وبرقه والملائكة من خيفته :
 ﴿ويسبح الرعد بحمده والملائكة نم خيفته﴾^٦

-
- ١ . الدر المنثور ١ : ١١ - اخرجه جماعة من ارباب
 السنن عن عبدالله بن عمرو بن العاص عن رسول الله³..
 ٢ . تفسير الفخر الرازي ١ : ٢٨٢ روى عن النبي³ ان
 ابراهيم الخليل X سأل ربه وقال: يا رب! ما جزاء
 من حمدك؟ فقال: الحمد لله، فالحمد لله فاتحة الشكر
 وخاتمته.
 ٣ . الدر المنثور ١ : ١١ - ١٢ - اخرج جماعة عن
 انس قال قال رسول الله³: ما انعم الله علي عبده نعمة
 فقال: الحمد لله الا كان الذي اعطي افضل مما اخذه
 وروي عن جابر والحسن عنه³ وفي تفسير الفخر الرازي
 عن النبي³ انه قال: اذا أنعم الله علي عبده نعمة
 فيقول العبد ﴿الحمد لله﴾ فيقول الله تعالى: انظروا
 إلي عبدي أعطيته ما لا قدر له فاعطاني ما لا قيمة له
 أقول: وهذه نهاية الرحمة الإلهية ومما لا قدر له
 أنه علمنا الحمد له ثم وقفنا بالحمد له ثم قدر
 انه لا قيمة له!
 ٤ . تفسير الفخر الرازي روي عن علي X انه قال:
 خلق الله العقل من نور مكنون مخزون من سابق علمه
 فجعله العلم نفسه والفهم روحه، والزهد رأسه
 والحياء يمينه والحكمة لسانه والخير سمعه و
 الرأفة قلبه والرحمة همه والصبر بطنه ثم قيل له
 تكلم فقال: الحمد لله الذي ليس له ند ولا ضد ولا مثل
 ولا عدل الذي ذل كل شيء لعزته فقال الرب: وعزتي
 وجلالي ما خلقت خلقاً اعز علي منك:

(١٣:١٣) ومن كل شيء: ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾ (١٧:٤٤).
 ومن لزوم الحمد معنوياً أن يُشْفَع بالتسبيح، تسبيحاً بحمده، حيث الحمد ثناءً علي ثبوتية الصفات، فلأنها فيما نعرفه من صفات تصاحب خالجة الإمكانيات الخارجة عن ساحة الذات، نسبَّحه بحمده عن صفات الممكنات، فنعدى من حمده بعلمه وحياته وقدرته نفي الجهل والموت والعجز عن ذاته حيث الثابتات منها في معروفنا ممكنات ولا نستطيع تصورها كما يناسب ساحة قدسه ﴿فسبحان الله عما يصفون﴾. إلا عباد الله المخلصين ﴿١٦:٣٧﴾:

لذلك لم يرد في ساير القرآن حمداً بالسنة غير المخلصين من المكلفين، إلا الله حيث يحمده نفسه، فهذا نوح يؤمر: ﴿فقل الحمد لله الذي نجّانا من القوم الظالمين﴾ (٢٣:٢٨): وإبراهيم ﴿الحمد لله الذي وهب لي الكبر اسماعيل واسحاق﴾ (١٤:٣٩) ومحمد 3: ﴿وقل الحمد لله﴾ (٢٧:٩٣) وداود وسليمان ﴿وقال الحمد لله﴾ (٢٧:١٥) إلا ما حكاه عن أهل الجنة وهم المطهرون من خطاء القول وخطئه: ﴿وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين﴾ (١٠:١٠) وأفضلهم محمد 3 والحمديون المعصومون (ع).

فنحن إذ نؤمر بالحمد في الحمد وفي ساير الأحوال فلنشفعه بتسبيحه حتى يكون كما وصفه عباده المخلصون: ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسماءه سيّجون ما كانوا يعملون﴾ (٧:١٨٠)

والحمد - ككل - هو الثناء الجميل علي الجميل ذاتاً وأفعالاً وصفاتٍ، فـ ﴿الله﴾ حمدٌ للذات بصفات الذات، و ﴿رب العالمين﴾ حمدٌ لصفات الفعل والأفعال، فهو ﴿الذي اعطي كل شيء خلقه ثم هدي﴾ (٢٠:٥٠) كما وأسماءه جميلة: ﴿الله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾ (٧:١٨٠) كما وذاته أجمل الذوات.

ثم وكل جمال وكمال في الخلق فائض منه وراجع إليه، فليختص به الحمد كله، كشعور

يفيض به قلب المؤمن حين يذكر الله، ففى كل خطوة وفى كل لحظة أو لمحة، وفى كل خالجة أو خارجة، كقا عدة رصينة للتصور الايمانى المباشر المعاشر.

فليكن ﴿ الحمد لله ﴾ كما البسمة فى موقعها اللائق وهو كل أمر ذى بال، ولا أقل من أقل الحلال، فإنها فى غير الحلال تستتبع ﴿ استغفر الله ﴾ .

ثم الرب هو المالك المدبر المتصرف للإصلاح والتربية اللائقة السابغة، فمن مالك لا يدبر جهلاً أو عيأً أو بخلاً أماذا، ومن مدبر لا يملك المدبر حتى يسطع على إصلاحه كما يجب ويحب، وهذا وذاك هما مطلق التدبير والملك، والله الربوبية المطلقة لا يعرقلها اى مانع ولا يردعها اى رادع، لا كربوبية الخلق دون الأمر، ولا الأمر دون الخلق ﴿ ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ﴾ (٥٤:٧) .

وكما ربوبية الخلق تعم الخلق لا من شى كالخلق الأول، والخلق من شى كسائر الخلق، كذلك ربوبية تدبير الأمر وهى هداية كل شى لشئنه: ﴿ ربنا الذى أعطي كل شى خلقه ثم هدى ﴾ (٥٠:٢٠) من جماد و نبات وحيوان والملائكة والإنس والجان أم أياً كان، فلكل سبيل يسلكه بما هدى الله، تكوينية و غريزية وتشريعية أماهيه؟

فإطلاق الربوبية للعالمين دون إبقاء هو نظام التوحيد الحق وجاه فوضاها التى تفسح لغير الله مجال ربوبيات أو تسمح، وقد تطاردها براهين العقل والآيات حيث توحد الربوبية فى الله و توحدته فى كافة الربوبيات.

وهذا هو مفرق الطريق بين نظام الربوبية وفوضاها، تزيل كل شائبة وكل غبش وهاجسة عن توحيد الله، هذه التى تعزل الرب عن الحياة وتصرفاتها، انقساماً فى الألوهية بين الذات والصفات والأفعال.

ف ﴿ رب العالمين ﴾ هو مالكم وخالقهم وسائق أرزاقهم إليهم من حيث يعلمون ومن

حيث لا يعلمون، فالرزق معلوم مقدسوم و هو يأتي ابن آدم علي أي سيرة سارها من الدنيا ليس تقوي متق بزائده ولا فجور فاجر بناقصه، وبينه وبينه ستر وهو طالبه..^١ .
والعالمين هم الخلق أجمعين، و هو جمع العالم من العلم العلامة، أو من العلم المعرفة، وكل العالم يعلم ربه ويسبح بحمده، وجمعه السالم سليم عن الشذوذ، ففيما يعنى الخلائق أجمعين هو ترجيح لجانب العقلاء بينهم برزخاً وسطاً من الحقيقة والمجاز، أم هو حقيقة تحتاج الي قرينة كما هنا وفي سائر الـ (٧٣) موضعاً من الذكر الحكيم، اللهم إلا فيما يخص ذوى العقول، كذكر القرآن: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرِي لِلْعَالَمِينَ﴾ (٩:٦) والرسول: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ (١٠٤:١٢) ورحمة الرسالة: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (١٠٧:٤١) ونذارتها ﴿لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ (١:٢٥) .
حيث القرآن، والرسول بر سالتة ونذارته يخصان العقلاء المكلفين دون سائر العالمين، ولان الملائكة غير مكلفين برسالة القرآن ككل احكامه ومنهم الرسل الي الرسول³ وليست لهم شهوة النفس حتي يسمي تكليفهم تكليفاً، ولم يرد في القرآن، ولا لمحة أنهم مكلفون بالقرآن، ككل وأن اقل الجمع ثلاثة، فليكن بعد عالم الإنس والجن ثالث لأقل تقدير أم يزيد لكي يعنيهم ﴿العالمين﴾ وقد تلمح لهم آية الشوري: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلِيٌّ جَمْعُهُمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ حيث الدابة العاقلة في السماوات الراجع إليها ﴿هم﴾ فيمن هو راجع إليه، ليست هم الملائكة، فهم إذاً ثالث من العالمين أم ويزيد.
لا تجد في— ساير القرآن ﴿عالمًا﴾ إلا ﴿العالمين﴾ جمعاً للخلائق أجمعين، أم خالصاً

١ . تفسير الإمام الحسن العسكري X عن الإمام علي X.

بالمكلفين، فلَيَعْنِ ضروبَ المكلفين في أبعاد الزمان والمكان دون إبقاء. وأفضل الربوبيات - هي طبعاً - لأفضل البريات، وهو الإنسان الذي خلق في أحسن تقويم، فشريعة الإنسان شرعة لسائر المكلفين، كما رسول الإنس رسول لهم أجمعين، مهما كانوا أدنى من الإنسان رسول لهم أجمعين، مهما كانوا أدنى من الإنسان كالجان، ام بمستواه في احسن التقويم كمن لانعرفهم لحد الآن.

ثم الأفضل الأحسن بينهم! والأكثر حظوة من هذه الربوبية القمة هو الرسول محمد3 فإنه أول العابدين* قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين*.

تلك هي الربوبية الوحيدة الموحدة اللائقة بالذات المقدسة دون الضئيلة المحددة التي اختلقتها ركام الظنون والأساطير والتصورات الخاوية والجارفة المجازفة، خليطة من حق وأضغاث الباطل، فإذا الحق يُعرض بصورة الباطل، والباطل يُفرض بصورة الحق، وهنالك استحوذ الشيطان علي أوليائه ونجى الذين سبقت لهم من الله الحسني.

لقد كانت البشرية تعيش تديهاً لاقراراً فيه، لضخامة الركام ان كل ما في السماوات والأرض كان يبتليه، فجاء الاسلام فاخرجها من الظلمات إلي النور، إلي صراط العزيز الحميد، من ظلمات الفلسفات والهرطقات وغيرها التي تخبطت فيها، إلي نور الحق المبين بالقرآن المتين والرسول الأمين.

* ان كل من في السماوات والأرض إلا آتى الرحمن عبداً، لقد أحصاهم وعدهم عدداً* (٩٤:١٩) ولكنك لا تجد معبوداً بحق سواه، وهو يربّيكَ كأن ليس له عبد سواك، ثم أنت تعبده - ان كنت عابده - كأن لك أرباباً سواه!

إنه لابد لك من معبود حقاً أو باطلاً، وقولة القائل: إن العبودية ذلٌ أياً كان المعبود،

والإنسان عزيزاً ايأً كان، فليرفض العبودية لائً كان، إنه هرطقة هراء، والله منها براءً. أجل إن العبودية الذل أمام الذليل والأذل كما يفعلها الذين يعبدون من دون الله، إنها ذلٌ وظلم ومسٌ من كرامة الإنسان، ولكنها أمام الله عزٌ وعدلٌ وفضلٌ يرجع إلي الإنسان، ولايتحدّل أي ذى حجي أم ذى شعور عن عبادةٍ ما حقاً أو باطلاً.

وبصيغة مختصرة محتصرة إن فى الكون إلهين اثنين معبودين: حقٌ وباطلٌ، فالباطل هو عبادة النفس والهوى، والحق هو عبادة الله علي هديّ، وليست عبادة من سوي الله إلا ناتجة عن عبادة الهوى: ❀ ولا تتبّع الهوى فيضلك عن سبيل الله ❀ (٢٦: ٣٨)

ومثلاً علي العابدين الإنسان ايأً كان، وحتى الذى يدعى الألوهية من دون الله، فإن له إلهها وآلهة من أصنام وأوثان، مهما كان هو طاغوتاً لمستضعفى الإنسان، ولأقل تقدير هو يعبد نفسه وهواه ❀ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه ❀ (٢٦: ٤٥).

إنه ليست لله تعالي حظوةٌ فى عباداتنا، فنحن الذين نحظوا بعبادته، حظوة معنوية لأنها اتصال معرفى باللاتهاية فى الكمال، وأخري حيويةٌ أخري، أنه يدلنا بها إلي التقوي ويردنا عن الطغوي: ❀ ما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون. ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون. إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ❀ (٥٨: ٥١) يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ❀ (٢١: ٢).

والناس بين من يعبد الله وحده علي درجاتهم، أم يعبده مشركاً فى عبادته، أم مشركاً به معبوداً سواه، أم لا يعبد إلا سواه، بديل الأً يعبد إلا اياه ❀ وإن الشرك لظلم عظيم ❀ فضلاً عن تخصيص العبادة لغير الله!.

إن العبودية العادلة الحكيمة هي مفرق الطريق بين التحرير المطلق عن كل عبودية،

وبين العبودية لغير الله من طواغيت، وأوثان واصنام ونظم وأوهام وعادات وأحلام، فالناس بين عابدين لغير الله، ومدعين التحلل عن كل عبادة وعبودية حتي الله، مفرطين فيها أو مفرطين عندها، رغم استحالة التحلل عن أية عبادة وعبودية، فإنهم يعبدون شهواتهم ومشتهيات غيرهم من طواغيت ثم يدعون التحلل عن كل عبودية ولهم منها أبطلها وأحمقها!. فإذا يعبد الإنسان ربه الخالق له المدبر أمره فهذه مفخرة له إذ ترفع من كيانه، وحين يعبد أضرابه أو من دونه فقد حط من كيانه كإنسان، ورُدَّ إلي أسفل سافلين.

ثم و ﴿نعبد﴾ قد تكون من العبادة كما هي من العبادة، فمن العبودية الرضي بلا خصومة، والصبر بلا شكاية، واليقين بلا شبهة، والشهود بلا غيبة، والإقبال بلا رجعة، والإيصال بلا قطيعة.

ومن العبادة الصلاة بلا غفلة، والصوم بلا غيبة، والصدقة بلا منة، والحج بلا إراءة، والغزو بلا سُمعة، والذكر بلا ملالة، وسائر العبادات بلا أية رثاء أو سُمعة وآفة.

فـ ﴿نعبد﴾ تشمل بإطلاق التعبير كلا العبادة والعبودية كما كلُّ منهما درجات وفي التخلف عنهما دركات.

وهنا في ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ إنتقالة من غياب الحمد إلي حضور العبادة والإستعانة، حيث المعرفة البدائية وهي شرط العبادة، هي غائبة بطبيعة الحال، ومن ثم إلي حضور المعبود المعروف بما عرّف نفسه وتعرّفنا إليه في خطوات سابقة سابغة: بسم الله - إلي - مالك يوم الدين ﴿﴾.

أنت قبل صلاتك منذ شغل عن الله بمشاغل الحياة وشواغلها، فلما تكبّر وتعنى به أنه أكبر من أن يوصف، تأخذ في التغافل عما سوي الله والإنشغال بالله، ولكي تتهديء لحضوره في معراج الصلاة تُقَدِّم ما تُقَدِّم علي ﴿إياك نعبد..﴾ وحين تُكَمِّل أصول المعرفة والدين

بالبسمة - إلي - مالك يوم الدين، هنا
يسمح لك أن تخاطب صاحب المعراج بـ ❀ إياك
نعبد وإياك نستعين❀.

فمن قبلُ كنت في غياب هو مطلق الحضور،
وأنت الآن في الحضور المطلق.

فـ ❀ اعبد ربك كأنك تراه وإن لم تكن تراه
فإنه يراك❀.

في ❀ إياك نعبد وإياك نستعين❀ خرق لكافة
الحجب ظلمانية ونورانية، وهو مجال فاسح
لمقام التدلي في ❀ أو أدني❀ بعدما ❀ دني❀
فالدنو المعرفي العبودي كقاب قوسين، يعنى
أن ليس بينه وبين الله أحد، ثم التدلي هو أن
ينمحي العابد عن نفسه كما محي ما سواه فلا
يبقى إلا حجاب الذات المقدسة وهو لزام
الألوهية: بيني وبينك إني يينازعني. فارفع
بلطفك إني من البين.

الله تبارك و تعالي حاضر لدي كل كائن، وناظر
إليه رقيب عليه، وهو أقرب منه إليه ❀ وأنا
أقرب إليه من جبل الوريد❀ قريباً علمياً
وقيومياً، لا ذاتياً او زمانياً ومكانياً فانها
بُعدٌ في ساحة الألوهية، ومسٌ من كرامة
الربوبية.

فلتكن في حاضر خاطرك، في علمك وعملك، في
جوارحك وجوانحك، حاضرأ لديه، أقرب منك إلي
نفسك فضلا عما سواك، إنمحاءً لنفسك لكمال
الحضور، فانعدم هنا عن كافة شخصياتك
وتعلقاتك أمام ربك حتي تنوجد متعلقاً بل
وتعلقاً بربك متدلياً به.

أم تحضر بحضرتة كما أنت حاضر لنفسك، ام -
لاقل تقدير - كما أنت حاضر عند عزيز من
أعزتك وأنت تراه، أم وادني منه أنه يراك،
آه يا ويلنا ونحن بعيدون في معراجنا عن هذه
الأربع، بل نجد كل ضالة سوي الله في صلاتنا!
أفنحن أضعف من نساء في المدينة بالنسبة
لحضرة يوسف ❀ فلما رأيتة أكبرنه وقطعن
أيديهن❀ ويوسف عبداً من عبيد الله، فهن يناسين
أنفسهن فيقطعن أيديهن من جمال الحضور،

ونحن نتناقل عن معراج الصلاة لحد الزفور،
فاين تفرون؟!
فليكن المصلي في معراجه حضوراً مطلقاً لدي
ربه دون غياب، فان إليه الإياب وعليه
الحساب وهو رب الأرباب.
تتقدم ❀ إياك ❀ هنا علي ❀ نعبد ونستعين ❀
تدليلاً علي حصر العبادة في الله والله، وحصر
الإستعانة في الله: نعبدك أنت لا سواك ونستعينك
أنت لا سواك، تعبيراً عبيراً عن ❀ لا إله إلا
الله ❀.

تتقدم، لأن الله أ حق في التقديم عليك وعلي
عبادتك بكل موازين التقديم، فمن أنت حتي
تتقدم علي ربك وإن في حضرة العبودية، وما
هي عبادتك حتي تتقدم علي المعبود في
حضرتة؟!!

و ❀ نعبد.. ونستعين ❀ جمعاً ليس جمع
التعظيم للمفرد حيث المقام مقام التظامن
والتذل، فإبراز نفسك كفرٍ زائد أمام ربك
فضلاً عن جمعك.

وإنما يعني اموراً عدة بين راجحة ومفروضة،
وكلها مفروضة في شرعة المعرفة.
فلكى لا تكذب في صلاتك ادعاءً لحصر عبادتك
في الله، تُدمج نفسك في جموع العابدین، من
الملائكة والجنة والناس أجمعين، من
السابقين والمقربين وأصحاب اليمين، حتي
تصدق دعواك في حصر العبادة، فان المخلصين
صادقون في حصرهم بأسرهم، فأنا - إذا -
قائل عنهم، وناقل منهم وان لم اكن بنفسی
أ هلاً لتلك الدعوي، فلعلی أ سير بسيرتهم
فأكون معهم ❀ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ
عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشَّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ❀ (٤:٦٩)

فإذا أنت تقبل حق العبادة أيها الرب
الخليل، فاقبل مذي أنا للذليل البائس
الهزيل، تلك العبادة الخليطة بعبادات
المخلصين.
ثم دمجا لنفسی في كل العالمين ممن يعبده

ويسجد له طوعاً أو كرهاً ف ﴿﴾ إن كل من في السماوات والارض إلا آتى الرحمن عبداً ﴿﴾ والكون محراب فسيح تعبد فيه الكائنات ربها بلسان فصيح وغير فصيح.

ولأن الصلاة جماعة أحري أم هي مفروضة كأصلها ف ﴿﴾ إياك نعبد ﴿﴾ هي حكاية الحال الحاضرة والمقال لجموع المصلين، ومعنا ملائكة الله إن كنا في صلاتنا فاردين، ومعنا سائر الكون علي أية حال.

وحتي إن كنا في حصر العبادة لله صادقين، علينا أن نخفي أنفسنا في مجموع العابدين تحرزاً عن الإنية والظهور، وإعفاءً لأثر الشخوص والغرور، فلا لنا لائق للإشخاص والشخوص، ولا عبادتي تديق بحضرة المعبود، إذا ف ﴿﴾ نعبد ونستعين. وإهدنا ﴿﴾ في مثلث من انحاء الشخصية أمام حضرة المعبود.

إن العبودية المطلقة تقتضي الطاعة المطلقة وبينهما عموم مطلق، فكل عبودية طاعة وليست كل طاعة عبودية اللهم إلا مطلق العبودية الجامعة مع الشرك خفياً وجلياً.

ولماذا تنحصر العبادة بأسرها في الله؟ لأنه ﴿﴾ الله - الرحمن - الرحيم - رب العالمين - مالك يوم الدين ﴿﴾ وكل من هذه برهان تام لا مرد له علي ضرورة الإنحصار.

فهو ﴿﴾ الله ﴿﴾ في مثلث الزمان وقبله وبعده، سرمدياً ما له من فواق ولا رفاق، الكمال المطلق الصادر منه كل كامل وكمال ﴿﴾ فبأى حديث بعد الله وآياته تؤمنون ﴿﴾؟ ﴿﴾ فأين تذهبون ﴿﴾؟!

وهو ﴿﴾ الرحمن ﴿﴾ لاسواه، قبل أن يخلقك وبعده خلقك، لا رحمان إلا إياه؟

وهو ﴿﴾ مالك يوم الدين ﴿﴾ ليس إلا إياه فكيف نعبد سواه، وإليه الإياب وعليه الحساب؟ فإن كنت تعبد ما تعبد حياً للكمال المطلق فهو الله فلا تعبد - إذاً - إلا إياه.

وإن كنت تعبد استدراراً للرحمة أم إدراراً فالرحمة المدرار خاصة بالله فلا تعبد إلا

إياه، شكراً واستكمالاً به، واحتراماً لديه ما أنت المحتاج إليه دونه.

وإن كنت تعبد لمكان الربوبية فلا تعبد إلاً
إياه فإنه - فقط - رب العالمين لا سواه:
وإن كنت تعبد طمعاً في الثواب أو خوفاً من
العقاب فلا تعبد إلاً إياه فإنه - فقط -
❁ مالك يوم الدين ❁ لا سواه:
فمثلث: العبادة الحرة وطلب الثواب وخوف
العقاب، منحصر في الله منحصر عن سواه، فكيف -
إذاً - تعبد سواه وقد ❁ أمر ألا تعبدوا إلا
إياه ❁؟!!

ثم الواجب في شرعة التوحيد عبادة الذات:
❁ الله ❁ حضوراً وإدراكاً: ❁ إياك نعبد ❁ ومن
زعم أنه بالصفة لا بالإدراك فقد أحال علي
غائب ❁ عبادة من لا يحضره يعرفه اللهم إلاً بما
أنعم، فلولا النعمة لم تكن عبادة! و ❁ إياك
نعبد ❁ تُنافي الغياب، فالله تعالي حاضر لك
وأقرب إليك منك، فلتكن حاضرّاً لديه علماً به
وإدراكاً دون إحاطة، فلو كانت عبادتك
بالصفة الفعلية فهي إحالة علي غائب، وكثير
هؤلاء الذين يعبدون الغائب:

❁ ومن زعم أنه يعبد الصفة والموصوف فقد
أبطل التوحيد لأن الصفة غير الموصوف ❁ وهي
الصفة الفعلية دون الذاتية فإنها عين
الذات، فعبادة الذات بصفة الفعل، أم بصفة
الذات اعتباراً لها زائدة علي الذات، إنها
ناحية عن خالص التوحيد إلي خالص الشرك أم
شائبه، حيث الثانية شرك في الذات وشرك في
العبادة، أن تعبد الذات بصفات الذات كأنها
زائدة علي الذات، والأولي شرك في العبادة
أن تعبده لأنه ❁ الرحمن الرحيم - رب
العالمين - مالك يوم الدين ❁ فإنها عبادة
التجار والعبيد دون الأحرار، حيث يعبدون الله
لأنه الله، ومهما صحت الثلاث وقيلت، إلاً في شرك
الذات - فالعبادة الصحيحة هي عبادة الذات
سواءً أكانت للذات فقط، أم للذات والصفات
تعليلاً لعبادة الذات، وأما أن يُعبد الذات

والصفات ذاتية او فعلية، او يُعبد الصفات كما هي، أو يُعبد الصفات تفريراً عليها الذات، فكل ذلك إبطال للتوحيد فذلك بين إشراك وإلحاد!

❁ ومن زعم أنه يضيف الموصوف إلي الصفة فقد صغر بالكبير^١ حيث يجعل الصفات أصلاً يفرع عليها الذات، ففي عبادتهما هكذا مع بعض شرك أن جس من التسوية، وفي عبادة الصفات أصالة بتفريع الذات إنزلاق إلي إلحاد، وفي عبادة الذات بأصالة الصفات، أن يعبد هو لهذه الصفات، تحلل عن عبادة الأحرار إلي العبيد والتجار ❁ وما قدروا الله حق قدره ❁ (٩١: ٦).

فالعبادة درجات: ١ - خوفاً من عذاب الله وهي عبادة العبيد وكثير ما هم و ٢ - طمعاً في ثواب الله وهي عبادة الأجراء وهم أقل منهم^٢ - ٣ - أن تعبد الله لأنه الله وهم أقل قليل وكما عن مولانا امير المؤمنين علي X: ما عبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً في جنتك ولكن وجدتك اهلاً للعبادة فعبدتك^٣.

وهذه المراتب مطوية في ❁ إياك نعبد ❁ في ضلال ما قبلها، ف ❁ إياك نعبد ❁ لأنك الله، فأنت أهل أن تُعبد ❁ لا نريد منك غيرك، لا نعبدك بالعوض والبدل كما يعبدك الجاهلون بك المغيبون عنك^٤.

وإياك نعبد لأنك ❁ الرحمن - الرحيم - رب العالمين ❁ طمعاً في رحمتك وربوبيتك. وإياك نعبد لأنك ❁ مالك يوم الدين ❁ طمعاً في ثوابك او خوفاً من نارك وهذا أضعف

١ . يرويه اخواننا عن الامام الصادق X وبين الأقواس بيانات منا.

٢ . الكافي محمد بن يعقوب باسناده عن ابي عبد الله X قال: ان العباد ثلاثة قوم عبدوا الله عزوجل خوفاً فتلك عبادة العبيد وقوم عبدوا الله طلب الثواب فتلك عبادة الأجراء وقوم عبدوا الله حباً فتلك عبادة الأحرار وهي افضل العبادة.

٣ . مرآة العقول للمجلسي من باب النية ج ٢ ص ١٠١.

٤ . تحف العقول عن الامام الصادق X.

العبادة .
وهذه الدرجات الثلاث كلٌ منها درجات كما أن عبادة غير الله دركات.
وكما ❀ الحمد لله ❀ تتبني هذه الخمس، كذلك ❀ إياك نعبد ❀ فإنه كمال الحمد.
وكما أن عبادة التألية تخصه، كذلك عبادة الطاعة، وعبادة الأفعال والأقوال، فالقول: لولا الله وفلان لما نجحت إشرارك في القول، وسجدة الإحترام وركوعه لغير الله إشرارك في فعل الإحترام، والطاعة المطلقة لغير الله إشرارك في طاعة الله، وان كان ❀ من يطع الرسول فقد أطاع الله ❀ ولكنها طاعة لله دون سواه .
ولماذا تتقدم ❀ إياك نعبد ❀ علي ❀ إياك نستعين ❀؟ والإستعانة لزائم العبادة، حيث الموكول إلي نفسه علي توفر العراقيل بينه وبين ربه ليس ليعبد ربه؟
عنه حثٌ لاستجاشة الطاقات وتكريس الإمكانيات لـ ❀ إياك نعبد ❀ ثم إكمالها بـ ❀ إياك نستعين ❀ فالعبادة هي فعل العبد مشفوعاً بعون الله، فعليك الحركة، وعلي الله البركة، رفضاً للإتكالية في الأمور المختارة، وتحريضاً علي السعي ثم الإستعانة في كماله وإنتاجه .
كما وان الاستعانة تعم العبادة وسواها، والعام يذكر بعد الخاص تعميماً له ولسواه، فـ ❀ إياك نستعين ❀ في ❀ إياك نعبد ❀ وفي كل ما ترضاه .
ثم العبادة لاتنحصر في مجالات الذكر والصلاة والحج: فانها تشمل كافة حركات الحياة و سكناتها، فلتكن كلها صلاةً لله و صلات بالله لتصبح الكل عبادة لله .
ولأن العابدين فرادي وجماعات لايقدرون علي إخلص العبادة لله لضعفهم في أنفسهم ووجه عرقلات الشياطين، فلا حول عن معصية الله إلا بعصمة الله، ولا قوة علي طاعة الله إلا بعون الله، فعلينا الإستعانة بالله في ❀ إياك نعبد ❀ كما في سواه، إستعانة تكوينية وتشريعية في : كيف نعبد، هدياً إلي صراط مستقيم في

عبادته، وفي تحقيق حق العبادة الخالصة هدياً إلى الصراط إيصالاً إلى المطلوب منه، فلولا الإعانة التشريعية وتكوينية لم تتحقق العبادة اللائقة الخالصة.

ف ﴿إياك نستعين﴾ علي طاعتك وعبادتك ﴿وعلي دفع شرور أعدائك وردّ مكائدهم والمقام علي ما أمرتنا به﴾^١ و ﴿إياك نستعين﴾ : إستزادة من توفيقه وعبادته واستدامة لما أنعم الله عليه ونصره^٢ ﴿وإياك نستعين﴾ : أفضل ما طلب به العباد حوائجهم^٣.

ولماذا ﴿إياك نستعين﴾ دون ﴿بك نستعين﴾؟ لأن بينهما فارقاً والنص يوحى بتوحيد الأولي دون الثانية، سامحاً للإستعانة بغير الله في الله وإلي الله حين ياذن الله ويرضي، فالمستعان - فقط - هو الله، ثم المستعان به في الله وإلي الله في إعانة هو الله ومن ياذن به الله، حيث الدار دار الأسباب، وإن كان الله قد يقطع الأسباب كأيّة رسالة أو كرامة أو عناية خاصة بمن يحب ويرضي.

ففي توحيد الإستعانة بالله منع عن كل إستعانة بغير الله، و أمّا التوحيد في إستعانتة فهو سائد في الإستعانة بما ياذن به الله كما في الإستعانة بالله.

فكما ﴿الحمد لله﴾ والعبادة لله، كذلك المستعان هو الله لا سواه، ومهما حمدنا سواه واستعنا بسواه فلسنا لنعبد سواه إذ ﴿أمر ألاّ تعبدوا إلاّ إياه﴾.

فنحن ﴿نستعين﴾ بهدى الرسول الله في : كيف نعبده ﴿ومن يطع الرسول فقد أطاع الله﴾. و ﴿نستعين﴾ باستغفار الرسول الله في غفرانه كما أمر الله: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول

١ . تفسير الامام الحسن العسكري X عن النبي 3.

٢ . من لا يحضره الفقيه عن العلل عن الرضا X.

٣ . مجمع البيان عن رسول الله 3.

لوجدوا الله تواباً رحيماً ﴿٤: ٦٤﴾ كما نستعين ﴿١﴾ بدعاء الرسول وشفاعة الله بإذنه ﴿٢﴾ لا يملكون الشفاعة إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً ﴿٣٨: ٧٨﴾ .

او نستعين ﴿٣﴾ الله بالرسول 3 وذويه (عليهم السلام) في كشف الكربات ودفْع الأذيّات وأضرابها من حاجات كوسائل كريمة مأذونة لم تخرج عن توحيد إستعانة الله، إبتغاء الوسيلة إليه بإذنه: ﴿٤﴾ يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون ﴿٥: ٣٥﴾ .

وسيلة مشفوعة بالتقوي والجهاد، دون إكتفاء بها وإستقلال لها تاركين التقوي فيها والجهاد، وإنما إستغلالها بأمر الله وإلي إبتغاء مرضات الله:

فليس لنا ان نتوسل بكل شيء إلى الله، ولا أن نُؤصل شيئاً فيما نبغى أمام الله فنستقلها بجنب الله.

إذاً فالله يستعان فقط دون سواه، وبغير الله يستعان إلى الله وفي الله بإذنه ورضاه، فقد نستعين الله فيما نستعين به ممن سوي الله، لأن الإعانات كلها من الله، وراجعة إلى الله، بوسائط أم دون وسائط، ولكنما الوسيط في الإستعانة تكويناً وتشريعاً لا بد له من إذن الله، وكما استعان ذو القرنين في بناء الردم بمن ظلموا: ﴿٥﴾ قال ما مكّني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردماً ﴿١٨: ٩٥﴾

إذاً فالإستعانات الإيمانية بإذن الله كلها إستعانة الله، وهي هي إلا ايمانية إشتراك بالله أو إلحاد في الله.

فالتوسل بالأصنام والأوثان أو عبادتها ليقربوكم إلى الله زلفي، أم يؤثروا تأثيرات، إستعانة بغير الله فيما منع الله شركاً بالله أو إلحاداً في الله.

كما التوسل بالأحجار والأشجار أماذا من جمادات ونباتات أم حيوان وإنسان أم ملك أو جان أم اياً كان، كل ذلك توسل شركي إن

توسلت بها إلي الله، أم إلحادى فيما تستقلها من دون الله.

فنحن نتعاون في الله: ﴿تعاونوا علي البر والتقوي ولا تعاونوا علي الإثم والعدوان﴾ (٥:٢) ونستعين بعبادة الله: ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة﴾ (٢:٤٥) ونستعين برسول الله وكل الهداة الي الله تعرفاً الي مرضاة الله، وكل ذلك إستعانة الله واستعانة بالله ﴿وربنا الرحمن المستعان علي ما تصفون﴾ (١٢:١١٢).

والضابطة السارية في الإستعانة بغير الله في الله وإلي الله في أمور عادية غير عبادية، أن تكون مأذونة بالوحي بصورة خاصة أو عامة. و إن كانت هذه السبع بين درجات ثلاث من أصل الصراط المستقيم، كالعبودية الخالصة لله، والإسلام له والتوحيد الخاص. والمعرفة به ومن الذرايع إليه، وهي إلي الصراط المستقيم، كالإيمان والإعتصام بالله وعبوديته علي ضوء القرآن بنبي القرآن، ومن الظرف الصالح له كالصورة الإنسانية، فإنها راحلة للسالك، فكيف تُطرق الطريق دون أية راحلة صالحة، والعبودية وسيلة هي أحرى مذهبها غاية، حيث الغاية هي الزلفي والمعرفة، ولكن العبودية هي لزامها علي طول الخط، فكلما ازدادت العبودية ازدادت المعرفة وكلما ازدادت المعرفة ازدادت العبودية.

فالإسلام التام هو العبودية التامة، والتوحيد التام هو المعرفة التامة. ف ﴿إياك نعبد﴾ يمثل الأولي الغاية، و ﴿إياك نستعين﴾ الثانية الوسيلة، والعبد يمثل الظرف: الثالثة، بالفطرة والعقلية السليمة حيث تتقبل هذه وتلك.

ولأن النص هنا ﴿إهدنا الصراط المستقيم﴾ فقد يشمل مثلث الصراط بمسبغته، به وإليه وإياه، فأكمل بها دعاءً وأجمل.

ثم فاعترف الجمع في ﴿نعبد ونستعين﴾^(٧) والدعاء للجمع في ﴿إهدنا الصراط المستقيم﴾ ذلك الجمع المثلث هو قاعدة الإيمان الجماعي التي تمثل جامعة الإسلام وإجتماعيته، حتي وفي صلاته حيث تضم ضمن الصلاة لله صلوات بعباد الله:

﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾^(٧)

والنَّعْمَةُ - كسراً - هي الحالة الحسنة حسية وروحية، تأتي في سائر القرآن (٣٤) مرة وهي فتحاً - حالة رديئة تقلبياً لنعمة الله كفرأ ونعمة: ﴿وزروع ومقام كريم. ونعمة كانوا فيها فاكهين﴾^(٢٧:٤٤) ﴿ذرنى - والمكذبين أولي النعمة ومهلهم قليلاً﴾^(١١:٧٣) وهل تصح ﴿سراط من انعمت عليهم غير المغضوب عليهم و غير الضالين﴾؟ كما قرء في الشواذ قطعاً لا، لمخالفتها النص المتواتر في القرآن مهما اتحد المعنى أو صح اللفظ وهو لا يصح.

فلأن الصراط قد يكون مستقيماً بين نقطتي العبودية والربوبية، أم غير مستقيم يفرق بالسالك عن سبيل الله أو يحرجه، أم هو بين نقطة العبودية والشيطنة وهو صراط الجحيم، لذلك يعرف هنا بإثبات و سلبيين، فالإثبات يتكفل لاستقامته، والسلب الأول لما يقابله من صراط الشيطان، والثاني هو العوان بينهما قضية الضلال، فلا إلي الحق عارفاً ولا إلي الضلال عامداً، مذبذباً بين ذلك لا إلي

١ . في الدر المنثور: ١٥ بسند عن عمر بن الخطاب أن كان يقرأ: ﴿سراط من انعمت عليهم غير المغضوب عليهم وغير الضالين﴾ وعن عبد الله بن الزبير مثله إلا في ﴿سراط﴾ و كما عن عكرمة والأسود مثله و في نور الثقلين ١ : ٢٤ ج ١٠٦ تفسير القمي حدثني ابي عن حماد بن حريز عن ابي عبدالله X انه قرأ ﴿سراط من انعمت عليهم غير المغضوب عليهم وغير الضالين﴾ قال: المغضوب عليهم النصاب والضالين اليهود والنصارى، وعنه عن ابن ابي عمير عن ابن اذينة عن ابي عبدالله X غير المغضوب عليهم وغير الضالين^(٧).

هؤلاء ولا إلي هؤلاء!
فإنما المستدعاة هنا هي صراط المنعم عليهم، دون المغضوب عليهم الذين يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها: ﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً﴾ (٢٧: ١٤) يعرفون الحق ثم يحيدون عنه كأنهم لا يعرفون، أو يعرفونه باطلاً، ودون الذين ضلوا عن الحق قاصرين أو مقصرين فلم يهتدوا إليه.

ولأن الهدي هي الروحية، والصراط الحق المستقيم هنا هو الموصل إلي حقها وحقاقتها، وأن نعم الدنيا تعم المغضوب عليهم والضالين، إذاً ﴿فأنعمت عليهم﴾ تعذى النعمة القيمة الروحية، ولأنها لم تقيّد هنا بقسم دون آخر، فهي مطلق النعم السابقة الروحية.

من الصورة الإنسانية جسراً إلي كل نعمة، والايمان والاعتصام بالله في صحة العبودية الصالحة، والإسلام لله وتوحيده علي ضوء كتاب الشريعة وسنة رسولها، وأفضل النماذج السابقة السابقة للمنعم عليهم - علي مختلف درجاتهم - هم: النبيون والصديقون والشهداء والصالحون: ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتي يحكّموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً. ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم وأشدّ تثبيتاً. وإذا لآتيناهم أجراً عظيماً. ولهديناهم صراطاً مستقيماً. ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً. ذلك الفضل من الله وكفي بالله عليماً﴾ (٤: ٧٠)

هنا نجد القيمة العليا بين المنعم عليهم وهو الرسول محمد³ فمن يطع الله والرسول فأولئك مع هؤلاء المنعم عليهم في تلك الطاعة مهما اختلفت المرتبة وكما هم درجات، النبيون أعلاهم والصالحون أدناهم، والصديقون والشهداء أوسطهم، وهم كلهم برفاقهم المطيعين لله والرسول، عائشون تحت

ظل ظليل من هذا الرسول العظيم، وهو علي عظمه وصراطه القمّة المقتدي به يتطلب في صلاته ليلَ نهارٍ ﴿إهدنا الصراط المستقيم﴾! وكيف لا يكون هو صراطاً ومطاعاً للمنعم عليهم طولَ الزمان وعرضَ المكان، وقد كانت نبواتهم وكتاباتهم مشروطة بالإيمان به ونصرته، فهو أولهم ميثاقاً وخاتمهم مبعثاً:

﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول ميثاقاً لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال ءأقررتم وأخذتم علي ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين﴾ (٧٥:٦).

ونري في سردِ حكيم في الذكر الحكيم للأولين من مربع المنعم عليهم، عديداً من النبيين: كزكريا - يحيي - عيسي - إبراهيم - إسحاق - يعقوب - موسي - إسماعيل و إدريس: ﴿إنه كان صديقاً نبياً. ورفعناه مكاناً علياً أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل وممن هدينا واجتبينا إذ تتلي عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكياً﴾ (٥٨:١٩)

وعلّ ممن هدينا واجتبينا من لم يُذكروا من النبيين، وكذلك الصديقين والشهداء والصالحين.

ثم النعمة للأولين وأضرابهم من المعصومين كالصديقين، هي نعمة العصمة علي درجاتها، فإنهم كانوا علي صراط مستقيم، هادين إلي صراط مستقيم.

والمعيّة المعنوية هنا لمن يطع الله والرسول هي المعية في أصل الصراط، لا سيما وأن الصراط المستقيم إلي الله واحد، مهما كان الطرق إلي الله بعدد أنفاس الخلائق، والصراط المستقيم - علي أية حال - هو سلالة ما تستهدفه رسالات الله وكتاباته، يحمله رسل الله، كائنين عليه دالين إليه، فلولا الرسول لم يكن قرآن ولا إسلام التوحيد، ولا صورة

إنسانية جادة، ولا إعتصام تامً بالله، ولا عبودية سالحة.
 إذا فالرسول يمثل الصراط المستقيم، كما أن صنوه، ومثيلة الذي صنعه علي مثاله، وبنيه المعصومين من بعده، هم الصراط المستقيم بعده كما في متظافر الروايات.
 فطالما النبيون ومن ثم الصديقون هم علي صراط مستقيم، إلا أن لكل درجات * وفوق كل ذي علم عليم * فالأمة الإسلامية تتطلب الهدى إلي صراط الصديقين، وهم طالبون صراط محمد خاتم النبيين³، وكما سائر النبيين يطلبون صراطه ويؤمنون به قبل ابتعائه، فكل إلي ذاك الجمال يشير والمعصومون يطلبون التثبیت علي صراطهم وفوقه.
 لذلك نري أن الصراط المطلوب لنا في صلواتنا هو * صراط محمد وآله * كما يرويّه

١ . أخرج الثعلبي في الكشف والبيان في الآية قال مسلم بن حيان سمعت ابا بريدة يقول: صراط محمد وآله، وفي تفسير وكيع بن جراح عن سفيان الثوري عن السدي عن اسباط ومجاهد عن عبدالله بن عباس في الآية قال: قولوا معاشر العباد: ارشدنا الي حب محمد وأهل بيته، وأخرج الحموي في فرائد السمطين باسناده عن أصبغ بن نباتة عن علي X في قوله تعالى: إن الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون * قال: الصراط ولايتنا أهل البيت واخرج ابن عسدي والسدي في الصراط في الصواعق ص ١١١ عن رسول الله³ قال: أثبتكم علي الصراط أشدكم حبا لأهل بيتي، وأخرج شيخ الإسلام الحموي باسناده في فرائد السمطين في حديث عن الامام جعفر الصادق X قوله: نحن خيرة بالله ونحن الطريق الواضح والصراط المستقيم الي الله واخرج ابو سعيد في شرف النبوة عن رسول الله³ قال: أنا وأهل بيتي شجرة في الجنة وأغصانها في الدنيا فمن تمسك بنا اتخذ إلي ربه سبيلاً (ذخائر العقبي ص ١٦) وأخرجه مثله الحافظ الحسكاني في شواهد التنزيل (١: ٥٧) بسند متصل عن ابي بريدة وبسند آخر عن ابن عباس وثالث عنه قال قال رسول الله³ لعلي بن ابي طالب: أنت الطريق الواضح وأنت الصراط المستقيم وأنت يعسوب الدين وبسند رابع عن جابر بن عبدالله قال رسول الله³ إن الله جعل علياً وزوجته وأبناءه حجج الله علي خلقه وهم أبواب العلم في أمتي من اهتدي بهم هدى إلي صراط مستقيم.



الفريقان، أم صراط عليؑ كمصداقٍ ثانٍ لذلك الصراط، كما سائر مصاديقه هم أهل بيت الرسالة المحمدية (عليهم السلام) كما وأن صراطهم هو صراط محمد³ والذي يستهديه محمد نفسه لنفسه هو صراط فوقه والتثبیت علي ما هو عليه، ولمن سواه - بطبيعة الحال - دونه فـ ﴿لكل درجات مما علموا وما ربك بغافل عما يعملون﴾ (١٣٢:٦) فـ ﴿هم درجات عند الله والله بصير بما يعلمون﴾ (١٦٣:٢) و ﴿نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم﴾ (٨٣:٦) و ﴿المغضوب عليهم﴾



ومن طريق أهل البيت في عيون الأخبار ص ٣٥ - ٣٦ باسناده عن سيد العابدين علي بن الحسين X قال: ليس بين الله و بين حجته حجاب ولا لله دون حجته ستر نحن أبواب الله ونحن الصراط المستقيم ونحن عيبة علمه ونحن تراجمة وحيه ونحن أركان توحيده ونحن موضع سره .

وفيه عن جعفر بن محمد X في صراط الذين انعمت عليهم ﴿يعني محمداً وذريته .

وفي أمالي الصدوق (ص ١٧٣) عن النبي³ من سره أن يجوز علي الصراط كالريح العاصف ويلج الجنة بغير حساب فليتول وليي ووصيي وصاحبي وخليفتي علي أمتي علي بن ابي طالب و من سره أن يلج النار فليترك ولايته فوعزه ربي جل جلاله إنه ليباب الذي لا يؤتي إلا منه و إنه الصراط المستقيم وإنه الذي يسأل الله عن ولايته يوم القيامة، وأخرج ابن شهر آشوب في المناقب ج ٣ : ٧٢ عن إبراهيم الثقفي باسناده عن أبي برزة الأسلمي قال قال رسول الله³ في الآية ﴿إن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه﴾ سألت الله أن يجعلها لعلي ففعل، ورواه مثله المجلسي في البحار ج ٢٥ : ٣٦٤ والسيد البحراني في غاية المرام ج ١ : ٢٤٧ عن الروضة لابن الفارسي، وروي محمد بن الحسن الصفار باسناده عن أبي حمزة الثمالي في الآية قال: هو والله علي هو والله الميزان والصراط (غاية المرام ج ١ : ٢٤٦).

وعن جابر بن عبدالله ان النبي³ بينما أصحابه عنده إذ قال و أشار بيده إلي علي - هذا صراط مستقيم فاتبعوه (ج ٢ : ٤٣٥) وعن سعد عن ابي جعفر X في الآية قال: آل محمد الصراط الذي دل عليه (تفسير العياشي ج ١ : ٣٨٤) وإلي عشرات من هذه الأحاديث أخرجها الفريقان عن النبي³ وعن أهل بيته المعصومين (عليهم السلام) .

هم كل من غضب الله عليه دون جماعة خصوصاً، وتفسيرهم باليهود^١ تفسير مصادق كصدق مصاديقهم وأنحسهم فإنهم منهم وليسوا كلهم، فمن اليهود من لم يُغضب عليهم مهما لم يكونوا مسلمين كالمستسلمين للحق مهما كانوا من الضالين، أو المقصرين فيه غير معاندين ولا مكذبين، كما ومن غير اليهود مغضوب عليهم وان كانوا من المسيحيين والمسلمين إذ ❊ ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوءاً يُجزّيه ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً❊ (٤: ١٢٣).

فذكر اليهود كأنهم هم المغضوب عليهم دون سواهم ليس إلا لأنهم كمجموعة - لا ككل - هم أنحس حماقي الطغيان طول التاريخ الرسالي والرسولي^٢.

١ . كما عن النبي³ في روايات عدة أخرجها عبد الرزاق وأحمد وابن مردويه في مسنده والبيهقي في الشعب وعبد بن حميد وابن جرير والبخاري في معجم الصحابة وابن المنذر وأبو الشيخ عن عبدالله بن شقيق عن أبي ذر قال قال رسول الله³ هم اليهود.

كما وأخرجه سفيان بن عيينة في تفسيره وسعيد بن منصور عن اسماعيل بن أبي خالد عنه³ وأخرجه أحمد وعبد بن حميد والترمذي وحسن وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن حبان في صحيحه عن عدي بن حاتم عنه³ وأخرجه أحمد وأبو داود وابن حبان والحاكم وصححه والطبراني عن الشريد عنه³ (الدر المنثور ١: ١٦).

٢ . في نور الثقلين: ١ : ٢٤ ح ١٠٦ - القمي حدثني أبي عن حماد عن حريز عن أبي عبدالله^X أنه قال.. المغضوب عليهم النصاب والضالين اليهود والنصارى وعنه عن ابن أبي عمير عن ابن اذينة عنه^X قال.. المغضوب عليهم النصاب والضالين الشكاك الذين لا يعرفون الإمام وفي الفقيه فيما ذكره الفضل من العلل عن الرضا^X ❊ غير المغضوب عليهم❊ استعاذة من أن يكون من المعاندين الكافرين المستخفين به وبأمره ونهيه ❊ والضالين❊ اعتماد من أن يكون من الذين ضلوا عن سبيله من غير معرفة وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا❊.

وفي احتجاج الطبرسي وروينا بالاسناد المقدم ذكرها عن أبي الحسن العسكري^X أن أبا الحسن الرضا^X قال:

←

فمن المغضوب عليهم ❊ من شرح بالكفر صدراً
 فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم. ذلك
 بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة
 وأن الله لا يهدي القوم الكافرين. أولئك
 الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم
 وأولئك هم الغافلون. لا جرم أنهم في الآخرة
 هم الخاسرون ﴿١٠٩: ١٦﴾.

ومنهم الذين يحتاجون في الله بعد كمال الحجة
 واتضح المهجة:
 ❊ والذين يحتاجون في الله من بعدما استجيب له
 حاجتهم داخضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم
 عذاب شديد ﴿١٦: ٤٢﴾

والمكذبون بآيات الله: ❊ قال قد وقع عليكم
 رجس من ربكم و غضب و غضب أتجادلونني في أسماء
 سميتها أنتم وأبائكم.. ﴿٧: ١٧١﴾.
 والطاغين في رزق الله: ❊ كلوا من طيبات ما
 رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي
 ومن يحلل عليه غضبي فقد هوي ﴿٢٠: ٨١﴾ هذا،
 فبحاري الطغيات علي الله!

والموليين أديارهم في الجهاد: ❊ ومن يؤلهم
 يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلي
 فئة فقد باء بغضب من الله وماواه جهنم وبئس
 المصير ﴿٨: ١٦﴾

والقاتلين المؤمنين متعمدين: لإيمانهم:
 ❊ ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاءه جهنم خالداً
 فيها و غضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً
 عظيماً ﴿٤: ١٣﴾

وهكذا نري أن المغضوب عليهم – علي مختلف
 دركاتهم – هم الذين شرحوا بالكفر صدراً، أم
 طغوا في رزق الله أم علي الله، أم كذبوا بآيات
 الله، أم حاجوا في الله من أية طائفة كانوا،
 ملحدين أو مشركين أم كتابيين هوداً أو
 نصاري أم مسلمين، مهما اختلفت دركات الغضب
 عليهم كما المغضوب عليهم جزاءً وفاقاً.
 ولكيلا يغتر غير اليهود بالأمانى الكاذبة،
 يأتي الأمان العام لمن آمن وعمل صالحاً من
 الذين هادوا كسواهم، بعد ضرب الذلة عليهم



ان من تجاوز بامير المؤمنين X العبودية فهو من
 المغضوب عليهم ومن الضالين.

والمسكنة والغضب من الله معللا بما علل ❁..
 وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب
 من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله
 ويقتلون النبيين بغير الحق بما عصوا
 وكانوا يعتدون. إن الذين آمنوا والذين
 هادوا والذصاري والصابئين من آمن بالله
 واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند
 ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون (٢:٦٣).

وكما نرى في آخري ❁ ضربت عليهم الذلة
 أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس
 وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك
 بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون
 الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا
 يعتدون ❁.

إذ تأتي تلوها دون فصل آية الأمان لأهل
 الأيمان: ❁ ليسوا سواء من أهل الكتاب منهم
 أمة قائمة يتلون آيات الله أناء الدليل وهم
 يسجدون. يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون
 بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في
 الخيرات وأولئك من الصالحين. وما يفعلوا
 من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين ❁
 (٣:١١٥).

أجل إنهم ليسوا سواء لأنهم يهود أم أهل
 كتاب غير مسلمين لكي يغضب عليهم اجمعين،
 فانما الغضب مربوط برباط التخلف عن شرعة
 الله.

ولأن اليهود هم أكثر الطوائف طغياناً
 وتكذيباً بآيات الله، لذلك تری آيات الغضب
 تتلاحق عليهم أكثر من سواهم كأنهم هم
 المغضوب عليهم لا سواهم.

وأما ❁ الضالين ❁ فهم عوان بين المغضوب
 عليهم والمهتدين، ناكبين عن الصراط
 المستقيم، فهم - علي آية حال - من
 الضالين، قاصرين أو مقصرين، عن الصورة
 الإنسانية وعن التوحيد والآخرة: ❁ إن الذين
 لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون ❁
 (٢٣:٧٤) عن صراط العبودية التي هي الصورة
 الإنسانية الكاملة، التي يجمعها صراط توحيد
 الإسلام وإسلام التوحيد والإعتصام بالله علي ضوء
 قرآن محمد ومحمد القرآن.

وبصيغة مختصرة محتصرة كل من ضل عن الصراط
 المستقيم فهو من الضالين: من مستضعف قاصر

لايستطيع حيلة ولا يهتدى سبيلاً ❀ إلا
المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا
يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً. فأولئك عسى
الله أن يعفو عنهم وكان الله عفواً غفوراً ❀
(٩٩:٤).

ومن مستضعف مقصر ❀ إن الذين توفاهم
الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيهم كُنتم
قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن
أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك ماوهم
جهنم وساءت مصيراً ❀ (٩٧:٤).

ومن مستكبر معاند للحق وهو من رؤوس
الضلالة ضالاً مضلاً ناكباً منكباً عن الصراط وهو
من المغضوب عليهم ❀ وأما ان كان من
المكذابين الضالين. فنزل من حميم. وتصلية
جحيم ❀ (٩٤:٥٦).

ومختلف دركات الضلال موزعة بين فرق
الذصاري لحد لا مثيل لهم في سائر الطوائف،
ولذلك يفسر بهم الضالين في الحديث كأضل
الضالين.

و ❀ الضالين ❀ يهيمن علي المغضوب عليهم
حيث تشملهم وسواهم، وقد يشمل سائر السبل
الملتوية وان كانت موصلة الي الله.
ولكن الصراط المستقيم هو أسلم السبل الي
الله مهما كان درجات، فكل درجة ادني ضلال
بالنسبة للاعلي حال انها سبيل الي الله:
❀ ووجدك ضالاً فهدني ❀.

ولكنما الضلال قصوراً او تقصيراً هو المقصود
من ❀ الضالين ❀ حيث الضال الذي يتحري
الصراط، وهو في سبيله الي الصراط، ضلاله
ضلال قدسي كما الشك المقدس وهو في سبيله
الي اليقين، والاسلام في سبيله الي الايمان
فانه ليس نفاقاً ولا ايماناً، بل هو اسلام الي
ايمان: ❀ قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا
ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في
قلوبكم ❀ (١٤:٤٩).

واما الضال الذي يري نفسه علي هدي بقصور
او تقصير، فهو في الحق ضال لايرجي هداة.
فلأن الداعي في صلاته - في الأكثرية الساحقة
- ليس علي صراط مستقيم، فهو ضال عنه،
ولكنه سالك إليه متحرج عنه، فلا يسمى ضالاً
قسيماً للمغضوب عليهم، مهما كان ضالاً بقياسه
بمن هو علي صراط مستقيم.

فالسالكون اذاً اربعة: ١ - مؤمن ليس علي صراط مستقيم وهو في سبيله. ٢ - من هو علي صراط مستقيم. ٣ - المغضوب عليهم غير المؤمنين ولا المتحجرين عن ايمان بل معاندين وتعنين عليه ٤ - الضالين الذين ضلوا الصراط والسبيل الي الصراط فهم عن الصراط لناكبون.

فالاولان هما من المصلين المهتدين، والآخران من الناكبين عالمين او جاهلين. فالمؤمنون الذين لم يلبسوا ايمانهم بظلم هم في سبل السلام آمنون، سالكون الي الصراط المستقيم *الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الأمن وهم مهتدون ﴿٧:٨٢﴾ مهما اختلج لهم شرك خفي أم ظلم عملي، فـ *ما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ﴿١٠﴾.

عود على بدء في السبع المثاني

لقد شملت البسملة علي ثلاثة من اسماء الله هي اهمها كلها، وشملت السبع المثاني - ككل - علي خمسة هي أصول أسماءه الدالة علي المبدء والمعاد وما بين المبدء والمعاد، فلو كان لله إسم افضل من هذه لذكرها في ام القرآن.

ثم هي علي ترتيب الأهمية: ﴿الله﴾ - الرحمن - الرحيم - رب العالمين - مالك يوم الدين ﴿١﴾. فقاريء الحمد قاريء للقرآن العظيم وكما يروي عن الامام الرضاX.

قال: فلم أمروا بالقراءة في الصلاة؟ قيل: لئلا يكون القرآن مهجوراً مضيعاً مدروساً فلا يضمحل ولا يجهل فان قال: فلم بدئ بالحمد في كل قراءة دون سائر السور؟ قيل: لأنه ليس شيء من القرآن والكلام جمع فيه من جوامع الخير والحكمة ما جمع في سورة الحمد وذلك ان قوله: ﴿الحمد لله﴾ إنما هو اداء لما أوجب الله تعالى علي خلقه من الشكر و شكر لما وفق عبده للخير -

﴿رب العالمين﴾ تمجيد له وتحميد وإقرار بأنه هو الخالق المالك لا غيره - ﴿الرحمن الرحيم﴾ استعطاف وذكر لآلائه ونعمائه علي جميع خلقه -

﴿مالك يوم الدين﴾ إقرار بالبعث والحساب والمجازات وايجاب له ملك الآخرة كما أوجب الله له ملك الدنيا -

﴿اياك نعبد﴾ رغبة وتقرب إلي الله عزوجل وإخلاص بالعمل له دون غيره - ﴿واياك نستعين﴾ استزادة من توفيقه وعبادته واستدامة لما انعم عليه ونصره - ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ استرشاد به واعتصام بحبله واستزادة في المعرفة بربه وبعظمته وبكبريائه -

﴿صراط الذين انعمت عليهم﴾ توكيد في القول والرغبة وذكر لما قد تقدم من نعمة علي

أولياءه ورغبة في مثل تلك النعم - .
 ❊ غير المغضوب عليهم ❊ استعادة من أن يكون
 من المعاندين الكافرين المستخفين به
 وبأمره ونهييه -
 ❊ ولا الضالين ❊ اعتصام من أن يكون من
 الضالين الذين ضلوا عن سبيله من غير معرفة
 وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا .
 فقد اجتمع فيه من جوامع الخير والحكمة في
 الآخرة والدينيا ما لا يجمعه شيء من
 الأشياء ❊ .^١

ثم الي حديث سلسلة الذهب القدسي حول
 تفسير السبع المثاني يرويه الامام الحسن
 العسكري X عن ابيه علي بن محمد X عن محمد
 بن علي X عن علي بن موسى X عن موسى بن جعفر X
 عن جعفر بن محمد X عن محمد بن علي X عن علي
 بن الحسين X عن الحسين بن علي X عن
 أمير المؤمنين علي X قال قال رسول الله 3: قال الله
 عزوجل: قسمت فاتحة الكتاب بيني وبين عبدي
 فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل،
 إذا قال العبد ❊ بسم الله الرحمن الرحيم ❊ قال
 الله جل جلاله: بدء عبدي باسمي وحق علي أن
 أتم له أموره وأبارك له في أحواله - فإذا
 قال: ❊ الحمد لله رب العالمين ❊ قال الله جل
 جلاله: حمدني عبدي وعلم أن النعم التي له
 من عندي وأن البلياء التي دفعت عنه فبطولي،
 أشهدكم أني أضيف له إلي نعم الدنيا نعم
 الآخرة وادفع عنه بلياء الآخرة كما دفعت عنه
 بلياء الدنيا، فإذا قال: ❊ الرحمن الرحيم ❊
 قال الله جل جلاله: شهد لي عبدي أني الرحمن
 الرحيم، أشهدكم لاوفرن من نعمتي حظه ولأجلن
 من عطائي نصيبه، فإذا قال: ما لك يوم
 الدين ❊ قال الله جل جلاله: أشهدكم كما اعترف
 أني انا مالك يوم الدين لأسهلن يوم الحساب

١ . عيون اخبار الرضا X وعلل الشرايع باسناده عن
 الفضل بن شاذان عن الرضا X.

حسابه ولأتجاوزن عن سيآته فاذا قال: ❀ اياك نعبد❀ قال عزوجل: صدق عبدي اياي يعبد اشهدكم لاثيننه علي عبادته ثوابا يغبطه كل من خالفه في عبادته لي فاذا قال: ❀ واياك نستعين❀ قال الله عزوجل: بي استعان عبدي والتجأ إلى أشهدكم لأعيننه في شدائده ولأخذن بيده يوم نوائبه فاذا قال: ❀ إهدنا الصراط المستقيم❀ ... قال الله عزوجل: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل فقد استجبت لعبدي وأعطيته ما أمّل وآمنته مما منه وجل❀.

إذا فالسبع المثاني صورة مجملة وضاعة عن سيرة الله وسيرة العبد تجاه الله، تجمع من جوامع القرآن العظيم محكمات، مما يتوجب علي العباد معرفيا وعمليا وجاه رب العالمين، لماعة لمآحة الي مثلث الاصول الدينية المبدء والمعاد وما بين المبدء والمعاد من نبوات وتشريعات.

وفي قران بين ما نقوله نحن المسلمين في صلواتنا وما يقوله المسيحيون نري قرانا بين النور والنار، بين ادب بارع و سوء هارع.

ففي انجيل متي الفصل ٦ الآية ٩ - ١٣ فصلوا انتم هكذا❀: ونحن نصلي هكذا.

بسم الله الرحمن الرحيم(١) ابانا الذي في السماوات

الحمد لله رب العالمين(٢) ليتقدس اسمك(٩)

الرحمن الرحيم(٣) ليأت ملكوتك . لتكن مشيئتك

مالك يوم الدين(٤) كما في السماء كذلك على الأرض(١٠)

اياك نعبد واياك نستعين(٥) خبزنا كفافنا أعطنا اليوم(١١)

١ . رواه شيخ الطائفة الطوسي في اماليه والشيخ الاجل الصدوق في عيونه عن محمد بن القاسم المفسر الاستر ابادي قال: حدثنا يوسف بن محمد بن زياد وعلى بن محمد بن سيار عن ابويهما عن الامام الحسن العسكري X عن ...

اهدنا الصراط المستقيم (٦) واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن

صراط الذين انعمت

ايضاً للمذنبين الينا (١٢)

عليهم - ولا تدخلنا في تجربة لكن نجنا

غير المغضوب عليهم من الشرير لأن لك الملك

ولا الضالين (٧) والقوة والمجد الى الابد آمين (١٣)

فهل الله تعالى * اباهم ؟ وأصل النص المتواتر في الانجيل * الآب الخالق حسب اليوناني!

ثم أهو فقط * في السماوات والارض خلو منه؟ غلطتان في آية منها واحدة!

ثم من الموعود في * لتكن مشيئتك... ؟ وهل هذه المشيئة حتي الآن ما أتت إلي الارض، فما

ماذا يقول المسيح X إذا في الارض، أليس ليحقق مشيئة الله في شرعته لأهل الارض؟ ثم من هذا الذي ينزل مشيئة الله الي الارض!. غلطتان

تلو بعض، ظلمات بعضها فوق بعض!!!

والصلاة حسب الانجيل لا يؤتي بها إلا الله تعالى (مت ٤ : ١٠ - مقابل تث ٦ : ١٣ و ١٠ : ٢٠)

ففي الأول * لانه مكتوب للرب آهك تسجد واياه وحده تعبد * وهذه من الآيات الانجيلية

النادرة في فرض السجود، ولكن * تث * لا تذكر الافرض الصلاة.

فهل الله تعالى * اباهم ؟ وأصل النص المتواتر في الانجيل * الآب الخالق حسب اليوناني!

ثم أهو فقط * في السماوات والارض خلو منه؟ غلطتان في آية منها واحدة!

ثم من الموعود في * لتكن مشيئتك... ؟ وهل هذه المشيئة حتي الآن ما أتت إلي الارض، فما

ماذا يقول المسيح X إذا في الارض، أليس ليحقق مشيئة الله في شرعته لأهل الارض؟ ثم من هذا الذي ينزل مشيئة الله الي الارض! غلطتان

تلو بعض، ظلمات بعضها فوق بعض!!!

والصلاة حسب الانجيل لا يؤتي بها إلا الله تعالى

(مت ٤ : ١٠ – مقابل تث ٦ : ١٣ و ١٠ : ٢٠)
 ففي الأول ❀ لأنه مكتوب للرب آلهك تسجد واياه
 وحده تعبد ❀ وهذه من الآيات الانجيلية
 النادرة في مرض السجود، ولكن ❀ تث ❀ لا تذكر
 الا فرض الصلاة.

والأوقات المقررة حست الكتاب المقدس للصلاة
 ثلاثة، ففي ❀ مز ٥٥ : ١٦ – ١٧ ودا ٦ : ١٠ ❀
 أمّا انا فإلي الله أصرخ والرب يخلصني مساءً
 وصباحاً وظهراً أشكو وانوح، فيسمع صوتي –
 وفي ❀ دا ❀ فلما علم دانيال... فجثا علي
 ركبتيه ثلاث مرات في اليوم وصلي وحمد قدام
 إلهه كما كان يفعل قبل ذلك.

مسألة فقهية حول الحمد

وهل تجوز ترجمة الحمد في الصلاة؟ اقوال^١
اقواها عدم الجواز إلا لمن لا يتمكن من
قراءتها عربية ولا الافتداء بمن يقرأها ولا
متابعته في قراءتها، فما لا يدرك كله لا يترك
كله، فان ترجمة الحمد غير الحمد وقد امرنا
بقراءة الحمد في الصلاة وقال رسول الله³ صلوا
كما رأيتموني أصلي، ولو جازت الترجمة
لقراءها أحياناً ترجمةً تدليلاً على الجواز.^٢
وهل تجب القراءة على المقتدي؟ الحق عدم
وجوبها ولا جوازها حيث الامام يتحملها عنه
حسب متواتر الحديث، مهما وجبت في
الاخفائية، وفي الجهرية اذا لم يسمع صوت
الامام بل، وإذا سمع حرمت لوجوب الاستماع
كما قال الله⁴ وإذا قرأت القرآن فاستمعوا له
وانصتوا لعلكم ترحموا⁵ (٢٠٤:٧) ومن أصدق
مصاديقه قراءة الحمد والسورة في الصلاة.
وهل تجوز قراءة الحمد والسورة التي بعدها
في الصلاة من المصحف؟ الظاهر هو الجواز لا
سيما لمن لا يحفظها او يلحن فيها،
والمتعارضان في الجواز وعدمه متساقتان
لولا ترجيح رواية الجواز، فالاصل هو
الجواز.^٣
وهل يجوز التأمين بعد⁶ ولا الضالين⁷ ام
لايجوز، وعلي الحرمة هل تبطل به الصلاة ام لا

١ . قال الشافعي انها لا تجوز اطلاقاً وقال ابو حنيفة
تجوز اطلاقاً وقال ابو يوسف ومحمد بما قلناه .
٢ . وهو اجماع تحقق عندنا ومصرح به في كلام جماعة حد الاستفاضة كالناصرية
والخلاف والذكري .
٣ . جامع احاديث الشيعة ج ٥ ص ١٨٧ باسناده عن
الحسن بن زياد الصيقل قال قلت لابي عبدالله^X ما تقول
في الرجل يصلي وهو ينظر في المصحف يقرأ فيه يضع
السراج قريباً منه فقال لا بأس بذلك وتعارضها رواية
قرب الاسناد باسناده عن علي بن جعفر عن اخيه موسي
بن جعفر قال سألته عن الرجل والمرأة يضع المصحف
امامه ينظر فيه ويقرأ ويصلي؟ قال: لا يعتد بتلك الصلاة.

تبطل؟ اقوال^١ اقواها البطلان.
وفيما يرويه اخواننا عن الرسول³ متظافراً
الأمر به فرضاً او ندباً^٢ وفيما يرويه
اصحابنا عن عترته الطاهرة (عليهم السلام)
النهى عنه^٣ إلا شاذاً، وقضية التعارض هنا هي

١ . في الخلاف ١ : ١٠٤ قول أمين يقطع الصلاة سواء
كان ذلك سراً او جهراً في آخر الحمد او قبلها للامام
و المأموم وعلي كل حال - وقال ابو حامد الاسفرايني
ان سبق الامام المأمومين بقراءة الحمد لم يجز ان
يقولوا آمين فان قالوا ذلك استأنفوا قراءة الحمد
وبه قال بعض اصحاب الشافعي، وقال الطبري وغيره من
اصحاب الشافعي لا يبطل ذلك قراءة الحمد ويبنى علي
قراءته -

فاما قوله عقيب الحمد فقال الشافعي واصحابه يستحب
لل امام اذا فرغ من فاتحة الكتاب ان يقول آمين
ويجهر به واليه ذهب عطاء وبه قال احمد واسحاق
وابوبكر محمد بن اسحاق بن خزيمه وابوبكر بن
المنذر وداود - وقال ابو حنيفة وسفيان: يقول
ال امام ويخفيه، وعن مالك روايتان احدهما مثل ابى
حنيفة والثانية لا يقول آمين اصلاً .

واما المأموم فان الشافعي قال في الجديد يسمع
نفسه وقال في القديم يجهر به واختلف اصحابه فمنهم
من قال المسألة علي قولين ومنهم من قال اذا كانت
الصفوف قليلة متقاربة يسمعون قول الامام يستحب
الاخفاء واذا كانت الصفوف كثيرة ويخفي علي كثير
منهم قول الامام يستحب لهم الجهر ليسمعوا من خلفه
وقال احمد واسحاق وابو ثور وعطاء يستحب لهم الجهر
وقال ابو حنيفة وسفيان الثوري لا يستحب لهم الجهر
بذلك.

٢ . واما المأموم فان الشافعي قال في الجديد يسمع
نفسه وقال في القديم يجهر به واختلف اصحابه فمنهم
من قال المسألة علي قولين ومنهم من قال اذا كانت
الصفوف قليلة متقاربة يسمعون قول الامام يستحب
الاخفاء واذا كانت الصفوف كثيرة ويخفي، علي كثير
منهم قول الامام يستحب لهم الجهر ليسمعوا من خلفه
وقال احمد واسحاق وابو ثور وعطاء يستحب لهم الجهر
وقال ابو حنيفة وسفيان الثوري لا يستحب لهم الجهر
بذلك.

دليلنا اجماع الفرقة فانهم لا يختلفون في ان ذلك يبطل الصلاة
وايضاً فلا خلاف انه اذا لم يقل ذلك ان صلاته صحيحة
ماضية وروي عن النبي³ انه قال: ان هذه الصلاة
لا يصلح فيها شيء من كلام الأدميين وقول أمين من كلام
الأدميين.

٣ . في جامع احاديث الشيعة ٥ : ١٢ باب عدم جواز
التأمين عن محمد الحلبي قال: سألت ابا عبدالله^X
اقول اذا فرغت من فاتحة الكتاب اقول: آمين؟ قال:



تقديم رواية أهل البيت (عليهم السلام) فانهم أحد الثقلين فالاقوي - اذا - عدم الجواز والظاهر البطلان.

ولا عبرة بعديد الروايات عن رسول الله 3 اذا كان يخالف نقلها أحد من أئمة أهل البيت (عليهم السلام) فضلاً عن إجماعهم، فان عصمة النقل لهم تفوق كل رواية ودراية كما في حديث الثقلين المتواتر.
ثم الروايات المتواترة من طريق الفريقين

←

لا ومثله في حسنة جميل عنه X وتعارضها صحيحته سألت ابا عبد الله X عن قول الناس في الصلاة جماعة حتى تقرأ فاتحة الكتاب آمين؟ قال: ما احسنها واخفض الصوت بها وعن معاوية بن وهب قال قلت لابي عبد الله X اقول آمين اذا قال الامام غير المغضوب عليهم ولا الضالين؟ قال: هم اليهود والنصارى ولم يجب في هذا والجعفریات باسناده عن علي X قال رسول الله 3 لا تزال امتي علي شريعة من دينها حسنة جميلة ما لم يتخطوا القبلة باقدامهم وما لم يصرخوا قياماً كفعل أهل الكتاب وما لم تكن لهم ضجة بآمين ورواه الدعائم عن جعفر بن محمد عن ابيه عن آباءه (عليهم السلام) انه قال لاتزال امتي بخير وعلي شريعة وذكر مثله، وروي الريان عن الرضا X عن ابي محمد العسكري X في حديث طويل انه عد الخصال التي خص الله تعالى بها الأئمة (عليهم السلام) وشيعتهم ثم ذكر ان العامة خالفهم فيها - الي ان قال - : والاخفات في السورتين خلافاً علي الجهر و آمين بعد ولا الضالين عوضاً عن القنوت الخبر وفي الدعائم وروينا عنهم (عليهم السلام) انهم قالوا يبدء بعد بسم الله الرحمن الرحيم في كل ركعة بفاتحة الكتاب . . وكرهوا (حرموا) ان يقال بعد فراغ فاتحة الكتاب آمين كما تقول العامة وقال جعفر بن محمد X انما كان النصارى تقولها وفي المستدرک ابوالقاسم علي بن احمد الكوفي في كتاب الاستغاثة في بدع الثلاثة في سياق مطاعن الثاني اجمع اهل النقل عن الأئمة من اهل البيت (عليهم السلام) انهم باجمعهم قالوا: من قال آمين فقد افسد صلاته وعليه الاعادة لانها عندهم كلمة سريانية معناها بالعربية افعل كسبيل من يدعو بدعاء فيقول في آخر اللهم افعل ثم استن انصاره بروايات متخرصة ان رسول الله 3 كان يقول ذلك باعلي صوته وانكر اهل البيت هذه الرواية وفي روايات عدة ❁ وعلي من خلفه ان يقولوا الحمد لله رب العالمين ❁
رواه جميل عن ابي عبد الله X وفضيل.

الآ مرة بقراءة الحمد في الركعتين تساند القول ان أمين ليس فيها فانها حسب تواتر القرآن خالية عندها، اذا فهي كلام خارج عن فرض الصلاة وندبها، فتبطل بها الصلاة.

والقول أن دعاء الهداية في قلب السبع المثاني وهي قلب الصلاة، إنها خير دعاء، والتأمين بعد الدعاء من السنة فهو هنا احري، وقد امرنا بالدعاء في الصلاة وهو من الدعاء بعد الدعاء، إذا فهو - لأقل تقدير - جائز ان لم يكن ندباً.

إنه مردود الي قائلة لكونه اجتهاداً ضد النص، ولا نقبل حديثاً يروي عن رسول الله 3 حين يكذبه عترته المعصومون (عليهم السلام).

وهذه ضابطة سارية المفعول أن الروايتين المتعارضتين المروييتين عن الرسول 3 تُعرضان علي كتاب الله، ثم علي سنة رسول الله 3 والعترة هم حملة السنة حين تثبت عنهم له 3 رواية، سواءً أسندوها إلي رسول الله 3 أم لم يسندوها، فانهم - علي أية حال - ليسوا إلا حملة السنة عن الرسول 3 لايزيدون عليها ولا ينقصون عنها، كما الرسول 3 عن الله.

افى قريب اجيب دعوة الداع

!؟

❖ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي
وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿٢:١٨٦﴾

السؤال عن الله هنا سؤال عن موقفه أمام دعوة الداع، قرباً وبعداً، إجابة ورداً، وكما يُعرف ذلك الإختصاص من الجواب: ❖ فإنى قريب أجيب.. ❖ وقد روى ذلك عن رسول الهدى³ فرفع الصوت بالدعاء بُغية أن يسمعها الله جهل بالله ❖ يا ايها الناس اربعوا علي أنفسكم فانكم لا تدعون أصمّ ولا غائباً إنما تدعون سميعاً بصيراً.. ❖ اللهم إلا إسماعاً لعباد الله لكى يرغبوا فى الدعاء، أم تملذذاً بصريخ الدعاء اذا ليست رثاءً فلا بأس إذا بل هو أولى.

ولأن الدعاء هى مخ العبادة حصيلاً لأقرب حالات القرب إلى الله والتعلق التذلي بالله، نري آيتها هذه علي اختصارها تأتي بضمير المتكلم وحده لله سبع مرات، خرقاً للحجب السبعة بين العبد وربّه، كما وتعبر عن السائلين اياه بـ ❖ عبادى ❖ وهى أشرف تعريف بهم دون ❖ الناس ❖ أما شابه من عامة التسميات لنا.

١ . الدر المنثور ١: ١٩٤ جاء رجل الي رسول الله³ فقال يا رسول الله³ أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه فسكت النبي³ فأنزل الله الآية .
٢ . المصدر ١٩٥ عن ابي موسى الأشعري قال كنا مع رسول الله³ فى غزاة فجعلنا لا نصعد شرفاً ولا نهبط وادياً إلا رفعنا اصواتنا بالتكبير فدنا منا فقال يا ايها الناس.. ان الذى تدعون أقرب الي احدكم من عنق راحلته ❖ اجل ❖ ونحن اقرب اليه من حبل الوريد ❖ وانما كلمهم الرسول³ كما يفهمون .

﴿فإني قريب﴾ إليهم قرب المكانة علماً وقدرة ورحمة، دون قرب المكان والزمان، فـ ﴿هو معكم أينما كنتم﴾ معية العلم والقدرة والرحمة رحمانية عامة لكل ورحيمية خاصة لمن يستحقها.

فليس قرب به إلينا أم إلي أي شيءٍ قرب المسافة، بل هو أقرب القرب ﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾ (١٦:٥٠) ﴿ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون﴾ (٨٥:٥٦) بل و ﴿إن الله يحول بين المرء وقلبه﴾ (٢٤:٨) فبعد أن ليس أقرب إلينا - ككل - منا، فالله أقرب إلينا منا، يعلم منا ما لا نعلمه، فـ ﴿إنه يعلم السر وأخفي﴾ (٧:٢٠) ويقدر علينا ما لانقدره أو نقدره.

ودعوة الداع المجابة حسب الوعد المؤكد هنا وفي آيات أخرى، قد تعم الدعوة بلسان الحال والقال، حيث يعمهما السؤال: ﴿وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها إن الإنسان لظلوم كفار﴾ (١٨:١٦) ﴿يسأله من في السماوات والأرض كل يوم هو في شأن﴾ (٢٩:٧) وسؤال الحال أيضاً يعم سؤال الفطرة، وسؤال واقع الحال قضية المصلحة الحيوية، كما وان سؤال القال يعم خاطرة النفس وحديثها، ثم الكلام خفية وجهاراً وعلي أية حال.

وتري ما هو دور ﴿إذا دعان﴾ بعد ﴿دعوة الداع﴾؟ إنه توجيه للدعاء إليه فإن دعوة الداع طليقة من حيث المدعو، كما وهو تعميق وتحقيق للدعاء، تخطياً عن مجازه إلي حقه، وعن ظاهره إلي باطنه، بأن يصبح العبد كله دعاءً، لا أن يدعو الله بلسانه وقلبه غافل لاه

١ . الدر المنثور ١:١٩٥ عن النبي³ ادعوا الله وانتم موقنون بالإجابة واعلموا ان الله لا يقبل دعاء من قلب غافل لاه، وفيه ١٩٦ - اخرج احمد في الزهد عن مالك بن دينار قال قال الله تبارك وتعالى علي لسان نبي من أنبياء بني اسرائيل قل لبني اسرائيل تدعوني بالسنتكم وقلوبكم بعيدة مذى با حل ما تدعوني،

متعلق بسواه، أو يدعو بقلبه ولسانه يدعو سواه، أم يدعو بقلبه ولسانه وهو يرجوا - فيما يرجوه - سواه، فكثير هؤلاء الذين يدعون الله بحرف من حروف الدعاء، ثم هم متجهون إلي سواه بسائر حروف الدعاء، أم بحرف من حروفها فـ ﴿دعوة الداع﴾ في آية مرحلة من مراحل الدعاء، هي شرط أول لقضاء الحاجة، ثم وأهم منها شرط ثان: ﴿إذا دعان﴾ في معنيها المعنيين عبادة واستدعاءً بحق، ومن ثم ثالث: ﴿وليؤمنوا بي﴾ ثقة بالإجابة. فإنما ﴿إذا دعان﴾، توحيداً في دعاءه مصحوباً بحق الدعاء الحق ومعرفة فـ ﴿لو عرفتم الله حق معرفته لزالتم بدعائكم الجبال﴾، فإذا صادف صالحه في آية نشأة من النشآت استجيب فيها، وإلا فتحولاً إلي صالح لم يدع له حيث، ﴿فإنى قريب أحيب دعوة الداع إذا دعان﴾، تُحتم الإجابة الصالحة، ولكنها دون توقيت، ولا تثبيت لخصوص ما دعي، وقد تعنى ﴿إذ دعان﴾ - فيما عنت من الدعاء الإستدعاء - دعاء العبودية كشرط أصيل في استجابة الإستدعاء: ﴿وادعوه مخلصين له الدين﴾ (٢٩:٧) فدعوة الله الأصيلة هي دعوة العبودية، وهي المتفرعة عليها دعوة الإستدعاء، ومن حصائل ﴿إذا دعان﴾ هذه ﴿فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي﴾، ﴿فليستجيبوا لي﴾ دعائي إياهم لعبادتي وفاءً بعهدى: ﴿وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم وإياى فارهبون﴾ (٢:٤٠) ثم ﴿فليستجيبوا لي﴾ دعائي لهم أن يدعونى: ﴿وقال ربكم ادعونى استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين﴾ (٤٠:٦٠) ﴿وليؤمنوا بي﴾ ايماناً صالحاً ككل، وفاءً

وقال: تدعونى وعلى ايديكم الدم اغسلوا ايديكم من الدم اى من الخطايا هلموا نادونى. ١ . المصدر ١٩٦ - أخرج الترمذى عن معاذ بن جبل عن رسول الله ﷺ قال: ...

بعهد الفطرة وعهد الرسالة، ثم ❀ وليؤمنوا بي❶ وليتحققوا ❀ وليتحققوا أنى قادر علي إعطاء هم ما سألوه❷ ❀ لعلهم يرشدون❸ إلي كل سؤال صالح يدعون له .
الحلوة والود الأنيس، والطمأنينة والثقة واليقين، فيعيش منها المؤمن في جناب رضي وملاذ أمين بقرار مكين إلي حضرة رب العالمين .

وإنه قريب برحمته - إجابةً لسؤال - إلي عباده السائلين إذا دعوه بشروطها المسرودة في الذكر الحكيم، فاتحاً له خزائنه بدعاءه أينما دعاه ❀ ثم جعل في يديك مفاتيح خزائنه بما أذن لك فيه من مسألته فمتي شئت استفتحت بالدعاء أبواب نعمته، واستمطرت شآبيب رحمته، فلا يقنطك إبطاء إجابته، فإن العطية علي قدر الذية، وربما أخرت عنك الإجابة ليكون ذلك أعظم لأجر السائل وأجزل لعطاء الآمل، وربما سألت الشيء فلا تؤتاه وأوتيت خيراً منه عاجلاً أم آجلاً، أو صرف عنك لما هو خير لك، فلرب أمر قد طلبته فيه هلاك دينك لو أوتيته، فلتكن مسألتك فيما يبقي لك جماله وينفي عنك وباله، فالمال يبقي لك ولا تبقي له❹ .

ألا ❀ فاحترسوا من الله عزوجل بكثرة الذكر، واخشوا منه بالتقي، وتقربوا إليه بالطاعة فإنه قريب مجيب❺ .

فلا أصالة لمكان الدعاء وزمانها، وإنما هي مكانتها أيذما كانت و من أي، فهي تتمحور مثلثاً كأصل هو ❀ إذا دعان - فليستجيبوا لي - وليؤمنوا بي❶ إذاً فالإجابة تقدر بقدر الإستجابة والإيمان، والدعاء الخالصة الموحدة علي ضوءها ومن ثم ❀ أجيب..❷ يقول

١ . في مجمع روى عن ابى عبدالله X انه قال: وليؤمنوا بي، اي وليتحققوا... .

٢ . عن نهج البلاغة عن الامام علي اميرالمؤمنين X .
٣ . نورالثقلين ١ : ١٧١ في روضة الكافي خطبة طويلة مسندة له X يقول فيها:

الله: أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه إذا دعانى^١.

و * ان ربكم حى كريم يستحي إذا رفع العبد يديه اليه أن يردّها حتى يجعل فيهما خيراً^٢ يقول الله تعالى: يا ابن آدم واحدة لى وواحدة لك وواحدة فيما بينى وبينك وواحدة فيما بينك وبين عبادى، فأما التى لى فتعبدنى لا تشرك بى شيئاً، وأما التى لك فما عملت من شىء أو من عمل وفيتكه، وأما التى بينى وبينك فممنك الدعاء وعلى الإجابة، وأما التى بينك وبين عبادى فارض لهم ما ترضى لنفسك^٣.

ثم الإستجابة بحق الدعاء ليست فى إثم أو قطيعة رحم، أو أمر مستحيل، أو الذى بيدك أمره، إنما هى فى ما لا تناله بحولك فقط وقوتك، من الممكن فى ذاته، والممكن مصلحياً بدعائك، والإستعجال فى إجابة الدعاء تأمر على الله وتأمّر، ويأتى على المؤمن موقف فى الأخرى يقول: *يا ليتّه لم يكن عجل له شىء

١ . الدر المنثور ١: ١٩٥ - أخرج احمد عن أنس ان

النبى³ قال: يقول الله: ...
٢ . المصدر أخرج الحاكم عن جابر مرفوعاً: يدعوا الله بالمؤمن يوم القيامة حتى يوقفه بين يديه فيقول عبدى إنى أمرتك أن تدعونى ووعدتك أن أستجيب لك فهل كنت تدعونى؟ فيقول: نعم يا رب، فيقول: أما انك لم تدعنى بدعوة إلا أستجيب لك، أليس دعوتنى؟ فيقول: نعم يا رب، فيقول: أما انك لم تدعنى بدعوة إلا أستجيب لك، أليس دعوتنى يوم كذا وكذا لغم نزل بك أن أفرج عنك قلم تر فرجاً؟ فيقول: نعم يا رب، فيقول: إنى ادخرت لك بها فى الجنة كذا وكذا ودعوتنى فى حاجة قضيتها لك، فقال النبى³ فلا يدعوا الله عبده المؤمن إلا بين له إما ان يكون عجل له فى الدنيا وإما ان يكون ادخر له فى الآخرة فيقول المؤمن فى ذلك المقام: يا ليتّه ..

٣ . المصدر ١: ١٩٥ عن سلمان الفارسى عن النبى³ قال: ...

٤ . المصدر عن ابى سعيد ان النبى³ قال ما من مسلم يدعوا الله بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا اعطاه الله بها إحدى ثلاث خصال إما ان يجعل له دعوته وإما ان يدخرها له فى الآخرة، وإما ان يصرف عنه من السوء مثلها قالوا إذا نكثرت؟ قال: الله أكثر.

من دعاءه ١. ومن موانع اجابة الدعاء سوء الأدب فيها، أن يطلب سؤاله دون أن يرضي بسواه، أم يطلب عاجله دون آجله، ف لا يزال العبد بخير ما لم يستجعل.. يقول قد دعوت ربكم فلم يستجب لي ٢.

والدعاء في محالها الصالحة هي مما تُحرز مصلحة الإجابة، فلولاها لما صلحت مهما كان هناك سؤال صالح في نفسه، ولكنه لا يُعطاه إلا باستعطائه، ومن مصلحة الدعاء أنها مخ العبادة لأنها انقطاع عن الأسباب المعسورة أو غير الميسورة لصاحبها، إلى مسبب الأسباب.

فحتي لولا الإجابة فيها، فهي صالحة في نفس ذاتها كسائر العبادات أم هي أحرى لأنها مخها! وكما لا يتحتم لك الجزاء هنا - إلا قليلاً - علي سائر العبادات، فبأحرى الدعاء وهي مخ العبادات، فإنما نحن مؤتمرون في مختلف أشكال العبادة، ثم الجزاء من الله بما وعده كما يشاء ومتي يشاء، والمستجاب من الدعاء هنا - في الأكثر - هو دعاء الهداية - الصالحة، وسائر ما ينفع في مزيد التقوي التي لا تقوي عليها إلا بعون من الله، وأكثر ما لا يستجاب هي من الأمور التي لا تنفعك في هواك، ام يزيد في هواك، ام لا ينفع لا في أولك ولا أخراك، فالله يعوضك عنها هنا أو في الأخرى ما تحتاجه هدياً أم علو درجة.

وهنا تتساقط قيلات علي الدعاء، أنها إنما تصلح في حق من لا يعلم الحاجات بمصالحها، أو يرضن بها لولا الدعاء خطوة للإستجداء، وأنها كتطلب الأمر والنهي وهو إزراء بساحة

١ . المصدر أخرج الحاكم عن جابر مرفوعاً: يدعو الله بالمؤمن يوم القيامة حتي يوقفه بين يديه فيقول عبدي إنني امرتك أن تدعوني ووعدتك أن استجيب لك فهل كنت تدعوني؟ فيقول: نعم يا رب،

٢ . المصدر ١٩٦ - أخرج أحمد عن أنس ان رسول الله قال: ...

الربوبية، أما هي من قيلات هي ويلات علي قائلها.

فربنا هو الذى يأمرنا بالدعاء إذ يري فيها صالح الداعي، وبما أنها مخ العبادة فهي أصيلة في حقول العبادة، قد لا يعطينا ربنا سؤالنا إلا إذا انقطعنا إليه ودعونا، ولكي نحظوا الزلفي إليه وفوق ما نحظوه في الإستجابة.

ففي حديث قدسي: ❁ يا موسى سلني كل ما تحتاج إليه حتي علف شاتك وملح عجينك❁^١ و ❁ الدعاء سلاح المؤمن❁ طبعاً لما فيه صلاحه باستصلاحه بها.

وكختام لحق الدعاء الإستدعاء طلباً لحاجيات روحية أو سواها، مُتَّصِراً الدعاء ليس إلا في أربع، حاجة حاصلة دون دعاء، كالتى كتب الله علي نفسه برحمة عامة رحمانية، كالضرورات الحيوية للإنسان مؤمناً وسواه، أم حاجة حاصلة بما منح الإنسان من حول وقوة كما الأكل والشرب أما شابه، فلا دعاء هنا وهناك. وجاجة مستحيلة بطبيعة الحال، أو مصلحياً، وكذلك الأمر، ثم عوان بينهما من الحاجيات الممكنة، سواء التى له فيه شأن ولا تكفى محاولاته للحصول عليها، أو التى انقطعت الأسباب دونها، فهنالك الدعاء ولا سيما فيما

١ . في عدة الداعي (٢) رواه الفريقان عن النبي 3. وعن العدة في رواية محمد بن عجلان عن محمد بن عبيدالله بن علي بن الحسين عن ابن عمه الصادق X عن آبائه عن النبي 3 قال: اوحى الله إلي بعض أنبيائه في بعض وحيه: وعزّبي وجلالي لا قطعن أمل كل أمل غيري بالإياس ولا أكسونه ثوب المذلة في الناس ولا بعدنه من فرجى وفضلى أيام عبيدى في الشدائد غيرى والشدائد بيدي ويرجو سوائي وأنا العنى الجواد، بيدي مفاتيح الأبواب وهي مغلقه وبابى مفتوح لمن دعانى.

وعنها عن النبي 3 قال قال الله: ما من مخلوق يعتصم بمخلوق دوني إلا قطعت أبواب السماوات وأسباب الأرض من دونه فان سألني لم أعظه وإن دعاني لم أجبه، وما من مخلوق يعتصم بي دون خلقي إلا ضمنت السماوات والأرض رزقه فان دعاني أجبته وإن سألني اعطيته وان استغفرني غفرت له.

تكلُّ فيه الأسباب.
فلا دعاء - إذا - إلا في الممكن المعقول،
المحتمل صلاحه، حين استأصلت دونه طاقته،
فليستمد بحول الله وقوته بشروطه المذكورة في
حقل الدعاء.

❖ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ
جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٤٠:٦٠﴾.

تري ومتي قال ربكم.. فهل هو قاله هنا
❖ أدعوني..؟ وهذا مستقبل و ❖ قال ❖ ماض!
أم هو قاله في آية المضطر: ❖ أمن يجيب
المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم
خلفاء الأرض ﴿٦٢:٢٧﴾ ولكنها مكية كما هي،
إلا أنها عدلها نازلة قبلها، لكنها تعد
إجابة المضطر دون أمر بالدعاء! أم إنه
الفرقان المكية: ❖ قل ما يعبؤ واكم ربي
لولا دعاءكم فقد كذبتم فسوف يكون
لزاماً ﴿٧٧﴾؟ حقاً إنها هي إذ تحوى ما
تحويه، وتعني ما تعنيه، ولكنها ليست دلالة
المطابقة، إلا تضامنية بدقة!

أو أنه قاله في أم الكتاب ومحكمه، يقوله
هنا في تفصيل الكتاب؟ أم إنه جماع آيات
الدعاء مكية ومدنية؟ وعلي آية حال ❖ وقال
ربكم ادعوني أستجب لكم... ❖ لا ريب أنها قال
ربكم!

و ❖ ربكم ❖ هنا دون صيغة أخرى: الله - ربي -
رب العالمين، لمناسبة الدعاء عبادة
واستدعاء فإنه أمر تربيوى يعم عباد الله
المؤمنين.

وهل إن ❖ أدعوني ❖ أمر بدعاء الاستدعاء حين
الحاجة والبلاء؟ لمكانت ❖ أستجب لكم ❖ وشطر
من آيات الدعاء: ❖ هنالك دعا زكريا ربه قال
رب هب لي من لدنك ذرية طيبة ﴿٣٨:٣﴾؟

أو إنه أمر بدعاء العبادة لمكان ❖ إن
الذين يستكبرون عن عبادتي ❖ وشطر آخر من
آيات الدعاء: ❖ وأن المساجد لله فلا تدعوا مع
الله أحداً ﴿١٨:٧٢﴾ ❖ إن الذين تدعون من دون

الله عباد أمثالكم ﴿٧: ١٩٤﴾ ﴿٦٦: ٤٠﴾ قل إنى نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله.. ﴿٦٦: ٤٠﴾ أم إنه يعنيهما لشطري الآية ﴿أستجب لكم.. عن عبادتى﴾ وشطرى آيات الدعاء، وان دعاء الإستدعاء لزامه دعاء العبادة من قبل ﴿الدعاء تلو العبادة﴾^١

فلا يستدعي إلا من يعبد ولا يُعبد إلا من يُستدعي، والثانية شرط أصيل للأولى: ﴿وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم وإياى فارهبون﴾ ﴿٢: ٤٠﴾ و ﴿عهدى﴾ هو عهد العبادة ﴿الم أعهد إليكم يا بنى آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين. وأن اعبدونى هذا صراط مستقيم﴾ ﴿٣٦: ٦١﴾ و ﴿عهدكم﴾ هو الإستجابة! ﴿فـ لو وفيتم لله لوفى لكم﴾^٢ وكما أن دعاء العبادة عبادة، كذلك الدعاء هو العبادة^٣ بل هى مخ العبادة، وكما الإستكبار عن عبادته كفر، كذلك الإستكبار عن دعائه فإنه مخ الكفر، وعلّ ﴿عبادتى﴾ تعني دعاء الإستدعاء كأصل بعد دعاء العبادة، وكأنها هى العبادة لا سواه، فإن حقيقة الدعاء هى حقيقة التعلق بالله والزلقى إلى الله وهى حصيلة العبادة، فهى – إذا – مخ العبادة ﴿يا رب سميت دعاءك عبادة وتركه إستكباراً وتوعدت على تركه دخول جهنم داخرين﴾^٤: صاغرین، ﴿فلا أحصى ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك﴾.

١ . الدر المنثور ٥ : ٣٥٥ باسناد عن النعمان بن بشير قال قال رسول الله³ الدعاء تلو العبادة ثم قرء ﴿وقال ربكم...﴾ هل تدرون ما عبادة الله؟ قلنا: الله ورسوله أعلم قال: هو اخلاص الله مما سواه .

٢ . نورالثقلين ٤ : ٥٢٧ القمى حدثني ابي عن محمد بن ابي عمير عن جميل عن ابي عبد الله قال له رجل: جعلت فداك ان الله يقول: ادعوني استجب لكم ﴿وانا ندعو فلا يمستجاب لنا؟ قال: لأنكم لا توفون بعهده وان الله يقول: اوفوا بعهدى اوف بعهدكم﴾..

٣ . المصدر اخرج ابن مردويه والخطيب عن البراء ان رسول الله³ قال: ان الدعاء هو العبادة وقرأ ﴿وقال ربكم...﴾.

٤ . المصدر من ادعية الصحيفة السجادية وقلت ﴿ادعوني...﴾ فسميت...

وكما أن الدعاء تلو العباداة، كذلك العباداة والدعاء تلو المعرفة^١ وكما تلمح له ❁ إذا دعان ❁.

❁ ادعوني ❁ في دعاء الإستدعاء هنا ركن لمكان ❁ أستجب ❁ ولكنها تستصحب شرطها الأصيل: دعاء العباداة، ثم تتلوها ❁ عبادتي ❁ أنها دعاء الإستدعاء والإفتقار، فالأخرس عن هذه الدعاء علي حاجته علي أية حال، ناكر لفقره وافتقاره إليه، وكافر بغناه تعالي.

وهل تعني ❁ ادعوني ❁ بلسان القال؟ وكثيرون يدعون ولا يستجاب لهم، وقليل يدعون بلسان الحال وهم مستجاب لهم! أم تعني لسان الحال دون قال؟ والمقربون من عباد الله يدعونه بمقال مع حال!

أم تعني لسان الحال ويبرزه المقال والأعمال، فالعناية إلي مثلث الدعاء كأكمل درجات الدعاء، وهو الذي يضمن الإستجابة؟ وقد تعنيه آية البقرة ❁ فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان.. ❁ (١٨٦) فإن ❁ دعان ❁ بعد ❁ دعوة الداع ❁ لايعني تكرار الدعاء، بل هو حقيقة الدعاء دونما شائبة، ظاهرة ناطقة عن الباطنة بلسان العمل و القال.

وإذا كانت الإستجابة مضمونة بعد الدعاء فما لنا - في الأكثر - لا يستجاب لنا؟

❁ استجب لكم ❁ و ❁ اجيب دعوة الداع ❁ - وهما من وعده الصدق - لا يتحققان إلا علي شروطه وفي زمنه الصالح، فإذا توفرت الشروط في دعائك فالإستجابة كائنة علي أية حال، في حال أم استقبال - هنا أم في البرزخ أو الأخرى وهي أحرى - وقد ❁ يعنى المؤمن أنه لم يستجب له دعوة في الدنيا مما يري من حسن الثواب^٢ ولكنك قد تدعوا غير صالحك، فالله

١ . المصدر ١٠٤ في كتاب التوحيد باسناده الي موسي بن جعفر X قال: قال قوم للصادق X ندعوه فلا يستجاب لنا؟ قال: لأنكم تدعون من لا تعرفونه.

٢ . نورالثقلين ٤ : ٥٣١ عن ابي عبدالله X.

أجل أن يغرك بجهلك صالحك عن طالحك، وقد يعوّضك صالحاً بدل ما دعوت من غير صالح وأنت لا تدري.

وقد تدعوا وأنت غير صالح للإستجابة، فكيف ترجوا الإجابة؟

وقد تدعو ربك فيما خوّله إليك أو ألزمه عليك، وليس الدعاء إلاّ فيما لاتستطيع أم لا تكفيه!

وعلي أية حال ليس عدم الإجابة إلاّ لنقص فيك أو في دعائك أم هي مستقبلة قريبة أم غريبة، في دنياك أم أخراك، فثق بما وعدك ربك واتّهم نفسك في غير إجابة، أو انتظر مستقبلاً فيه الإجابة.

خلف الوعد من خلفيات الجهل أو العجز أو البخل أو الخوف أمّا إذا من نقص في الواعد يقتضى نقضاً في وعده، وكل ذلك بعيد عن ساحته تعالي مستحيل، فإذا لا تستجاب عوتك ففتش نقصاً فيك أو نقضاً في شروط الدعاء.

من الحاجيات ما يعطيها ربنا دون دعاء، ومنها ما يعطيها بدعاء فإنها شرط الإعطاء، ليس لأن الله بحاجة إلي أن يدعي ليعلم عن جهل أو يحظوا حظوة الإستدعاء، وإنما حظوة القرب للعبد، وليعلم أنه بحاجة دائبة إلي الله، فيعيش الإفتقار إليه في أحواله كلها، بقلبه ولسانه وكافة وجهاته فادع ولا تقل قد فرغ

١ . نورالثقلين ٤ : ٥٢٧ ح ٧٤ في كتاب الاحتجاج للطبرسي عن ابي عبدالله X حديث طويل وفيه قال السائل: الست تقول يقول الله تعالي: ادعوني استجب لكم ﴿١﴾ وقد نري المضطر يدعوه فلا يجاب له، والمطيع يستنصره علي عدوه فلا ينصره؟ قال: ويحك ما كان يدعوه احد الا استجاب له اما الظالم فدعاؤه مردود الي ان يتوب اليه، واما المحق فانه اذا دعاه استجاب له وصرف عنه البلاء من حيث لا يعلم او ادخر له ثواباً جزيلاً ليوم حاجته اليه وان لم يكن الامر الذي سأل العبد خيراً له إن اعطاه امسك عنه والمؤمن العارف بالله ربما عز عليه ان يدعوه فيما لا يدري اصواب ذلك ام خطأ.

من الأمر فإن الدعاء هو العبادة ❶. أدع ربك علي كل حال، واطلب منه ما تحتاجه غير مصر ولا جازم عله لا يصلح لك وأنت جاهل، وحتى إذا كان من صالحك و لا تستجاب فإن نفس الدعاء عبادة لا تضاحي، كيف وربك يدعوك لدعاءه ويعدك الاستجابة! و❷ من أعطى الدعاء لم يُحرم الإجابة ❷ وعطاء الدعاء هو حالها واستعدادها بشرائها.

وللدعاء شروط عدة هي العدة للإستجابة، منها الوفاء بعهد الله العبادة، ومنها حالة التضرع والخفية: ❸ أدعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين ❸ (٥٥:٧) ومنها ترك الإصرار الجازم عله لا يصلح له فـ ❹ عسي أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم... ❹ ومن ❺ الذنوب التي ترد الدعاء سوء النية وخبث السريرة والنفاق مع الإخوان وترك التصديق بالإجابة وتأخير الصلوات المفروضات حتي تذهب أوقاتها وترك التقرب إلي الله عزوجل بالبر والصدقة واستعمال البذاء والفحش في القول ❻.

ان هناك أموراً تتقدر فتقضي بحولك وقوتك، وأمور أخرى لا تطيقها وقد أمرت فيها بدعاء ربك، فلا تقل ❻ قد فرغ من الأمر ❻ فإنه قول اليهود فكيف قال: ❼ أدعوني أستجب لكم ❼؟

١ . المصدر ح ٨٣ القمي عن ابيه عن حماد بن عيسى عن ابي عبدالله X قال سمعته يقول: ادع... ان الله عزوجل يقول: ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين.

٢ . نهج البلاغة عن الإمام علي X مستشهداً بالآية .

٣ . المصدر ح ١٠٦ في كتاب معاني الاخبار باسناده الي ابي خالد الكابلي قال سمعت زين العابدين علي بن الحسين X يقول: الذنوب التي ترد الدعاء... .

٤ . المصدر ح ٩٦ في عيون الاخبار في باب مجلس الرضا X مع سليمان المروزي حديث طويل وفيه قال الرضا X : يا جاهل! فاذا علم الشيء فقد اراده، قال سليمان: اجل، قال: فاذا لم يرده لم يعلمه؟ قال سليمان: اجل، قال: من اين قلت ذلك وما الدليل علي ان ارادته علمه؟ وقد يعلم ما لا يريد ابدأ و ذلك قوله تعالى: ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا



❖ و عِبَادُ الرَّحْمَنِ ❖ ...

هنا مواصفات لعباد الرحمن، إيجابيات سبع و سلبيات خمس، عدد الشهور، كأنها تجمع أعمال السنة:

❖ و عِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ❖ (٢٥:٤٢)

والهون ضمناً مذموم، وهو التذلل من جهة متسلط مستخف به ❖ فالיום تجزون عذاب الهون ❖ وهو بالفتح تذلل في قرارة النفس تخضعاً لله وتواضعاً لعباد الله دون غضاضة ورضاضة، وهذا من مييزات عباد الرحمن وذلك لعباد الشيطان.

والمشي على الأرض هو الحياة الأرضية مشياً أم دون مشى، قياماً أو قعوداً، ولان المشى هو الأصل البارز في حراك الحياة، لذلك ❖ يمشون ❖ دون سواه، وكما القيام يعم كل حراك في الحياة.

ويقابلهم عباد الشيطان الذين يسطون - وحتى - علي الرحمن، في قولتهم الخواء ❖ وما الرحمن؟! ❖

هؤلاء الأكارم يتبنون حياتهم هوناً مع الله ومع عباد الله التقاة، وأما مع الطغاة فلا هون؛ وأكثر تقديره ❖ سلاماً ❖ دون هون ولا استكبار، ثم التكبر مع المتكبر عبادة. فلأنهم عباد الرحمن فهم جيلتهم التواضع، فالماشي هوناً ❖ هو الرجل يمشى بسجيته التي جبل عليها ولا يتكلف ولا يتبختر ❖.



اليك ❖ فهو يعلم كيف يذهب به ولا يذهب به ابداً، قال سليمان: لأنه قد فرغ من الامر فليس يزيد فيه شيئاً قال الرضا X هذا قول اليهود فكيف قال: ادعوني استجب لكم قال سليمان: إنما عني بذلك انه قادر عليه، قال: أفيعد ما لا يفى به فكيف قال: يزيد في الخلق ما يشاء، وقال عز وجل: يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب ❖ وقد فرغ من الأمر؟ فلم يجر جواباً. ٦ . تفسير البرهان ٣ : ١٧٣ الطبرسي في الآية قال قال ابو عبدالله X: ..

فلا يعنى ❊ هوناً ❊ أنهم يمشون متماوتين
أذلاء منكسى الرؤوس، متهاوى البنيان، فهذا
رسول الله أفضل عباد الرحمن كان أوقر الناس
وأحسنهم وأسكنهم مشياً ❊ كأن الشمس تجرى فى
وجهه ❊ و ❊ كأنما الأرض تطوي له ❊^١ ❊ إذا مشى
تكفاً تكفياً كأنما ينحط من صَبَبٍ ❊^٢ ارتفاعاً
من الأرض بجملته كحال المنحط من الصبب وهى
مشية أولى العزم والهمة والشجاعة.

يمشون على الأرض سهلة هينة لينّة، دون مَرَح
أو تَرَح أو جبروت وخيلاء ولا تنفج ولا تصعير
خد أو تخلع أو ترهل، فالنفس الزكية السوية
المطمئنة تخلع من صفاتها على مشية صاحبها
فى الحياة الأرضية بكل حركاتها وسكناتها،
بكل وقار وطمأنينة وسكينة.

إنهم هون حتى مع الجاهلين، دون المتعنديين
المستكبرين، فهناك هم ❊ أشداء على
الكفار ❊.

❊ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ❊ (٦٣)

فالمخاطبة الجاهلة لاتبعثهم لجراك فى عراق
مع الجاهلين، والإشتباك مع السفهاء
والحمقى، ترفعا عن المهاترة، لا عن ضعف أو
خوف لمقابلة بمثل، وإنما صيانة للوقت،
واستعلاءً على الموقف، وتزكية لنفوس جاهلة
بمقابلة ❊ سلاماً ❊ عليها ترجع عن غيرها.

وليس ❊ قالوا سلاماً ❊ - فقط - قولهم: سلاماً،
فقد يرجع ذلك القول إلى تحريض لهم أكثر،
كمن هم عارفون ببعض الشيء هذه الآية، فإذا
قلت سلاماً انبروا: أنت تعتبرنا من الجاهلين
فى قولك سلاماً؟

وإنما ❊ سلاماً ❊ هو قول يجعلهم فى سلم عن

١ . زاد المعاد فى هدى خير العباد لشمس الدين أبى
عبدالله محمد ابن قيم الجوزية عن أبى هريرة: ما رأيت
شيئاً أحسن من رسول الله³ كأن الشمس تجرى فى وجهه وما
رأيت أحداً أسرع فى مشيته من رسول الله³ كأنما الأرض
تطوي له وأنا لنجهد أنفسنا وأنه لغير مكترث.

٢ . المصدر عن على بن أبى طالب X كان رسول الله³ إذا
مشى ..

جهالتهم، تنازلاً عن غلوائهم، وذلك القول السلام يختلف بمختلف الحالات والطويات. ومن ناحية الأدب اللفظي ليس سلاماً مفعولاً لـ ﴿قالوا﴾ بل هو وصف لمفعول كـ قولاً، قالوا: قولاً سلاماً، ومنه السلام عليكم، ومنه سواه كما يناسب معالجة الموقف الجاهل والمتجاهل.

هذه مشيتهم فى وضح النهار، وأما هم فى ظلم الليل:

﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ (٢٥:٦٤)

إن حراكمهم فى جنح الليل والناس نيام هى حركات السجدة والقيام، وهما تعبيران عن التهجد وسائر القيام فى ظلم الليل. وهنا ﴿لربهم﴾ تزيل وصمة الرئاء، وكل سمة غير ربانية هى فى الحق وصمة البيتوتة، وإنما هى ﴿لربهم﴾ لربوبيته لهم، وأن السجود والقيام يربيانهم ويقربانهم إلى ربهم زلفي.

إنهم يقومون عن نومة مُلِدَّة مريحة لألذ منها وأريح روحياً، فما ألد ذكراك فى ظلم الليل يا رب، وحين نضع لك خدودنا على التراب يا رب، وحين نبكى لفراقك بذنوبنا يا رب، فما ألد ذكراك، وما أعز دعواك؟

٤ - ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ (٦٥)

﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ (٢٥:٦٦)

﴿يقولون﴾ فى قيامهم وعودهم وسجودهم ليل نهار ﴿ربنا﴾ وما ألد نداءً وما أعزه لنا أن يسمح لنا بالقول الدعاء: ﴿ربنا﴾ وهم على ما هم عليه من عبادة وارتياضة لربهم يتخوفون من عذاب جهنم، ولا يحتمون لهم على الله الجنة: ﴿ربنا اصرف عنا عذاب جهنم﴾ هنا فى الأولي صرفاً عن أقوال وأعمال وأفكار ونيات جهنمية، وهناك فى الأخرى عما نستحقه من عذاب بما اقترفناه بما نتوب إليك فى الأولي، أو يشفع لنا أهلوها. فمهما تعذبنا فى الأولي أذيات وحرمانات فى

سبيلك ﴿ربنا﴾ فهي ملذات في هذه السبيل،
وليست غراماً لزاماً، وأما جهنم الغضب
العذاب فـ ﴿إن عذابها كان غراماً﴾ :
لزاماً، فجحيم الدنيا في أعمالها الجهنمية
لزام إن لم تعف عنا ﴿ربنا﴾! وجحيم الآخري
لزام إن لم تصرفه عنا ﴿ربنا﴾! فصرفاً صرفاً
﴿ربنا﴾! إن عذابها كان غراماً. إنها ساءت
مستقراً ومقاماً!

٥ - ﴿والَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ

قَوَامًا﴾ (٢٥:٦٧)

إنهم حياتهم قوام في كل قعود وقيام، دون
إفراط أو تفريط، وإنما عوان بين ذلك قوام،
ونموذجاً لذلك القوام موقفهم في إنفاقهم في
سبيل الله، مالاً أو حالاً، نفساً أو نفيساً، اللهم
إلا فيما القوام يتطلب استئصالاً كما القتال
في سبيل الله.

إن القوام الوسط العفو هو أدب الإنفاق
ودأبه الدائب لعباد الرحمن ﴿يسألونك ماذا
ينفقون قل العفو﴾ (٢:٢١٩) وهو الزائد عن
حاجيات الحياة غير المسرفة ولا المبذرة ولا
المكتنزة، اللهم إلا في حالات استثنائية
تتطلب إنفاقاً أكثر، كتبصرات علي قانون
العفو، فـ ﴿لا تجعل يدك مغلولة إلي عنقك ولا
تبسطها كل البسط فتتعد ملوماً محسوراً﴾
(١٧:٢٩) فلا إسراف في الإنفاق، أن ينفق حتي
من ضروريات حياته المنزلية، أن يجعل أهله
جوعاً أم مضيعين وهو ينفق نفقتهم في سبيل
الله! ولا قترأ أن يبخل بإنفاق الزائد عن
حاجياته ﴿وكان بين ذلك قواماً﴾ وهو ما
يقوم به الشيء، قواماً لحياته، وقواماً
لحياة المحاويج، دون أن تهديم لحياة
وإقامة لأخري.

وذلك الإنفاق يعم الإنفاق علي نفسه وأهله
وسواهم، فمثلث الإنفاق لعباد الرحمن قوام

خارج عن الإفراط والتفريط.^١
ومثلاً لطيفاً للقوام ما يخرج من بين الأصابع
ويدقى فى الراحة منه شيء^٢، فإنه راحة
لصاحب الراحة وللمن يخرج لهم من بين
اصابعه.

٦ - ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ (٦٨)

وهذا هو التوحيد فكيف تأخر عن لزاماته؟
عنه خالص التوحيد، تخلصاً عن الرثاء
والسمعة فى الإنفاق وفى سائر العباداة،
فالتوحيد هو الأساس لـ ﴿عباد الرحمن﴾ وهو
مفرق الطريق بين كل صالح وطالح، عقيدة
وعملاً وإيماناً.

٧ - ﴿وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ (٦٨)

وهذا مفرق الطريق بين الحياة الآمنة
المطمئنة، التى تحترم الحق، والنفوس
المحترقة المحترمة، وحياة الفوضى التى لا
أمن فيها ولا فلاح.

٨ - ﴿وَلَا يَزْنُونَ﴾ (٦٨)

ومن غُضالة هذه الفاحشة الكبيرة قرنها
بقتل النفس وبالإشراك بالله^٣ ومن يفعل ذلك
يلق أثاماً^٤ (٢٥: ٦٦)
وذلك^٥ هنا هو المحرمات الرئيسية

١ . تفسير البرهان ٣ : ١٧٣ - الكينى عن عدة من
اصحابنا عن أحمد بن أبى عبد الله عن محمد بن عمر و
عن عبد الله بن ابان قال سألت ابا الحسن X عن النفقة
علي العيال فقال: ﴿ما بين المكروهين الاسراف
والاقتار﴾ أقول: وهو استفادة لطيفة من آية
القوام .

٢ . تفسير البرهان ٣ : ١٧٣ - الكلينى بسنده
المتصل عن عبد الملك بن عمرو الأحول قال: تلا ابو
عبدالله X هذه الآية ﴿آية القوام﴾ فاخذ قبضة من حصي
وقبضها بيده فقال: هذا الاقتار الذى ذكره الله فى
كتابه ثم قبض قبضة اخرى فأرخى كفه كلها ثم قال:
هذا الاسراف، ثم قبض قبضة اخرى فأرخى بعضها وقال:
هذا القوام .

الثلاث: ❀ الإِشْرَاقُ بِاللَّهِ - قَتْلُ النَفْسِ وَ الزِنَاءُ^١ والأثام هو وبال الأمر، ❀ يَلْقَى أَثَاماً❀ يوم الدنيا قليلاً وفي الأخرى كثيراً، وبذلك يفسر ❀ يضاعف له العذاب يوم القيامة❀ فإنها ليست مضاعفة علي الإستحقاق، وإنما هي علي ما يلقيه يوم الدنيا، جزاءً وفاقياً ولا يظلمون نقيراً❀ ويُخْلَدُ فِيهِ مَهَاناً❀ أبداً وغير أبدي حسب دركات العصيان، مهما تكون عاقبه أمره في النار الموت والنبوار، حيث لا تبقي نار ولا أهل نار، جزاءً العصيان المحدد بعقوبة محددة.

❀ إِلَّا مَنْ تَابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَ كَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٧٠) وَ مَنْ تَابَ وَ عَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ

مَتَابًا❀ (٧١:٢٥)

❀ إلا من تاب❀ إلى الله مما اقترف مهما كان شركاً وسواه❀ و آمن❀ بعد ما كفر إيماناً أو عملاً صالحاً❀ و عمل صالحاً❀ يُجْبِرُ طَالِحَهُ❀ فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات❀ لا فحسب أنه يغفر لهم فلا حسنات ولا سيئات، فكما هم بدلوا سيئاتهم حسنات كذلك الله يبدل سيئاتهم حسنات، فسيئة إشراكهم بحسنة التوحيد، و قتلهم النفس بحسنة قتال المشركين، وزناهم بحسنة حلّ الزكاح، بل وسيئات أخرى هي من اللطم: ❀ إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلاً كريماً❀.

فالحسنات الكبيرة كفارة عن الحسنات الصغيرة المتروكة، وترك السيئات الكبيرة كفارة عن الصغيرة، وهكذا تُبدل السيئات بالحسنات، دون فوضى جزاف، فهنا سيئاتهم هي الكبائر، وحسناتهم هي التوبة عن الكبائر

١ . الدر المنثور ٥ : ٧٨ - اخرج ابن مردويه عن ابن مسعود قال: سألت رسول الله³ أي الأعمال أفضل.. وسألته أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: الشرك بالله قلت ثم أي قال: ان تقتل ولدك ان يطعم معك فما لبثنا إلا يسيراً حتى انزل الله❀ والذين لا يدعون...❀.

بشروطها، والتبديل هنا أنه تعالى يقبل توحيدهم بعد الشرك فقد بدله به، وقتلهم النفس التي حرم الله، فقد بدلهم بقتال المشركين، وزناهم وقد بدلها الله بنكاح. ونص الآية ﴿يبدل الله سيئاتهم حسنات﴾ لا بحسنات ﴿فسيئاتهم هي التي تبديل حسنات مكانها كما بيننا، لا أن الله يكتب بدل سيئاتهم السابقة حسنات وهم لم يعملوها حتي تصدق الرواية المختلقة الزور: ﴿يتمني العبد أن سيئاته كانت أكثر مما هي﴾^١. وبصيغة اخري، الكفر هو مبدأ السيئات، والتوحيد هو مبدأ الحسنات، فلما بدل الشرك توحيداً، فقد بدل مبدأ السيئة حسنة، ثم تتواتر الحسنات كانها اتوماتيكية علي اثر الايمان الصالح والتوبة النصوح. ولماذا ﴿يبدل الله﴾ وصاحب السيئة هو الذي بدل؟ لان الله هو الذي يقبل توبته، وهو الذي يقر في قلبه التوحيد، وهو الذي يوفقه لحسنات علي غرار التوحيد.

٩ - ١٠ ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ (٧٢:٢٥)

الزُّور فتحاً هو الميل من حق إلي باطل أم من باطل إلي حق، أم من حق إلي حق، أم من باطل إلي باطل، ومنه الزيارة والتزاور في هذا المربع، والزور ضمناً هو الميل عن حق إلي باطل، تصويراً للحق بصورة الباطل، او الباطل بصورة الحق، فمنه الكذب والبهت

١ . الدر المنثور ٥ : ٨٠ - اخرج عبد بن حميد عن عمرو بن ميمون في الآية قال: حتي يتمني . وقد رد عليه ما اخرج عبد بن حميد عن ابي العالية انه قيل له: ان اناساً يزعمون انهم يتمنون ان يستكثروا من الذنوب قال ولم ذاك قال: يتأولون هذه الآية يبدل الله سيئاتهم حسنات، فقيال ابو العالية وكان اذا اخبر بما لا يعلم قال: امنت بما انزل الله من كتاب ثم تلا هذه الآية: يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امداً بعيداً ﴿٢٥﴾ .

والفريية، ومنه الذهور ومنه شهادة الزور ❀ والذين لا يشهدون الزور ❀ حضوراً له مهما لم يشاركوا فيه، وحضوراً لشهادة الزور مهما لم يشهدوا، وحضوراً لكي يشهدوا الزور، كل ذلك منفي بـ ❀ لا يشهدون الزور ❀ حيث الكل محرمات ولكنها دون الثلاث السابقة ❀ وإذا مروا باللغو ❀ وهو كل ما لا يعني ❀ مروا كراماً ❀ ولا يشهدون ولا يشاركون، فلد المؤمن ما يشغله عن اللغو والهذر والتبذر، وليس لديه من الفراغ والبطالة ما يدفعه إلى اللغو الفارغ.

١١ - ❀ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ❀ (٧٣:٢٥)

فهم عند ذكر آيات ربهم، لا يصمون عن قوارع النذر، ولا يعشون عن مواقع العبد، متطلعين إلى نور وهدى، رغم غيرهم حيث يخرون على آيات ربهم صماً لا يسمعون، وعمياناً لا يبصرون، آيات سمعية وبصرية كالقرآن، أم سمعية أو بصرية كسائر الآيات آفاقية وأنفسية، مسموعة لا تبصر، أم مبصرة لا تسمع، أم تسمع وتبصر.

١٢ - ❀ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا

لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ❀ (٧٤:٢٥)

هنا بعدما اكتملت في هذه الأدعية كل شروط الإيمان بحبل من الله وحبل من الناس، في رئيسية الإيجابيات والسلبيات، نري ❀ عباد الرحمن ❀ يطلبون من الرحمن قمة الإيمان وهي الإمامة للمتقين، وما لم يصل العبد إلى قمة التقوي لا يحق له تطلب: ❀ واجعلنا للمتقين إماماً ❀.

أجل - ولأن لكل حال مقال، ولكل دعاء مجال، فلنختص هذه الدعاء بمن تخطي كافة درجات الإيمان، حتي يحتل الإمامة للمتقين ككل، كما

١ . تفسير البرهان ٣ : ١٧٦ - الكليني بسند متصل عن ابي عبدالله X في الآية قال: الغناء .

الرسول الاعظم³ فانه إمام المتقين علي الإطلاق، من الملائكة والجنة والناس أجمعين، من نبيين وأئمة طول الزمان وعرض المكان. ومن ثم الطاهرون المعصومون من عترته، فاطمة الصديقة والأئمة الإثني عشر^٢ فى مرحلة ثانية من إمامة المتقين، ثم العلماء الربانيون فى كل عصر ومصر، وبطبيعة الحال المتقين^٣ فى كل مجال من هذه المجالات تقدر بقدرها سعة وضيقاً، إلا الإمامة المطلقة غير المحدودة كما للرسول³.

وتري هؤلاء الرجال الأتقون لهم إمامة المتقين، فهل النساء كالصديقة الطاهرة (عليها السلام) لها إمامة المتقين كما لهم؟

لأن الإمامة هنا هى إمامة التقوي، أن يصبح الإمام أسوة للتقوي، سواء أكان نبياً أو وصياً أم اى أسوة للتقوي، فهذه الدعاء – إذا – تشملها، وهى فى قمتها بعد الرسول³ مع الأئمة من آل الرسول (عليهم السلام).

أتري فى هذه الدعاء أثراً من أثره وكبرياء، فى أية مرحلة من مراحل إمامة التقوي؟ كلاً! وإنما هى تسابق فى الخيرات، وتزايد فى الدرجات، ففى سباق الخيرات بدرجاتها ليس لعباد الرحمن الإقتصار بأصل التقوي، بل وقمتها التى هى بطبيعة الحال

١ . تفسير البرهان ٣ : ١٧٧ محمد بن العباس بسند عن ابي سعيد الخدرى فى الآية قال رسول الله³ لجبرئيل: من أزواجنا؟ قال: خديجة، قال: ذرياتنا؟ قال: فاطمة، قال: قررة ا عين؟ قال: الحسن والحسين، واجعلنا للمتقين إماماً^٣ قال: اميرالمؤمنين، اقول هذه انتقاله لطيفة من امامة الرسول³ الي امامة اميرالمؤمنين حيث المذكورون دليل علي امامة الرسول³.

٢ . المصدر القمى بسند متصل عن ابان بن تغلب قال سألت ابا عبدالله^X عن الآية قال: هم نحن اهل البيت، وعن ابي الجارود عن ابي جعفر^X فى الآية – اى هداة يهتدي بنا وهذه لآل محمد (عليهم السلام) خاصة، و عن ابي بصير عن ابي عبدالله^X مثله.

أسوة وإمامة لما دونها ممن دونهم، كل كما يأهل ❊ وأن ليس للانسان إلا ما سعى❊ . فالسماح لهكذا دعاء لا يختص بذروة التقوي، بل يعم كل السالكين في سبيل التقوي، أن يجعلهم الله فيها لحد الإمامة لسائر المتقين، الذين قَصُرُوا عن القمة ام قَصُرُوا .

ميدان فسيح، ومسرح فصيح لسباق التقوي ❊ وسابقوا إلي مغفرة من ربكم❊ دون بخل وضيئة بسائر السالكين إلي الله، وإنما تناصر في هذه السبيل أئمة او مأمومين، فلا يؤم المتقين من يأهل إلا تكملة لسلوكهم، ولا يأتون بإمام لهم إلا تكملة لسلوكهم، فالركب كله في سبيل الله مهما كانوا درجات حسب القابليات والفاعليات.

ولماذا ❊ إماماً❊ واحداً وهم عدة؟ علّه لأن امامة المتقين واحدة الجذور، كما المأمومين أمة واحدة: ❊ وان هذه أمتكم أمة واحدة❊ (٥٢:٢٣) مهما كان الأئمة عدة .

ثم وإشارة قاصدة إلي ضرورة وحدة الإمامة المطلقة في كل عصر دون منازع، مهما كان معه أئمة فروع يأتون به، هم أئمة لسواهم، ف❊ فوق كل ذي علم عليم❊! لذلك نري الرسولين موسي و هارون في صيغة مفردة: ❊ إنا رسول رب العالمين❊ .

نري في هذه الدعاء ❊ أزواجنا و ذرياتنا❊ دون سواهم من الأقرباء والأنسياء، مما يدل علي مدي فرض المحبة والحنان أولاً للأزواج، ومن ثم ذرياتهم .

ولأن هذه الدعاء لاتختص من عباد الرحمن – فقط – قبيل الرجال، وأن الزوج تشمل الزوجين ف❊ أزواجنا❊ تعم قبيلي الأزواج: بعولة وزوجات، بل وتعم أزواج التقي وهم قرناء التقوي، وكما ❊ ذرياتنا❊ تعم ذريات الإيمان .

فأئمة التقوي يؤمون قرناءهم الأتباع، وذرياتهم الأتباع، فالأزواج هم الأولون والذريات هم الآخرون .

و ﴿من﴾ تُخرج الدعاء عن إستحالة الإجابة، فليس كل الأزواج والذريات نسبياً وسببياً ممن يأهل ان يكون قررة أعين التقوي، فهى إذا تبعيضية، كما وهى نشوية او سببية أن تحصل لنا من ناحيتهم وبسببهم قررة أعين، وما أجملها جمعاً لهذه الثلاث!

و ﴿قررة أعين﴾ تعني القررة الغرة فى مسرح التقوي، وهى من ﴿القر﴾ : البرد - مقابل الساخن، فالعين الساخنة هى الباكية، الحاكية عن كآبة، ولا تبكى عين التقوي إلا على الطغوي فى ﴿أزواجنا وذرياتنا﴾! والعين القررة هى الباردة عن حرّ البكاء، القريرة الغريرة الفرحة على ما تري من تقوي ﴿أزواجنا وذرياتنا﴾!

وذلك شعور فطرى وفى موقف الإمامة ومسؤولية القيادة الإيمانية، أن يتطلب الإمام ويعمل ويسعى لبثّ القررة الغرة بين المؤتمين به. و ﴿أعين﴾ منكرة دون ﴿الأعين﴾ لأنها تقصد أعينهم كمتقين لا كل الأعين الشاملة للطاغين، ويؤيده قلة الجمع فى ﴿أعين﴾ دون ﴿عيون﴾ وهى جمع الكثرة، فان أعين المتقين هى القلة.

﴿أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحيةً وسلاماً﴾ (٢٥:٧٥)

﴿خالدين فيها حسنت مستقراً ومقاماً﴾ (٧٦)

﴿اولئك﴾ المتقين، ائمة ومأمومين، بأزواجهم و ذرياتهم القررة أعين ﴿يجزون الغرفة بما صبروا...﴾.

هنا الصبر يُعتبر كقمة وأساس لبنود التقوي الإثنى عشر، فإنه صبر على الطاعة و صبر عن المعصية فيشملها كلها، واما ﴿الغرفة﴾ بين نعيم الجنة فما هى؟ وما هو موقفها بينها حتى تختص بالذكر من بينها؟

﴿الغرفة﴾ هى الفعلة من العرف: رفع الشيء وتناوله، كما فى غرفة الماء ﴿الآ من اغترف غرفة بيده﴾ (٢: ٢٤٩) فالغرفة هى العلية، وهى هنا فى الجنة، علية فى جناب الذعيم

والرضوان، الشاملة لكل نعيم الجنة روحية ومادية أمّاهيه.

ومن ﴿الغرفة﴾ - ﴿ويلقون فيها تحية وسلاماً﴾ : عليّة روحية فى خضمّ النعيم ﴿تحية﴾ دعاءً وتبشيراً بخلودهم فى حياة الجنة ﴿وسلاماً﴾ كلاماً وغير كلام، فإنهم هناك فى دار السلام ﴿خالدين فيها حسنت مستقراً﴾ عطاءً غير مجذوذ، فإن جذاذ العطاء ليس حسناً كما يحق ﴿ومُقَاماً﴾ قياماً وزمانه ومكانه ومفعوله^١.

ومن الطريف الظريف أن هذه الدعاء وتلك الإجابة تاتى بعد واقع الصفات الإحدى عشر لعباد الرحمن، مما يشير إلى أن ظرف الدعاء هو مسير العبودية الصالحة بكل جدّ وسعى جادّ، فليست الدعاء شغل البطالين بل هى زاد السالكين براحلة العبودية الصامدة. كما ويشير إلى أن الدعاء هى من العبادة، بل فى قمتها حيث تتأخر عن سائر العبادة وكما يروي ﴿الدعاء مخ العبادة﴾ فمن يترك الدعاء فقد ترك مخ العبادة .. فقد كذبتكم فسوف يكون لزاماً!

﴿قُلْ مَا يَعْبُوا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ (٧٧:٢٥)

الإعباء هو الإعتناء لثقل ووزان فى المعتنى به، ف ﴿قل﴾ لهم أجمعين ﴿ما يعبؤ بكم ربى﴾ اعتنائاً بكم واعتباراً لكم ﴿لولا دعاءكم﴾ و ﴿ما﴾ نافية واستفهامية إنكارية ﴿لا يعبأ﴾ او ﴿لماذا يعبأ﴾؟ وهما معاً معنيان حيث هما معنيان متناسبان.

ثم ﴿دعاءكم﴾ قد يعنى دعاء ربكم إياكم، من إضافة المصدر إلى المفعول، فلولا أنه دعاكم لهداه بما دعي، وهداكم إياه بما هدى، لم يكن - إذاً - لكم عبءٌ وثقل بمجرد أنكم إنسان، فهذه الدعوة الربانية، ولا سيما المحمدية ﴿ربى﴾ هى التى يُعبئكم

١ . فإنه يستعمل فى مربع المعنى من الثلاثى المزيد.

فيعتنى بكم ربي، ثم ❀ فقد كذبتم ❀ يخص من ترك دعاءه في هداه .

أو يعنى دعاءكم إياه من إضافة المصدر إلي الفاعل، سواءً دعاء العبادة، أم دعاء الدعاء الإلتماس والدعوة، فلولا عبادتكم إياه ف❀ ما يعبؤ بكم..❀ ثم ولأن الدعاء هي مخ العبادة فلولاها، ❀ ما يعبؤ بكم ربي❀ .

و❀ لولا دعاءكم❀ عبادة أو دعاء❀ فقد كذبتم❀ بربوبيته تركاً لعبادته، و❀ كذبتم❀ بفقركم وغناه تركاً لدعائه، ❀ فسوف يكون❀ ذلك التكذيب ايّاً كان - ❀ لزاماً❀ لكن لا يفارقكم، وهو منذ الآن لزام، ولكنه غير ظاهر إلا لأهله، أو أنه قد ينفصل بتوبة ودعاء، ولكنه منذ الموت حتي القيامة وفيها لزام لكم دون فراق.

وفي الحق إن معرفة الرب بالغني المطلقة وهو يدعونا للدعاء: ❀ أدعوني أستجب لكم❀ ومعرفة النفس بالفاقة المطلقة، لزامها الدعاء عبادةً ودعاءً، فتارك الدعاء مكذب بفاقته بجنب الله، ومكذب بوعدده الإستجابة في الدعاء، ومكذب بغناه تعالي، فهو - إذاً - يعيش ثلوث التكذيب بجنب الله ❀ فقد كذبتم فسوف يكون لزاماً❀ !

❀ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْهُ

عباد(١٧)

الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ

أُولُوا الْأَبَابِ❀(١٨)

الطغيان هو تجاوز الحد في العصيان، والطاغوت مبالغة الطاغى فهو المبالغ في الطغيان، فهو الطاغى علي عباد الله و علي الله، حيث يستضعف عباد الله، و يستكبر علي الله إلحاداً في الله أو إشراكاً بالله، أو مساماةً و مساواة لله، أم ترفعاً علي الله إذ يدعى أنه إله من دون الله: ❀ أنا ربكم الاعلي❀ فكل طاغوت علي

دركاتهم، ولأن الطاغوت صيغة مبالغة فاللام فيه تعزى الموصول وهو صلته فيشترك فيه المفرد والجمع: الذى يطغى والذين يطغون، وقد استعمل هنا جمعاً لمكان ﴿ها﴾ وكما فى غيرها: ﴿والذين كفروا أوليائهم الطاغوت...﴾ كما استعمل مفرداً: ﴿يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به﴾ (٤: ٦٠)

ومن الغريب القريب تساوى العدد بين الطاغوت والمستضعف، ثمانية بثمانية، مما يلمح بأن لكل مستضعف طاغوتاً، ولماذا طاغوت الجمع يرجع إليه هنا ضمير المفرد الأنثى؟ ألأنها - فقط - الأصنام والأوثان التى لا تعقل؟ و الطاغوت هو العاقل الذى يدعو إلى نفسه بديلاً عن الله، فلا طغيان فضلاً عن الطاغوت لغير العاقل!

أم لان الطاغوت وهو عاقل، يكون لمن يعقل وأرذل منه حيث لا يعقل: ﴿إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذى لا يعقلون﴾ (٨: ٢٢)؟ ﴿إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون﴾ (٥٥) وهذا هو الحق فى أنوثة الطاغوت، و ما أطفه تعبيراً عن كيانهم الضئيل، وذكر الطاغوت هنا من واجب الإجتنب ذكر لأنحس ما يُعبد من دون الله، فغيره مطوئ معه، ولا سيما أن الإنابه إلى الله تقتضى رفض كل الآلهة من دون الله.

﴿والذين اجتنبوا الطاغوت...﴾ مواصفات ثلاث لمن يعبد الله مخلصاً له الدين مه ما اختلفت الدرجات، ابتداءً بالسلب: ﴿اجتنبوا الطاغوت...﴾ وتوسطاً فى الإيجاب: ﴿وأنابوا إلى الله﴾ وانتهاءً إلى مسك الختام: ﴿الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه﴾ وهكذا يكون دور الحياة لمن يؤمن بالله: ﴿اولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب﴾ ثم من دونهم دركات وجاه الدرجات، و بين عليا الدرجات ودنيا الدرجات متوسطات. ليست الهدى واللب - فقط - السلب:

﴿اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها﴾ ما لم يلحقه الإيجاب : ﴿وأنا بوا الي الله﴾ كما ليست هي الإيجاب ما لم يسبقه السلب، فلا ينفعك ﴿إلا إله﴾ إلا أن يلحقها ﴿إلا الله﴾ ولا ﴿إلا الله﴾ إلا أن يسبقها ﴿لا إله﴾ ايجاباً موحّداً مخلصاً بعد سلب مطلق.

فقد تسلب ثم لا إيجاب كمن لا يعبد إلهاً ولا يعبد الله، أم قد توجب ولا تسلب كمن يشرك بالله، إذا فكلمة الحق الهدي هي ﴿لا إله إلا الله﴾.

وعبادة الطاغوت دركات، كما الإنابة إلى الله درجات، فقد يُعبد الطاغوت كما الله، طاعة مطلقة، فعبادة التآليه من دون الله هي أنحس دركات العبادة للطاغوت، وقد يُطاع دون تآليه ولا طاعة مطلقة فهي أيضاً عبادة للطاغوت مهما كنت مسلماً ﴿ومن أطاع جباراً فقد عبده﴾ و بينهما متوسطات.

فإذا تركت عبادة الطاغوت وطاعته عقائدياً وعملياً فهناك الإنابة إلى الله، رجوعاً إليه بعد فصال، حيث الفطرة ومعها العقل تحكم بعبادة الله لاسواه، فإذا ترك الطاغوت فإنابة إلى الله.

وهناك بشارتان إثنتان، أولاهما لـ للذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنا بوا إلى الله، أن ﴿لهم البشري﴾ والثانية لهم حين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

أترى ما هو القول الذي يستمعون وما هو أحسنه؟ هل إنه مطلق القول سيئاً وحسناً وأحسن؟ ولا حُسنٌ للسئ حتى تعمه ﴿يتبعون أحسنه﴾! ولماذا يستمعون عباد الله الذين اجتنبوا الطاغوت وأنا بوا إلى الله، يستمعون سيء القول وهو ألغي اللغو ﴿وإذا مروا باللغو مروا كراماً﴾ (٧٢:٢٥) لا يرونه ولا

١ . نورالثقلين ٤ : ٤٨١ عن الجمع روي ابوبصير عن ابي عبدالله X في الآية انه قال: انتم هم ومن اطاع جباراً فقد عبده، وفي الكافي بسند آخر عن ابي عبيدة الحذاء عنه X في حديث طويل حول الآية ﴿والعبادة طاعة الناس لهم﴾.

يسمعونه ولا يتبعون! حتى ❁ وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه ❁ (٥٥:٢٨) فكيف إذا يستمعون! اللهم إلا سماعاً أو إستماعاً للرد والنقض، وله أهله الخصوص دون عامة المؤمنين، والآية تتحدث عن كتلة الإيمان ككل دون خصوص أهل النقص الحافظين لشرعة الله.

إن استماع القول لأولى الأبواب لا بد أن يعنى معناً إيمانياً، بين تكامل باتباع أحسن القول وهو يعمهم، وبين نقض لسيء القول وهو يخص العلماء منهم، فإذا لايعني لا هذا ولا ذاك فلغية الوقت وتهذره، أم ضلال عن الهدى وتكذره وهما بعيدان عن أولى الابواب، اللهم إلا أن يعنى من استماع سيء القول استحكام حسنه وأحسنه عنده إن كان من أهله.

ولا يخص ❁ يستمعون القول ❁ بتلقي السمع الأذن، إذ يعنى تلقي القول بكتابة أو إشارة أماذا، فالمقصود تفتيش الآراء الحسنة بُغية الحصول علي أحسنها فاتباعها علمياً وعقائدياً وعملياً أماذا؟ ولا يتأتى إتباع الأحسن إلا بعد تمييزه باجتهاد فى تفصيل أو إجمال، فالإجتهاد - إذاً - فرض علي أية حال! فمن لا يستمع القول، حاصراً إتباعه بما يعقله فى نفسه، فكثيرة أخطاءه، وعظيمة بلاءه، فما هو من أولى الابواب، ويقول الله تعالى: ❁ سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ❁ (٥٣:٤١) فلا تكفى رؤية الآيات الافاقية آيات الرسالات التى هى لزام الهدى لأولى الابواب.

والإنسان أيا كان - سوي المسدد بالعصمة الإلهية - هو فى معرض الأخطاء حين يستقل برأية، فعليه استماع مختلف الأقوال كشوري بينه وبين أصحاب الأقوال، ثم يتبع الأحسن، فإن فى تفتيش الآراء تنبيهاً علي موارد الخطأ والصواب، بل قد ينتبه الإنسان للأحسن حينما يسمع غير الأحسن بل والسيء، فحينما يفيد القول السيء إتباع الأحسن، يُعتبر

السيء من الحسّن طريقاً إلي إنتباه الأحسن. ومن يستمع إلي كل قول سيئاً وسواه، دون أن يعزى نقضاً أو يقدر عليه، فمتهدرة أوقاته وهو علي أشرف الضلال، وحين عناية النقض فخرج عن نطاق الآية لمكان ❀ فيتبعون❶.

ومن يستمع إلي حسنة الأقوال ولا يتبع أحسنها فما هو من أولى الألباب، ولا يبتغي الحسن الحسنة، وإلا فلماذا ترك الأحسن إلي الحسن وهو جنة وسوءة الإلتباع أو صدفة لهوي ومصليّة.

وأما من ❀ يستمعون القول❷ إتباعاً للحق ❀ فيتبعون أحسنه❸ فأولئك هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب❹.

وحسن القول هو حقه الصواب، أم حكاية عن الحق الصواب، أو قريباً إلي واقع الحق الصواب.

فأحسنه في هذا المثلث هو أحقه وأقربه إلي الحق، والأخير هو محور البحث عن كيفية التقليد وشروطه، وكيان الإجتهد بشروطه.

قد تكون لك القدرة علي استنباط الأحكام بإتباع أحسن الأقوال تمييزاً علمياً بمحور الكتاب والسنة فعليك إتباع أحسنها وإن كان خلاف الشهرة أو الإجماع، حيث الميزان الأول والأخير في شريعة الله هو كتاب الله ثم سنة رسول الله³ وكما يروي عن الإمام الصادق^X: ❀ العلم ثلاثة كتاب وسنة ولا أدري❺ فهما أحسن القول واقعاً، والأقرب إليهما والأشبه بهما هو الأحسن تقديراً وهو الأوفق لهما تفسيراً.

وقد لا تسطع علي استنباط الأحكام بتفصيل، فهنالك إستنباط الإجمال أن تتعرف إلي الأعم الاتقي، فإن قوله أحسن القول لأنه أقرب إلي الحق الصواب، فعليك تقليده.

وقد تقتسم الأحكام إلي اجتهاد و تقليد إن لم تسطع علي الإجتهد المطلق، فالقول عن إجتهد هو أحسن من القول بتقليد، إضافة

١ . المحجة البيضاء للفيض الكاشاني بسند عنه^X.

إلى ما تحمله آية الذكر ﴿فأسألوا أهل
الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ (٧:٢١) فلا سؤال
تقليداً إن كنت تتعلم اجتهاداً.

وقد تقسم التقليد حيث الأعلمية نسبة بين
المسائل، فتقليد مثلاً في أبواب العبادات
الأعلم فيها والأتقي، وفي أبواب المعاملات و
السياسات أمّا هي من أبواب أو مسائل تقليد
الأعلم فيها والأتقي.

فعلي المؤمن علي آية حال إتباع الشريعة عن
اجتهاد بتفصيله أم إجماله مهما يسمي
إجماله تقليداً، فإنه اجتهاد في الحصول علي
الأعلم الأتقي.

وعليه التحري الدائب في المسائل غير
الضرورية ليحصل علي الواقع أو الأقرب إليه
والأحري بالإتباع، حركة دائمة نحو التكامل
علمياً كما هو نحوه عملياً، فيدجنج بجناحي
العلم والعمل المتكاملين إلي الأجواء الأحري
والأرقى من الكمال الذي تعنيه الشريعة
الإلهية.

والقول المستمع من الإخبارات والإنشآت،
ومن أصول الدين وفروعه، ومن كتابات الوحي
وسواها، فعلي غير المتشرع أن يستمع الي
مختلف الوحي فيتبع أحسنه في ميزان الفطرة
والعقل، إلا ذلك هو القرآن العظيم، وعلي
المتشرع أن يستمع إلي المذاهب للشريعة
فيتبع أحسنه في ميزان الكتاب والسنة.

وعلي المتمذهب المذهب الأحق الأحسن أن
يستمع إلي مختلف القول في أصول الدين
وفروعه فيتبع أحسنه، وفي كل الفرض هو
المستطاع من الإستماع وإتباع الأحسن.

ومن إتباع أحسن القول فيما يرتأبه أصحاب
الشورائات فيما تحق فيه الشوري من أمور
فردية أو جماعية، شوري فتوائية ام سياسية
أماذا، وليس الأحسن فيها الاكثر قائلاً إلا
فيما تدل الأكثرية علي الأقربية إلي الحق،
فقد يكون الأحسن رأي الأقل بمن فيهم الأعلم
الأورع، اللهم إلا إذا تشاوا ولم تُعرف

رجاحة لرأى الأقل، ولم يبق فى البين مرجح إلا كثرة العدد، فهنا الأحسن رأى الأكثر بنفس السند الدائر السائر لترجيح و هو كونه الأوفق والأشبه بالواقع حين لم يبق مرجح إلا هو.

فليست الشهرة والأكثرية لهما دورٌ فى الإِتِّباع إلا أن تحملاً برهاناً علي أنهما أقرب إلي الحق، إلا فيما استأصلت البراهين إلا الأكثرية لأهل الشورى وهم أهل الرأى، المتوفر فيهم صلاحيات الشورى كما فصلناها فى آية الشورى.

إلي هنا إتباع الأحسن من المفروض الذى لا محيد عنه، وقد يجري دون فرض فى الواجبات والمندوبات التخيرية، فاتِّباع الأحسن فيها أحسن وليس لزاماً يؤثم بتركه ❀ والله يهدى من يشاء إلي صراط مستقيم❀.

ومن إتباع أحسن القول بعد العلم والعمل والعقيدة نشره كما استمع ❀ فيحدث به كما سمعه ولايزيد فيه ولاينقص منه❀^١ وقد تعنيه ❀ أحسنه❀ فيما عنت، أنه أحسن الإِتِّباع بعد أحسن القول.^٢

هؤلاء ❀ لهم البشري❀ وهم ❀ عباد❀ بيشارة بعد الأولي و ❀ أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب❀ بُشْرِيَان بَعْدَهُمَا سَمَةُ الْعِبُودِيَّةِ ❀ لَهُمُ الْبَشْرِي فَبِشْرِ عِبَاد❀ ثم الهداية الإلهية ❀ هداهم الله❀ ثم ❀ أولئك هم أولوا الألباب❀.

و هذه الخمس ليست لمن سواهم، إستمعوا القول ولم يتبعوا أحسنه، أم لم يستمعوا أمَّن ذا من الخارجين عن هذه الشروط

١ . نورالثقلين ٤ : ٤٨٢ ح ٣٤ علي بن ابراهيم بسند عن ابى بصير قال قلت لأبى عبدالله X قول الله جل ثناؤه ❀ الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه❀ قال: هو الرجل يسمع الحديث فيحدث... وفى نقل آخر زيادة: جاءوا به كما سمعوه - ذيلاً - وهم المسلمون لآل محمد - صدراً.

٢ . فى احسنه المعنيان - احسن القول واحسن الاتباع مهما كان التأتى علي هامش الأول.

الخمسة، وإن لم يكونوا سواء في الضلالة وسقوط الألباب.

فهذه الآية هي الوحيدة في سائر القرآن بياناً لموارد الإجتهد والتقليد كل علي شروطه، يجمعها ﴿فيتبعون أحسنه﴾ ولا تدل آية الذكر إلا علي مطلق السؤال ﴿إن كنتم لا تعلمون﴾ فلتقيد بآية الأحسن، ثم لا حاجة إلي تكلفات عقلية ام روائية، ضعيفة الدلالة، متعارضة الادلة، فإنما العلم ثلاثة كتاب وسنة ولا أدري!

والتقليد الأعمى دون حجة شرعية، ولا سيما إذا كان خلاف الكتاب والسنة، هو من زمرة عبادة الطاغوت، وإن لم يكن المقلد طاغوتاً، حيث التقسيم الثنائى يخرجه عن اللب والهدى، فهو داخل في عبادة الطاغوت مهما اختلفت دركاتها.

أم إنه بين عبادة الطاغوت وبين اتباع أحسن القول، فالتقسيم إذاً ثلاثى أماذا؟ وخلاصة القول في الآية أنها تحريض علي الإجتهد في الحصول علي أحسن القول حسب المستطاع، وتحريك للمسلمين بحركة دائية نحو الحسنى في المعارف والعقائد والأعمال!

﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنقِذُ مَنْ فِي النَّارِ﴾ (١٩)

الرسول 3 كان حريصاً علي هدي الضالين والمذحرفين وهم مصرون علي ما هم و هو متحسّر، وهنا الله يريجه عن عبئه ويسقط عنه تكلف الدعوة حين لا تثمر ﴿أفمن حق عليه كلمة العذاب﴾ دونما بداء منه ولا من الله - أنت تتكلف في هداه ﴿أفأنت تنقذ من في النار﴾ حيث يعيش نار الضلالة فإلي نار الجحيم؟

﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ

وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِعَادَ﴾ (٢٠)

أهل اطغوي حقت عليهم كلمة العذاب، ولأهل التقوي كلمة الثواب، ومن ذلك ﴿لهم غرف

مبنية من فوقها غرف ﴿١﴾ فى جنات الخلود ومن قبلها فى جنات البرزخ، والغرفة هى المنزل الرفيع، وما أجملها إذا كانت ﴿٢﴾ من فوقها عُرْف ﴿٣﴾ قصوراً طباقاً عالية ﴿٤﴾ تجرى من تحتها الأنهار ﴿٥﴾ ومن فوقها الأشجار، أتراها بماذا بنيت ومن ذا يبنيها؟ يبنيها الله برحمته كما تبناها أهلها بتقواهم، تُدني لهم كما يشتهون ولديه مزيد ﴿٦﴾. وهم فى الغرفات آمنون ﴿٧﴾ (٣٧:٣٤) ﴿٨﴾ والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئهم من الجنة غرفاً تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نعم أجر العاملين ﴿٩﴾ (٥٨:٢٩)

وبماذا يبنيها الله تعالى، نسمع الرسول 3 يقول: بناها الله لأوليائه بالدر والياقوت والزبرجد سقوفها الذهبية محبوكة بالفضة... ﴿١٠﴾ تجرى من تحتها الأنهار ﴿١١﴾ فى أرض الجنة رحمة فوقية وأخرى تحتية خلاف ما لأهل الطغوي: ﴿١٢﴾ لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ﴿١٣﴾ ألا فاعتبروا يا أولي الأبصار!

١ . نورالثقلين ٤ : ٤٨٢ ح ٣٦ القمى فى الآية قال حدثنى ابي عن الحسن بن محبوب عن محمد بن اسحاق عن ابي جعفر X قال: سأل على X رسول الله 3 عن تفسيره هذه الآية بماذا بنيت هذه الغرف يا رسول الله 3 فقال: يا على تلك غرف... لكل غرفة منها الف باب من ذهب على كل باب منها ملك موكل به وفيها فرش مرفوعة بعضها فوق بعض من الحرير والديباج بالوان مختلفة حشوها المسك و العنبر والكافور وذلك قول الله : ﴿١﴾ وفرش مرفوعة ﴿٢﴾ فاذا دخل المؤمن الى منازلهم فى الجنة وضع على رأسه تاج الملك والكرامة والبس حبل الذهب والفضة والياقوت والدر منظوماً فى الاكليل تحت التاج والبس سبعين حلة حرير بالوان مختلفة متوجة بالذهب والفضة واللؤلؤ والياقوت الاحمر وذلك قوله ﴿٣﴾ يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير ﴿٤﴾ فاذا جلس المؤمن على سريرته اهتز سريرته فرحاً فاذا استقرت بولى الله منازلهم فى الجنة اسأذن عليه الملك الموكل بجنانه ليهنئه بكرامة الله اياه فيقول له خدام المؤمن مكانك فان ولى الله قد اتكى الي اريكته وزوجته الحوراء العيناء قد ذهبت اليه فاصبر لولى الله حتى يفرغ من شغله قال: فتخرج عليه زوجته الحوراء من خيمتها تمشي مقبله وحولها... ﴿٥﴾.

ألا فانظروا ❁ وعَدَ اللهُ ❁ ترون ❁ لا يخلف الله
الميعاد ❁ لايُّ من زمر الجنة وزمر النار،
كسنة دائبة دون تخلف قيد شعرة، خلاف وعد
الشيطان حيث يخلف وعده في الدنيا وفي
الآخرة.

دعوة عامة للمؤمنين

﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ﴾ (١٣) فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٤:٤٠﴾

﴿هو﴾ الله الواحد ﴿الذى يريكم آياته﴾ الدالة على وجوده ووحدانيته وسائر صفاته الحسني، والكون كله آياته من آفاقية وأنفسية ﴿وينزل لكم من السماء﴾ رحمة مادية و معنوية ﴿رزقاً﴾ لأبدانكم وأرواحكم ﴿وما يتذكر﴾ آياته البينات ورزقه النازل ﴿إلا من ينيب﴾ إليه ويرجع عن غفوته وغفلته إلى فطرته وفكرته.

﴿لو كان لربك شريك لأتتك رسوله﴾^١ وأراك آياته، والآيات كلها مجمعة عليه، دالة إليه، حيث الكون مكرس جامع، وكتاب بارع، يدل على كونه دالة ناصحة ناصعة، دونما مناورة، ولا مناورة، أو مضادة ومناقضة ﴿ما تري في خلق الرحمن من تفاوت﴾ في ذوات ودلالات.

واذ كان واحداً تدل عليه آياته في كافة الجهات والجنبات ﴿فادعوا الله مخلصين له الدين﴾ إخلصاً له في طاعته وعبادته ﴿ولو كره المشركون﴾ وكراهتهم منفية في الفطرة وحسب ما تهدي إليه الأدلة، كما تلمح إليها ﴿لو﴾ الإمتناعية، إلا أن غشاوات الفطرة تجعل من المحبوب مكروهاً، ومن النور ظلمات. ﴿رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده ليُنذِرَ

يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ (١٥:٤٠)

١ . عن الإمام اميرالمؤمنين X.

ادعية

من الراسخين فى العلم

يا للراسخين فى العلم من خنوع وخنوع فى
جنب الله فى دعاء السلب والإيجاب:
﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ
الْوَهَّابُ ﴾ (٨)

وتري أن إزاغة القلب هى من الله ولاسيما بعد
إذ هدى، وخاصة بالنسبة للراسخين فى العلم؟
إنها من العبد حين يزيغ فيزيغ الله قلبه:
﴿ فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم ﴾ وان كان بعد
إذ هدى، وأما الراسخون فى العلم فدعاء
السلب لهم تعذى أنهم لا يملكون فى أنفسهم
هدى لولا تثبيت من الله: ﴿ ولولا أن ثبتناك لقد
كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً ﴾ لاسيما وان
الراسخين هنا تشمل مع المعصومين سواهم،
الذينهم فى خطر الزيغ من أنفسهم فالإزاغة
من الله.

فقد تعذى هذه الدعاء لهم ككل: آدم لنا
ألطافك وعصمتك وهداك ولا تكلنا إلي انفسنا
طرفه عين أبدأ، ولاتبتلنا بأمر إمر يثقل
علينا القيام به والخروج اليك من حقه
فتزيغ له قلوبنا، فهى - إذا - كمثله ﴿ ربنا
ولا تحمل علينا إصراً كما حملته علي الذين
من قبلنا ﴾ (٢: ٢٨٦)

وقد تعذى الإزاغة ترك التوفيق عن زيادات
الهدى بنقصان الإهداء ﴿ والذين اهتدوا
زادهم هدى وآتاهم تقواهم ﴾ فقد سأله - إذا -
- ان يلفظ لهم بكثرة الخواطر وقوة الزواجر
فى فعل الإيمان حتى يقيموا عليه طيلة
أعمارهم ولا يتركوه فى مستقبلهم فيستحقوا
بتركه وفعل الكفر - بدلاً منه - أن يزيغ الله
تعالى قلوبهم عن الثواب، فاعلاً بهم مستحق
العقاب.

وقد تعنى - لاسيما بالنسبة للمعصومين -
خضوعهم واستكانتهم بإنابتهم إلي الله أن ترك

الازاغة حاصل لهم لرسوخهم في العلم، فهي كما ﴿قال رب الحكم بالحق﴾ وهو ليس ليحكم إلا بالحق.

وإنما اختص القلب من نبيين الجوانح والجوارح بتلك الدعاء لأنه شريف الأعضاء جانحة وجارحة، فانه قلب الروح وهي عماله وتحت إمرته، فاذا اهتدي القلب اهتدت، واذا زاغ زاغت واحتدت.^١

﴿وهب لنا من لدنك رحمة﴾ رحمة خاصة لدنية تعصمنا عن الزيغ اياً كان من دركاته، حيث الرحمة تعذني كل درجاتها ﴿إنك انت الوهاب﴾.

وانما تطلبوا ايجاب الرحمة بعد الزيغ لأن هذا السلب لا يغني عن ذلك الايجاب، فقد يكون عواناً بين سلب الزيغ وايجاب الرحمة فهو من المستضعفين الضالين، كما الزائغون من غير المغضوب عليهم، والمرحومون هم من المهتدين الي الصراط المستقيم، فلذلك ثني ها الايجاب بعد السلب تكملة للهدى.

فقد تدمج دعاء السلب والايجاب هذه من الراسخين في العلم في خضم كلمة التوحيد ﴿لا إله إلا الله﴾ حيث التعلق بكل ما سوي الله زيغ، والتعلق بالله هدي ورسوخ في العلم وبينهما عوان.

او يقال هناك زيغ في القلوب وهنا رسوخ في العلم وبينهما عوان لم يذكر وهو القلب السليم غير الراسخ فيه العلم، فلا هو يفسر

١ . الدر المنثور ٢ : ٨ - أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن أم سلمة أن رسول الله ﷺ كان يكثر في دعائه أن يقول: اللهم مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك قلت يا رسول الله ﷺ إن القلوب لتتقلب؟ قال: نعم ما من خلق الله من بشر من بني آدم إلا وقلبه بين أصبعين من أصابع الله فإن شاء الله أقامه وإن شاء أزاعه فنسأل الله ربنا أن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا ونسأل الله أن يهب لنا من لدنه رحمة إنه هو الوهاب، قلت يا رسول الله ﷺ ألا تعلمني دعوة أدعو بها لنفسي؟ قال بل قولي: اللهم رب النبي محمد اغفر لي ذنبي واذهب غيظ قلبي وأجرني من مضلات الفتن ما أحيتني.

المتشابهات زائغاً ولا هو يعلم تفسيراً او تأويلاً صالحاً، كالعوام من المؤمنين الذين لا يفهمون القرآن حقّه وحقّه. ومن اتباع المتشابه الجدال والمرء فيه ونثره نثر الدقل تأويلاً له علي غير تأويله وتراجعاً فيه ضرباً لبعضه ببعض، كما يروي متظافراً عن رسول الله³.

١. الدر المنثور ٢ : ٥ - أخرج جماعة عن عائشة قالت: تلا رسول الله³ *هو الذي أنزل عليك الكتاب..* فإذا رأيتهم - ولفظ البخاري - فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمي الله - وفي لفظ لابن جرير - إضافة: والذين يجادلون فيه، وفيه عنه³ قال: إن في أمتي قوماً يقرءون القرآن ينثرونه نثر الدقل يتأولونه علي غير تأويله، وأنه خرج علي قوم يتراجعون في القرآن وهو مغضب فقال: بهذا ضلت الأمم قبلكم باختلافهم علي أنبيائهم وضرب الكتاب بعضه ببعض - قال - : وإن القرآن لم ينزل ليكذب بعضه بعضاً ولكن نزل يصدق بعضه بعضاً فما عرفتم منه فاعملوا به وما تشابه عليكم فأمنوا به، وفيه أخرج الطبراني عن عمر بن أبي سلمة أن النبي³ قال لعبد الله بن مسعود أن الكتب كانت تنزل من السماء من باب واحد و أن القرآن نزل من سبعة أحرف حلال و حرام و محكم و متشابه و ضرب أمثال و أمر و زاجر فأحل حلاله و حرم حرامه و اعمل بمحكمه و قف عند متشابهه و اعتبر مثاله فإن كلاً من عند الله و ما يتذكر إلا أولوا الألباب، و فيه أخرج ابن جرير و نضر المقدسي في الحجة عن أبي هريرة أن رسول الله³ قال: نزل القرآن علي سبعة أحرف المرء في القرآن كفر ما عرفتم منه فاعملوا و ما جهلتم منه فردوه إلي عالمه. وفيه عن ابن عباس قال: إن القرآن ذو شجون و فنون و ظهور و بطون لا تنقضي عجائبه و لا تبلغ غاياته فمن أوغل فيه برفق نجا و من أوغل فيه بعنف غوي أخبار و أمثال و حرام و حلال و ناسخ و منسوخ و محكم و متشابه و ظهر و بطن فظهره التلاوة و بطنه التأويل فجالسوا به العلماء و جانيبوا به السفهاء و إياكم و زلة العالم. و في نورالثقلين: ١ : ١٣٣ في كتاب الإحتجاج عن أمير المؤمنين X حديث طويل وفيه : ثم إن الله جل ذكره لسعة رحمته و رافته بخلقه و علمه بما يحدثه المبطلون من تغيير كلامه قسم كلامه ثلاثة أقسام فجعل قسماً منه يعرفه العالم و الجاهل و قسماً لا يعرفه إلا من صفا ذهنه و لطف حسه و صبح تمييزه ممن شرح الله صدره للإسلام و قسماً لا يعرفه إلا الله و أنبياءه و الراسخون في العلم و إنما فعل ذلك لئلا يدعى أهل الباطل من المستولين علي ميراث رسول الله³ من علم الكتاب ما لم يجعله الله لهم وليقودهم الإضطرار إلي الإيتمار لمن



وزيغ القلب يعم جانب الايمان الي جانب العلم والعقل، فكل ضيق للانسان يتطلب ضيقاً في فهم القرآن.

دعاء من صالحى المصطفين لخلافة الأرض

هنا جولة ختامية بآيات تذكيرية فى استجوابات فى أغوار النعم وأطوار النقم، فلذ مؤمنين النعم ولد كافرين النقم، مما يتطلب الحمد لله أولاً وأخيراً، فانها مفتاح كل أمر بعد البسملة وختامه:

﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ آللهُ خَيْرٌ مَّا

يُشْرِكُونَ ﴾ (٥٩:٢٩)

﴿ قل الحمد لله علي العاقبة الصالحة للمصالحين والطلحة للطالحين، فكل الحمد لله دون سواه، فانه هو الموفق لهداه علي أية حال، والمجازى لمن عاداه علي أية حال ﴾ قل.. سلام علي عباده الذين اصطفى وهم كل الدعات إلي الله علي مدار الزمن الرسالي سلام عليهم من الله و سلام عليهم منك ومن معك من المصطفين والصالحين، و سلام من الله عليهم أحياناً إذ كانوا يحملون



ولاه أمرهم فاستكبروا عن طاعته تعزراً وافتراءً علي الله واغتراراً بكثرة من ظاههم وعاونهم وعاند الله جل اسمه ورسوله³.

وفى تفسير العياشى عن سماعة بن مهران قال قال أبو عبد الله X: اكثروا من أن تقولوا ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا...﴾ ولا تأمنوا الزيغ، وأصول الكافى عن هشام بن الحكم قال قال لي أبو الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام يا هشام إن الله حكى عن قوم صالحين أنهم قالوا: ربنا لا تزغ... حين علموا أن القلوب تزغ وتعود إلي عماها ورداها فإنه لم يخف الله من لم يعقل عن الله و من لم يعقل عن الله لم يعقد قلبه علي معرفة ثابتة ببصرها وبجد حقيقتها في قلبه ولا يكون أحد كذلك إلا من كان قوله لفعله مصدقاً و سره لعانيته موافقاً لأن الله لم يدل علي الباطن الخفى من العقل إلا بظاهر منه وناطق عنه.

رسالات الله، و ﴿سلام﴾ من الله عليهم امواتاً
ليستمرروا فى الحياة الروحىة القمة، ثم
﴿سلام﴾ منى عليهم إذ لا أقول لهم إلا سلاماً
وتصديقاً، و ﴿سلام﴾ منى عليهم إذ لا أقول
لهم إلا سلاماً وتصديقاً، و ﴿سلام﴾ منى إليهم
فإننى مسلم معهم مقتد بهداهم: ﴿أولئك
الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾ (٩٠:٦) فإن
هداهم هداى مهما كانت درجات، وخط الهدى
واحد مهما كان له مقامات، فليس اقتداء
الرسول بهداهم إلا المشى على خطهم مهما
سبقهم، كما اقتداء غير الرسول به وبهم
مهما كانوا أدنى منهم، فخط الرسالة الإلهية
وهداها واحد والطرق إلى الله بعداد أنفاس
الخلائق.

إذاً ﴿الله خير أما يشركون﴾ بالله ما لم ينزل
به سلطاناً، ومقابل الخير هنا - وهو الخير
المطلق - ليس الشر المطلق، وحتي إذا كان
﴿خير﴾ صيغة تفضيل فإنه تهكم، أم تنازل:
أن لو كان ما يشركون فيه خيراً فهل إن الله
أكثر خيراً أم يشركون؟

﴿أمن خلق السماوات والأرض وأنزل لكم من السماء ماءً فأنبتنا به حدائق

ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله بل هم قوم يعدلون﴾ (٦٠:٢٩)

سلهم هل شارك الله سواه فى ﴿خلق السماوات
والأرض﴾ من المادة الأم، وخلق المادة لا من
شئ، ثم ﴿وأنزل لكم من السماء ماء﴾ ولم
يكن فى الأرض ماءً ﴿فأنبتنا﴾ انتقالة لطيفة
خفيفة من الغياب إلى الحضور تدليلاً ضمناً
أنه هو الذى خلق ما خلق وأنزل ما أنزل
وأنبت ما أنبت ﴿حدائق ذات بهجة﴾ من غابات
أم بساتين صناعية فإن الإنبات ككل هو من
صنع الله و ﴿ما كان لكم أن تنبتوا شجرها﴾
بحولكم وقوتكم، وإنما لكم تهيدة الوسائل
والظروف لنباتها ثم المنبت هو الله، وكما
الخالق لكم ولهذه الوسائل واختيارها
والتوسل بها هو الله ﴿إله﴾ إذا ﴿مع الله﴾
يشاركه فى الخلق والتدبير؟ لا ﴿بل هم قوم

يعدلون ﴿ شركائهم بالله ﴾ كذب العادلون بالله
 وضلوا ضلالاً بعيداً وخسروا خسراً مبيناً ﴿
 فيعدلون بالمآل عن الله إلي سواه تأليهاً له
 دون الله، أن يعبدوه دون الله، ويستشفعونه دون
 الله، تنزلاً عن توحيدِهِ إلي الإِشراكِ وإِلي توحيدِ
 غيره، وكأن الله لا دور له في خلق ولاتدبير.
 فالفطرة تصرخ، والبداية العقديّة تصرّح،
 والكائنات تصرّح أن لا إله إلا الله في خلق
 ولاتدبير، فليُعبَد هولا سواه، ﴿إله مع الله بل
 هم قوم يعدلون﴾!

انظروا إلي ﴿ حدائق ذات بهجة ﴾ حيث تبهج
 الفطر والعقول والحواس، وأن تكوين زهرة
 واحدة من أزهارها يعجز عنه كل رجال
 الفنون، بل والحيدة بأ سرارها في تموّج
 ألوانها وتداخل خطوطها وتنظيم وريقاتها،
 مما تتقاصر وتتضاءل دون العباقرّة في
 الفيزيولوجية النباتية، فضلاً عن الحياة
 النامية في النباتات وهو سر الأسرار. فضلاً
 عن حياة الحيوان والإنسان والملائكة والجان
 ﴿إله مع الله بل هم قوم يعدلون﴾ وهو العدل
 التسوية بالله، حين يعزى العدل بالله، وهو
 العدول عن الله حين يعدلون عن الله فالعدل بالله
 ما سواه هو ظلم وخلاف العدل وضلال مبين في
 كافة الحقول ولدي العقول: ﴿تالله إن كنا لفي
 ضلال مبين. إذ نسويكم برب العالمين﴾
 (٩٨:٢٦) والعدول عن الله - ككل - إلي ما
 سواه، توحيداً له دون الله هو من أظلم الظلم،
 وهذا هو المدموس في المشركين بالله في
 أحوالهم وأعمالهم أن لا إله إلا غير الله، إذ
 لا يحسبون في كل الحياة دوراً لله، ويكأن الله
 أنخلع عن ربوبيته ككل، محولاً لها إلي
 شركاءه!

﴿أمن جعل الأرض قراراً وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسي وجعل بين

البحرين حاجزاً أ إله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون﴾ (٦١:٢٩)

﴿أم﴾ وبعيد خلق الأرض ﴿من جعل الأرض قراراً
 قراراً﴾: ﴿الله الذي جعل لكم الأرض قراراً

والسمااء بنااء وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم
من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب
العالمين ﴿٤٠:٤٤﴾

ولقد بحثنا حول قرار الأرض فى الغافر
مشبعاً، وانه من القرء، البرد والصدء، دون
السكون المطلق، فالسكون المطلق فى المادة
عن أى حراك انعدام عن أصل كيانها، فإنما
هو سكون نسبى، حيث كانت الأرض حارة ذائبة،
فسريعة الحركات بكل شماس، فجعلها الله ذلولاً
بعد شماس ﴿١٥:٤٧﴾ هو الذى جعل لكم الأرض ذلولاً ﴿١٥:٤٧﴾
وقراراً فى برد نسبى حسب تعديلها
فى حرارتها وحركاتها، فقراراً مستقراً
لساكنيها، ويا لقرار الأرض من أسرار بآلاف
الملايسات والمرافقات، لو اختلت واحدة منها
أو كذبت أو قلت لما كانت الأرض قراراً، وقد
تبقي أسرار قرار الأرض مفتوحة للأجيال، كلما
اتسع العلم وارتفع أدركوا طرفاً منها طريفاً
لم يكونوا يدركونه من ذى قبل!

ومن خلفيات قرار الأرض ﴿١٥:٤٧﴾ وجعل خلالها
أنهاراً ﴿١٥:٤٧﴾ فإنها قبل قرارها ما كانت تحن
لماء ولا كلاء لشماس الحرارة البالغة
الذروة، وفى الحق أنهار الأرض هى شرايين
حياتها بمن عليها، منتشرة إلى أكنانها
ومناكبها، رياء لأطفالها الذبات والحيوان
والإنسان من تلكم الثديى الدائبة لإرضاع.
كما ﴿١٥:٤٧﴾ وجعل لها رواسى ﴿١٥:٤٧﴾ على أثر البرودة
فالأمواج المائجة من موادها الثقليية
الداخليية والخارجية المتمدة فى حركاتها
المعدلة الدورانية حسب قانون القرار عن
المركز، والرواسى هى فى الأغلب منابع
الأنهار حيث تجرى منها مياه الأمطار إلى
الوديان وتشق مجراها بسبب تدفقها من قمم
الجبال العالوية.

﴿١٥:٤٧﴾ وجعل بين البحرين ﴿١٥:٤٧﴾ حلواً ومالحاً
﴿١٥:٤٧﴾ وحجراً محجوراً لايرى: ﴿١٥:٤٧﴾ مرج البحرين

يلتقيان. بينهما برزخ لا يبغيان ﴿١٩:٥٥﴾^١
 ﴿... هذا عذب فرات سائح شرابه وهذا ملح
 أجاج﴾ (١٢:٣٥)

﴿...إله مع الله﴾ في هذه الأفاعيل المحيرة
 العقول؟ لا! ﴿ببل أكثرهم لا يعلمون﴾
 فيتقولون قولتهم المشركة جهلاً حالِقاً قاحلاً
 في تقليد أعمى، ثم وأقلهم وهم المستكبرون
 يعلمون، لكنهم ﴿وجحدوا بها واستيقنتها
 أنفسهم ظلماً وعلواً﴾ (١٤:٢٧)

إلي هنا استجواب في مشاهد الكون المشهودة
 لكل كائن عاقل أمّن دونه، ثم إلي خاصة
 الأنفس في كل شارد ووارد:

﴿أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع

الله قليلاً ما تذكرون﴾ (٦٢)

هنا ﴿المضطر﴾: الذى هو فى ضر أو أصابه
 ضر، ما يضر بحياته الراضية المرضية مادياً
 ومعنوياً، دنيوياً وأخروياً، فردياً وجماعياً،
 سياسياً أو عقدياً أو ثقافياً أو اقتصادياً
 أم أياً كان مما يضره من سوء، والإضرار هنا
 أعم من التكويني والتشريعي، وما اختاره هو
 أم حصل له باضطرار، وإنما النص ﴿المضطر﴾
 وهو الذى يضطر أياً كان، ولكنه اضطرار سوءٍ
 لقوله ﴿ويكشف السوء﴾.

يجد نفسه فى ضر حالق خانق يلمسه، حين
 تضيق عليه كل الحداقات، وتشتد الحذفات
 والخنقات، وتتضاءل كل القوي الظاهرة
 وتتخاذل، وتهاوي الأسناد والمستندات فيجد
 المضطر نفسه منقطعة الصلابة عن كافة الأسباب،
 حين تكل فيكل هو فى ضره، فيجد نفسه فى
 هوة، دون ناصر ولا قوة إلا الله، وهنا
 ﴿فالإضطرار عين الدين﴾^٢ والإطمئنان اليقين.

١. راجع تفسير الآية فى ج ٢٦:٢٧ الفرقان ففيه
 تفضيل حاجز البحرين فلا نعيده هنا.
 ٢. تفسير بيان السعادة ٣ : ١٧٧ - واليه أشار
 الصادق X بقوله: ...

❖ إذا دعاه ﴿هو لا سواه، وبطبيعة الحال، وقضية الفطرة يدعو لا سواه، دعوة في عمق، دون لقلق اللسان، أم تجربة الجنان وإنما دعوة منقطعة عن سواه، متجهة إياه، وكما هو متعلق الكون بالله، يصبح متعلق الكيان بالهف لا يهوي سواه، ولا يهوى إلهي سواه أمن يجيبه - إذا - إلا الله، وليس ليتركه في دعوته الفطرية المنطلقة المطلقة عن الحواجز وهو الذي فطره عليها، فلسانها لسان الله حيث فطرة الله، وسؤال الله نفسه - طبعاً - لا يرد!.

هم تو بودي اول هم تو باش آخر
 آرندہ ی دعا ایجابت رارجا
 چون خدا از خود پس سئوال خویش را
 سئوال وکند کند کبی رد کند
 هم دعا از تو اجابت ایمنی از تو مهابت
 هم زتو هم زتو

وهنا كتاب التكوين: الفطرة، وكتاب التشريع الأمر بالدعاء، يتعانقان في ذلك الدعاء ويتجاذبان تعاملاً شيقاً رفيقاً، فلسان الدعاء للمضطر وسواه هو لسان الله، وطبعاً لسان الفعل دون الذات والصفات، حيث كَوْنٌ ودَوْنٌ ما يقتضى ذلك الدعاء!

فهنا الدعاء المستجاب - دون ردٍّ - له ركنان، حالة الإضطرار التام، وأنه ضرٌّ السوء، لا الذي يخيل إليه ضراً وهو في الحق ليس به فـ ❖ عسي أن تكرهوا شيئاً وهو خيرٌ لكم وعسي أن تحبوا شيئاً وهو شرٌّ لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون ﴿٢: ٢١٦﴾ وليس الله بمجيب دعاء من يدعوا على نفسه تحسباً أنه يدعوا خيراً أو زوال شر، وهو في الحق ليس في اضطرار شر، فمن أركان الدعوة المتسجبة في آياتها أن تكون سالحة للداعي شخصياً أم جماعياً، فـ ❖ إذا دعاه ﴿دعوة حق وفي حق بصادق النية ولائق الطوية وصالح القضية، فالإجابة - إذا - حاضرة عاجلة أم آجلة دونما استثناء.

فـ ❖ المضطر ﴿وهو الذي يضطر في حالة سوء،

تستغرق كل مضطر دون إبقاء، فالدعوت غير المستجابة إنما تنقص من أركانها سوء، أو اضطراراً، أم دعاء خالصاً: ﴿وقال ربكم ادعوني استجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾ (٤٠:٦٠) ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون﴾ (٣:١٨٦) ﴿إذا دعان﴾ هنا و ﴿إذا دعاه﴾ في آية المضطر، تشملان دعاء القال والحال والأفعال، دون دعاء الذات، فكل الذوات هي متعلقة الكون والكيان بالله، شعرت أصحابها أم لم تشعر، أرادت أم لم ترد، إعتقدت أم لم تعتقد، فهي إذاً دائبة الدعاء ذاتياً و ﴿إذا﴾ هي دعاء أحياني باختيار.

والمهم في مثلث الدعاء هو دعاء الحال علماً واعتقاداً، ثم الدعاء بالأعمال التي تبرز أن صاحبها يدعو الله، ثم بالقال، كإذاعة عن الحال والأعمال، فالداعي بالله دون حاله وأعماله خاوي في دعائه مستهزئاً، والداعي بقالة وأعماله دون حاله منافق، والداعي بحالة دون أعماله قليل الإيمان، والتارك لذلك المثلث كله لا إيمان له، والجامع بين الثلاثة هو كما مل الإيمان، والتارك قاله زائداً في حاله وأعماله هو أحياناً في قمة الدعاء، ولكن الضابطة العامة في الدعاء ضم القال إلي الأفعال والأحوال ليصبح الداعي كله دعاءً دون إبقاء، والمضطر بطبيعة الحال يدعوا بحاله، أو وبأفعاله وقاله، ولكنه قد لا يستجاب لأنه خاطئ في ضره، فكم من مضطر في غير سوء وهو يحسبه سوءاً، يدعوا فلا يستجاب رحمة عليه، وكم من سيء الحال في واقع الحال ولكنه ليس في حالة الإضطرار إذ يحسبه حسناً فلا يدعوا فهل يستجاب دون دعوة؟ وكم من مضطر في أسوء الحال ولكنه لا يدعوا لله دعوة سالحة وخالصة فلا يستجاب حيث ينقص: ﴿إذا دعاه﴾ وأما الداعي ربه مضطراً في

سوء، دعوة سالحة خالصة، منقطعة الصلة عما سوي الله، مطمئناً إليه لا سواه، راجياً إياه، فهو المستجاب كما وعد الله: ﴿يَجِيبُ الْمُضْطَرَّ - وَيَكْشِفُ السُّوءَ - وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾ إجابة عن حالة الإضطرار، وكشفاً للسوء الذي اضطره فردياً، بل وجماعياً حيث ﴿يَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾ فضاء علي ضر الحكم والسلطة غير الصالحة عن بكرتها، فلا تعنى خلافة الأض هنا ما قد تعنيه ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ فِي الْأَرْضِ﴾ (١٦٥:٦) وهى خلافة السكن الحيوية بعد الذين ضلوا، فإنها حاصلة للمضطر في سوء أياً كان، فالدعوة لها والإستجابة فيها تحويلة للحاصل، بل هى الخلافة عن السلطات الجبارة المكذرة جو الحياة السلمية الإسلامية، الحانقة الحانقة جو الإضطرار بسوءها والتقوية، الدافعة إلي سنة الإستتار والخفية.

فالإمام المنتظر المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف هو من أفضل المضطرين في سوءٍ يجديه الله بدعائه ودعاء المنتظرين قدومه، آجلاً أم عاجلاً وكما يراه الله ويرضاه، شرط أن يكون دعاء المضطرين سواه، كاملة الدعائم، شاهرة المعالم، مزودة بالجهاد الدائب، والصبر الصائب، اللهم عجل فرجه وسهل مخرجه واجعلنا من أعوانه وانصاره، آمين يا مجيب دعوة المضطرين!

هنا ﴿يَجْعَلُكُمْ﴾ تحلق علي كل خلافة أرضية سالحة، جانبية نسبية غير شاملة كما حصلت أياً ما أو تحصل علي ضوء الدعوات الصالحة والجهادات المتواصلة. أم شاملة محلقة علي كافة السلطات الأرضية كما في دولة القائم (عج) المظفرة العالمية فهو - إذا - خليفة الله في الأرض كلها، دون خلافة أخرى فيها ذلاً لأصحاب الويته الذين يديرون أمور السلطة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها، فهؤلاء الأركان مع صاحب الأمر X هم أصدق المصاديق للمعنيين بـ ﴿يَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾ جمعاً

بين الجعلين.. التكويني والتشريعي، وكما سبق في داود وسليمان فلا ❀ المضطر ❀ هنا يختص بالمشركين! أم فرقة خاصة من المضطرين المسلمين! ولا أن خلافة الأرض هي الحياة الخليفة لكل قوم عن آخرين، مهما كان الإمام المنتظر المهدي من آل محمد صلوات الله عليهم أجمعين، بمن معه من المضطرين الصالحين، هم أصدق المضطرين الداعين، وأصلح خلفاء الأرض.^١

وهذه الخلافة المرموقة هي التي تشعر المسئولية الهامة لحدّ ينتفض منها أول الخلفاء وأعد لهم بعد الرسول³: ما شأنك تجزع؟ فقال: ومالي لا أجزع والله يقول إنه يجعلنا خلفاء الأرض؟! فقال له النبي³: لا تجزع والله لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق^٤.

١ . نورالثقلين ٤ : ٩٤ عن تفسير القمي عن أبي عبد الله X قال: نزلت في القائم من آل محمد عليهم السلام هو والله المضطر إذا صلي في المقام ركعتين ودعا إلى الله عزوجل فأجابته ويكشف السوء ويجعله خليفة في الأرض وفيه حدثني أبي عن ابن أبي عمير عن منصور بن يونس عن أبي خالد الكابلي قال قال ابو جعفر X: والله لكأنني انظر إلى القائم X وقد اسند ظهره إلى الحجر ثم ينشد الله حقه - الي ان قال: - هو والله المضطر في كتاب الله في قوله: ❀ امن يجيب المضطر... ❀ فيكون أول من يبایعه جبرئيل X ثم الثلاثمائة والثلاثة عشر رجلاً فمن كان ابتلى بالمسير وافي ومن لم يبتل بالمسير فقد عن فراشه وهو قول امير المؤمنين X: هم المفقودون عن فرسهم وذلك قول الله: فا ستبقوا الخيرات ايذما تكونوا يات بكم الله جميعاً ❀ قال: الخيرات الولاية.

٢ . المصدر ٩٥ عن امالي الطوسي باسناده الي عمران بن الحصين قال: كنت انا وعمربن الخطاب جالسين عند النبي³ وعلى جالس إلي جنبه إذ قرء رسول الله³: ❀ امن يجيب... ❀ ومثله محمد بن عباس عن عمران عنه³ والمفيد في الأمالي عنه وانس بن مالك قال لما نزلت الآيات الخمس في طس ❀ امن جعل الأرض قراراً ❀ الآيات، انتفض على انتفاض العصفور فقال له رسول الله³ مالك يا علي! قال: عجب يا رسول الله³ من كفرهم وحلم الله عنهم فمسحه رسول الله³ بيده ثم قال: أبشر فانه لا



هذا، وأما ما يروي عن رسول الهدى من واجب الطاعة لأية خلافة خيرة وشريفة، يطارده فرض مطاردة السلطة الجائرة ودفع الفساد أيضاً كان، ولا سيما الخلافة الفاسدة المفسدة التي تُظلم الجوع علي الشعوب، فما الرواية إلا مختلقة للحفاظ علي كيان الخلفاء المتخلفين عن شرعة الله، المستضعفين عباد الله.^١ وكيف يُستند إلي آية الخلافة الكاشفة السوء بدعاء المضطرين، في فرض الطاعة للخلافة الخلاعة السوء، التي هي سوء علي سوء للمضطرين؟! كلاً! وإنها دعوة خير إستئصالاً لضر وشر وكما



يبغضك مؤمن ولا يحبك منافق ولولا انت لم يعرف حزب الله (غاية المراد ٤٠٢).
 اقول: هذه التلحيقه انما طمأنت الامام X حيث ضمننت عدله في الحكم لحد ❁ لا يبغضك مؤمن ولا يحبك منافق ❁ فان الحاكم غير العادل يبغضه المؤمن ويحببه المنافق.
 ١ . الدر المنثور ٥ : ١١٣ اخرج الطبراني عن سعد بن جنادة قال قال رسول الله 3 من فارق الجماعة فهو في النار علي وجهه لأن الله تعالي يقول: ❁ .. ويجعلكم خلفاء الأرض ❁ فالخلافة من الله عزوجل فان كان خيراً فهو يذهب به وان كان شراً فهو يؤخذ به عليك انت بالطاعة فيما امر الله تعالي به.
 اقول: مفارقة الجماعة المؤيدة لخلافة الزور واجبة في شرعة الحق التي تطارد هذه الخلافة، فمن فارقتها نقضاً لهذه الخلافة وتركاً لتأييدها فهو في الجنة، ومن وافقها وقارفها فهو في النار واما ان الخلافة خيراً وشراً هي من الله، فمن الناحية التكوينية صحيح ولكنها لا توجب الطاعة وليس شرها تشريعاً من الله حتي يرضاها الله ويدمر بطاعتها، ثم وماذا يعنى ❁ فهو يذهب به إذا كان خيراً؟ فهل ان الله يذهب بالخلافة الخيرة ويأتي بديلها بالشريرة؟ ثم ماذا يعنى: ❁ وان كان شراً يؤخذ به ❁ فهلاً يؤخذ بخير الخلافة كما قال الله الخلافة الحقة الإلهية، وما أقبحها افتراءً علي رسول الهدى 3! وان كان قد يعنى ❁ فهو يذهب به ❁ ان خير الخلافة لصاحبه، و ❁ يؤخذ به ❁ يعنى ان شر الخلافة لصاحبه، فما عليكم إلا الاتباع في كلتا الخلفتين ولكن الخلافة بشرها وخيرها نعم الخليفة والرعية، فهم مستفيدون من خيرها ويضرهم شرها، وهم يؤخذون - كما هو - بشرها لماذا استسلموا له دون معارضة ممكنه؟

يروى عنه 3 قوله حين يسأل يا رسول الله إني مَدَعُوا؟ قال: أدعولي الله وحده الذي إن نزل بك ضر فدعوته كشف عنك، والذي إن ضللت بأرض قفر فدعوته رد عليك، والذي إن أصابك سنة فدعوته أنزل لك^١.

وهذه مصاديق متعوذة فردية للضر والشر، ثم أضر منها وأقفر ما المضطرون إلي كشفه عنهم أفقر، وهو السلطة الصالحة في خلافة الأرض، وقمتها العالية المنتظرة لكافة المستضعفين المؤمنين: الخلافة المهدوية العالمية عليه كل سلام وتحية، فـ ﴿يَجْعَلْكُمْ﴾ هنا ليست لتعذني فقط الجعل التشريعي دون تكوين ولا التكويني دون تشريع، لأن كلاً دون الآخر لا يُكشف به السوء الجماهيري المترقب من الخلافة الصالحة، فإنما واقع الخلافة الشرعية هو الذي يكشف به ذلك السوء، والمخاطبين في ﴿يَجْعَلْكُمْ﴾ درجات حسب القابليات والفاعليات ثم و ﴿يَجْعَلْكُمْ﴾ هذا هو نتيجة أدعية المضطرين بمن فيهم المستأهل لهذه الخلافة، دعوات مقرونة بمحاولات صالحة لاجتثاث الخلافة عن الطالحين واختصاصها بالصالحين بمراتبهم ودرجاتها. فالله هو المجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء، وبالمال ﴿يَجْعَلْكُمْ﴾ خلفاء الأرض ﴿دُونَ سِوَاهِ﴾ فـ ﴿اللَّهُ﴾ الذي خلق السماوات والأرض وأنزل لكم من السماء ماءً فأنبتنا به حدائق ذات بهجة... الذي جعل الأرض قراراً وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزاً... هو الذي يجيبكم حال اضطرابكم... ﴿يَجْعَلْكُمْ﴾ خلفاء الأرض... ﴿فَفِي﴾ الخلافة الأخيرة ﴿تُبَدَّلُ﴾ الأرض غير الأرض والسماوات ﴿وَحَيْثُ﴾ الحياة جديدة جادة نحو الحق، وينزل عليكم من سماء الوحي والرحمة غزيرة ناصعة تروى العطاش، وينبت حدائق ذات بهيجة في

١ . المصدر اخرج احمد وابو داود والطبراني عن رجل من بلجم قال قلت يا رسول الله إني مَدَعُوا... ١.

حقوق المعرفة الربانية، لكم فيها من كل الثمرات، ويجعل الأرض المتأرجفة - بمفسيها قراراً - بذلك المصلح الكبير، ويجعل خلالها انهياراً تروى العالمين من المعرفة برب العالمين، ويجعل فيها رواسى هي أصحاب الألوية الثلاث مائة والثلاثة عشر رجلاً من أصحاب الخوص، أعضاء الدولة العالمية، ويجعل بين بحرى المالغ والعذب حاجزاً، فلا خلط - إذاً - بين الحق والباطل... ❀ أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض، إله مع الله قليلاً ما تذكرون! ❀

فما دامت السلطات الجائرة مسيطرة على الشعوب فهم مضطرون، وعليهم الدعاء الدائب بشروطاته الصالحة ليجعل الله لهم بالمآل خلافة الأرض صالحة مصلحة محلقة على العالمين أجمعين وكما وعد الله هنا و ❀ العاقبة للمتقين ❀ و ❀ وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدوننى لايشركون بى شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ❀ (٥٥:٢٤)

ولعمر إلهى الحق إن المضطر بالحق ز من الغيبة هو الإمام المنتظر حيث يري المستضعفين تحت أنيار الظلم والضغط من المستبكرين الذين لايدنون دين الحق. ❀ أمن يهديكم فى ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمة

أله مع الله تعالى الله عما يشركون ❀ (٦٣:٢٩)

❀ أمن يهديكم ❀ هدى الحياة الدنيوية والروحية ❀ فى ظلمات البر والبحر ❀ ظاهرية أو باطنية ❀ ومن يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته ❀ روحانية برياح الوحي وسواها بسائر الرياح ❀ إله مع الله ❀ يهديكم فى أى هدى ❀ تعالى الله عما يشركون ❀ به فى حقول الهدى. ❀ وهنا ❀ ظلمات البر والبحر ❀ تعنى فيما عنت باطن البر وخضم البحر غوراً وغوصاً فيهما، و

❖ يهديكم ❖ تشمل كل الوسائل المستقبلية لخوض
الأعماق في البر والبحر.
❖ أَمَّنْ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يَعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَلَيْسَ اللَّهُ قَلْبُ
هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ❖ (٢٩:٤٤)

إستجوابات خمس تدجواب أخواها وأولاها،
فهناك ❖ أمن خلق.. ❖ وهنا ❖ أمن يبدء الخلق
ثم يعيده ❖ ويبدء الخلق قد يعم خلق المادة
الأولية لا من شيء، ثم خلق دخان السماء وزبد
الأرض، ثم سائر الخلق ومنه الإنسان، و ❖ ثم
يعيده ❖ تخص الإعادة إلى الحالة الأولى فيما
سوي الأولى لأنها لا شيء ولا إعادة لشيء إلى
اللاشيء!

والإعادة إلى البدء عملية مكروره علي طول
الخط في الجماد والنبات والحيوان والإنسان
يوم الدنيا، أفيعجز المبدء عن الإعادة في
الأخري و هي أ حري قضية العدل الحساب ثم
الثواب والعقاب، وليس شيء من الإعادة
المعنية هنا وهناك إعادة للمعدوم حتي تدخل
في نطاق تفلسف الإستحالة، وانما هي إعادة
مواد الأشياء إلى أمثال صورها السابقة
البيادة، ومنها إعادة أجزاء أصلية من
الإنسان إلى مثل ما كان في الصورة، فالمعاد
في المعاد ليس بايجاد من لاشيء ولا
اعادة المعدوم، بل هو ذرات البدن الأصلية
حيث تعاد إلى مثل الصورة الأولى، وهو الروح
حيث يعاد إلى نفس البدن الممثل كأول فأين
هنا إعادة المعدوم؟

❖ قل هاتوا برهانكم ❖ في هذه الحلقات
الخمس. إبطالاً لما أثبتت ❖ إن كنتم صادقين ❖
في تكذيبكم، وأنني لهم برهان، وأنني لهم أن
يعلموا هذه الحقائق المعلومة لدي ذوى
العقول، بل هم في جهالتهم طائشون، جهلاً عن
تقصير، وهم يطالبون الغيب وأنني يبعثون!
❖ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ

يُبْعَثُونَ ❖ (٢٩:٤٥)

هذه من آيات اختصاصه تعالى بعلم الغيب، بعدما خصت به الآيات السالفة غيب القدرة، وهل الله هو ممن فى السماوات والأرض حتى يستثنى عنهم بعلم الغيب؟ قد يكون الإستثناء متصلاً، والله قدرته النافذة وعلمه النافذ* فى السماوات والأرض* دون ذاته لأنه خلقهما و (كان إذ لا كان)! كما* هو الذى فى السماء إله وفى الأرض إله* أى ألوهيته نافذة فيهما، لا ذاته سبحانه!

أم هو منفصل تأكيداً لاستئصال علم الغيب عما سوى الله ككل، والله هو الذى يعلم الغيب، وطبعاً هو الغيب المطلق الذى ليس لينقلب إلى شهود، لا مطلق الغيب ومنه ما يعلمه الله من ارتضاه: *عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول...* (٢٦:٧٢)

ونموذجاً بارزاً للغيب المطلق وقت الساعة *وما يشعرون* كل ما سوى الله عابدين و معبودين *أيان يبعثون*، و ذلك نفى للعلم عنهم فى أدنى مراحلها وأغمضها وهوى الشعور، وهو من العلم الذى يستحيل لمن سوى الله وكما يقول الله عن رسول الله* ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء...* (١٨٨:٧)

وكما سئل عد_ىX: لقد أعطيت يا أميرالمؤمنينX علم الغيب؟ فضحك وقال: ليس هو بعلم غيب، وإنما هو تعلم من ذى علم، وإنما علم الغيب علم الساعة وما عدده الله سبحانه بقوله* إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً وما تدرى نفس باى ارض تموت إن الله خبير عليم* (٣٤:٣١)

فيعلم سبحانه ما فى الأرحام من ذكر أو أنثى، وقبيح أو جميل، وسخى أو بخيل، وشقى أو سعيد، و من يكون لى نار حطباء، أو فى الجنان للنبيين مرافقاً، فهذا علم الغيب الذى لا يعلمه إلا الله، وما سوى ذلك - يعنى به المعدود فى آية الساعة - فعلم علمه الله

نبيّه 3 فعلمنيه ودعا لي أن يعيه صدرى وتضمم عليه جوارحى ﴿١﴾
 فلقد منح الله الإنسان طاقات يستكشف بها الخبء في السماوات والأرض، علي قدر حاجته روحياً ومادياً، وانكشف سرّ الغيب - المخصوص علمه بالله، أو الممكن تعليمه لمن سواه - ليس مما يبغيه في مهمة الحياة، إلاّ الوحي الرسالي الذي يدار به حياته في مدار الحق، إبعاداً له عن الأخطاء، وأما أن يتطلع إلي كل أسرار الغيب كما الله فمستحيل ذلك علي كل من سوي الله حيث يصبح كأنه الله، أو يتطلع إلي أسرار ليست من هامة الحياة، مهما أمكن تطدعه عليها بتعليم الله، إذ لا دافع فيه، وكان فيه ارتفاع الإبتلاء في الحياة أن يعلم كل ما في قلب الآخر، أو كان فيه تعطيل الإستعدادات عن التحرك نحو الكمال.

﴿بَلِ إِذْ أَرَاكَ عَلَيْهِمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾ (٢٩:٤٦)

إنهم مبلغهم من العلم في الأولي هو العلم الأعمي، المنحصر فيها، المنحسر عن الآخري: فأعرض عن تولي عن ذكرنا ولم يرد إلاّ الحياة الدنيا. ذلك مبلغهم من العلم.. ﴿٥٣:٣٠﴾، فشكهم فيها وعماهم عنها امتناع للعلم باختيار، فقد صرفوا كل علمهم في الأولي فلم يبق لهم علم بالآخري ﴿بَلِ إِذْ أَرَاكَ عَلَيْهِمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ تداركاً لما فوتوه علي أنفسهم في الأولي، للآخري، ولات حين مناص وقد فات يوم خلاص!

ولأن ﴿إِذْ أَرَاكَ﴾ هي من باب الإفعال، مبالغة في التدارك والدرك، فقد تعذني كمال الدرك والتدارك بعد نقص قصوراً وتقصيراً.

١ . نورالثقلين ٤ : ٩٥ عن نهج البلاغة كلام يؤمى به X الي وصف الأتراك: كأنني اراهم قوماً كأن وجوههم المجان المطلقة يلبسون السرقة والديباج ويعتقبنون الخيل العتاق ويكون هناك استمرار قتل حتي يمشي المجروح علي المقتول ويكون المفلة اقل من المأسور فقال له بعض اصحابه لقد اعطيت يا اميرالمؤمنين علم الغيب؟ فضحك...

وتدارك علمهم، المقصرون فيه أو القاصرون، يشمل علم الساعة حيث يُتدارك عند الساعة بواقعها، فالمؤمن بالساعة يعلمها علم الإيمان دون متاها، فيتدارك علمه بها بواقعها، ثم والعلم بواقع أعمالهم السيئة التي كانوا يرونها حسنة: ﴿لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد﴾ والعلم أن الله هو الحق المبين، وسائر ما بالإمكان أن يعلموه ثم للمؤمن يضم إلي علم اليقين عين اليقين حيث يعاين حقايق الأعمال بعد إيمانه بها.

إذاً فالآخرة هي مجاله العلم، الميسور لغير الله، ما قصرُوا عنه أم قصرُوا فيه، وأما السابقون والمقربون فلا تدارك لعلم إلا مزيد المعرفة الربانية بما قدموه إلي الأخرى، وما هم فاعلون فيها، وسائر العلم فهم حاصلون عليه يوم الدنيا كما يروي عن الإمام علي X قوله: ﴿لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً﴾.

ثم ﴿علمهم﴾ قد تعنى علم كل مكلف علي قدره حيث يتدارك تميماً وتطميماً، إلا العلم غير الممكن تداركه كالعلم بالله، و ﴿هم﴾ هنا لا تختص بالكافرين.

وتري كيف ﴿علمهم﴾ وهم يجهلون المبدء والمعاد، فليختص بالمؤمنين؟ ولكن يطارده ﴿بل هم في شكٍ منها بل هم منها عمون﴾. ﴿علمهم﴾ في الناكرين هو الفطري والعقدى والعلمى من سواهما، فقد يتجاهلون في الآخرة ﴿بل هم في شكٍ منها﴾ هنا في تغافل علمهم ﴿بل هم منها عمون﴾ هنا وهو أنزل من الشك، فكل ذلك الثالث يتدارك في الآخرة.

ثم ﴿علمهم﴾ في وجه أشمل يشمل كل علم ناقص قصوراً أو تقصيراً، ولكن ﴿بل هم..﴾ ليس إضراباً إلا عن علم الناكرين.

ثم وليست العمى هنا هي فقد الجارحة المبدصرة، بل هي فقد الجارحة البصيرة،

تعامياً عن الحق المبين، والذهاب علي رسل صفحاً عن النظر الموصل إلي اليقين، إماماً قصداً وتعمداً، أو تساهلاً وتجاهلاً، ثم * ادراك علمهم في الآخرة * إذ * علموا ما جهلوا في الدنيا * .

وكيف * منها عمون * دون * عنها *؟ حيث القصد شكهم فيها، والإمتراء في صحتها، فهم في عمي منها، إذ لا يعنى - فقط - عماهم عن النظر إليها، بل القصد ذكر عماهم بالشك فيها:

فقد عموا شاكين عن النظر فيها حتي عموا منها، وهذا إضراب ثالث عن حالتهم الرديئة وجاه الآخرة فهم علي علم ما تجاهلوا فيه: * بل ادراك علمهم في الآخرة * وعنه إلي شك * بل هم في شك منها * ومنه إلي نكران * بل هم منها عمون * تنزلاً عن قضية العلم بها إلي نكرانها!

وقد تعنى * من * السببية فإن عماهم عنها - دون الأولي - مسببة منها، فإنها دار حساب فثواب أو عقاب، وهم يبتغون زهرة الأولي وزهوتها، والإيمان بالآخرة والإبصار إليها يصددهم عما يهوون، فهم - إذا - * منها * فقط، لا الدنيا * عمون * وهكذا يصف الدنيا مطلقاً الإمام أميرالمؤمنين X قائلاً: * من أبصر بها بصرته ومن أبصر إليها أعمته *!

١ . نور الثقلين ٤ : ٩٦ في تفسير القمي في الآية قال قال...

ادعيه من المضطرين

غير الصالحين

❁ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوا إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿٣٩﴾ (٨:٣٩)

هذه هي سيرة الإنسان وسريرته، أن فطرته وهي الأصيلة في كيانه، تبرز عارية في حالة الضر، متكشفة عن غبارها، ساقطة عنها ركامها وأوهامها، حين تنقطع الأسباب وتجار الأبواب، حينئذ يتناسي الإنسان كل سبب لفشلها، ويذكر ربه مصلحياً فـ ❁ فدعا ربه منيباً إليه ❁ راجعاً عما كان يدعو - في غير ضره - إليه، نوبة بعد أخرى ❁ ثم إذا خوّله نعمة ❁ أعطاه نعمة عظيمة بعد أن كشف ضره، وكل نعمة هناك عظيمة، فكشف الضر نعمة، وإعطاء نعمة بعده نعمة علي نعمة ❁ نسي ما كان يدعو إليه ❁ من ضر منيباً إليه و ❁ نسي التوبة إلي الله ❁ ❁ وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً فلما كشفنا عنه ضره مرّ كان لم يدعنا إلي ضر مسه.. ❁ (١٢:١٠)

❁ ما كان يدعو اليه من قبل ❁ ليس إلاّ ضره

١. ❁ ما ❁ بين موصولة وموصوفة ففي الاولي تعذّي ❁ الضر ❁ وفي الثاني تعني التوبة حال الضر وهما هنا معنيان، والثاني نص الحديث التالي في نور الثقلين ٤: ٤٧٨، ح ١٦ في روضة الكافي بأسناده عن عمار الساباطي قال سألت ابا عبدالله X عن قول الله عزوجل: ❁ وإذا مس الانسان ضر.. ❁ قال: نزلت في ابي الفضيل انه كان رسول الله 3 عنده ساحراً فكان اذا مسه الضر يعذّي السقم دعا ربه منيباً اليه يعذّي تائباً اليه من قوله في رسول الله 3 ما يقول ❁ ثم اذا خوّله نعمة منه ❁ يعنى العافية ❁ نسي ما كان يدعو اليه ❁ يعذّي نسي التوبة الي الله عزوجل مما كان يقول في رسول الله 3 انه ساحر ولذلك قال الله عزوجل: قل تمتع بكفرك قليلاً إنك من اصحاب النار...

وتوبته لا ربّه، فإنه كان عند ضره يدعو ولا يدعو إليه، والتعديير الصريح عن الله هنا نسي ربه ❶ و ❷ ما ❸ لا تناسب ساحته وهو المعبر هنا عن نفسه المقدسة، ثم ❹ وجعل لله انداداً ❺ هي الآخري قرينة علي انه ليس ربه وإلا لاكتفي بضميره ❻ وجعل له ❼!

❶ نسي .. وجعل لله أنداداً ❷ كما كان قبل ضره، والند هو المشارك في جوهر الذات فهو أعم من المثل المشارك في الذات والصفات، والأنداد هنا تعم الوسائل الظاهرة التي يعيشتها بعدما بطلت، والأوثان بعد ما ضلت، وسائر المحاولات بعد ما كلت، فاضطر - بعد ثلوث الأنداد التي تبناها في حياته - أن يذيب إلي ربه، وبعد ما حوّلته نعمة منه نسي إنابته إليه وجعل لله أنداداً في ثلوثها المنحوس ❸ ليضل عن سبيله ❹ التي اتضحت في ضره، تغطية علي تعطية الرب، كأنها من الأنداد، وما أخونه وأظلمه وأكفره، أن يقضى وطّره من إنابته حين ضره، ثم يخدّل إلي المستضعفين أن الأنداد هي التي كشفت ضره وخولته نعمته.

❶ قل ❷ لهذا الكفور المبين والأحمق اللعين تمتع بكفرك قليلاً ❸ وكل متاع الدنيا بحياتها قليل ❹ إنك من أصحاب النار ❺. ❶ أمّن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل

يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ❶ (٩:٣٩)

هناك صورة مطموسة نكدة مرهقة تقابلها هنا صورة وضيئة وضاعة، مرهفة، حساسة وشفافة مشرقة، أتلك هي الخيرة النيرة ❶ أمّن هو قانت ❷ يلزم الطاعة متخضعاً ❸ آناء الليل ❹ نصفه أو انقص منه قليلاً. أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلاً ❺ حال كونه فيها ❶ ساجداً أو قائماً ❷ وعل ❸ راکعاً ❹ هنا مضمّن في ❶ ساجداً ❷ بقرينة قائماً ❸ وإن الصلاة هي خير موضوع فهي خير قنوت! ❶ يحذر الآخرة ❷ حذراً عن موجبات عقابها علي أية حال ❶ ويرجو رحمة

ربه ﴿١﴾ رجاءً بما يقدمه من صالحات تصلح للرجاء، فهو عائش حياته بين الخوف والرجاء.

فأين تلك الجهالة الحمقاء الخواء، وهذه المعرفة اللئلاء ﴿٢﴾ قل هل يستوى الذين يعلمون ﴿٣﴾ قانتين في سجود وقيام، عائشين بين الخوف والرجاء علي الدوام، ﴿٤﴾ والذين لا يعلمون ﴿٥﴾ المضلون عن سبيل الله؟

فالعلم المُخرج عن الإستواء هو المعرفة بالله وتحقيق مرضاة الله، مهما جهل مختلف الصلّاحات من علم الظاهر او عَلِمَ: ﴿٦﴾ يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ﴿٧﴾ (٧:٣٠)

فربُّ عالم لا عقل له ولا معرفة وأعلمهم إبليس اللعين، وليست الرفعة في ميزان الله إلا للإيمان ومعرفة الإيمان: ﴿٨﴾ يرفع الله الذين آمنوا والذين أوتوا العلم درجات ﴿٩﴾ (١١:٥٨) فالأصل هو الإيمان، والمعرفة هي سبيل الإيمان.

هنا ﴿١٠﴾ الذين آمنوا ﴿١١﴾ و ﴿١٢﴾ الذين لا يعلمون ﴿١٣﴾ و ﴿١٤﴾ أولو الألباب ﴿١٥﴾ فهل الأولون والآخرين سواء، في الألسنة سواء بينهم وبين ﴿١٦﴾ الذين لا يعلمون ﴿١٧﴾؟ أمّاذا؟

علّمهم هم فإنهم من الذين يعلمون، أم هم ليسوا هنا إياهم حيث الشاهد يختلف عن المشهود لهم أو عليهم، فكما أنهم ليسوا من الذين لا يعلمون ﴿١٨﴾ كذلك ليسوا من الذين يعلمون ﴿١٩﴾ مهما كان من أولي الألباب، كالمعصومين (عليهم السلام) ولم يسبق التعدير عنهم بأولى الألباب كما يسمون قوامين فإنهم تخطوا درجات الإيمان إلي محض الإسلام: ﴿٢٠﴾ فاتقوا الله يا أولي الألباب الذين آمنوا قد أنزل الله اليكم ذكراً. رسولاً يتلو عليكم آيات الله... ﴿٢١﴾ (١١:٦٥) ﴿٢٢﴾ الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب ﴿٢٣﴾ (١٨:٣٩)

فقد ينطبق هذا التقسيم الثلاثي علي المروى

عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) * لقد ذكرنا الله عزوجل وشيعتنا وعدونا في آية من كتابه فقال عزوجل * هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب * فنحن الذين يعلمون وعدونا الذين لا يعلمون وشيعتنا أولوا الألباب * ويشبهه المروى عن الإمام الحسن المجتبي * نحن الناس وشيعتنا أشباه الناس وسائر الناس نسناس * .

وهذا من باب التفسير بأظهر المصاديق بين هؤلاء الثلاثة ولهم مصاديق دون ذلك تعمهم الآية .

ثم العلماء الذين يذبون عن ساحة الدين بحجج الله التي علمهم إياها هم من الذين يعلمون^١ والذين لا يذبون بل ويذبون ويتردلون هم من الذين لا يعلمون * إنما يتذكر أولوا الألباب * ! .

وأولوا الألباب هم أولوا العقول الناضجة

١ . نورالثقلين ٤ : ٤٧٨ ح ١٧ الكافي عدة من أصحابنا عن سهل بن زياد عن محمد ابن سليمان عن ابيه عن ابي عبد الله X انه قال لابي بصير يا أبا محمد! لقد ذكرنا الله عزوجل . . . ورواه مثله جابر وابوبصير وزرارة عن ابي جعفر X ومحمد بن مروان وحسان العجلي عن ابي عبد الله X .

٢ . المصدر ح ٢٢ في كتاب الاحتجاج للطبرسي وروي عن الحسن العسكري X انه اتصل بابي الحسن علي بن محمد العسكري X ان رجلاً من فقهاء الشيعة كلم بعض النصاب فافحمه بحجته حتي ابان عن فضيحته فدخل علي علي ابن محمد X وفي صدر المجلس دست عظيم منصوب وهو قاعد خارج الدست وبحضرته خلق من العلويين وبنى هاشم فما زال يرفعه حتي اجلسه في ذلك الدست واقبل عليه فاشتد ذلك علي اولئك الاشراف فما ما العلويون فأجلوه عن العتاب واما الهاشميون فقال له شيخهم يابن رسول الله 3 هكذا تؤثر عامياً علي سادات بني هاشم من الطالبيين والعباسيين؟ فقال (عليه السلام) اياكم * يدعون الي كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولي فريق منهم وهم معرضون * اترضون بكتاب الله حكماً؟ قالوا: بلي قال: أوليس قال الله عزوجل * قل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون * فكيف تنكرون رفعى لهذا لما رفعه الله إن كسر هذا لفلان الناصب بحجج الله التي علمه اياها لأفضل له من كل شرف في النسب . . . * .

وعلي حد المروى عن الرسول3: ❀ ما قسم الله لعبادة شيئاً أفضل من العقل فنوم العاقل أفضل من صوم الجاهل وإقامة العاقل خير من شخص الجاهل ولابعث الله نبياً ولا رسولاً حتي يستكمل العقل ويكون عقله أفضل من عقول جميع امته، وما يضر النبي في نفسه أفضل من اجتهاد جميع المجتهدين وما أدي العقل فرائض الله حتي عقل منه ولابلغ جميع العاقلين في فضل عبادتهم ما بلغ العاقل من عقلائهم، هم أولوا الأبواب الذين قال عزوجل: ❀ إنما يتذكر اولوا الالباب❀.

ادعية من المضطرين الضالين

﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ (٤٤)

﴿ الحياة الدنيا ﴾ وهى أدنى الحياة دنواً ودناءة، هى محصورة فى ﴿ لهو ولعب ﴾ لمن أبصر اليها واخلد عليها فانها تعميه، ولكنها لمن ابصر بها مبصرة فذريعة للدار الآخرة الحيوان.

وهذه آية ثانية تختص الحيوان بالدار الآخرة أولها آية الفجر: ﴿ يقول يا ليتنى قدمت لحياتي ﴾ (٢٤) مما يبرهن أنها اصل الحياة ﴿ لو كانوا يعلمون ﴾ لكنهم ﴿ يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ﴾ (٧:٣٠)

وفى مقابلة حيوان الدار الآخرة بلهو الحياة الدنيا ولعبها تلميحة مليحة ان حياة الدهو واللعب موت، وهى فى الحق موت للإنسانية السامية وفوت لمحاصيلها العالية، المقصودة بالحياة الدنيا، وهى التذرع بها للأخري.

فمن إلتهى فيها بلهوها ولعبها فهو الميت حقاً ومن وراءه ﴿ جهنم لا يموت فيها ولا يحيى ﴾ (٧٤:٢٠) ومن تركهما فيها وابتغى مرضات الله فهو الحى حقاً ومن وراءه الجنة خالداً فيها أبداً و ﴿ هى الحيوان ﴾ الحياة الدائبة المتحركة دوماً نحو الجمال والكمال بما قدمته ايديهم من جمال المعرفة وكمال العبودية. حيث ﴿ الفعلان ﴾ تلمح إلى حركة، فكما اصل الحياة حركة، كذلك حركة الحياة حركة فوق حركة، وهى الكافلة كل مزاياها الكاملة بكل زواياها، الحافلة كل الغايات المسرودة لها، المترقية المرغوبة منها، دائبة الارتقاء إلى كمالاتها دون أية وقفة فى تلك الحيوية الأخروية العالية، وتري كيف تحصر الحياة الدنيا فى لهو ولعب وهى مدرسة

الصالحين والسابقين والمقربين؟ وحين تُحصر هي فيها كما خلق الله فما هو تقصير الملتهمين بها اللأعبين فيها؟

❁ هذه ❶ هنا المشيرة إلي حياة المشركين وسائر الكافرين، تخصصهما بهم بسوء اختيارهم، فهي - إذأ - الدنيا الدنية، ولكنها الدنيا الدانية - وهي اقرب حياة الينا - والعالية الزاكية للصالحين الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة، إذأ فهم دنياهم آخرة، والطلحون هم آخرتهم دنياهم، واين دنئ من دنيا وآخرة من آخرة!

فأهل الآخرة هم في الدنيا: ❁ جزناها وهي خامدة ❷ فنار الآخرة لهم خامدة هامة، وأهل الدنيا هم في الآخرة ليست لهم خامدة، بل هي زائدة مايدة.

اجل والحياه الآخرة هي الفائضة بالحويوة الفائقة التصور، دون حجب وزحامات وموتات واصطدامات، مهما كانت الحياة الدنيا حياة إيمانية محضرة لها فضلاً عن الملهية، فبين الحياتين بون بعيد، والله من وراء نا رقيب عتيد، ف ❁ يا عجباً كل العجب للمصدق بدار الحَيَوان وهو يسعى لدار الغرور ❸، وكما ان الحياة الجنينية هي حياة التحضير للدنيا، كذلك الحياة الدنيا هي حية التحضير للأخري، وكما ان هذه الأدنى هي الحَيَوان للأجنة، كذلك تلك الأخري العليا هي الحَيَوان لولائد الدنيا، وهي خير مدرسة بافضل المدرسين ليستكمل فيها المكلفون حتي يحصلوا علي محاصيل الحياة العليا ف ❁ الحياة الدنيا ❹ هي الدانية إلينا دنواً أكثر من كل حياة عقلية، لولاها لما كانت الحياة الآخرة هي الحَيَوان، كما وهي الدانية دناءة أكثر من كل دانية في الحياة لمن اخلد اليها واتبع

١ . الدر المنثور ٥: ١٤٩ - اخرج ابن ابي الدنيا والبيهقي في شعب الايمان عن ابي جعفر رضى الله عنه قال قال رسول الله 3 : يا عجباً...

هواه وكان أمره فرطاً .
فلا هي ذميمة دميمة في حد ذاتها لأنها
مدرسة الصالحين، ولا هي خيِّرة في حد ذاتها
لأنها - فقط - ذريعة للدار الحيوان، فهي
حين تتخذ أصلاً يُبصر إليها ذميمة دميمة، وهي
نفسها حين تتخذ فرعاً يُبصر بها سالحة
مُبصرة .

❖ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ
يُشْرِكُونَ (٦٥) لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٦٦:٢٩)

أنهم يعيدشون تناقض العقيدة، أو تناقض
الفطرة والعقلية والعلمية ❖ فإذا ركبوا في
الفلك ❖ كمثال علي ظرف تقطع الأسباب إلا الله
❖ دعوا الله مخلصين له الدين ❖ مهما كانوا به
كافرين ❖ فلما نجَّاهم إلي البر إذا هم
يشركون ❖ عقيدياً ام - لأقل تقدير - عملياً،
أن يذسبوا نجاتهم إلي غير الله من الأسباب
التي ضلت عنهم وتقطعت وهم في خضم البحر
علي الفلك!

وهذه التناقضة هي طبيعة الحال لكل من لم
يكمل إيمانه مهما كان مؤمناً فضلاً عن المشرك
والملاحد، فجرس الفطرة يُسمعه أن لا إله إلا
هو، ثم شرس الغفلة والانجذاب الي الطبيعة
يصمُّه فـ ❖ إذا هم يشركون ❖ ولماذا؟
❖ ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا ❖ اشراكاً
قاصداً للكفر بالنعمة، ولكي يأخذوا حرياتهم
في التمتع بمتع الحياة ❖ فسوف يعلمون ❖
ماذا قدمت انفسهم وبه يعذبون .

واللام هنا قد تعني الغاية، بياناً للغاية
من إشراكهم تقصداً، حيث الاشراك خلاف الفطرة
فلا بد من التخلف عنها من غاية .

واخري تعني امر التهديد ❖ اعملوا ما
شئتم انه بما تعملون بصير ❖ (٤٠:٤١)
❖ اعملوا علي مكانتكم إن ذى عامل ❖ (٩٣:١١)
والجمع بينهما اجمع واجمل .

❖ أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيَتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ

وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٢٩:٦٧﴾

أَلَمْ يَرَوْا آيَاتَ اللَّهِ وَنِعْمَهُ فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ؟ فَإِنْ لَمْ يَرَوْهَا ﴿٢٩:٦٧﴾ أَوْلَمْ جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا... ﴿٢٩:٦٧﴾؟ جَعَلْنَا تَكْوِينِيًّا وَتَشْرِيْعِيًّا مَهْمَا حَصَلَ فِيهِ أَوْ يَحْصُلُ مِنَ الْإِيمَانِ وَاقْعِيًّا خِلَافَ الشَّرْعَةِ الْإِلَهِيَّةِ، حَيْثُ وَقَعَ الْإِيمَانُ فِيهِ - عَلَيَّ آيَةٌ حَالٌ - أَكْثَرَ مِمَّا سِوَاهُ، وَشَّرْعَةُ الْإِيمَانِ فِيهِ لَا تَقَاسُ بِمَا سِوَاهُ!

﴿٢٩:٦٧﴾ حَرَمًا آمِنًا ﴿٢٩:٦٧﴾ نَفْسَهُ عَنِ الْهَجْمَاتِ وَالتَّهْدِيمَاتِ، وَآمِنًا فِيهِ كُلُّ عَاكِفٍ وَبَادٍ ﴿٢٩:٦٧﴾ وَالحَالُ أَنَّهُ ﴿٢٩:٦٧﴾ يَتَخَطَفُ النَّاسَ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴿٢٩:٦٧﴾ تَخَطَفًا دُونَ مَا أَى تَعَطَّفَ فِي أَمْوَالِهِمْ وَأَعْرَاضِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ، فَلَقَدْ كَانَ أَهْلُ الْحَرَمِ الْمَكِّيِّ - وَيَكُونُونَ - يَعِيشُونَ آمِنِينَ، يَعِظُمُهُمُ النَّاسُ مِنْ أَجْلِ الْحَرَمِ الْمُحْتَرَمِ، وَمِنْ حَوْلِهِمُ الْقِبْلَةَ تَتَنَاحَرُ وَتَتَخَطَفُ، فَلَا تَجِدُ الْإِيمَانَ إِلَّا لَجَأًا إِلَيَّ الْحَرَامِ، فَيَا عَجَبًا أَنْ يَجْعَلُوا مِنْ بَيْتِ اللَّهِ مَسْرَحًا وَمَأْمِنًا لِبَاطِلِ الْأَصْنَامِ إِيْمَانًا بِهَا ﴿٢٩:٦٧﴾ أَفَبِالْبَاطِلِ ﴿٢٩:٦٧﴾ مَعْبُودًا سِوَى اللَّهِ أَيًّا كَانَ ﴿٢٩:٦٧﴾ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٩:٦٧﴾ ثُمَّ ﴿٢٩:٦٧﴾ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٢٩:٦٧﴾ وَالْكَفْرُ بِنِعْمَتِهِ هُوَ الَّذِي أَدْخَلَهُمْ جَحِيمَ الْكَفْرِ بِوَحْدَتِهِ افْتِرَاءً عَلَيْهِ كَذِبًا:

ادعيه من المضطرين الضالين

﴿٢٩:٣١﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩:٣١﴾

هذه وتسع أخرى عشرة كاملة تحدث عن إيلاج الليل في النهار وإيلاج النهار في الليل، وهي تدل على كروية الأرض، لولاها لكانت الأرض كلها ليلاً أم كلها نهاراً فلا مجال لولوج كل في الآخر.

ثم ﴿٢٩:٣١﴾ وسخر الشمس ﴿٢٩:٣١﴾ في شروقات وغروبات مختلفة حسب مختلف أيام السنة، في الآفاق الأرضية، بما يتحقق معه الولوجان ﴿٢٩:٣١﴾ كلٌّ يجري

إلى أجل مسمى ﴿٣٠﴾ هو يوم القيامة الكبرى، أو ليس الله الذى يجريهما مع سائر الجاريات إلى أجل مسمى، ليجرى المكلفين إلى أجلهم المسمى وهم أحق وأحرى؟ إذ ﴿٣١﴾ ان الله بما تعملون خبير ﴿٣٠﴾ فليجازكم بما عملتم قضية العدل، وإذ لا جزاء وأفياً هنا فليكن هناك.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ﴾

الْكَبِيرُ ﴿٣١:٣٠﴾

﴿ذَلِكَ﴾ العظيم العظيم، الكثير الكثير من البراهين الساطعة من الآيات الآفاقية والأنفيسية التى تحلق على الكائنات كلها، دالة على وجوده تعالى وتوحيده وكمال ربوبيته ﴿٣١﴾ بان الله هو الحق ﴿٣٠﴾ بكل ما للحق من معني: ثبوتاً ضرورياً لا بدءاً له ولا ختام، وثبوتاً لكل شئون الألوهية والربوبية، وثبوتاً لكل استحقاقات واختصاصات المعبودية.

و ﴿ذَلِكَ﴾ الصغير الصغير، الجافى الهزيل من كل دليل مما يدعون من دونه إنه هو الباطل بكل معانى البطلان كوناً وكياناً ﴿٣١﴾ وان الله هو العلى ﴿٣٠﴾ فلا يسامى أو يساوى ﴿الكبير﴾ فلا يوازي.

فكل حق يملك من البرهان ما يحققه قدره، وكل باطل هو صفر اليد عن أى برهان يثبته، بل ويبطله، ولأن الله هو الحق المطلق، فحق الدلائل كدائها ان تكون معسكر البراهين الدالة على حقه دون قصور ولا فتور.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلُكَ تَجْرَى فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ

لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١:٣١﴾

﴿نِعْمَتِ اللَّهِ﴾ هي التى تجرى بها الفلك على طول الخط، من الرياح التى تجرى السفن الشراعية، و من البترول والكهرباء و سائر الوسائل المكتشفة، حيث الكل نعم الله، والعلم الكاشف لها من نعمت الله ﴿٣١﴾ ليرىكم من آياته ﴿٣٠﴾ الدالة على حقه و ﴿٣١﴾ إن فى ذلك التبعيد الغور ﴿٣١﴾ لآيات لكل صبار شكور ﴿٣٠﴾. وعل الآيات هنا هي رقة الماء وخفة الفلك

الثقيلة علي الماء، وسببية الرياح لجريانها فوق الماء، وسائر الأسباب التي تُكشِف لكل صبار شكور، ومن الآيات هي الفطرية البارزة ﴿إِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظَّلْلِ﴾. ثم للصبِر والشكر واجهتان، صبر في البأساء وشكر في السراء وقد يعنِيهما قوله 3: ﴿الإيمان نصفان نصف صبر ونصف شكر﴾. ثم صبرٌ في التروك وشكر في الأفعال كما يعنيه قوله 3: ﴿الصوم صبر والأفعال شكر﴾^١. ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظَّلْلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ (٣٢:٣١)

﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ﴾ هؤلاء الرَّاكبين في الفلك مؤمنين ومشركين ﴿مَوْجٌ كَالظَّلْلِ﴾ وهي السحب السوداء الحاملة العذاب كما في ﴿عَذَابٌ يَوْمَ الظَّلَّةِ﴾ - دعوا الله مخلصين له الدين ﴿قضية نبوع الفطرة عند تقطع الأسباب ﴿فلما نجاهم الي البر فمنهم ﴿كقلة قليلة ﴿مقتصد ﴿في دعوته ودعائه، باقياً علي إخلاصه لله مهما قل أو كثر ﴿وما يجحد بآياتنا ﴿ك هذه الفطرية، واضرابها من عقلية وعلمية وحسية أماهيم ﴿إلا كل ختار ﴿غدار ﴿كفور ﴿مليء بالكفر والكفران.

فمنهم ﴿هناك تلمح إلي قلة، و ﴿كل ختار ﴿هنا إلي كثرة وكما هي طبيعة الحال في الناس وحتى في المؤمنين منهم، مهما اختلف شرك عن شرك.

ويا للهول العظيم - وعوداً بالله العظيم - موج يغشاهم كالظلل بسراذقه المحيطه بهم من كل جانب، وهم في الفلك كالريشة الحائرة في خضم البحر المائِر، مما يعرّي النفوس عن كل حالة مشركة خاترة غادرة حيث تقطعت الأسباب، فيتجهون عنها إلي رب الأرباب.

هنا يفتح كتاب الفطرة شاءوا أم ابوا، انفتاحاً اتوماتيكياً كما فطرهم الله ليقرأوها قراءة خاشعة خاضعة، ويدعوا الله حق الدعوة الخالصة ﴿فلما نجاهم الي البر فمنهم مقتصد ﴿قاصد قصد الفطرة، دون ان ينجرِف

١ . التفسير الكبير للفخر الرازي ٢٥ : ١٦٢ يرويها عن النبي 3.

بجارف الأمن والرخاء، ومنهم من يجحد ختاراً كفوراً.

هبهم هؤلاء الختارين الكفارين قد ينجون من ظل البحار هنا، فمن ذا الذي ينجيهم عن ظل الأخرى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ (٣١:٣٣)

جزى عنه: كفي، وهنا قد يجزي والد عن ولده مالا أو حالاً، أم يجزي مولود عن والده حالاً أو مالا، وفي يوم القيامة لاجزاء من أحد وان كان اقرب الأرقاب كالوالد والوالد ﴿ان وعد الله حق﴾ لا حول عنه بأي حول ومحاولة ﴿فلا تغرنكم الحياة الدنيا﴾ ان تغفلكم عن الأخرى، ام تحسبوها كما الأولى قد يجزي أحد احداً أو يجزي عنه ﴿ولا يغرنكم بالله الغرور﴾ وهو الشيطان الرجيم الذي يرأس كل نمرود وليست الحياة الدنيا في حد ذاتها مذمومة، بل هي حسب ما يعامل معها إما حسنة وإما سيئة.

﴿اثبت الناس رأياً من لم يغره الناس من نفسه ولم تغره الدنيا بتشويقها﴾.

١ . نورالثقلين ٤ : ٢١٧ عن الفقيه عن اميرالمؤمنين X حديث طويل وفيه قال السائل: فاي الناس اثبت رأياً؟ قال: ...

غير الله لا يملكون كشف الضر إلا بإذن الله

﴿ قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا

تَحْوِيلًا ﴾ (١٧:٥٦)

من اختصاصات الآله أنه قادر علي كل شيء، من كشف ضر أو تحويله، وإلا فهو مثلهم، لا يختص بالالوهية دونهم، أو هو دونهم ان كان من غير ذوى العقول: ﴿ اتخذوا من دونه آلهة لعلمهم يذصرون. لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون ﴾ (٣٦:٧٥)

و ﴿ الذين ﴾ في الآية تلمح إلي أنها تعذى الآلهة العقلاء من ملك أو جن أو انسان نبى أو اياً كان، مقربين عند الله فهم فيما هم لا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً فغيرهم أعجز وأضل سبيلاً!

والآية التالية ﴿ اولئك الذين ﴾ تصرح انهم هم ومن الصالحين، فهم لا يملكون هذا الكشف والتحويل فى أنفسهم ولا عن أنفسهم إذ ليسوا آلهة فى أنفسهم، ولا يملكون كشفاً ولا تحويلاً تخويلاً من ذى العرش حيث لم يُملكهم، فان هم إلا خلق من خلق الله يحاولون: ﴿ يدعون يبتغون الي ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ﴾ فكيف يُعبدون؟

فيما تنقطع الأسباب، وتحار دونه الأبواب، وكما تدعوا بطاقات وإمكانيات وأسباباً ظاهرية متعددة فلا تستجاب، وقتئذ لاتنقطع الرجاء فتدعوا فهل من مجيب ومستجاب؟ حين تدعوا ربك توفيراً وتوفراً لشروط الدعاء تستجاب، وإذ تدعوه فى ناقص الشروط أو ناقضها قد تستجاب وقد لا تستجاب، أليس هذا دليلاً علي أن ربك كائن لا شريك له؟

والذين يدعون مع الله سواه، ثم يدعون الذين زعموا من دونه آلهة، فلا يملكون كشف الضر عنهم ولا تحويلاً، هنالك لا إجابة من الآلهة ملائكة أو نبيين كمعبودين، وإن كانوا يدعون الله فيستجاب لهم إن لم يتوسل اليهم

كمعبودين:

لا إجابة هناك علي أية حال حين تدعونهم كآلهة، وإن كانوا من كانوا من المقربين، إذ لا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً، لا من أنفسهم، ولا من الله، إلا فيما يطلبونه - كعبيد - من الله، لأنفسهم أم لآخرين يعبدون الله، والذي يعبدهم لا يُرتضي، فهم لا يدعون له إذ لا يشفعون إلا لمن ارتضي^١ ولو دعوا لم يستجابوا.

أليس في هذه الدعوة الخاسرة الحاسرة آية باهرة انهم ليسوا آلهة فضلاً عما سواهم من غير العقلاء^٢ وهم لهم جند محضرون^٣!
^٤ أمن يجيب المضطر إذا دعاه و يكشف السوء... ء إله مع الله قليلاً ما تذكرون^٥ (٦٢:٢٧) فلو تذكركم موارد الإستجابة حين تدعون ربكم، واللاً إستجابة حين تدعون آلهة تزعمون، لعرفتم ألا إله إلا الله سبحانه وتعالى عما يشركون: ^٦ إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير^٧ (١٤:٣٥).

^٨ فيا من لا يملك كشف ضرى ولا تحويله عذى احدٌ غيره صل علي محمد وآله واكشف ضرى وحوّله الي من يدعوا معك إلهاً آخر لا إله غيرك^٩.

فكاشف الضر للمضطر هو الله، ومحوّله عنه أم إلهي غيره إن كان يستحقه هو الله، وليس لمن سوي الله حول ولا قوة إلا بالله، ولا يحوّل الله او يحوّل من حوله وقوته الي سواه، اللهم إلا الي من يشفعون باذنه فيُشفعون، وليسوا إلا من ارتضي الله شفاعته فـ ^{١٠} له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء

١ . نورالثقلين ٣ : ١٧٦ ح ٢٥٩ فى اصول الكافى عن ابى عبدالله^٣ كان يقول عند العلة اللهم انك عيّرت أقواماً فقلت: ^{١١} قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً^{١٢} فيامن...^{١٣}

إلا كباسط كفيه إلي الماء ليبلغ فاه وما هو
ببالغه وما دعاء الكافرين إلا في
ضلال ﴿١٣:١٤﴾

إن محمداً 3 وهو أول العابدين لا يملك لنفسه
نفعاً ولا ضراً فضلاً عما من دونه ممن اتخذوا
آلهة، فضلاً لمن يعبدونهم: ﴿قل لا أملك لنفسي
نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم
الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء إن
أنا نذيرٌ وبشيرٌ لقوم يؤمنون﴾ (٧:١٨٨)

المشركون طالما يدعون أربابهم فلا
يستجابون، ولكنهم عند البأساء والضراء لا
يدعون إلا ربهم ﴿قل أرأيتم إن أتاكم عذاب
الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم
صادقين. بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون
إليه إن شاء وتنسون ما تشركون﴾ (٦:٤١)
ان الذين زعمتم من دونه آلهة وهم عباد
صالحون:

﴿أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته و
يخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذوراً﴾ (١٧:٥٧)

﴿اولئك﴾ ممن زعمتم من دونه آلهة هم
انفسهم ﴿يدعون﴾ ربهم فكيف يدعون؟
﴿يبتغون الي ربهم الوسيلة﴾ لاستجابة ما
يدعون فكيف يبتغون؟ يدعون ﴿أيهم أقرب﴾..
ام ﴿اولئك الذين يدعون﴾ هم المشركون - هم
﴿انفسهم﴾ يبتغون الي ربهم الوسيلة..
﴿ايهم أقرب﴾ يبتغى الي ربه لكي يستجيب
دعاءه ويقربه إليه فكيف يوصلون ويتأصلون
في الدعاء وهم لانفسهم يتوسلون اذ يدعون!
ولقد امر الله عباده ان يبتغوا اليه
الوسيلة: ﴿يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله
وابتغوا اليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله

١ . هذا الوجه بناء علي كون ﴿الذين﴾ خبراً لـ
﴿اولئك﴾.

٢ . وجه ثان علي كون ﴿الذين﴾ صفة لـ
﴿اولئك﴾.

لعلكم تفلحون ﴿٥:٣٥﴾ .

هنالك مثلث من الوسائل الي الرب - ١ -
وسائل المعرفة فالعبادة ايهما اقرب وهم
الرسل ٢ - الوسيلة العبادة والتقوي
والجهاد فيهما أيها اقرب ٣ - الوسائل
الشفعاء عند الله عفواً عما قصرُوا او قصرُوا
ايهم اقرب.

هؤلاء الذين اتخذتموهم آلهة لكشف عنكم أو
تحويلاً، هم أنفسهم يبتغون الي ربهم الوسيلة
أيهم أقرب، فليسوا هم كلهم وسائل إلي الرب
فإنهم ايضاً يتوسلون، فيكف إذاً يُؤصّلون
كآلهة في كشف الضر؟

فمنهم مَنْ هم في القمة المعرفية
والعبودية، يبتغون أقرب الوسائل من
العبادة للقرب والزلفي، دون توسل بوسيط
الوحي إذ هم يوحي إليهم، ولا وسيط الشفاعة
إذ هم انفسهم شفعاء باذن الله.

ومنهم مَنْ هم دون القمة لا يوحي اليهم
ولا يحتاجون شفعاء، فلهم إذاً وسيلتان.
ومنهم مَنْ هو دونهما فيبتغون الي ربهم
الوسائل الثلاث أيهم وأيها اقرب.

فـ ﴿اولئك الذين يدعون﴾ هم المشركون، هم
العابدون للرب، المتوسلون إليه لأنفسهم أم
لسواهم حيث يؤذن لهم - ﴿ولا يشفعون الا لمن
ارتضى﴾!

﴿ويرجون رحمته﴾ بما يقدمون من وسائلها
﴿ويخافون عذابه﴾ حيث يتحدّرون وسائله،

١ . الدر المنثور ٤ : ١٩٠ - اخرج الترمذى وابن
مردويه واللقط له عن ابي هريرة قال قال رسول الله
سلوا الله لي الوسيلة قالوا: وما الوسيلة؟ قال:
القرب من الله ثم قرء ﴿يبتغون الي ربهم الوسيلة
ايهم اقرب﴾.

وفي ملحقات الأحقاق ١٤ : ٥٧٨ اخرج الحاكم الحسكاني
في شواهد التنزيل (ج ١ : ٣٤٢ ط بيروت) أخبرنا محمد
بن عبدالله بن احمد أخبرنا محمد بن احمد بن محمد
أخبرنا عبد العزيز بن يحيى بن احمد قال حدثني
احمد بن عمار الجماني عن علي بن مسهر عن علي بن
بذيمة عن عكرمة في الآية قال: هم النبي وعلى
وفاطمة والحسن والحسين X.

فالرجاء برحمة الله والخوف من عذاب الله كفتان متوازيتان لميزان الايمان و ﴿ ما من عبد مؤمن إلا وفى قلبه نوران نور خيفة ونور رجاء لو وزن هذا لم يزد علي هذا ولو وزن هذا لم يزد علي هذا ﴾^١ ف ﴿ من عرف الله خاف الله ومن خاف الله سخت نفسه عن الدنيا ﴾^٢ و ﴿ من خاف الله أخاف الله منه كل شيء ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شيء ﴾^٣ و إن حب الشرف والذكر لا يكونان في قلب الخائف الراهب^٤ ومما حفظ من خطب النبي³ أنه قال: ﴿ يا أيها الناس إن لكم معالم فانتهاوا إلي معالمكم وإن لكم نهاية فانتهاوا إلي نهايتكم ألا إن المؤمن يعمل بين مخافتين: بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه، وبين أجل قد بقى لا يدري ما الله قاض فيه، فليأخذ العبد المؤمن نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته وفى الشيبة قبل الكبر وفى الحياة قبل الموت فوالذى نفس محمد بيده ما بعد الدنيا من مستعتب ومابعدها من دار إلا الجنة والنار^٥ .

ليست الرجاء ان ترجوا دون ترج ولا الخوف أن تخاف دون تخوف، فليكل شرط يربطه دون هرج ومرج ف ﴿ من رجي شيئاً عمل له (طلبه) ومن خاف من شيء هرب منه ﴾^٦ .

١ . نورالثقلين ٣ : ١٧٦ فى اصول الكافي باسناد عن الحارث بن المغيرة عن ابى عبدالله X قال قلت له : ما كان فى وصية لقمان؟ قال : كان فيها الأعاجيب، وكان اعجب ما فيها ان قال لابنه : خف الله عزوجل خيفة لو جذته ببر الثقلين لعذبك وارج الله رجاء أ لوجدته بذنوب الثقلين لرحمك ثم قال ابو عبدالله X كان ابى يقول انه ما من عبد مؤمن... .

٢ . المصدر باسناد عن ابى عبدالله X ٣٦٢ و (٣) عنه ح ٢٦١ و (٤) عنه ح ٢٦٥ .

٥ . المصدر ح ٢٦٦ بسند عن ابى عبدالله X يقول : ان مما حفظ من خطب النبي³ .

اذ امسكم الضر ضل من تدعون الا اياه

﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضَّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهًا فَلَمَّا نَجَّكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ (١٧:٦٧)

هنالك إزجاءً رخي بغية الرحمة، وهنا اضطراب عدي، مشهد لطيف عطيف يجمع بين الرخاء الرجاء، ومكابدة العناء، حيث تحس القلوب الواجفة المتعلقة بكل رجفة وهزة كالريشة الصغيرة الهزيلة في مهب الرياح القاصفة علي ثبج البحار والدموج الجبار! ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضَّرُّ﴾ في خضم هذه الرحمة المُرْجِيَّة ﴿ضَلَّ﴾ عن قلوبكم ونفوسكم وتعلقاتكم ﴿مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهًا﴾ حيث القلوب حالة الرخاء متعلقة بالله وسواه، تحسب أن لمن سوي الله دخلاً في نجاة ونجاح، فاذا وقع في واقع منقطع عمن سوي الله كالبحر الملتطم، ينسي الركب في الفلك المتناوح بين الأمواج كل قوة وسناد إلا الله، إذ لا يري إلا الامواج، وحينذاك تظهر بارقة الفطرة المتعلقة في عمقها بالله، ويبرز رجاءً واحد ليس إلا بالله، رغم خفاءه عن الأبصار، وجلاء سواه للأبصار، فهنا تفتح البصيرة المغشية وتغمض الأبصار، ويظهر الرب للبصائر كالشمس في رابعة النهار!

﴿فلما نجاكم الي البر اعرضتم﴾ ... فحين تنجلي الغمرة ينمحي نور الفطرة حيث الانسان هو الإنسان كأن كيانه النسيان، يضل هنا من الله، كما ضل عنه قبله من سواه، حيث تتقاذفه الأهواء، وتتجاذبه الي غير الله فيعرض عن الله. ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ كأنه يضرب الي عمق الماضي في عمق الذات، رغم أن الذات الفطرة متجهة الي الله، ولكنما اللذات والشهوات تحول دون المُقَام في مقام الذات! ..

وهكذا يكون الإنسان النسيان، يذكر ربه وحده حين البأساء والضراء، وينساه حين النعماء، فليذكر أنه هو ربه لا سواه، حين

يضل من يدعوه إلا اياه .
 هذا البحر الملتطم نجوتم من ضره الي بره
 ثم أعرضتم، فهل انتم آمنون من ضر البر؟!
 ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُخَسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ
 وَكِيلاً﴾ (١٧:٤٨)

فأين الأمن ﴿ومَنهم من خسفنا به الأرض
 ومنهم من أغرقنا﴾ (٢٩:٤٠) وكما في قارون:
 ﴿فخسفنا به وبداره الأرض﴾ (٢٨:٨١)
 ليس هول الغرق منحصرأ في البحر منحسراً عن
 جانب البر، فانتم الآن نجوتم عن البحر الي
 البر فماذا يأمنكم ﴿ان يخسف بكم جانب
 البر﴾ فلماذا أعرضتم عن الله وأنتم بعد عُرْضة
 الخسف وهو أشد وانكي؟...
 انتم في قبضة الله في البحر والبر، ولا أمن
 عن غرق في البحر أم خسف بزلزال وبركان
 في البر ﴿او يرسل عليكم حاصباً﴾ : ريحاً
 مهلكة ترمي بالحصباء والحصا، عاصفة
 بركانية ام ماذا؟ تقذفكم بالحمم والماء
 والطين والأحجار! فانتم الهزالي الأذلاء في
 مثلث الغرق بحراً وبراً ام جواً ﴿ثم لا تجدوا
 لكم وكيلاً﴾ ينجيكم عن غرقكم.
 هب إنكم أمنتم البرّ حالاً كما امنتم البحر
 تر حالاً فماذا يامنكم ان يعيدكم الي ضر
 البحر؟

﴿أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا
 كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾ (١٧:٤٩)

وهب إنه امهلكم في البحر فما أغرقكم، ثم
 امهلكم في البر فما خسف بكم ولا ارسل عليكم
 حاصباً، فكيف تأمنون ان يعيدكم في البحر
 مرة أخرى فيرسل عليكم قاصفاً من الريح تقصف
 الجوارى وتخطم السفن، ثم لاتجدوا لكم علينا
 بقاصف البحر تبعاً يلاحق في نجاتكم؟
 ايدها الحشرة الهزيلة الذليلة، العائشة
 بين أخطار الغرق والخسف والحاصب والقاصف،
 بحراً وبراً وجواً، لماذا هذه الغفلة

الحمقاء، هذا الكفران المتواصل في النكران والعصيان، وهنالك القدرة الإلهية تصدي لك ثم لاتجد عليه وكياً ولا تبيعاً؟! *

* وَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَ

فَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴿١٧:٧٠﴾

آية عديمة النظير في صيغة التعبير، إذ تحمل بعدين بعيدين للمتحد الإنساني ومنزلته علي *مَنْ خَلَقَ كَل: *كَرَّمْنَا.. فَضَّلْنَا..! كرامة مطلقة بين *مَنْ خَلَقَ في تأكيدات ثلاث: *لِ *قَدْ - *كَرَّمْنَا: فالتكريم يفوق الإكرام عدة وعدة، ثم *وَلَقَدْ يؤكد مرتين، بينها الملائكة المعصومون *عباد مكرمون ﴿٢١:٢٦﴾ خلواً عن هذه الثلاث، ومن ثم *نَا في كرمننا هذه حيث تعني جمعية الصفات.

وفي سائر القرآن تصريحات وتلميحات بهذه الكرامة العليا للإنسان، فانه في التين *في أحسن تقويم *وفي الأنبياء *تبارك الله أحسن الخالقين.

وهناك رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ (٢٣:٣٣)

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ﴾: بعضاً قليلاً لا كلهم حيث الإيمان درجات، وفي هذا العرض يندمج المؤمنون غير الصادقين في عهدهم إلي قبيل المنافقين توسعاً فيهم وتضيقات في قبيل المؤمنين ثم لا يبقوا إلا الكافرون! وهذه صورة وضيئة من الإيمان الصادق تقابل صورة وضيعة من ضعف الإيمان تلحق الذفاق فتندمج إليه وكما مضت ﴿وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض﴾ وليتسابق المؤمنون في الحصول علي صورته الوضيئة الصادقة، ومواصفة هؤلاء المؤمنين في أول المطاف بـ: ﴿رجال﴾ تأتي لهم بصورة صارمة من رجولات و بطولات في إيمانهم، فليست تعدي رجولة الجنس فتخرج بها نساءً هنّ أرجل من رجال كما الصديقة الطاهرة الزهراء سلام الله عليها. فـ ﴿في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه... رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع ذكر الله...﴾ (٣٧:٢٤) و ﴿لبيت علي وفاطمة من أفاضلها﴾ علي حدّ قول الرسول³ فهي إذاً من هؤلاء الرجال، في رجولة العصمة القمة وتطلباتها: ﴿فيه رجال يحبون ان يتطهروا﴾ (١٠٨:٩)

وهكذا رجال الأعراف: ﴿وعلي الأعراف رجال يعرفون كلاً بسيماهم﴾ (٤٦) و ﴿نادي أصحاب الأعراف رجالاً يعرفونهم بسيماهم﴾ (٤٨) كما رجال الجنة، إذ ليس كل اصحاب الجنة رجال الجنس: ﴿وقالوا ما لنا لا نرى رجالاً كنا نعدهم من الأشرار، أتخذناهم سخرية أم زاغوا عنهم الأبصار﴾ (٦٣:٣٨) اللهم إلا رجال الوحي: ﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحى إليهم﴾ (٤٣:١٨) فإن رجولة الجنس من شروط وحي الرسالة: ﴿ولولا رجال مؤمنون ونساء﴾

مؤمنات... ﴿٢٥:٤٨﴾ ﴿أنتكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء﴾ ﴿٥٥:٢٧﴾ .
 ﴿رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾ :
 عاهدوه صدقاً وأتوا بما عاهدوه صدقاً بكل ما لديهم من طاقات وإمكانيات: قالاً وحالاً وفعالاً، نفساً ومالاً وعلي أية حال ما وجدوا له مجالاً، فما هو ما عاهدوا الله عليه؟ المعاهدة - وهى عهد بين اثنين، فالباديء معاهد والثانى معاهد عليه - هى قد تكون من الله أن يعاهدك على شيء وأنت تقبل: ﴿ألم أعهد إليكم يا بنى آدم ألا تعبدوا الشيطان...﴾ ﴿٦٠:٣٦﴾ وأخري أنت تعاهد الله على ما عهد إليك، ومعاهدة الآية هى الأخرى ﴿عاهدوا الله عليه﴾ وأول العهود الإلهية إلى المؤمنين أن لا إله إلا الله ﴿والمؤمنون كلهم يعاهدون الله على لا إله إلا الله﴾ ﴿فمنهم الصادقون، حيث يعيشون كلمة التوحيد قالاً وحالاً واعمالاً، دون أى نفاق بين حال وقال، ولا بينهما وبين الأعمال، وقد صدقوا فى عهد التوحيد تسليماً لله على أية حال.

ومن خلفيات هذه المعاهدة، مبايعة الرسول ﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتية أجراً عظيماً﴾ ﴿١٠:٤٨﴾ فالمبايعون الموفون بعهد الله هم الصادقون ولهم الأجر العظيم، والناكثون لعهدهم هم من المنافقين مهما كانوا من المؤمنين، حيث النفاق دركات كما الإيمان درجات، وآية الاحزاب تقابل بين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ﴿وبين المنافقين، فليكونوا أعم ممن هو فى الدرك الأسفل من النار ومن ضعفاء الإيمان. وقد اشترى الله المبايعين الصادقين بأنفسهم ونفائسهم: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً فى التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده

من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم ﴿٩: ١١١﴾ وهذا الإيفاء بعهد الله وهو بصيغة أخرى قضاء للنحب، لا يختص بأن يُقتل المؤمن فى سبيل الله، بل وأن يُقتل، قتل بعد أم لم يُقتل.

وكما ليس هؤلاء المؤمنون الصادقون هم الأولون - فقط - كذلك المبايعون الله الذين اشتري أنفسهم وأموالهم، فطول الزمان وعرض المكان يحوى من هؤلاء من قد يفوق الأولين أم يساميتهم:

﴿فمنهم من قضي نحبه ومنهم من ينتظر﴾. ﴿٩: ١١١﴾ وليس قضاء النحب - فقط - الموت، فصيغته الخاصة منهم من قتل أو مات وهما من مصاديق قضاء النحب فى سبيل الله، فقضاء النحب فيما

١ . يروي نزول الآية بشأن نفر من اصحاب رسول الله 3 كأنس بن نضر واصحابه فى الدر المنثور ٥: ١٩٠ - اخرج ابن سعد واحمد ومسلم والترمذى والنسائى والبعوى فى معجمه وابن جرير وابن ابى حاتم وابن مردويه وابو نعيم فى الحلية والبيهقى فى الدلائل عن انس (رض) قال: غاب عمى انس بن نضر عن بدر فشق عليه وقال: اول مشهد شهده رسول الله 3 غبت عنه لئن ارانى الله مشهداً مع رسول الله 3 فيما بعد ليرين الله ما اصنع فشهد يوم احد فاستقبله سعد بن معاذ (رضي الله عنه) فقال: يا ابا عمر! والى اين؟ قال: واها لريح الجنة اجدها دون احد فقال حتى قتل فوجد فى جسده بضع وثمانون من بين ضربة بسيف وطعنة برمح ورمية بسهم ونزلت هذه الآية ﴿رجال صدقوا﴾. ﴿٩: ١١١﴾ وكانوا يرون انها نزلت فيه وفى اصحابه. ومنهم مصعب بن عمير كما اخرج الحاكم وصححه وتعقبه الذهبي فى الدلائل عن ابى هريرة ان رسول الله 3 حين انصرف من احد مر على مصعب بن عمير وهو مقتول فوقف عليه ودعا له ثم قرأ ﴿من المؤمنين رجال﴾. ﴿٩: ١١١﴾ ثم قال 3 اشهد ان هؤلاء شهداء عند الله يوم القيامة فأتوهم وزورواهم فوالذى نفسى بيده لا يسلم عليهم احد الي يوم القيامة الا وردوا عليه وفى ملحقات الاحقاق ٣: ٣٦٣ روي نزول الآية فى على X عدة من اعلام القوم منهم ابن الصباغ فى فصول المهمة ١١٣ قيل سئل على X وهو على المنبر عن الآية قال: وفى عمر وحمزة وفى ابن عمى عبدة بن الجراح بن عبدالمطلب، واما عمى حمزة فانه قضي نحبه يوم احد واما فانتظر اشقاها يخضب هذه من هذا وأشار الى لحيته ورأسه عهد هذه الى حبيبي ابوالقاسم 3.

عاهدوا الله عليه ليس إلا أن يعيدشوا ملتزمين بعهده في كافة الحقول، ومن أفضلها الجهاد في سبيل الله بأنفسهم ثم بأموالهم، ﴿فيقتلون ويقتلون﴾ ما وجدوا للجهاد ظروفاً حيث الإنتظار فلها - فقط - ليس انتصاراً لقضية الإيمان بل هو الإنتصار لظرف يقضى فيه نحبه أن يُقتل أو يُقتل ﴿في سبيل الله﴾: ﴿إحدي الحسنيين﴾!

فقد يعنى ﴿نحبه﴾: عهده ومراهنته إذا وجد له مكانه ومكانته، قتالاً: ﴿فيقتلون ويقتلون﴾ أما إذا من جهاد في سبيل الله بنفس ونفيس إذ يقدم رخصاً دون بخس ونقص ما وجد له مجالاً!

ومن ثم يوفون كل معاني النحب، المرافقة للعهد: نذراً وهمّة وبرهاناً وحاجة وشدة وأجلاً و مدةً وعملاً ونفساً و سيراً سريعاً و جهاداً تكريساً لهممهم وبراھينهم في كل شدة وعمل من سير سريع و جهاد ليقتضوا حاجتهم من عهدهم ربهم ما دامت مدتهم وقام أجلهم، في نفس ونفيس بكل غال ورخيص!

فهم بين من قضي نحبه تماماً ما وجب عليه فيما عاهد عليه الله إن بالموت أو القتل أم في حياة ﴿ومنهم من ينتظر﴾ فرصة مناسبة لقضاء نحبه بموت أو قتل أم في حياة، فلا تختص قضاء النحب بقتل في سبيل الله مهما كان من أعلاها، فكل تضحية في سبيل الله كما تجب قضاءً لنحبٍ أياً كانت! وكما يروي فلا يعنى

١ . لسان العرب لابن منظور الإفريقي.
٢ . نورالثقلين ٤: ٢٥٨ ح ٤٨ عن روضة الكافي عدة من اصحابنا عن سهل بن زياد عن محمد بن سليمان عن ابيه عن ابي عبد الله X انه قال لابي بصير يا ابا محمد لقد ذكركم الله في كتابه فقال ﴿من المؤمنين رجال...﴾ انكم وفيتم بما اخذ الله عليه ميثاقكم من ولايتنا وانكم لم تبدلوا بنا غيرنا وفي اصول الكافي (٥٨) عن ابي عبد الله X قال: المؤمن مؤمنان فمؤمن صدق بعهد الله عزوجل ووفي بشرطه وذلك قول الله عزوجل ﴿رجال صدقوا...﴾ وذلك الذي لا يصيبه احوال الدنيا ولا احوال الآخرة وذلك من يشفع ولا يشفع له

قضاء الذنب إلا توفية العهد وهي للمعصومين
و من معهم حاصلة قبل الموت أو القتل أو
بهما يعيشون قضاء نحبهم علي أية حال!
❊ وما بدلوا ❊ ما عاهدوا الله عليه ❊ تبديلاً ❊
لا من قضي نحبه حين قضي ولا من ينتظر، وإنما
كملوا تكميلاً، و من الحكمة الحكيمة لذلك
الإبتلاء المثلث:

❊ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ ❊ و هم الذين صدقوا ما
عاهدوا الله عليه .

❊ وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ إِنِ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ❊

❊ ويعذب . . . معلوم وهو قضية النفاق، بل
❊ ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ❊
❊ فكيف ❊ او يتوب عليهم ❊؟



ومؤمن كخامة الزرع يعوج احياناً ويقوم احياناً فذلك
ممن يصيبه احوال الآخرة وذلك من يشفع له ولا يشفع .
اقول: ولان افضل ما عاهدوا الله عليه هو القتل أو
الموت في سبيل الله توفية كاملة للعهد فقد وردت
روايات اخري في ان قضاء الذنب هو الموت أو القتل
كما رواه في روضته الكافي (٤٩) عن ابي عبد الله X قال
قال رسول الله 3 يا علي من احبك ثم مات فقد قضي نحبه
ومن احبك ولم يمت فهو ينتظر . . . ❊ وفي كتاب
الخصال (٥٠) عن جابر الجعفي عن ابي جعفر X عن
امير المؤمنين X حديث طويل يقول فيه X ولقد كنت
عاهدت الله تعالى ورسوله انا وعمي حمزة واخي جعفر
وابن عمي عبيدة علي امر وفينا به لله تعالى
ولرسوله 3 فتقدمني اصحابي وتخلفت بعدهم لما اراد
الله تعالى فانزل الله فينا ❊ من المؤمنين رجال... ❊
حمزة وجعفر وعبيدة انا والله المنتظر يا ابا ايها
وما بدلت تبديلاً وفي ارشاد المفيد (٥٠) في مقتل
الحسين X ان الحسين X مشي الي مسلم بن عوسجة لما
صرع فإذا به رمق فقال: رحمك الله يا مسلم ❊ فمنهم من
قضي نحبهم ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً ❊ وفي
كتاب مقتل الحسين لابي محنف ان الحسين لما اخبر
بمقتل رسوله عبد الله بن يقطر تغرغرت عينه بالدموع
وفاضت علي خديه ثم قال: ❊ فمنهم من قضي نحبهم... ❊
وفي مناقب ابن شهر آشوب (٥٧) ان اصحاب الحسين
بكر بلا كانوا كل من اراد الخروج ودّع الحسين X
وقال: السلام عليك يا ابن رسول الله 3 فيجيبه: وعليك
السلام ونحن خلفك ويقرء ❊ فمنهم من قضي نحبهم... ❊ .

﴿فَإِذَا قُضِيَتْمْ مَنَاسِكُكُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ
مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ﴾ (٢: ٢٠٠)

قضاء المناسك هو الإنتهاء عنها كلها حيث لا يبغي منسك إلا مقضياً، فليس إلا بعد أيام معدودات والطوافين والسعي بينهما، أم هي أصول المناسك إذا - فـ ﴿قضيتم﴾ ﴿تقضى بوجوب الطواف والسعي قبل أيام التشريق لمكان﴾ واذكروا الله في أيام معدودات.. ﴿قضيتم﴾.

فقبل قضاء المناسك لا ذكر إلا ذكر الله، منحصرأ في الله منحصرأ عما سواه ﴿فإذا قضيتم مناسلكم فاذكروا الله﴾ مع سائر الذكر التي تتطلبها حياتكم المتعودة حسب الحاجة.

﴿فاذكروا الله كذكركم آباءكم﴾ لا أن تذكرهم فقط - دون الله، ولا دون ذكر الله، بل لا أقل من ذكره ﴿كذكركم آباءكم﴾ في عديده، لافي مادته وكيفه ومدیده، بل ذكر الله لأنه الله كما يحق لساحة قدسه، وذكر الآباء كما يحق لساحة عبوديتهم لله، دون إفراط هنا ولا تفريط هناك. ﴿أو اشد ذكراً﴾ شداً في عده، وشداً في سؤال، وشداً في حب حيث ﴿الذين آمنوا أشد حبا لله﴾ فهو - إذا - شداً بكل معانيه، في كل أسبابه ومغازيه، مادة ومدة وعدة وعدة، دون إشراك بالله في ذكرهم فإنه محذور مهما كان قليلاً.

وقد يروي عن باقر العلوم X قوله علي ضوء الآية، انهم كانوا إذا فرغوا من الحج يجتمعون هناك ويعدون مفاخر آباءهم ومآثرهم ويذكرون أيامهم القديمة وأيادهم الجسيمة فامرهم الله سبحانه أن يذكروه مكان ذكرهم آباءهم في هذا الموضع ﴿أو اشد ذكراً﴾ أو يزيدوا علي ذلك بأن يذكروا نعم الله سبحانه ويعدوا آلائه ويشكروا نعمائه، لأن آباءهم وإن كانت لهم عليهم أيادٍ ونعم، فنعم الله سبحانه عليهم أعظم، وأياديه عندهم أفخم، ولأنه سبحانه المنعم بتلك المآثر والمفاخر

علي آباءهم وعليهم.^١
 هنا ❀ كذركم آباءكم ❁ بل و ❀ أو اشد
 ذكراً ❁ لاتعنى أن يذكروا الآباء مع الله سوية أو
 أن الله أشد ذكراً، كما شارك بالله، وإنما يحمل
 طابع التنديد بذكرهم آباءهم كأن لا إله
 يُذكر، ولئن تذكرون آباءكم لا شركاء، فليكن
 أقل من ذكر الله ف ❀ اذكروا الله ذكراً كثيراً ❁
 علي آية حال، في كل حل وترحال، فما آباءكم
 أو أبناءكم إلا من خلق الله، وقد يحتمل
 ❀ كذركم آباءكم ❁ ذكر الوحدانية، فإن
 الواحد منكم إن انتسب إلي أبوين متشاكسين
 إستياءً وذكر والده الواحد وإن لم يكن به،
 فاذكروا الله كذلك بوحدته استياءً عن شركاء
 له، فإنه الخالق أحري بوحدته من الوالد.
 ثم ❀ أو اشد ذكراً ❁ هو تعريف في توحيد
 أكثر من الأب، فأين وحدة من وحدة، فالذكر
 هنا يحلق علي كل ذكر للآباء، ذكراً لوحدتهم،
 وذكراً لرحمتهم، وذكراً لسوددهم وذكراً لهم
 حين يغضبون أو يرضون، فلتغضب لغضب الله ولترض
 لرضاه كما لوالديك ❀ أو أشد ذكراً ❁.

❀ فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ ❁

تخلل هذه الجملة بين آيات المناسك هو
 بمناسبة أنها أنسب المواقف للدعاء، فهذه
 تحمل أنحس دعاء، والتالية أحسن دعاء
 وبينهما عوان، كما لذي يخص دعاءه بحسنة
 الآخرة^٢ ام يجمع بينهما حسنة فيها ودون قيد

١ . في مجمع البيان ❀ كذركم آباؤكم ❁ معناه ما
 روى عن أبي جعفر الباقر (عليهما السلام) ...
 وفي تفسير العياشي عن زرارة عن أبي جعفر (عليهما
 السلام) في الآية قال: كانت العرب إذا وقفتوا
 بالمشعر يقولون: لا وابعك لا وأبي فأمرهم الله أن
 يقولوا: لا والله وبلى والله. أقول وهذا في غير الجدال
 فإنه ممنوع حالة الإحرام.

٢ . الدر المنثور ١: ٢٣٣ - أخرج ابن أبي شيبة
 وأحمد وعبد بن حميد والبخاري ومسلم والترمذي
 والنسائي وأبو يعلى وابن حبان وابن أبي حاتم في
 الشعب عن أنس أن رسول الله³ عاد رجلاً من المسلمين قد
 صار مثل الفرخ المنتوف فقال له رسول الله³ هل كنت
 ←

في الأولي، أم يطلب حسنة الدنيا دون الآخرة أمأهيه، من دعاء عوان بين ﴿من يقول ربنا آتينا في الدنيا﴾، ومن يقول: ﴿ربنا آتينا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار﴾.

فلما قال الله ﴿فاذكروا الله﴾ شاملاً لكل ذكر ودعاء، ومنه تطلب الدنيا وأنت في عمل الآخرة، ولأن من آداب الدعاء أن تكون بعد ذكر الله بربوبيته وذكر نفسك بعبوديتك وذنوبك، تأتي ﴿فمن الناس﴾ تفريعاً علي ﴿اذكروا الله﴾.

ويأله ترتيباً مثلثاً رقيقاً، ذكر المناسك، ثم ذكر الله ثم الدعاء، فلا بد في الدعاء من سعى قبلها، ثم ذكر لله ينضجه، ومن ثم الدعاء، فالدعاء قبلهما فارغة مهما بلغت من الإصرار والتكرار.

وكما علمنا الله مناسكنا، ثم علمنا ذكره، هكذا علمنا بعدهما كيف ندعوه، تنديداً بطالح الدعاء وتمجيدياً لصالحها، وهنا أخذ الله يقسم الذاكرين له الداعين إياه إلي قسمين رئيسيين يعرف منهما سائر الأقسام.

فـ ﴿من يقول ربنا آتينا في الدنيا﴾ ودون تقييد بحسنة، وإنما ايتاء في الدنيا من مال ومنال علي أية حال، أضرت بالآخرة أم نفعتها، فإنما القصد هو الدنيا لا سواها ﴿وماله في الآخرة من خلاق﴾ إذ لم يدع لها



تدعو الله بشيء؟ قال: نعم كنت أقول: اللهم ما كنت معافى به في الآخرة فعجله لي في الدنيا، فقال رسول الله³: سبحان الله إذن لا تطيق ذلك ولا تستطيعه فهلا قلت: ﴿ربنا آتينا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار﴾ ودعا له فشفاه الله.

ورواه الطبرسي في الإحتجاج عن موسى بن جعفر عن أبيه عن أبائه عن الحسن بن علي عن أبيه (عليهم السلام) قال: بينما رسول الله³ جالس إذ سأل عن رجل من أصحابه فقالوا يا رسول الله انه قد صار في البلاد كهيئة الفرخ لا ريش عليه فأتاه³ فإذا هو كهيئة الفرخ لاريش عليه من شدة البلاء فقال له: قد كنت تدعوا في صحتك دعاء؟ قال: نعم كنت أقول...

ولا سعي سعيها .
وقد يشمل ❁ الناس ❁ هنا النسناس الذين لايسعون لآخرة كما لايدعون لها ❁ من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها يبخسون ❁ (١١:١٥) فدعاء هؤلاء النسناس وهم بين كافر ومشرك ليس ❁ ربنا ❁ في لفظة قول، بل في همامة تشمل الحال والفعال والقال، دون اتجاه فيها إلي الله.

كما يشمل أشباه الناس الذين هم لحدّ مّا مؤمنون، ولكنهم لا يسألون حسنة الآخرة فيما يسألون، وإنما يسألون الدنيا ودون تقيد بحسنتها ❁ وماله في الآخرة من خلاق ❁ هنا يخص نصيب الداعين دون كل العاملين، ودعاء هؤلاء الأشباه للناس وإن كان يعم مثلث الدعاء، ولكنه أحياناً موجّه إلي الرب ❁ ربنا . ❁ فيمن يدعو من الداعين، وكما كانوا يدعون في الحج مشركين وموحدين: اللهم اجعله عام غيث و عام خصب و عام و لاد حسن، لا يذكرون من حسنة الآخرة شيئاً! وليس هؤلاء كشأن لنزول الآية إلا نماذج مكرورة علي مر الأجيال، يذكر الدنيا وحدها حتي حين يتوجه إلي الله، لأنها التي تشغله عن الآخرة وتملأ فراغ نفسه ووافق سؤله، وتحيط كل حياته وتغلقه عليه.

ولتعني الدنيا هنا - فقط - شهواتها المادية، بل والمناصب الروحية التي يراد منها نصيب الدنيا وحظواتها، مهما كانت قيادة روحية إمامة او مرجعية أمأهيه، بل هي أشهي وأرغب من سائر نصيب الدنيا.

❁ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ

النَّارِ (٢٠١) أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ❁ (٢٠٢:٢)

❁ يقول ❁ هنا كما ❁ يقول ❁ هناك تعم الحال والفعال إلي القال، فهو في مثلث الأحوال يطلب مثني سؤله ❁ ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ❁ وما هي ❁ حسنة ❁؟ إنها - دون ريب - صفة لمحذوف

معروف، ولا أعرف من ❀ حياة ❀ ولا أشمل منها في حسنة أو سيئة، فلو كان الموصوف خاصاً لخص بالذكر لأنه غير معروف!

ف ❀ حسنة ❀ فيهما هي الحياة الحسنة، وهي المرضية لله تعالى التي تجمع كافة الحسنات، فحسنة الحياة في الدنيا هي التي يُصلح - فيما يُصلح - الآخرة، كما حسنتها في الآخرة لاتناحر حسنة تناسبها وتعدُّ لها في الدنيا، فإن دنيا المؤمن آخرة، وآخرتة لا تصده عن دنياه، حيث ❀ الدنيا مزرعة الآخرة ❀ ومطيئتها لمن أبصر بها فبصرتة، ولم يبصر إليها فأعمته. ف ❀ حسنة ❀ في الأولى هي ❀ حسنة ❀ في الأخرى، بل وعشر أمثالها، ثم يزيد الله لمن يشاء ويرضي، فالإسلام لا يحصر حسنة الحياة في الآخرة وهي الأصيلة فيها، إنما يُخرج المحصورين في الدنيا المحصورين عن الآخرة عن حصرهم بأسرهم، ويطلق الإنسان من أسوار هذه الحياة الفانية، إلي فسيح الحياة الأخرى، جمعاً بين حسني الحياتين.

فمن حسنة الدنيا العلم النافع والمال الذي يصرف في مرضاة الله وزوجة سالحة وولد صالحون، ثم والمنال من قيادة زمزية أو روحية يتذرع بها إلي رضوان من الله. كما ومن حسنة الدنيا الفقر دون الغني التي تبعث الإنسان إلي عيث الفساد، وكل ما يقابل الحسنات الإيجابية المذكورة وما أشبهها، إذا كانت في سلبيتها حسنة تحافظ علي كيان الإيمان في الدنيا، والرضوان في الآخرة.

فهي - إذاً - أجمع دعاءً وأجملها، حيث تضم حسنة الحياة في ميزان الله ورضوانه علي طول الخط، فكل ما يصيب المؤمن بعد هذه الدعاء المستجابة هو حسنة مهما كانت سيئة في

١ . نورالثقلين ١ : ١٩٩ عن أبي عبد الله X في الآية قال: رضوان الله والجنة في الآخرة والسعة في الرزق والمعاش وحسن الخلق في الدنيا.

الظاهر، وكما نري الإبتلاءات تتري علي الصالحين الأمثل منهم فالأمثل، وهي في الحق حسنة لهم في الأولي، مهما كانت تؤلمهم، فإنما ﴿حسنة﴾ هي المعنية في ميزان الله دون أهوائنا ورغباتنا.

ثم ﴿وقنا عذاب النار﴾ تشمل النارين في الدنيا والآخرة، كما شملت ﴿حسنة﴾ النورين فيهما، فكما أن من نار الدنيا العمل السوء الذي هو نار في الآخرة، كذلك مزيد النعم التي تُغفله وتُترفه فتورده موارد السوء.

وكذلك النقم بنفس القياس، فالفقر الذي كاد أن يكون كفرًا أمًا أشبه، هو كذلك من نار الدنيا التي تُؤجج نار الآخرة.

إذاً فسؤل المؤمن وسؤاله منحصر في ﴿حسنة﴾ هنا وفي الآخرة، منحسر عن كل سيئة تسيء حياته هنا ومن وراءها الآخرة.

ويال لها من دعاء عديمة النظير، لحد يكررها البشير النذير علي أية حال كخير دعاء، ف﴿كان أكثر دعاء يدعو بها رسول الله³ وفي أقدس مكان ﴿فيما بين الركن

١ . الدر المنثور ١ : ٢٣٣ - أخرج ابن أبي شيبة والبخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وأبو يعلى عن أنس قال: كان أكرر دعوة يدعو بها رسول الله³ اللهم ربنا... .

المصدر أخرج الشافعي وابن سعد وابن أبي شيبة وأحمد والبخاري في تاريخه وأبو داود والنسائي وابن خزيمة وابن الجارود وابن حبان والطبراني والحاكم وصححه والبيهقي في الشعب عن عبد الله بن سائب أنه سمع النبي³ يقول فيما بين الركن اليماني والحجر: ربنا آتنا... .

وفيه أخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال قال رسول الله³ ما مررت علي الركن إلا رأيت عليه ملكاً يقول آمين، فإذا مررت عليه فقولوا: ربنا آتنا... . وفيه أخرج أحمد والترمذي وحسنه عن أنس قال: جاء

رجل إلي رسول الله³ فقال: يا رسول الله أي الدعاء أفضل، قال تسأل ربك العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة، ثم أتاه من الغد فقال يا رسول الله أي الدعاء أفضل، قال: تسأل ربك العفو والعافية ثم أتاه من اليوم الرابع فقال يا رسول الله أي الدعاء أفضل قال: تسأل ربك العفو والعافية في الدنيا



اليمانى والحجر ﴿١﴾، هذه أفضل دعاء وتلك أرذلها وبينهما عوان.

﴿أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب﴾ (٢:٢٠٢)

﴿أولئك﴾ الذين يطلبون الحسنه فيهما ﴿لهم نصيب مما كسبوا﴾ من دعاء وسواها، كما أولئك الذين يطلبون الدنيا ﴿لهم نصيب مما كسبوا﴾ فكل نمذ هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً ﴿فلا نصيب لدعاء دون كسب، كما لا يكفى كسب دون دعاء﴾، فلا يؤتى خير الدارين إلا بسعى معه دعاء ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى﴾ كسباً ودعاءً، وهو الاحسان الذى يخلف حسنة: ﴿للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير﴾ (١٣:١٣) ﴿ومن يقترب حسنة نزد له فيها حسناً إن الله غفور شكور﴾ (٢٣:٤٢).

ولماذا ﴿نصيب مما كسبوا﴾ دون ﴿نصيب ما كسبوا﴾ ككل، وعدل النصيب هو قدر الكسب؟ ﴿نصيب﴾ هنا قد تكون قدر الكسب دعاءً وعملاً أو زاد ك نصيب الآخرة، أم قدره أو نقص أو زاد كنصيب الدنيا، فإنه ليس إلا قدر المصلحة والحكمة الربانية، إذا فنصيب الدنيا فى مثل حسب الحكمة من جراء ﴿ما كسبوا﴾ لها، ونصيب الآخرة فى مثني ثانيهما قضية الفضل وهو دائب كما وعد الله ممن ﴿جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾ و ﴿نصيب﴾ يشمل ذلك المخمس فى النشاطين وكما تشمل النصيبين لأهل الدنيا والآخرة ﴿ولا يظلمون نقيراً﴾.

فمن كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحوراً. ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً. كلاً نمذ هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان

← والآخرة فانك اذا اعطيتها فى الدنيا ثم اعطيتها فى الآخرة فقد افلحت.

عطاءً ربك محظوراً ﴿١٧:٣٠﴾
 ﴿والله سريع الحساب﴾ حساب نصيب الكسب دونما تأخير هنا وفى الأخرى، إذ لا مانع لحسابه، ولا رادع لعدله وفضله، فلماذا التباطؤ فى حساب الكاسبين: الساعين الداعين.
 ولحساب الله تعالى كل حساب، حساب العدل والفضل فى كل من الكسب والجزاء، دونما ظلم ولا نكير، و دون أى تأخير عن أجله الأجل أو العاجل، قضية الحكمة الربانية، فحساب الأخرى هو فى الأخرى، وحساب الأولي فى الأولي، إلا ما يجازي به فى الأخرى.
 ذلك وكما الله سريع الحساب فى أصل الدعاء، حيث يجيب دعوة الداع بحسابها وحساب المصلحة، واقعية وزمنية، دون إجابة فوضى لأنك دعوت، فإذا كانت الإجابة سالحة فلا تأخير عن وقتها الصالح.
 فهى - إذا - سرعة عليمه حكيمة قديرة جديرة بساحة الربوبية، دون تسرع جاهل، ام تباطيء قاحل.
 ﴿من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله فى الآخرة من نصيب﴾ ﴿٤٢:٣٠﴾ وكل بسريع الحساب.
 وحسنة الدنيا والآخرة - ككل - هى حرث الآخرة كما يتطلبها الصالحون فى ﴿ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار﴾.
 والحياة الدنيا بأسرها دون حسنة سالحة هى حرث الدنيا، مما كانت فى صورتها روحية ربانية، كمن يريدون علواً فى الأرض بقيادة روحية لا يريدونها إلا شهوة الرئاسة وزهوة المقام، إذا فبقال أو حمال او كناس مؤمن يريد وجه الله هو من أهل الآخرة، وقائد روحى عظيم لا يبتغى وجه الله هو من أهل الدنيا ﴿وماله فى الآخرة من خلاق﴾!

من آداب الدعاء

دعوة الله

بالأسماء الحسنى لله

﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٧: ١٨٠)

لقد تحدثنا عن ﴿الأسماء الحسنى﴾ علي ضوء آيات الأُسري (١١٠) و طه (٨) والحشر (٢٤) في ثانی المجلدين: الله في الكتاب والسنة وهنا زيادة ﴿يلحدون في أسماءه﴾ نتحدث - فقط - عنها دون زيادة أخرى اللهم إلا شطراً. كما أن ذات الله في الحسنى المطلقة بين الذوات، بل ولاحسن لها أمام قدسية هذه الذات، كذلك ﴿الله الأسماء الحسنى﴾ ذاتية وفعلية، وذوات المقربين والسابقين التي هي من أحسن الأسماء الفعلية وكذلك الأسماء اللفظية التي تعنى مثلث الأسماء هذه ﴿فادعوه بها﴾ لاسواها.

والإلحاد في أسماء، منه أن تختلق له أسماء من أي الأربعة، أم تفسر بغير معانيها، أم يدعي بها خلاف المرسوم أو المطلوب بها في أي دعاء: إستدعاءً ونداءً ومعرفةً وتوصلاً وما أشبهه.

والإلحاد في أسماءه تعالى وجاه التوحيد فيها يعنى كدى الإشراك والإلحاد، وكافة التخلفات عما رسمه الله من دعوته بها كما هو المسرود في القرآن والسنة.

ومن الإلحاد في أسماءه تسمية غيره بها كما هو يدعي، تركاً له سبحانه فالجاء أم إشراكاً به بإشراك، ومنه تحسب عناية أسماءه معاني زائدة علي ذاته في أسماءه الذاتية، وتحسب

١ . نورالثقلين ٢: ١٠٣ في أصول الكافي عن أبي عبدالله^X قال في الآية: نحن والله الأسماء الحسنى التي لا يقبل الله عملاً إلا بمعرفتنا.

عديدها واقعيأ، وما أشبه من تخلفات عن
 شرعة التوحيد الحق وحق التوحيد في الأسماء
 الحسنی ﴿﴾ - وذرؤا الذين يلحدون في أسماءه
 سيجزون ما كانوا يعلمون ﴿﴾ من تخلفات عن رسم
 التوحيد فيها وتوحيدها.
 واحسن أسماءه الحسنی اللفظية وأجمعها هو
 الإسم الظاهر: ﴿الله﴾ وهو الإسم الباطن: ﴿هو﴾
 فـ ﴿الله﴾ ليس له سمى حتى عند المشركين
 والملحدین: ﴿فاعبده واصطبر لعبادته هل
 تعلم له سمياً﴾ (١٩:٦٥).
 والأسماء اللفظية الحسنی حسب المذكور في
 القرآن ما ئة وخمسة وأرب عون^١ والروايات

١ . إليكم هذه الأسماء حسب ترتيب حرف التهجي: سواء
 المذكورة بألفاظها أو المستفادة من صيغها:
 ألف: الله - الإله - الأحد - الأول - الآخر - الأعلى -
 الأكرام - الأعلم - أرحم الراحمين - أحكم الحاكمين
 - أحسن الخالقين - أهل التقوي - أهل المغفرة -
 الأقرب - الأبقى - أسرع الحاسبين - أسرع مكرأ -
 ب - الباريء - الباطن - البديع - البر - البصير -
 الباقي -
 ت - التواب - التائب
 ج - الجبار - الجامع
 ح - الحكيم - الحليم - الحي - الحق - الحميد -
 الحسيب - الحفيظ - الحفي
 خ - الخبير - الخالق - الخلاق - الخير - خير
 الماكرين - خير الرازقين - خير الفاصلين - خير
 الحاكمين - خير الفاتحين - خير الغافرين - خير
 الوارثين - خير الراحمين - خير المنزلين
 ذ - ذوالعرش - ذوالطول - ذوالإنتقام - ذو الفضل
 العظيم - ذو الرحمة - ذو القوة - ذوالجلال و
 الإكرام - ذوالمعارج - ذوالمغفرة .
 ر - الرحمان - الرحيم - الرؤوف - الرب - رفيع
 الدرجات - الرازق - الرقيب - رب الفلق
 س - السميع - السلام - سريع الحساب - سريع العقاب
 - أسرع الحاسبين - أسرع مكرأ
 ش - الشهيد - الشاهد - الشاكر - الشكور - شديد
 العقاب - شديد المحال - شديد القوي - شديد
 العذاب .
 ص - الصمد
 ظ - الظاهر
 ع - العليم - العزيز - العفو - العلى - العظيم -
 علام الغيوب - عالم الغيب و الشهادة
 غ - الغنى - الغفور - الغالب - غافر الذنب -
 الغفار



القائلة إنها تسعة وتسعون بين مطروحة -
 إذاً - أو مأولة برجوع الزائدة عليها من
 عديد القرآن إلي تسعة وتسعين، وكما يروي
 عن النبي³ وهي في القرآن^١.
 وظاهر التعبير في الكتاب والسنة عن
 الأسماء الحسنی أنها توقيفية لايجوز
 الزيادة فيها ولا النقص عندها، بل وهما من
 الإلحاد في أسماءه تعالى، كمثله *العلة*
 علة العلل و*واجب الوجود* وما أشبهه -
 سبحان الله عما يصفون. إلا عباد الله المخلصين^٢
 (١٦:٣٧) وأسماء الله تعالى هي توصيفات له
 سبحانه، *ان الخالق لا يوصف إلا بما وصف به
 نفسه وأني يوصف الذي تعجز الحواس أن تدركه
 والأوهام أن تناله والخطرات أن تحده
 والأبصار عن الإحاطة به جل عما يصفه

←

ف - فالق الإصباح - فالق الحب والنوي - الفاطر -
 الفتح
 ق - القوى - القدوس - القيوم - القهار - القريب -
 القادر - القدير - قابل التوب - القائم علي كل
 نفس بما كسبت
 ك - الكبير - الكريم - الكافي
 ل - اللطيف
 م - الملك - المؤمن - المهيمن - المتكبر - المصور
 - المجيد - المجيب - المبين - المولي - المحيط -
 المقيت - المتعال - المحيي - المميت - المتين -
 المقتدر - المستعان - المبدي - مالك الملك - مالك
 يوم الدين
 ن - النصير خير الناصرين - النور
 و - الوهاب - الواحد - الولي - الوالي - الواسع -
 الوكيل - الودود - الوفي - المتوفى
 ه - الهادي - هو
 ١ . الدر المنثور ٣ : ١٤٨ - أخرج أبونعيم عن ابن
 عباس وابن عمر قالا قال رسول الله³ : تسعة وتسعون
 إسماء من أحصاها دخل الجنة وهي في القرآن، أقول:
 وهذه التسعة والتسعون لما تطابق بما ذكرناه من
 المائة وخمسة وأربعين، نجدتها فيها والستة
 والأربعون هي من المكررات الراجعة إلي التسعة
 والتسعين، وقد نقل هذا العدد عن النبي³ في بخ - ك
 ٥٤ ب ١٨، ك ٨٠ ب ٦٨، ك ٩٧ ب ١٢ مس - ك ٤٨ ح ٥ و ٦
 - تر - ك ٤٥ ب ٨٢ - مج - ك ٣٤ ب ١٠ حم - ثان ص
 ٢٥٨ و ٢٦٧ و ٣١٤ و ٤٢٧ و ٤٩٩ و ٥٠٣ و ٥١٦.

الواصفون وتعالى عما ينعتة الناعتون...^١ ذلك، وكما أن اشتقاق أسماء للخلق من أسماء الخاصة هو من الإلحاد في أسماءه تعالى، كإلهة من الإله وما أشبهه^٢ وذروا الذين يلحدون في أسماءه^٣ جهلاً بغير علم، فالذى يلحد في أسماءه بغير علم يشرك وهو لا يعلم ويكفر به، وهو يظن أنه يحسن، ولذلك قال: وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون فهم الذين يلحدون في أسماءه بغير علم فيضعونها غير مواضعها^٤.

وبرجعة أخرى إلى آية *الأسماء الحسنی* ننتبه بما يلي:

في تقديم *الله* علي *الأسماء الحسنی* عناية لحصرها فيه سبحانه وتعالى، فليس - إذاً - لغيره أسماء حسني حيث هم بجذبه فقراء ولا حسن فيهم إلا كيان الفقر والإفتقار إليه وكما يروي عن أحسن أسماءه الفعلية رسول الهدي (ص) أن *الفقر فخرى*.

فادعوه بها يدلنا انه تعالى لا يدعي إلا بها، فدعوته تعالى بغيرها أم دون اسم منها إلحاد فيها.

يلحدون في أسماءه مما يدلنا علي توقيفية الأسماء الحسنی حيث *الأسماء* تعني المعهودة وطبعاً هي في الكتاب والسنة، ولو لم تكن توقيفية لما كان للإلحاد في الأسماء اللفظية معني.

قضية الدعوة بها أن يعرف من معانيها ما يصح أن يدعي بها، وهما ركنان ركينان لتلك الدعوة هما معرفة ذل العبودية وعز الربوبية.

١ . نورالثقلين ٢: ١٠٣ في أصول الكافي عن أبي الحسن X أنه قال:

٢ . وقد حلف المشركون في الجزيرة من أسماء الله الحسنی فسموا بها آلهتهم المدعاة فحرفوا *الله* فسموا به *اللات* و *العزیز* فسموا به العزي.

٣ . المصدر عن كتاب التوحيد للصدوق باسناده إلى حنان بن سدير عن أبي عبدالله X: ...

ولأن الإلحاد هو الميل عن الحق، إذاً فـ
 ❁ يلحدون في أسماءه ❁ هو الميل عن الحق في
 كلا الأسماء والدعوة بها، إلحادان اثنان هما
 ركنان للمعنى من ❁ يلحدون في أسماءه ❁.
 ومن الإلحاد في أسماءه إطلاقها علي غير الله
 كما يطلق علي الله، ومنه تسميه تعالي ودعوته
 بغير هذه الأسماء، ومنه عناية المعاني غير
 اللائقة بساحته منها، وما أشبهه.
 ذلك، ومن مجامع الأسماء الحسنى سلبياً
 وإيجابياً، كتاباً وسنة، محلقة عليها كلها،
 وشارحة لمعانيها ومغازيها، مبرهنة عليها،
 موضحة إياها، إن مذهب الخطبة التوحيدية
 الجامعة لكل شؤونها ذاتياً وصفاتياً
 وأفعالياً، للإمام علي أمير المؤمنين X ما
 لاتجمعه غيرها من الخطب بعد الرسول 3:
 ❁ ما وحده من كيّفه، ولا حقيقته أصاب من
 مثله، ولا إيّاه عني من شبّهه، ولا حمد من
 أشار إليه وتوهمه، كل معروف بنفسه مصنوع،
 وكل قائم في سواه معلول، فاعل لا باضطراب
 آلة، مقدر لا بجول فكرة، غني لا باستفادة، لا
 تصحبه الأوقات، ولا ترفده الأدوات، سبق الأوقات
 كونه، والعدم وجوده، والإبتداء أزلّه،
 بتشعيره المشاعر عُرف أن لامشعر له،
 وبمضادته بين الأمور عرف أن لاضد له،
 وبمقارنته بين الأشياء عرف أن لاقرين له،
 ضادّ النور بالظلمة، والوضوح بالبُهمة،
 والجُمود بالبلل، والحرور بالصرد، مؤلف بين
 متعادياتها، مقارن بين متبايناتها، مقرب
 بين متبا عاداتها، مفرق بين متدايناتها،
 لايشمل بحد، ولايحسب بعدّ، وإنما تحدّ الأدوات
 أنفسها، وتشير الآلات إلي نظائرها، منعتها
 منذ القدمة، وحمّتها قدّ الأزلية، وجنّبتها
 لولا التكملة، بها تجلي صانعها للعقول،
 وبها إمتنع عن نظر العيون، لايجري عليه
 السكون والحركة، وكيف يجرى عليه ما هو
 أجراه، ويعود فيه ما هو أبداه، ويحدّث فيه
 ما هو أحدثه، إذاً لتفاوتت ذاته، ولتجزأ

كُتبه، ولا امتنع من الأزل معناه، ولكان له وراء إذا وُجد له أمام، ولا لتمس التمام إذ لزمه النقضان، وإذا لقا مت آية الم صنوع فيه، ولتحول دليلاً بعد أن كان مدلولاً عليه، وخرج بسُلطان الإمتناع من يؤثر فيه ما يؤثر في غيره، الذي لا يحول ولا يزول ولا يجوز عليه الأ قول، لم يلد فيكون مولوداً، ولم يولد فيصير محدوداً، جل عن اتخاذ الأبناء، وطهر عن ملامسة النساء، لاتناله الأوهام فتقدره، ولا تتوهمه الفطن فتصوره، ولاتدركه الحواس فتحسه، ولاتلمسه الأيدي فتمسه، ولا يتغير بحال، ولا يتبدل في الأحوال، ولاتبليه الليالي والأيام، ولا تغيره الضياء والظلام، ولا يوصف بشيء من الأجزاء، ولا بالجوارح والأعضاء، ولا بعرض من الأعراض، ولا بالغيرية والأبعاض، ولا يقال له حدٌ ولانهاية، ولا انقطاع ولا غاية، ولا أن الأشياء تحويه، فتقله أو تهويه، أو أن شيئاً يحمله فيميله أو يعدله، وليس في الأشياء بوالج، ولا عندها بخارج، يخبر لابلسان ولهوات، ويسمع لابخروق وأدوات، يقول ولا يلفظ، ويحفظ ولا يتحفظ، ويريد ولا يضمن، يحب ويرضى من غير رقة، ويُبغض ويغضب من غير مشقة، يقول لمن أراد كونه كُن فيكون، لابصوت يقرع، ولابنداء يسمع، وإنما كلامه سبحانه فعلٌ منه أنشأه، ومثله لم يكن من قبل ذلك كائناً، ولو كان قديماً لكان إلهاً ثانياً لا يقال: كان بعد أن لم يكن فتجرى عليه الصفات المحدثات، ولا يكون بينها وبينه فصل، ولا له عليها فضل، فيستوى الصانع والمصنوع، ويتكافأ المبتدع والبديع - خلق الخلائق علي غير مثال خلا من غيره، و لم يستعن علي خلقها بأحد من خلقه... خضعت الأشياء له، وذلت مستكينة لعظمته، لاتستطيع الهرب من سلطانه إلي غيره فتمتنع من نفعه وضره، ولا كفؤ له فيكافئه، ولا نظير له فيساويه، هو المغذى لها بعد وجودها حتي يصير موجودها كمفقودها، وليس فناء الدنيا

بعد إبتداعها بأعجب من إنشائها واختراعها، وكيف ولو اجتمع جميع حيوانها من طيرها وبهائمها، وما كان من فراخها وسائيمها، وأصناف أسناخها وأجناسها، ومتلدبة أممها وأكياسها علي إحداث بعوضة ما قدرت علي إحداثها، ولا عرفت كيف السبيل إلي إيجادها، ولتحيرت عقولها في علم ذلك وتاهت، وعجزت قواها وتناهت ورجعت خاسئة حسيرة، عارفة بأنها مقهورة، مقرة بالعجز عن إنشائها مذعنة بالضعف عن إفناءها -

وإن الله سبحانه يعود بعد فناء الدنيا وحده لا شيء معه كما كان قبل إبتدائها، كذلك يكون بعد فناءها بلا وقت ولا مكان ولا حين ولا زمان، عُدِمَت عند ذلك الآجال والأوقات، وزالت السنون والساعات، فلا شيء إلا الله الواحد القهار الذي إليه مصير جميع الأمور، بلا قدرة منها كان إبتداء خلقها، وبغير إمتناع منها كان فناءها، ولو قدرت علي الإمتناع لدام بقاءها، لم يتكأده صنع شيء منها إذ صنعه، ولم يؤده منها خلق ما براه وخلقه، ولم يكونها لتشديد سلطان، ولا لخوف من زوال ونقصان، ولا للإستعانة بها علي نيل مكائدها، ولا للإقرار بها من ضد مساورها، ولا للإزدياد بها في ملكه، ولا لمكائده شريك في شركه، ولا لوحشة كانت منه فأراد أن يستأنس إليها، ثم هو يفنيها بعد تكوينها، لا لسأم دخل عليه في تصريفها، وتدبيرها، ولا لراحة وإصلة إليه، ولا لثقل شيء منها عليه، ولا يملأه طول بقاءها فيدعوه إلي سرعة إفناءها، لكنه سبحانه دبّر لها بلطفه، وأمسكها بأمره، وأتقنها بقدرته، ثم يعيدها بعد الفناء من غير حاجة من إليها، ولا إستعانة بشيء عليها، ولا لإنصاف من حال وحشة إلي حال إستئناس، ولا من حال جهل وعمي إلي حال علم وإلتماس، ولا من فقر وحاجة إلي غني وكثرة، ولا من ذل وضعة إلي عز وقدرة منا ما لا نملك ومن أنفسنا، وأخرجنا مما كنا فيه إلي ما صلحنا عليه فأبدلنا بعد الضلالة بالهدى، وأعطانا البصيرة بعد العمي ﴿ (الخطبة ٢٢٨)

﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ (١٨١:٧)

هنا *يهدون* حالاً وإستقبالاً قد تختص بالأمّة الإسلامية، كما *ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون* وكما يروي عن رسول الله 3 : *هذه أمتي بالحق يحكمون ويقضون ويأخذون ويعطون* .

هذا، ومن أهدى هداة الأمّة الإسلامية هو على X وكما يروي بطرق عدة أن هذه الأمّة *هم على وشيعته* . ذلك وقد تهدي الآية بطريق نصها أن *أمة يهدون* تشمل الأمّة الهادية العادلة من كل أمة، وهم من هذه الأمّة *خير أمة* إذ *كنتم خير أمة أخرجت للناس* .

والَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (١٨٢:٧)

فذرني ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون . وأملى لهم إن كيدى متين* .

١ . الدر المنثور ٣ : ١٤٩ - أخرج ابن جرير وابن المنذر وأبو الشيخ عن ابن جريح في الآية قال: ذكر لنا أن نبي الله 3 قال: هذه أمتي.. وفيه عن قتادة في الآية قال: بلغنا أن نبي الله 3 كان يقول إذا قرأها: هذه لكم وقد أعطى القوم بين أيديكم مثلها: *ومن قوم موسى*.. وفيه عن الربيع في الآية قال: قال رسول الله 3: إن من أمتي قوماً علي الحق حتى ينزل عيسى بن مريم مني ما نزل.

٢ . السيوطي في الدر المنثور (٣ : ١٤٩) أخرج أبو الشيخ عن علي بن أبي طالب X قال: ستفترق هذه الأمّة علي ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا فرقة يقول الله: *ومن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون* فهذه التي تنجوا من هذه الأمّة، والكشفي الترمذي في مناقب مرتضوي (٥٢) بسند قال علي كرم الله وجهه... وهم أنا وشيعتي، والقندوزي في ينابيع المودة (١٠٩) عنه X... وهم أنا ومحبي وأتباعي، وابن مردويه في المناقب كما في كشف الغمة (٩٥) عنه: *هم أنا وشيعتي* كما في ملحقات إحقاق الحق ٣ : ٤١٣ وفيه ١٤ : ٣٤٤ عن البدخشي في مفتاح النجا (٤٢) وأخرج زادان عن علي كرم الله وجهه مثله: *هم أنا وشيعتي* والحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل ١ : ٢٠٤ بسند عن ابن عباس في الآية قال: يعني من أمة محمد أمة، يعني علي بن أبي طالب *يهدون بالحق* يعني: يدعون بعدك يا محمد إلي الحق *وبه يعدلون* في الخلافة بعدك، ومعني الأمّة العَلَم في الخير نظيرها: *إن إبراهيم كان أمة* يعني علماً في الخير، معلماً للخير.

(٤٥:٦٨)١ وعذاب الإستدراج - وهو طلب الدرج في حزب الشيطان خطوة خطوة - إنه أخطر عذاب يوم الدنيا، ومن ظروفه ❊ وأملى لهم ❊ إمهالاً في بوتقة العصيان ❊ إن كيدى متين ❊ مكين لاينجو منه ❊ الذين كذبوا بآياتنا ❊ أبداً . وهكذا ❊ إن الله إذا أراد بعبد خيراً فأزنب ذنباً أتبعه بنقمة ويذكره الإستغفار، وإذا أراد بعبد شراً فأزنب ذنباً أتبعه بنعمة لينسيه الإستغفار ويتمادي بها..❊

أجل ف ❊ لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد. متاع قليل ثم ماؤهم جهنم وبئس المهاد ❊ (٣:١٩٧) ❊ ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفووا ❊ (٧:٩٥) ❊ فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون ❊ (٩:٥٥)

وهؤلاء المستدرجون من حيث لا يعلمون هم من المعنيين بـ ❊ هل أنبئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ❊ (١٨:١٤) . ف ❊ كم من مغرور بما قد أنعم الله عليه، وكم من مستدرج يستر الله عليه، وكم من مفتون بثناء الناس عليه ❊ و ❊ إنه من وسع عليه في ذات يده فلم ير ذلك أستدرجاً فقد أمن

١ . القول الفصل حول الإستدراج مُدرج في تفسير آيته الأخرى في ❊ القلم ❊ فراجع . نورالثقلين ٢: ١٠٥ في أصول الكافي عن سفيان بن السمط قال قال أبو عبدالله X: . . . وهو قول الله عز وجل: ❊ سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ❊ قال: هو العبد يذنب الذنب فتجدد له النعمة معه تلهيه تلك النعمة عن الإستغفار عن ذلك الذنب، وعنه X مثله بزيادة: هو مستدرج من حيث لا يعلم .

٢ . المصدر عن حفص بن غياث عن أبي عبدالله X: . . وفيه عن روضة الكافي خطبة طويلة مسندة إلي أمير المؤمنين X يقول فيها: ثم إنه يأتي عليكم من بعدى زمان ليس في ذلك الزمان شيء أخفى من الحق ولا أظهر من الباطل ولا أكثر من الكذب علي الله ورسوله 3 - إلي أن قال - : يدخل الداخل لما يسمع من حكم القرآن فلا يطمئن جالساً حتي يخرج من الدين، ينتقل من دين ملك إلي دين ملك ومن ولاية ملك إلي ولاية ملك ومن طاعة ملك إلي طاعة ملك ومن عهد ملك إلي عهد ملك فاستدرجهم الله تعالي من حيث لا يعلمون وان كيدته متين بالأمل والرجاء .

١ . المصدر عن غياث عن أبي عبدالله X والثانى فيه عن نهج البلاغة عن الإمام على X.

من آداب الدعاء تضرع وخفية

﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (٥٥:٧)

﴿ادْعُوا﴾ قد تعم دعوة العبودية بمعرفة توحيدية، ودعوة الدعاء فيما تكل الطاقات المخولة إلينا، في قال وحال وفعال، وكما أن يصبح العبد بكل كيانه دعاء الرب. وكما الدعاء العبودية والعبادة واجبه الركين أن يكون بتضرع وتذل، كذلك وبأحري دعاء الإستدعاء، ولئن ثبتلي سائر العبادات بإفلاس في غير إخلاص كما في أكثريتها المطلقة، فعبادة الدعاء هي بطبيعة الحال مخلصه غير مفلسة، لأنها قضية الحاجة التي لاتزول إلا برحمة من الله، ولكن العبادة - ما كانت سالحة في شروط لها في الفقه الأصغر - تسقط التكليف وإن لم تقع موقع القبول ولم ترفع بصاحبها إلي حضرة الربوبية. إذا فـ ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ﴾ بمثلث الدعوة التوحيدية والعبودية والإستدعاء، في مثلث القول والفعال والفعال، فالدعوة والدعاء قلبياً هي الأصل، ثم القول والفعال إذا عتان لها مهما كان في الفعال عضال دون القول. ذلك، فقضية العبودية الذليلة المفتاكة الهزيلة، أما الربوبية الشاملة الكاملة العزيزة، أن تختص الدعوة بضراعة وخفية بساحته القدسية دون إعتداء عنها بترك الدعاء أو الدعاء بكبرياء أو صياح وتصدية، فالتضرع الخفي أنسب بجلال الله وجبروته وبقرب الصلة بينه وبين مواليه وعبيده. ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ﴾ الذي رباكم ويربيكم ما دمتم فدامت حاجاتكم: ﴿قل ما يعبا بكم ربي لولا دعاءكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاماً﴾ (٧٧:٢٥) فترك الدعاء - إذا - إعتداء علي ساحة الربوبية عن صالح العبودية. إذا ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ﴾ لكل قصور أو تقصير، إعترافاً ضريعاً بالذل، فاغترافاً من رحمته العزيزة البارعة، والضراعة هي الضعف

والذلة، فالتضرع هو إبرازهما ببكاء وغير بكاء.

ثم ❊ وخفية ❊ لانك فيها أبعد من الرئاء ولأنه سميع الدعاء: ❊ أما إنكم لا تدعون أصم ولا غائباً، إنكم تدعون سميعاً قريباً، إنه معكم ❊^١ فالإعتداء من ❊ خفية ❊ إلي جهار زعم أنه لا يسمع الخفية، كما الإعتداء من الضراعة إلي سواها من حالات الإستكبار، أم دون تذل وتضرع، إلي الإعتداء في أصل الدعاء ألا تدعوا ربكم، فضلاً عن أن تدعوا غيره أم تشركوا في دعاءه سواه، أم تدعوه بما لا يليق بساحته، أو ما هو الخارج عن محور الدعاء اللائق بربوبيته الحكيمة، هذا المسدس وما أشبه محسوب بحساب ❊ إنه لا يحب المعتدين ❊ أي يبغضهم.

ثم التضرع هو حالة الضراعة وإن لم تدمع، وخفية هي من أدب الدعاء ❊ إنه سميع الدعاء ❊ فإن جاهرت بالدعاء تعليماً لمن سواك أم خطوة زائدة لسمعتك إلي لسانك برنين البكاء والدعاء وحنينه، إتجاهاً إلي حنانه تعالي، فذلك غير محذور.

فما دام الداعون ❊ تتجافي جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ❊ (١٦: ٣٢) - و ❊ يدعوننا رغباً ورهباً ❊ (٩٠: ٢١) حاصلين علي سائر شروط الدعاء المسرودة في القرآن والسنة، فما عليهم إن لم يخفوه عناية إلي مزيد الذل والحظوة في موقف الدعاء، مهما كان الأصل فيه هو الخفاء.

ذلك، وقد تعذى ❊ وخفية ❊ ما يقابل ❊ تضرعاً ❊ حيث التضرع ظاهر لا يخفي، فإنه

١ . نورالثقلين ٢ : ٤٠ في المجمع روى عن النبي 3 انه كان في غزاة فأشرف علي واد فجعل الناس يهللون ويكبرون ويرفعون أصواتهم فقال: أيها الناس أربعوا علي أنفسكم أما إنكم... ❊ وفي تفسير الفخر الرازي ١٤ : ١٣١ عن النبي 3 : دعوة في السر تعدل سبعين دعوة في العلانية، وعنه 3: خير الذكر الخفي وخير الرزق ما يكفي.

بطبيعة الحال جاهر، فليس إذاً من عطف الجمع، بل هو عطف التخدير، ولكنه دون الجهر: ﴿واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول﴾ (٢٠٥:٧) ﴿سواءً منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار﴾ (١٠:١٣) ﴿وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى﴾ (٧:٢٠) إذاً ففضية الدعاء كأصل أن يكون تضرعاً وخفية بخفاء دون الجهر من القول، ورغباً ورهباً، فباطن الدعاء هو الرغب والرهب علي ضراعة، وظاهره أن يكون خفية ودون الجهر من القول، الدهم إلا إذا لزم أو رجح الجهر تعليماً، كما كان يفعل المعصومون (عليهم السلام) أحياناً كانوا يعدّون أصحابهم، أم مزيداً للحظوة الروحية برنة الدعاء وضراعتة الظاهرة الجاهرة ما بعد عن الرئاء.

وأما ألا يدعي الرب، أو يدعي بكبرياء أم دون تضرع، أم يدعي تضرعاً دون رغبة ورهبة، أم يدعي تضرعاً برغبة ورهبة بصراخ زعم أنه غير سميع الدعاء، أم بغير صراخ وهو يؤكد استجابته بتأماً ماذا من سوء الأدب في حقل الدعاء، فكل ذلك تشمله ﴿إنه لا يحب المعتدين﴾ مهما كانت دركات.

ولأن صالح الدعاء مما يصلح الأرض إضافة إلي سائر الإصلاح منا، ف:

﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ

قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٥٦:٧)

إن في ترك دعاء الرب كما يصلح إفساداً في الأرض بعد إصلاحها، حيث الإيمان الصالح بعمله يصلح الأرض، وخلافه يفسدها، وهنا ﴿بعد إصلاحها﴾ تعم إصلاحها من اللفظ إلي مصلحين بأمر الله، وإليك أنت المفسد في الأرض بعدما أصلحت فيها، فمثلث الإصلاح هو هندسته المفسد في الأرض بعد ما أصلحت فيها، فمثلث الإصلاح هو هندسته الصالحة، بما أن رأس الزاوية القاعدة هو الله، وقد أصلح الله فطرنا وعقولنا

والأرض التي نعيش عليها، بما أصلحها الحياة سليمة سالحة في نبيها وبما بعث إلينا رسله وسائر الدعاة إليه، وأصلح الرسل بما يحملون من رسالات الله، وأصلح سائر الدعاة إلي الله، وقد تجمع كافة الإصلاحات في المصلح الأخير رسولياً ورسالياً وهما مجموعان في القرآن، ففي تقرير القرآن في كافة الأوساط بكل تقريراته الربانية إصلاح للأرض كافل، كما في تركه إفساد فيها قاحل ماحل.

❖ ولاتفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ❖ تعم زواياها كدها، ولكي نتزود باستمرارية هذه السلبيية المصلحة ❖ وادعوه خوفاً وطمعاً ❖ خوفاً من قصوراتنا وتقصيراتنا، وأن يكون دعاءنا غير صالح أو لغير صالح، وطمعاً في رحمة الله، وهذا من الإحسان في الدعاء أن يكون بين الخوف والرجاء: رغباً ورهباً، خوفاً وطمعاً، ❖ إن رحمة الله قريب من المحسنين ❖ فدونهم أولاء الأركام من المسيئين.

ذلك وأصلح المصلحين في الأرض برسالة الله هو الرسول محمد³ فـ ❖ إن الأرض كانت فاسدة فأصلحها الله عزوجل بنبيه ❖ فهو أفضل مصلح رسولي فيها، ثم سائر المصلحين الرسوليين، ومن ثم وعلي ضوء رسل الله يأتي دور سائر المصلحين الرساليين.

ولأن الإصلاح الرسالي الإسلامي بالرسول³ كان لأكثر تقدير محوراً كقاعدة – هو الإصلاح بالقرآن، إذ ما كان الرسول ليصلح أرض التكليف إلا بالقرآن – وبهامشه السنة – فكل الآيات الناهية عن الإفساد في الأرض، والآمرة باصلاحها، تنجو – كأصل وأثافي وقاعدة – منحي القرآن.

أجل، لقد أصلح الرسول كافة المكلفين

١ . نورالثقلين ٢ : ٤١ في روضة الكافي باسناده إلي ميسر عن أبي جعفر^X قال قلت: قول الله عزوجل ❖ ولاتفسدوا في الأرض بقدر إصلاحها ❖ قال فقال يا ميسر: إن الأرض... ❖

بالقرآن، ويتلوه كل الدعات إلي القرآن بكل ما يحويه، فالمفسدون بعده هم الذين *ينهون عنه وينأون عنه وإن يهلكون إلا أنفسهم وما يشعرون* (٢٦:٦).

فلو أنهم شعروا أنهم يهلكون أنفسهم بالنهي والنأي عن القرآن لكان يرجي أن ينتبهوا عن غفوتهم، ولكنهم لا يشعرون بما قصروا، إذ سلب الله عنهم شعورهم بالمسؤولية أمام القرآن بما تهاونوا فيه، فطبع علي قلوبهم فهم لا يفقهون.

إفتكري يا أخ إن كنا زمن الرسول³ في حلقات دراسية بمسجده، فهل كان يحن إلي حلقات القرآن، أم إلي سائر الدراسات التي شغلت حوزاتنا، التي لاتبقى مجالاً لدراسة قرآنية إلا هامشية مرضوضة مرفوضة؟! فقد يصح التعبير عن حوزاتنا انها مفسدة لأرض التكليف إذ فقدت أصلها القرآني الفاض إلي غيره الفاض عن حجة القرآن.

ولقد سبق منه³ مراراً أن رأي جموعاً في مسجده يتحدثون مختلقين أحاديث مروية، ونظرات حولها مدوية، فهاج هياجه عليهم، ورفع صراخه فيهم بما يعنى: هل تتنازعون في قيلات وقالات وكتاب الله بين ظهرانكم؟! وهنا عرض لفرق الإفساد الكثرة، وفرقة

الإصلاح القلة للإمام علي أمير المؤمنين^X:
 *أيها الناس إنا قد أصبحنا في دهر عنود، وزمن كنود، يعد فيه المحسن مسيئاً، ويزداد الظالم فيه عتواً، لاننتفع بما علمنا، ولا نسأل عما جهلنا، ولا نتخوف قارعة حتي تحل بنا فالناس علي أربعة أصناف، منهم من لا يمنع الفساد في الأرض إلا مهانة نفسه وكلا لة حدّه، ونضيق وفّره، ومنهم المّصلت لسيفه والمّعلن بشره، والمّجلب بخيله ورجله، قد أشرط نفسه، وأوبق دينه، لحطام ينتهزه، أو مقنّب يقوده، أو مذبر يفرعه، ولبيئس المتجر أن تري الدنيا لنفسك ثمناً، وممالك عند الله عوضاً -

ومنهم من يطلب الدنيا بعمل الآخرة، ولا يطلب الآخرة بعمل الدنيا، قد طامن من شخصه، وقارب من خطوه، وشمر من ثوبه، وزخرف من نفسه للأمانة، واتخذ ستر الله ذريعة إلي المعصية -

ومنهم من أقعده عن طلب الملك ضؤوله نفسه، وانقطاع سببه، فقصرته الرجال علي حاله، فتحلي بإسم القناعة، وتزين بدباس أهل الزهادة، وليس في ذلك من مراح ولا مفدي وبقي رجال غص أبصارهم ذكر المرجع، وأراق دموعهم خوف المحشر، فهم بين شريد ناد، وخائف مقموع، وساكت مكموم، وداع مخلص، وثكلان موجع، قد أخلتهم التقية، وشملتهم الذلة، فهم في بحر اجاج، أحواهم ضامرة، وقلوبهم قرحة، قد وعظوا حتي ملوا، وقهروا حتي ذلوا، وقتلوا حتي قتلوا، فليكن الدنيا في أعينكم أصغر من خثالة القرظ، وقراضة الجلم، واتعظوا بمن كان قبلكم قبل أن يتعظ بكم من بعدكم، وإرفضوها ذميمة فإنها قد رفضت من كان أشغف بها منكم (الخطبة ٣٢).

ذلك، وتري كيف ❀ قريب تأتي خيراً عن ❀ رحمة الله دون تحمل لأنوثتها؟ عليه لأنها مؤنث مجازي فلا يجب تحمل أنوثته لما يتحملها، أم ولأن ❀ قريب مشتركة بين الذكورة والأنوثة، ومن المستفاد من هذه الآية واجب الإصلاح في الأرض ومجرم الإفساد فيها ولا سيما بعد إصلاحها، وتري إذا كانت رحمة الله قريباً من المحسنين، فهي إذاً بعيدة عن المسيئين وهم يعيشون رحمة الله طول حياتهم، بل وقد تربوا علي المحسنين؟

هنا ❀ رحمة الله هي الرحيمية الخاصة بالمؤمنين، وليست الرحمات الدنيوية الزائدة البائدة للمسيئين، هي من الرحيمية، بل هي من الرحمانية التي تتبدل عندهم زحمة ونقمة قضية الإبتلاء بها فالسقوط في هوات الحبوط والهبوط.

فالمصلحون في الأرض، الداعون ربهم خوفاً وطمعاً، هم من المحسنين الذين تكون رحمة الله

لهم قريباً، فهي من غيرهم بعيد قد تصلهم لتصلحهم، وإلا فهي لهم مفسدة أكثر مما فسدوا.

﴿هُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لِعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (٥٧:٧)

صيغة ﴿﴾ إن ربكم.. ﴿﴾ حملت بياناً لربوبية المبدء، وهذه تحمل من ربوبية المعداد، فبينهما ربوبية التشريع بين المبدء والمعداد، و﴿﴾ هو الذي يرسل الرياح ﴿﴾ الحاملة لرحمة من الله ﴿﴾ بشراً بين يدي رحمته ﴿﴾ الغزيرة الهائلة الودق ﴿﴾ حتي إذا أقلت ﴿﴾: حملت ﴿﴾ سحاباً ﴿﴾: تُسحب من أبخرة المياه الأرضية ﴿﴾ سقناه لبلد ميت ﴿﴾ واللام هنا تعذّي الإختصاص الإمتصاص، حيث ﴿﴾ إلي ﴿﴾ لتفيد ذلك الإختصاص ﴿﴾ فأنزلنا به الماء ﴿﴾ المطر بقدر ﴿﴾ فأخرجنا به من كل الثمرات ﴿﴾ التي يحتاجها الإنسان من معدن و نبات وحيوان، بل والإنسان هو أيضاً من هذه الثمرات: ﴿﴾ والله أنبئكم من الأرض نباتاً ﴿﴾ (٧١:١)، كافلة لحاجاته، حاملة لحاجياته ﴿﴾ كذلك ﴿﴾ الإخراج لموتى البلاد بميتات المياه وميتات البذور: ﴿﴾ نخرج الموتى ﴿﴾ في البلاد وهو أهون عليه، إذ يدخل الأرواح الحية الأبدان الميتة بعد ما تُنشي أمثالها.

ادعية عشر

رسولية ورسالية

﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ
وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ
الْمَصِيرُ ﴾ (٢٨٥:٢)

هذه والتي تليها تمثلان تلخيصاً وافياً لأعظم
قطاعات السورة، ختاماً تاماً يليق تلحيقاً
لتفاصيل السورة برمتها، ويا لها رباً طاً
أليفاً بما بدأت مهدياً للمتقين الذين
يؤمنون بالغيب. ﴿ حيث الأولى تحمل تفاصيل
ذلك الغيب كأجمل إجمال، وفي السورة له
تفاصيل مبسطة.

﴿ آمَنَ الرَّسُولُ ﴾ محمد3 ﴿ بما أنزل إليه من
ربه ﴿ من وحي القرآن والسنة، بعد ما كان
مؤمناً بالله وملائكته وكتبه ورسله، و ذلك
الإيمان لم يكن بعد نزول القرآن بفترة
قريبة أم بعيدة كما في غيره من المؤمنين،
فإنما هو إيمان حال نزول القرآن وكما كان
ينتظره قبله.

ومن ثم هو إيمان مباشر كل كيانه عبداً
ورسولاً دون وسيط، وليس وسيط الوحي في جلّه –
و دون كله – وسيط الإيمان، إذاً فهو قمة
الإيمان، ورأس الزاوية في كل درجات الإيمان،
لأحسب بالنسبة لسائر المؤمنين بهذه
الرسالة، بل وبالذات لكل المرسلين فإنه
﴿ أول العابدين ﴾ و ﴿ أول المسلمين ﴾!

وهنا ﴿ من ربه ﴾ تلمح إلي هذه الحالة أن
ربه رباه بربوبية خاصة لابقة لابقة لنزول
ذلك الوحي العظيم، ثم ورثه رباه ثانية بما
أنزله إليه من وحي الرسالة الختمية ﴿ ما
كنت تعلمها أنت ولا قومك ﴾ – ﴿ وكذلك أوحينا
إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب
ولا الإيمان ﴾.

ذلك هو الإيمان الرئيسي لرأس الزاوية

الرسالية، وعلي ضوءه وبدعوته ودعايته:

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾

فالإيمان بالله - وهو قاعدة التصور الإيماني - وقاعدة كل الحركات الإيمانية - يعم أصل الألوهية ووحدايتها، علي ضوء الفطرة والعقلية السليمة أصالة وإجمالاً، وعلي ضوء الوحي تكملة وتفصيلاً.

ثم الإيمان بالله حقه يتطلب الإيمان بملائكة الله كحملة لوحى التكوين والتشريع، فليس الله ليوحي إلي الكل دون وسيط.

والإيمان بملائكته الصادرين عنه يستلزم الإيمان بعصمتهم وأمانتهم وأنهم ﴿لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾.

والإيمان بملائكته ظرف من الإيمان بالغيب الذي هو مصدر الإيمان، حيث يخرج به الإنسان عن نطاق الجواس الحيوانية إلي ما وراءها من غيب الربوبية والوحي ووسائطه الملائكية، فحين يلبي الإنسان - بفطرة وعقلية - دعوة الغيب بإيمان، إذا يؤمن عن إصابته بالخلخلة والإضطراب، تحرراً عن محدود الشهود بالحدود من الغيب.

ثم الإيمان بالملائكة يتطلب الإيمان بكتب الوحي التي تحمله الرسل الملائكية، وعلي أضواء ﴿كتبه﴾ الإيمان برسله، حيث الوحي هو الدليل علي رسالتهم، وليست سائر الآيات الرسالية إلا براهين بيينة علي صدقهم في إدعاء الوحي، فكتب الوحي متقدمة علي رسل الوحي لأنها هي رسالتهم والدليل علي محتدهم الرسالي.

ومن المقالات الإيمانية الصالحة بين رعييل الإيمان ﴿لانفرق بين أحد من رسله﴾ إيماناً ببعض وتكذيباً ببعض، أم تفرقة تنافي وحدة الرسالة من المرسل الواحد العليم الحكيم.

ذلك! مهما كان ﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم علي بعض﴾ فهم درجات عندنا كما عند الله، ولكنه لا يتطلب تفريقاً بينهم، أم تفرقة لهم فيما يحملون من رسالات الله، فهم - ككل - حملة

وحى الله كما أوحى، مهما اختلفت مادة الوحي وشاكلته بينهم، وكما تختلف لكل واحد منهم حسب الحكمة الربانية لصالح المرسل إليهم. قالوا ﴿لانفرق..﴾ وقالوا سمعنا ﴿ ما أنزل إليه من ربه ﴿ وأطعنا ﴿ الله وأطعنا الرسول، وعلّ الفارق بين ﴿ لانفرق ﴿ المحذوف عنها ﴿ قالوا ﴿ وبين ﴿ قالوا سمعنا.. ﴿ أن الأولي حكاية لسان الحال وإن لم يدخل عنه قال، والثانية هي لسان القال الحاكى عن لسان الحال.

وقالوا: نرجوا ونطلب وننتظر ﴿ غفرانك ربنا ﴿ أن تغفر ذنوبنا الطارئة، وأن تغفر ما يهجم علينا منها حتى لانقترفها ﴿ وإليك ﴿ لاسواك ﴿ المصير ﴿ فحسن لنا ربنا المسير إلي ذلك المصير.

﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ... ﴾ (٢:٨٦)

﴿ لا يكلف الله ﴿ توحى بأن سلب التكليف فوق الوسع هو قضية الألوهية العادلة الحكيمة، إذا فليس حدثاً بعد ربح من التكليف قضية التماس وسؤال من المؤمنين ألا يكلفهم الله فوق وسعهم فأجاب، بل هي ضابطة ثابتة علي مدار زمن التكليف في كافة الشرائع الإلهية عن بكرتها.

وتراها هي من قاله المؤمنين؟ ولايصدرون في الأحكام إلا عن الرسول! أو من قاله الرسول؟ ولايصدر إلا عن الله! فهي من كلام الله مهما قاله الرسول والمؤمنون.

ف: ﴿ لا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴿ (٢:٢٣٣) — ﴿ لانكلف نفساً إلا وسعها ﴿ (٦: ١٥٢ و ٧: ٤٢ و ٢٣: ٦٢) آيات خمس مصوغة بصيغة واحدة حكماً ربانياً يخلق علي كل نفس في الطول التاريخي والعرض الجغرافي، دون إختصاص بمؤمنى هذه الرسالة.

ثم الوسع هو ما دون الحرج والعسر، أن يسع الإنسان دون تضيق ولا تحرج أن يحقق التكليف، دون أن يأخذ كل طاقاته دون إبقاء. والوسع يعم العقلى والمعرفى والعملى،

فردياً أو جماعياً، مهما كان بمقدمات مختارة قصر فيها فخرج عن الوسع حيث الإمتناع بالإختيار لاينافى الإختيار.

و لايكلف الله ﷻ كتكليف بدائي ﷻ نفساً ﷻ علي أية حال ﷻ إلا وسعها ﷻ وأما الذى ترك التكليف الموسع، فتضيّق بذلك، فهو موآخذ بالترك الأول والتضيّق التالى الذى خلفه ترك الواجب، كمن واصل فى العصيان بإختياره السيء حتى ران علي قلبه ما كان يكسب ثم ختم علي قلبه ومات علي الكفر، فهو معاقب بذلك الكفر مهما كان تركه عسيراً أم مستحيلاً، لأنه من مخلفات ترك اليسير من التكليف حتى أبتلى بالعسير.

وأما المستضعفون ﷻ من الرجال والنساء والولدان الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً. فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم ﷻ حيث لا يستطيعون الإهتداء وهم قاصرون، وأما المقصرون منهم فى البداية ﷻ فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم ﷻ إذا كان تقصيراً خفيفاً طفيفاً يصفح عنه عند ذى الصفح.

فلا يشترط الوسع - كأصل - إلا فى أصل التكليف، وأما العسر أو الحرج الناتجان عن سوء الإختيار فلا يرفعان التكليف عن أصله.

ﷻ لها ما كسبت ﷻ فى وسعها ﷻ وعليها ما اكتسبت ﷻ فى وسعها وهذه هى فردية التبعة، ورجعة كل إنسان إلي ربه بصحيفته الخاصة به، فـ ﷻ لاتزر وزر أخري ﷻ.

ولماذا ﷻ كسبت ﷻ فى الصالحات كأمر يسير، ثم ﷻ اكتسبت ﷻ فى الطالحات كأمر عسير، معاكسة فى واقع العسير واليسير، حيث الصالحات عسيرة والطالحات يسيرة، فهنا ﷻ ما اكتسبت ﷻ كما فى نظائرها:

ﷻ لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم ﷻ (٢٤: ١١) - ﷻ والذين يؤذون المؤمنين

والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً ﷻ (٣٣: ٥٨)؟

هذه المعاكسة ليست إلا فى قياس الحالة

الحاضرة فى الصالحات والطالحات، وأما الباطنة فلا معاكسة فيها، حيث الصالحات هى يسيرة المصير مهما كانت عسيرة المسير، والطالحات هى عسيرة المصير مهما كانت يسيرة المسير.

بل والطالحات هى حمل على النفس فى الأولي كما فى الأخرى، فى الأولي لأنها تخلف عارمة عن قضية الفطرة والعقلية السليمة والشرعة الإلهية، وأنها تخلف هنا معيشة ضنكاً: ﴿من أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكاً. ونحشره يوم القيامة أعمى﴾، وكما فى الأخرى ﴿خالدين فيه وساء لهم يوم القيامة جملاً﴾ (٢٠:١٠١)

وأما الصالحات، فهى رغم التكلف فيها فإنها يسيرة فى ذلك المثلث و ﴿إن مع العسر يسراً﴾ معية ذاتية: فطرة وعقلية وشرعية، وأخرى عرضية هنا حيث تُصلح الحياة الدنيا، وثالثة فى الأخرى خلوداً فى رحمت الله ﴿ولا ينبئك مثل خبير﴾!

وإذا كانت التبعة فردية، دون أن ينفع هنا لك مال ولا بنون. إلا من أتى الله بقلب سليم، فحق للمؤمنين - إذاً - أن ينطلق من قلوبهم دعاء خافق واجف، ألا وهو: سلبيات ثلاث وإيجابيات اربع تُصلح حالهم وكل بالهم فى حالهم ومآلهم، تقديماً لسلبيات ثلاث:

﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا..﴾ (٢:٢٨٦)

والمؤاخذة السلبية هنا تعم الأولي والأخرى، فى خطأ أو نسيان، وتري الإنسان مؤاخذ بالخطأ والنسيان؟ وهما خارجان عن الوسع، فإنما المعصوم بعصمة الله هو الذى لا ينسى أمراً ولا يخطأ فيه، ثم من دونه قد ينسى أو يخطأ! فما هو دور ذلك الدعاء بعد ﴿لايكلف الله نفساً إلا وسعها﴾؟!!

الخطأ والنسيان هما إثنان، ثانيهما ما هما من حصائل التساهل والتغافل تقصيراً، والأول قصور والإيمان قيد الفتك على أية حال، فعلى المؤمن النبهة الدائبة لكيلا

يتورط في ورطات الخطأ والنسيان، لذلك تري العارف بقذارة - في ثوبه أو بدنه - ممنوعة في الصلاة، إذا نسيها و صلى معها، كانت الإعادة عليه واجبة، مهما لم يواخذ بنسيانه كذنب، فإنما يواخذ بالإعادة، وكذلك في باب الأخطاء كما نري مؤآخذات فيها دون العقوبة، أم ومعها إذا تجاوز طورها في حقل المعرفة والعبودية.

فالخطاء والنسيان عن قصور ذاتي لا مواخذه فيهما إذ ليسا من العصيان، وهما عن تقصير بتناس وتساهل يخلفان الخطأ والنسيان، يُسأل فيهما عدم المواخذه هنا.

ولكنهما في تقصير معمد أولاً وأخيراً عصيان لا مرد لها إلا بتوبة أم شفاعة أماهيه من مكفرات، فإنهما يحلقان علي كل عصيان عقيدى أو عملى: ﴿فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء﴾ (٤٤:٦) ﴿فاليوم ننسأهم كما نسوا لقاء يومهم هذا﴾ (٥١:٧) وليس المؤمنون يتبجحون بالخطيئة، إعراضاً عن أمره تعالى ونهيه إبتداءً، فإنما هو الخطأ والنسيان اللذان يحكمان الإنسان حين ينتابه الضعف البشرى الذى لاحيلة له فيه ولا حول عنه، أو الطواريء المقصرة غير العامة.

وقد تعم ﴿لاتواخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾ التقصيرين فيهما، وهذا استغفار عنهما، و ﴿هو الذى يقبل التوبة عن عباده﴾ إلا أن بينهما farkاً هو عدم المواخذه في التقصير الأول كضابطة، ثم عدمها في الثانى شرط التوبة الصالحة، ورفع الخطأ والنسيان كما أكرهوا عليه في متواتر الأثر يعنيهما في التقصير الأول.

وقد تعذى ﴿لاتواخذنا﴾ مثلث الخطأ

١ . البدر المنثور ١: ٣٧٦ عين النبى 3 قال: إن الله تجاوز لأمتى عن ثلاث عن الخطأ والنسيان والإستكراه، رواه عنه أم الدرداء وابن عباس وأبوذر وثوبان وابن عمر وعقبة بن عامر وأبو بكر والحسن والشعبى.

والنسيان، مهما كانت مرحليات، فالقصر
منهما يسئل عدم المواءمة فيهما تخضعاً
وتأدياً كما في ﴿رب احكم بالحق﴾ والمقصر
المتعمد يدعوا فيه دعاء التوبة، والدعوان
بينهما يسئل ترك المواءمة فيه كضابطة.
و﴿لاتواخذنا﴾ خاصة في إجابتها بأمة
الإسلام؟ علها تختص في الخطأ والنسيان
الدعوان، إذ يجوز فيهما المواءمة، فهي -
إذاً من الإصر الذي كان علي بني اسرائيل^١.
﴿ربنا ولا تحمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا..﴾

والإصر هو الحمل الثقيل، وقد يشمل هنا
التكليف الإصر والعذاب الإصر كما كان في بني
اسرائيل، فقد عذبوا بما حولوا قرده خاسئين
وما أشبه، كما وحرّم عليهم طيبات أحلت لهم
جزاء بما عصوا وكانوا يعتدون: ﴿فبظلم من
الذين هادوا حرمنا طيبات أحلت لهم وبصدهم
عن سبيل الله كثيراً. وأخذهم الربا وقد نهوا
عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل..﴾ (٤: ١٦١)
﴿وعلي الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن
البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ما
حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم
ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون﴾ (٦: ١٤٦)
وكتب عليهم أن ﴿أقتلوا أنفسكم﴾ جزاء عما
خضعوا لعجل السامري، وحرّم عليهم السبت.
وليس من التكليف الإصر عليهم ما لا يطاق
وهو كبر علي ما فر منه من قذارة كما يروي
الحديث المختلق ﴿إن بني اسرائيل كانوا إذا

١ . نورالثقلين ١: ٣٠٦ عن الأخت جاج للطبرسي في
الآية عن النبي³ في حديث.. فزدني قال تعالى: سل:
قال ﴿ربنا لاتواخذنا...﴾ قال الله عزوجل: لست أوأخذ
منك بالنسيان والخطأ لكرامتك علي وكان أنت الأمم
السالفة إذا نسوا ما ذكروا به فتحت عليهم أبواب
العذاب وقد رفعت ذلك عن امتك، وكانت الأمم السالفة
إذا أخطأوا أخذوا بالخطأ وعوقبوا عليه وقد رفعت
ذلك عن امتك لكرامتك علي...

أصابهم البول قرضوا بالمقاريض^١ وهذا يقتضى - دوماً - عند البول إخراج الدم من موضعه و ما أصابه، وألا يبدى آلة البول عندهم حيث المقاريض تقضى عليها عن بكرتها. ولد وُصف الرسول³ بواضع الإصر والأغلال عن هذه الأمة المرحومة كما فى الأعراف: ❁... ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم... ❁ (١٥٧)

وكما قال³: بعثت بالشريعة السهلة السمحاء.

❁ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ... ❁

وتري كيف يُدعى ربنا الأيحملنا ما لا طاقة لنا به؟ والتكليف بما لا يطاق خلاف الرحمة، وقد كتب علي نفسه الرحمة ❁ دون تمييز أمة عن أمة، لأنهم كلهم عباده، المستحقون رحمته!

قد تعنى هذه الدعاء ما تعنيه ❁ رب احكم

١ . الدر المنثور ١: ٣٧٧ عن عبدالرحمن بن حسنة أن النبى³ قال: ... وفيه أخرج ابن أبي شيبة عن عائشة قالت دخلت على امرأة من اليهود فقالت: إن عذاب القبر من البول، قلت: كذبت قالت: بلى، قالت أنه ليقرض منه الجلد والثوب وأخبرت رسول الله³ فقالت: صدقت.

وفى نور الثقلين ١: ٣٠٦ عن الإحتجاج للطبرسى عن النبى³ - فى تنمة الحديث السابق - فقال النبى³ إذا أعطيتنى ذلك فزدنى فقال الله تعالى له: سل، قال: ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ❁ يعنى بالإصر الشدائد التى كانت على من قبلنا فأجابه الله إلى ذلك فقال تبارك اسمه قد رفعت عن أمّتك الأصار التى كانت على الأمم السالفة، كنت لا أقبل صلواتهم إلا فى بقاع معلومة من الأرض اخترتها لهم وإن بعدت وقد جعلت الأرض كلها لأمّتك مسجداً وطهوراً، فهذه من الأصار التى كانت على الأمم قبلك فرفعتها عن أمّتك، وكانت الأمة السالفة إذا أصابهم اذى من نجاسة قرّضوه من أجسادهم وقد جعلت الماء لأمّتك طهوراً فهذا من الأصار التى كانت عليهم فرفعتها عن أمّتك... ❁

أقول: قال الله تعالى: ❁ وأنزلنا من السماء ماءً طهوراً ❁ وقول الله أحري بالقبول من هذه القليلة المختلفة على الرسول³ فقد أنزل الله من السماء ماءً - منذ أنزل - طهوراً دون اختصاص بأمة دون أخرى!

بالحق ﴿٢٨٦﴾ تثبيتاً للثابت في حق الله، تذلاً أمام الله، وكأننا لا نستحق الحكم بالحق. أم تعنى الطاقة دون الحرج، ﴿٢٨٧﴾ ما لا طاقة لنا به ﴿٢٨٨﴾ هي الشاقة من التكليف، التي كانت علي سالف الأمم؟ إلا أن نفس الجنس المستغرق لكل طاقة لا يناسبه! أم إنها الطاقة في تحمل العذاب يوم الدنيا كما فعل بالذين من قبلنا؟ وعدّها هيه، أو أن الثلاثة كلها معنيّة مهما كانت درجات.

والطاقة من الطوق، وهو هنا طوق التكليف أو العذاب المتحمّل، فالطاقة هي الحالة المتحمّلة، ﴿٢٨٩﴾ لا طاقة لنا به ﴿٢٩٠﴾ هي غير المتحمّلة مهما كانت مقدورة، حيث تستأصل كل القدرات، فهي والحرج متماثلان، وكما أنه ﴿٢٩١﴾ ما جعل عليكم في الدين من حرج ﴿٢٩٢﴾ كذلك ﴿٢٩٣﴾ ما لا طاقة لنا به ﴿٢٩٤﴾ بقارق أن الثانية تعم العذاب هنا كما التكليف. ذلك - وإلي إجابيات اربعة في الدعاء ، هي ختام السورة:

﴿٢٩٥﴾ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ

الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾

وعلى الفارق بين هذه الثلاثة أن العفو هو عن الذنب ألا يعذب به، وقد يُعفي عن ذنب هكذا وهو باق بصورته يوم يقوم الأشهاد، وهو عذاب نفسي بعد السماح عن سائر العذاب. إذاً ﴿٢٩٦﴾ فاغفر لنا ﴿٢٩٧﴾ غفراً شاملاً لذنوبنا، أن تستر عليها بعد ما عفوت عنها. ثم ﴿٢٩٨﴾ وارحمنا ﴿٢٩٩﴾ درجة ثالثة بعدهما، ألاّ يكتفي بالعفو والغفر، بل ويرحمنا بمزيد من فضله وكما قال الله ﴿٣٠٠﴾ أولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ﴿٣٠١﴾ في وجه من الوجوه المعنية منها. كل ذلك نتطلبه منك ربنا لأنك ﴿٣٠٢﴾ أنت مولانا ﴿٣٠٣﴾ لا سواك، فلسنا لنسأل إلاّ إياك، ولا أن سؤلنا يختص بالأخري، بل وفي الأولي: ﴿٣٠٤﴾ فانصرنا علي القوم الكافرين ﴿٣٠٥﴾ نصره في

الدارين، رحمة للمؤمنين وحسرةً علي الكافرين، والحمد لله رب العالمين.

ذلك وقد ينطبق علي هذه حديث رفع التسعة، المروى عن النبي³: ﴿رفع عن أمتي تسعة أشياء الخطأ والنسيان وما أكرهوا عليه وما لا يطيقون وما لا يعلمون وما اضطروا إليه والحسد والطيرة والتفكر في الوسوسة في الخلق ما لا ينطق بشفه^١﴾.

فالأولان مستفادان من الأولين ﴿إن نسينا أو أخطأنا﴾ والمرفوع فيهما هو المواءمة كما في نص الآية، لا رفع كلما يتعلق بهما من تكاليف إيجابية أو سلبية، أو أحكام تكليفية أو وضعية.

والثالث من ﴿ولا تحملنا﴾ وليس فقط رفع المواءمة، بل هو كل تحميل أو له تحميل التكليف، ثم الستة الباقية من ﴿ولا تحمل علينا إصراً﴾ فإنها كلها من الإصر، اللهم إلا ما فيه تقصير ولا سيما الكثير، كالمقصر عن تعلم ما يتوجب عليه من أحكام، والمضطر إلي محذور بإختيار أو تساهل، والحاسد إذا حسد، أمّا إذا مما له فيه الإختيار، اللهم إلا ما تغلب فيه الإضطرار.

فالجهل التجاهل، والنسيان التناسي، والخطأ التساهي، والإضطرار بالإختيار، والتحاسد التباغض وما أشبه، كل هذه مواءمة عنها ومعاقب بها، وإنما المواءمة المسلوقة وهي المعاقبة المعفوة هي في غير العمد والإختيار، وكما رفع كل إصر وما لا يطاق، حيث الشرعة الإسلامية سهلة سمحاء.

وكما رفعت المواءمة عما رفعت عنه أصالة، كذلك فيما يفرضه المكلف علي نفسه ناسياً أو خاطئاً بنذر أو عهد أو يمين، ومثله كل إصر وغير مطاق فكذلك الأمر، فمن يفرض علي نفسه - بأي فارض من الثلاثة - أنه إذا نسي أو

١ . نورالثقلين ١: ٢٥٢ في التوحيد بإسناده إلي حريز بن عبدالله عن أبي عبدالله³ قال قال رسول الله³: ...

أخطأ فعليه كذا وكذا، فلا عليه أن يتركه،
أو فرض علي نفسه ما يجهل خلفيته الصعبة
الملتوية، أو حاضره وغائبه، أو هو إصر أم
ما لا يطاق، فلا عليه أن يتركه، حيث لا ينعقد
أي من الثلاثة في غير ما يصح فرضه عليه
بأصل الشرع، فكل عسر وحرج وإصر وما لا
يطاق، وكل جهل ونسيان وما أشبه، مرفوع عن
أمة الإسلام كما رفع الله، محددًا بحدود الكتاب
والسنة.

اعترافات وادعية للمؤمنين

﴿ربنا ما خلقت هذا باطلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (١٩١)

من باطل الخلق وعاطله، فحين ذكرناك في أحوالنا كلها وفكرنا في صالح خلقك وآمنا أنك ما خلقت هذا باطلاً فأيقنا بالمعاد كما أيقنا بالمبدء وحققنا العقيدة والعمل بما بين المبدء والمعاد، إذا ﴿فقنا عذاب النار﴾ ذلك! و ﴿لا يزال المؤمن في صلاة ما كان في ذكر الله قائماً كان او جالساً او مضطجاً﴾.

ولان الصلاة هي افضل ذكر الله: ﴿واقم الصلاة لذكرى﴾ فقد تعذى الحالات الثلاث لذكر الله الحالات المترتبة في الصلاة ﴿قياماً﴾ ان امكن، ثم ﴿قعوداً﴾ حين لم يستطع علي القيام ثم ﴿علي جنوبهم﴾ علي أقل تقدير حين لا يستطيع علي القيام فيها ولا العقود، فقد يستفاد منها المروي ﴿لاتترك الصلاة بحال﴾ وكما يروي عن رسول الهدي3: ﴿صل قائماً فان لم تستطع فقاعداً فان لم تستطع فعلي جنب﴾.

١ . نورالثقلين ١ : ٤٢٣ في آمالى الشيخ الطوسي باسناده إلي الباقرX قال: لا يزال المؤمن... ان الله يقول: الذين يذكرون الله... ﴿٢﴾.

٢ . الدر المنثور ٣ : ١١٠ - اخرج البخارى عن عمران بن حصين قال: كانت بي بواسير فسألت النبي3 عن الصلاة فقال:... وفيه في لفظ آخر عن عمران بن حصين قال سألت النبي3 عن صلاة الرجل وهو قاعد؟ فقال: ﴿من صلي قائماً فهو افضل ومن صلي قاعداً فله نصف اجر القائم ومن صلي نائماً فله نصف اجر القاعد﴾.

اقول: هذا يختص بصلاة الليل واما سائر النوافل فلا صلاة فيها نائماً، واما الفرائض فلا تصح الا قائماً اللهم الا للمضطر، وفي نور الثقلين ١ : ٤٢٣ في الكافي علي عن ابيه عن ابن محبوب عن ابي حمزة عن ابي جعفر(عليهما السلام) في الآية قال: الصحيح يصلى قائماً وقعوداً، المريض يصلى جالساً و ﴿علي جنوبهم﴾ الذي يكون اضعف من المريض الذي يصلى جالساً اقول: قائماً وقعوداً للصحيح هو علي الصحيح حالتنا الصلاة فانها بين قيام وقعود، والقعود هو



ولقد وردت بشأن هذه الآيات روايات ما أرواها وأروعها، منها قول الرسول³ بعد بالغ تعبده ❀ ويلى لمن قرأها ولم يتفكر فيها^١.

فالتفكر التفكر، فانه حياة قلب البصير، و❀ فكرة ساعة خير من عبادة ستين سنة^٢ ولكن فيم؟ في خلق الله وليس في ذات الله وكما يروي عن رسول الله³ ومن لطيف الجمع في هاتين الآيتين

← الذى بعد قيام، دون الجلوس فانه عن النيام او هو اعم.

١. المصدر اخرج جماعة عن عطاء قال قلت لعائشة اخبرني باعجب ما رأيت من رسول الله³ قالت: وأى شأنه لم يكن عجباً اتانى ليلة فدخل معي في لحافى ثم قال: ذريتني اتعبد لربى فقام فتوضأ ثم قام يصلى فيكي حتى سالت دموعه علي صدره ثم ركع فيكي ثم رفع رأسه فيكي فلم يزل كذلك حتى جاء بلال فأذنه بالصلة فقلت يا رسول الله³ ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، قال: افلا اكون عبداً شكوراً ولم لا افعل وقد أنزل علي هذه الليلة ❀ ان في خلق السماوات ❀ ثم قال: ويل... .

٢. مجمع البيان وقد اشتهرت الرواية عن النبي³ انه لما نزلت هذه الآية قال: ويل... . وفي نورالثقلين ١: ٢٢٣ عن الكافي باسناده الي عبدة عن ابيه وابى رافع كلام يحكيان فيه ذهاب علي X بالفواطم من مكة الي المدينة ملتحقاً بالنبي³ حين هاجر ومقارعتة X الفرسان من قریش - وفيه - ثم سار ظاهراً قاهراً حتى نزل ضجنان فلزم فيها قدر يومه وليلته ولحق به نفر من المستضعفين المؤمنين وفيهم ام ايمن مولاة رسول الله³ فصلى ليلته تلك الليلة، والفواطم امه بنت اسد وفاطمة بنت رسول الله³ وفاطمة بنت الزبير، يصلون ليلتهم ويذكرونه قياماً وقيوداً وعلي جنوبهم فلن يزالوا كذلك حتي طلع الفجر فصلى X صلاة الفجر ثم سار لوجهه فجعل وهم يصنعون ذلك منزلاً بعد منزل يعبدون الله عزوجل ويرغبون اليه كذلك حتي قدم المدينة وقد نزل الوحي بما كان من شأنهم قبل قدومهم ❀ الذين يذكرون الله - الي قوله - : ❀ فاستجاب لهم ربهم... . ❀

٣. المصدر اخرج جماعة عن عبدالله بن سلام قال خرج رسول الله³ علي اصحابه وهم يتفكرون فقال: لاتفكروا في الله ولكن تفكروا فيما خلق، واخرج مثله عن عمرو بن

←

الجمع بين اطوار العبودية الثلاثة: الذكر باللسان حيث يشمله وسائر الذكر ❀ الذين يذكرون الله ❀ والعمل بالاركان ❀ قياماً وقعوداً وعلي جنوبهم ❀ والتصديق بالجنان ❀ ويتفكرون ❀ إشارة إلى عبودية القلب والفكر والروح، وهذه الثلاث تحلق علي كيان الإنسان ككل.

هنا ❀ ربنا ما خلقت هذا باطلاً ❀ يعني لغواً دون هدف صالح وهو لعب بالخلق ❀ ما خلقنا السماوات والارض وما بينهما لاعبين. ما خلقناهما إلا بالحق ولكن اكثر الناس لا يعلمون ❀ (١٦:٢١)

سبحانك ربنا ❀ من اللعب واللغو، فسبحانك من عدم إقامة يوم قيامة الجزاء ❀ فقنا عذاب النار ❀ التي هي لناكرين حق الخلق والمعاد، ونحن معترفون به و عاملون له داعين إليه.

❀ رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخِلُ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ❀ (١٩٢:٣)

أتري ربنا تدخلنا النار ونحن عبيدك الطائعون لك العا بدون إياك؟ وذلك خزي والمؤمن عزيز؟!

إنه الخوف من خزي النار قبل خوف النار، والخزي فيها إنما هو للبعيدين عن ساحة قدسه تعالى، فإنما يهمهم أولاء الداعين قربه ورضاه إن في الجنة أو في النار، فهم أشد حساسية في بُعدهم عنه تعالى من دخول النار، وبقربهم بالبعيدين عن الله من نفس النار، ف ❀ العار والتخزية يبلغ من ابن آدم يوم القيامة في المقام بين يدي الله ما يتمني العبد ان يؤمر به الي النار ❀.



مرة وعثمان بن ابي دهرين وابن عمرو ابن عباس عنه 3 ما في معناه .
١ . الدر المنثور ٣ : ١١١ - اخرج ابويعلي عن جابر ان رسول الله 3 قال: العار.. وفيه اخرج أبو بكر الشافعي في ربايعياته عن ابي قرصافة قال: كان رسول
←

ثم المنفدى عن المؤمنين هو الخزى يوم القيامة، واما البرزخ فقد يخرى المؤمن بالكبائر لتعزيزه يوم القيامة بدخول الجنة .

﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ (١٩٣:٣)

أول منادٍ هنا ينادى للإيمان هو الرسول المنادى بالقرآن: ﴿فذكر بالقرآن من يخاف وعيد﴾ (٥٠:٤٥) ثم خلفاءه المعصومون (عليهم السلام)، ثم العلماء الربانيون .

ولانهم كلهم إلا قائمهم X ميتون، فالمنادى للإيمان علي مدار الزمان هو القرآن، نودى به أم لم يناد به، فانه هو الناطق بالحق لمن ألقى السمع وهو شهيد، مهما كان فى نداء من يعرف القرآن رسولياً دخلاً فى تفهم القرآن .

وذلك النداء اياً كان نداء صارم لا قبل له ببراهين الآيات الربانية آفاقية وأنفسية، فليس نداءً مجرداً عن البرهان كما ليس مجرداً عن البيان، بل هو بيان وبرهان، بيان ببرهان وبرهان ببيان .

و ﴿ينادى للإيمان﴾ دون ﴿إلى الإيمان﴾ كما ﴿ان هذا القرآن يهدى للذى هي اقنوم﴾ وفوقهما ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾؟

لانه نداء وسيط، لا إلى الإيمان ككل، ولا هديّ دون وسيط كما فى الصراط المستقيم، فهو لمحمة لامعة الي ان اولى الالباب تخطوا المرحلة الاولى وهى النداء إلى الإيمان، فانهم — مبدئياً — كانوا مؤمنين قبل النداء، إذ كانوا يتحرون عن صالح الإيمان، فالقرآن ورسول القرآن لهم نداء للإيمان، اي لصالح الإيمان حتى يكمل برسالة القرآن، إذا



الله³ يقول: اللهم لاتخذنا يوم القيامة ولا تفضحنا يوم اللقاء .

﴿فآمننا﴾ هو كمال الإيمان لحدّما لابدائته البدائية فانها لغير اولى الالباب.
 ﴿ربنا فاغفر لنا ذنوبنا﴾ السابقة علي هذا الايمان قِصَوراً دون تقصير، واللاحقة عن الايمان، غفراً عما تهجم علينا من ذنوب فنقترفها، ام نقتربها، غفراً بعد واقع الذنوب كالاول، وآخر قبل واقعها كالثاني.
 ﴿وكفر عنا سيئاتنا﴾ وهي أصغر من الذنوب، حيث الذنب ما يستوخم عقباها، والسيئة هي اعم منها حين تنفرد، وهي أخص منها حين تقرن بالذنوب كما هنا فهي - اذاً - اصغر منها.

﴿وتوفنا مع الابرار﴾ الذين هم براء من الذنوب والسيئات بما غفرت وكفرت.
 وقد يتسق ظل هذه الفقرة في الدعاء مع ظلال السورة كلها في اتجاهها في خضم المعركة الشاملة مع الشهوات، اتجاهاً الي الله في النجاة منها إلي مرضاته تعالي.
 ﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ

الميعاد﴾ (١٩٤:٣)

وها اكتملت الأدعية الثمان لأهل الجنة عدد ابواب الجنة الثمان ﴿فاستجاب لهم ربهم...﴾.

وذلك استنجاز لوعد الله الذي بلغته رسله، و ﴿علي رسلك﴾ دون برسلك أمّا شابهه اعتباراً بتضمن ﴿علي﴾ معني العهدة، ان الله تعالي عاهدهم علي بلاغ هذه الرسالة، لزاماً في بلاغهم الرسالي.

وتري كيف يدعون ﴿آتنا ما وعدتنا﴾ ومحال علي الله ان يخلف الميعاد كما اعترفوا به؟ ﴿آتنا ما وعدتنا﴾ له جانبان، وعد الجزاء علي صالح الأعمال، والتوفيق لتلك الأعمال حتي ينطبق عليهم وعد الله، فكما ان الدعاء للثاني صالح للصالحين استمداداً من الله، كذلك للأول تخضعاً له وتذلاً بأننا لانديق تحقيق وعدك فلو تركته ما كنت تاركاً لحق، ولكننا

نسألك ان تحقق وعدك فينا علي قصورنا
وتقصيرنا ❀ انك لاتخلف الميعاد ❀ مهما
أخلفنا نحن الميعاد .
❀ فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من
بعض فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا فى سبيلى وقاتلوا وقتلوا
لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثواباً من عند الله و
الله عنده حسن الثواب ❀ (١٩٥:٣)

ويا لها من استجابة حبيبة غالية كضابطة
ثابتة ❀ انى لا اضيع عمل عامل منكم ❀ فنفس
العمل الصالح - قولاً وفعلاً وحالاً - باقى وكما
تدل عليه آيات انعكاس الاعمال والآقوال
والاحوال، فحين لا يضيع عمل عامل وهو باقى غير
حابط، فليجز به يوم القيامة فـ ❀ انما
تجزون ما كنتم تعملون ❀ فليس - اذاً - مجرد
العقيدة والتفكير والذكر هـى الغاية
الايمانية، وانما هذه التى تنحو نحو العمل،
العمل الايجابى تحقيقاً واقعيماً لذكر الله
والايمان بالله، فالعمل الصالح هو الثمره
الواقعية لفظ الايمان وعقيدته وطويته، ولا
سيما العمل الجاد فى الجهاد .

ثم ولا فارق فى عدم الضياع بين ذكر وانثى
فلا تفرقة ناشئة من اختلاف الجنس، فان بعضكم
من بعض فانما الفارق هو فارق الاعمال، حسب
درجاتها ودرجات النيات والطويات .

❀ فالذين هاجروا ❀ فى الله حفاظاً علي شرعة
الله، ❀ واخرجوا من ديارهم ❀ وعمل الفارق
بينهما ان الاولين هاجروا بايمانهم دون
إخراج مهما كان إخراج، خرجوا أو لم
يخرجوا، فانما هو عموم الهجرة فى الله مهما

١ . الدر المنثور ٢ : ١١٢ - اخرج جماعة عن ام سلمة
قالت يار رسول الله ﷺ لا اسمع الله ذكر النساء فى الهجرة
بشيء فأنزل الله ﷻ فاستجاب لهم انى لا اضيع عمل عامل
منكم من ذكر او انثى ❀ قالت الانصار هى اول طيعة
قدمت علينا .

كان من مصاديقه الهجرة من الديار، والآخريين أخرجوا حتى آخر جوار، كمصاديق من مصاديق الهجرة في الله: ﴿واوذوا في سبيلي﴾ محرّجين ومخرّجين، ايذاءً في نفس او مال او منال. ﴿وقاتلوا﴾ في سبيل الله حتي ﴿وقتلوا﴾ فمن المقاتلين من يقاتل دون ان يُقتل او يُقتل، ومنهم من يقاتل ليقتل ولا يُقتل، ثم منهم من يقاتل ليقتل واذا لزم الامر أن يُقتل، وهؤلاء الآخرون هم المعنيون بـ ﴿قاتلوا وقاتلوا﴾. ﴿لا كفرن عنهم سيئاتهم﴾ كلها دون إبقاء حيث استقصوا التضحيات كلها، وتفانوا في سبيل الله دون إبقاء.

﴿ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ وذلك ﴿ثواباً من عند الله﴾ عنديّة الرحمة البالغة السابعة والزلفي البائقة وهم من أول من يدخل الجنة ﴿والله عنده حسن الثواب﴾. لقد ذكر هؤلاء الأركان في ادعيتهم الثمان ﴿ربنا﴾ خمس مرات، فكما ان للثمانية حساب كعدد ابواب الجنة، كذلك للخمسة حساب قد تؤثر في استجابة الدعاء، وكما يروي عن الامام الصادق X: ﴿من حزنه امر فقال خمس مرات ربنا أنجاه الله مما يخاف واعطاه ما اراد وقرأ هذه الآية قال: لان الله حكي عنهم انهم قالوا خمس مرات ﴿ربنا﴾ ثم أخبراً انه

١ . الدر المنثور ٢ : ١١٢ - اخرج ابن جرير وابو الشيخ والطبراني والحاكم وصححه والبيهقي في الشعب عن ابن عمرو سمعت رسول الله ﷺ يقول: ان اول ثلثة يدخلون الجنة الفقراء المهاجرون الذين تنقي بهم المكاراة اذا امروا سمعوا واطاعوا وان كانت لرجل منهم حاجة الي السلطان لم تقض حتي يموت وهي في صدره وان الله يدعه يوم القيامة الجنة فتاتي بزخرفها وزينتها فيقول: اين عبادي الذين قاتلوا في سبيلي وقتلوا واوذوا في سبيلي وجاهدوا في سبيلي ادخلوا الجنة فيدخلونها بغير عذاب ولا حساب وياتي الملائكة فيسجدون ويقولون: ربنا نحن نسيح لك الليل والنهار وتقدس لك من هؤلاء الذين اثرتهم علينا فيقول: هؤلاء عبادي الذين قاتلوا في سبيلي واوذوا في سبيلي فتدخل الملائكة عليهم من كل باس سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار.

استجاب لهم^١ فبنا وفقدنا لما تحبه وترضاه بحق الخمسة الطاهرة الباهرة .
 ❁ لا يَغْرَبُكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ (١٩٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَ

بئس المهادئ ❁ (١٩٧:٣)

❁ ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم في البلاد ❁ (٤:٤٠) والتقلب هو كثرة الاضطراب في مختلف البلاد والتقلقل في الاسفار والانتقال من حال الي حال، بوفور النعمة وكثرة القوة والسلطة .

❁ الذين كفروا في البلاد ❁ لا يغررك تقلبهم في البلاد، تقلباً في اي تغلب بمتاع، في دولة المال ام دولة الحال، وتغلباً في اي تغلب، فانما ذلك علي طولته وطولته ❁ متاع قليل ❁ فان الدنيا بكل متاعها بجنب الآخرة قليل ❁ ثم مأواهم جهنم وبئس المهادئ ❁ .

فالغُرور هو الذي يغر اهل الغُرور بذلك التغلب التغلب بمتاع، وهو عند الله متاع قليل، ❁ ثم مأواهم جهنم وبئس المهادئ ❁ .

وقد تعم ❁ في البلاد ❁ الي تقلبهم في البلاد كفرهم في البلاد، فقد يتقلب الكفار في البلاد تقلب التجوال تغلباً، ام يكفرون في البلاد تقلباً فيها في أهواءهم، والمعنيان معنيان .

❁ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ

عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ❁ (١٩٨:٣)

❁ لكن الذين اتقوا ❁ عن كل تقلب عاطل وتغلب باطل، وانحصرت تقلباتهم في تقدمات المعرفة بالله والخدمة لعباد الله مهما كانوا فقراء او اثرياء، حيث وقفوا كل حياتهم في مرضات الله ❁ لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ❁ ❁ عطاءً غير مجدوذ ❁ فهم داخلون فيها دون خروج ❁ نزلاً من عند الله ❁ وهي

١ . تفسير الفخر الرازي ٩ : ١٥١ روى عن جعفر الصادق X: ...

المضاييف الربانية المخضرة المحضرة للمتقين
ولهم نعيم مقيم ﴿وما عند الله خير للابرار﴾
مما عندهم وعند الناس، فلذلك يضحون بهما
ابتغاء ما عند الله: ﴿ان الذين آمنوا وعملوا
الصالحات كانت لهم جنات الفردون
نزلاً﴾ (١٠٧:١٨)

﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَ مَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ
لِلَّهِ لَا يَشْتُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ
الْحِسَابِ﴾ (١٩٩:٣)

اجل و ﴿ليسوا سواء من اهل الكتاب امة
قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم
يسجدون. يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون
بالمعروف وينهون عن المذكر ويسارعون فى
الخيرات واولئك من الصالحين. وما يفعلوا
من خير فلن يكفروه والله عليم
بالمتقين﴾ (١١٥:٣).

فمنهم ﴿من يؤمن بالله وما أنزل اليكم﴾ من
القرآن ﴿وما أنزل اليهم﴾ من كتاباتهم
السماوية دونما تحريف وتجديف، يؤمنون
﴿خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنًا قليلاً﴾
وهى عبارة أخرى عن انهم لا يشترون بها اى
ثمن لان ثمن الدنيا كله قليل أمام ما أنزل
الله الجليل من النعم الجليلة فـ ﴿أولئك﴾
الأركام ﴿لهم اجرهم﴾ قدر سعيهم ﴿عند ربهم
إن الله سريع الحساب﴾.

فهؤلاء هم الكتابيون الذين يؤمنون بهذه
الرسالة الأخيرة دونما تعصب على شرعتهم
كعبد الله بن سلام والنجاشى، واضرابهما على
مدار الزمن الاسلامى السامى، مهما نزلت الآية
بشأن جموع منهم حضور زمن الرسول 3 تذكرات
بنعم ربانية .

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَ

الْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (٥:١٠)

هذه وما يتلوها من اختلاف الدليل والنهار

هي من شؤون الربوبية البارزة، و ﴿ الشمس ﴾ هنا هي هذه التي تشرق علينا نحن سكان الأرض حيث الخطابات تخصنا، أم تعنى كل شمس وقمر للعالمين أيضاً كانوا في الأنجم الحية العاقلة المكلفة بأهلها.

هنا ﴿ الشمس ضياءً ﴾ مرة، وسراجاً أخري تذكر بين (٣٢) مرة، ثم ﴿ القمر نوراً ﴾ بين (٢٦) مرة، وفيها ﴿ وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجاً ﴾ (١٦:٧١) و ﴿ جعل فيها سراجاً وقمراً منيراً ﴾ فالشمس ضياءً وسراج مرتين، والقمر نور ومنير مرات ثلاث، فما هو الفرق بين الضياء والسراج وبين النور والمنير؟

الضياء هو شدة النور كما السراج، مهما اختلفت السُرُج في ضياءها، ولكن النور هو مطلقها وهو في القمر وجاه الشمس نور ضعيف ولا سيما إذا كان من إضاءة الشمس حيث يتلألأ علي ضوءها، والنور علي حد تعبير رسول النور³: ﴿ تكلم ربنا بكلمتين فصارت إحداهما شمساً والأخري قمراً وكانا من النور جميعاً ويعودان إلي الجنة يوم القيامة ﴾^١ إذاً فالنور هي أعم من الضياء للشمس والنور للقمر، والكلمتان هنا هما التكوينيتان.

ثم ﴿ قدره ﴾ القمر ﴿ منازل ﴾ هنا ﴿ لتعلموا عدد السنين والحساب ﴾ وفي البقرة: ﴿ قل هي موافقت للناس والحج ﴾ (١٨٩).

فالموافقيت تعم عدد السنين والحساب حيث الحساب هو حساب السنين بالساعات والأيام والأسابيع والشهور.

﴿ ما خلق الله ذلك إلا بالحق ﴾ مصاحباً الحق وبسبب الحق، حق العلم وحق الحكمة التربوية وسائر الحق في الخلق.

وهاتان الآيتان هما من عساكر البراهين القرآنية علي أصالة الشهور والسنين القمرية.

١ . الدر المنثور ٣: ٣٠٠ - اخرج ابن مردويه عن ابن مسعود قال سمعت رسول الله³ يقول: .

❖ يفصل الآيات لقوم يعلمون ❖ يعلمون النظام عن الفوضى، والترتيب القاصد عن الصدفة العمياء، ففي تقدير القمر منازل علي ضوء جعل الشمس ضوءاً بأنه لا يزال يتباعد عنها حتي يوافيها من جانب آخر إرتساماً للأيام فالشهور فالسنين، إن في ذلك لآيات لقوم يعلمون.

مشهد ان مألوفان معروفان ليل نهار لمن له بصر، يُعرّضان في مسرح التذليل علي ربوبيته تعالي إثارة في مشاعرنا وهلة الجدة وإحساس التطلع الحي والتأمل الذي لا يبلده التكرار.

❖ إن في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والأرض لآيات

لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ ❖ (١٠:٦)

من اختلاف الليل والنهار هو مجيء كل خلف الآخر بنظام دون فوضى، وه كذا يفسر قول النبي 3: ❖ اختلاف أمتي رحمة ❖ فإنه اختلافهم إليه وإلي رباني الأمة، ومنه اختلافهما عن بعضهما البعض في الطول والقصر حسب أيام السنة، وحسب مختلف الآفاق، واختلافهما في الآثار المترتبة عليهما: ❖ وجعلنا نومكم سباتاً وجعلنا الليل لباساً وجعلنا النهار معاشاً ❖ (١١:٧٨)

فالإختلاف قد يعنى الإئتلاف بإتيان شيء أو شخص خلف آخر إفادة أو إستفادة، وأخري هو التضاد بجعل كل خلف الآخر تخالفاً في المرام وتضاداً في المرام.

والقرينة الأدبيه المميزه لكل عن الآخر هي الظرف المتعدي به الإختلاف، فالإختلاف ❖ في ❖ أو ❖ عن ❖ وما أشبه هو من الثاني.

والإختلاف ❖ إلي ❖ أو ❖ لـ ❖ وما أشبه هو من الأول، والمجرد عن الظرف يحتملها إلا ان يتعين احدهما بقرينة أخري كـ ❖ اختلاف الليل والنهار ❖ فإنه من الأول ❖ ولا يزالون مختلفين ❖ حيث هو من الثاني.

فليس مجرد ❖ الإختلاف ❖ دليلاً علي أحدهما حتي يقال: ❖ اختلاف أمتي رحمتي ❖ هو اختلاف

المذاهب؟ فإنه خلاف الرحمة: ❀ ولا يزالون مختلفين. إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم ❀ (١١: ١١٩)

❀ وما خلق الله في السماوات والأرض ❀ بما خلقهما وهو عبارة أخرى عن خلق كل شيء ❀ آيات ❀ دالات على النظام المقصود بربوبية قاصدة ❀ لقوم يتقون ❀ المحاظير، فحين تدل طبيعة الحال في الكون المنضد المنظوم على أن وراءه منضد و منظم، فنكران وجوده تعالى خلاف التقوي، وهو من الطغوي ف ❀ ما تري في خلق الرحمن من تفاوت، فارجع البصر هل تري من فطور. ثم إرجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير ❀ (٤: ٦٧).

فحين يقف الإنسان لحظات يراقب أمامه من ❀ ما خلق الله في السماوات والأرض ❀ ويستعرض ذلك الحشد العظيم الحاشر الذي لا يحصي من مختلف ألوان الخلق، يمتديء مستفيداً بما يغنيه ويعنيه من الحياة الإنسانية.

❀ إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا وطمأنوا بها والذين هم عن

آياتنا غافلون (٧) أولئك ماؤاهم النار بما كانوا يكسبون ❀ (٨: ١٠)

آيات اللقاء الأربع والعشرون هي بين ❀ لقاءنا ❀ كما هنا و ❀ لقاءه ❀ و ❀ لقاء الله ❀ و ❀ لقاء ربهم ❀ و ❀ لقاء الآخرة ❀ و ❀ لقاء يومهم هذا ❀ و ❀ لقاءنا ❀ أشمل عناية لمعاني اللقاء من الكل لمكان الجمعية التي تعنى لقاءه المعرفي والعبودي ولقاءه في العمل المرضي له ككل، فلقاء الزلفي هنا، ثم لقاءه زائدة وعبودية زائدة وزلفي زائدة، وجزاء للأعمال في الأخرى.

فمن الناس من يقول لاسبيل هنا إلي معرفة الله، حيث الطريقة العلمية التجريبية لا تثبت وهو غيب مطلق لا يمكن الوصول إليه بأية وسيلة، فلو أنه كائن فلا سبيل لنا إلي معرفته فلا لقاء له معرفياً، ولم لم يُرنا نفسه لو أنه كائن؟ أفعجزاً عن إراءة نفسه فهو القاصر في حقل معرفته، وما نحن

بمقصرين! أم قادر ويدخل؟ فهو المقصر فى
قصور معرفته دوننا!

ثم لو أنه كائن وعرفناه، فما لنا أن
نتعرف إليه كما يحق، أو نعبده كما يحق،
فحن لنا - إذاً - أن نعبد من عباده الرعيل
الأعلى العارفين إياه!

ولكن الطريقة العلمية نفسها مما تثبت
وجود الله، إضافة إلى كافة البراهين الصالحة،
فلا يملك أى كائن ما يملكه الله من البراهين
الساطعة على وجوده وتوحيده، وليس من
الممكن أن يرينا نفسه إلا أن نحيط به علماً
وهو ألوهية ثانية، والمحال الذاتى لا يتحول
ممكناً حتى يحول الله إلى الإمكان، فنتمكن -
إذاً - من رؤيته!.

وأما عبوديته، فهي المستحقة له لا سواه،
وقد رضيها لنفسه دون سواه، وذلك من حنانه
ومنه الخاص أن رضى منا أن نعبده دون سواه.
ثم منهم من يعترف بوجوده تعالى ووحدته
ولكنه يقول: لا سبيل لنا إلى معرفة الحياة
بعد الموت، رغم أنها ضرورة لا حول عنها قضية
الحكمة العادلة الربانية؟ ولكنها ضرورة فى
ميزان العقل والعدل والوحي لا حول عنها،
والتصديق عقيدياً وعملياً بحقيقة لا يلزم
الحيطة الكاملة على هذه الحقيقة، مبدءاً
ومعاداً، فقد تكفى المعرفة الإجمالية
المستطاعة، إذ لا نكلف نفساً إلا وسعها.

ذلك، ولقاء الله بأسماءه الحسنى بين مفروض
ومستحيل وواقع، فالواقع على أية حال هو
الصلة الذاتية لكل الكائنات بدائب الرحمة
الإلهية، حيث لا ينقطع أى مخلوق عن الخالق إلاً
بانقطاعه عن كونه، لأن الفقر الذاتى
للمخلوق كوناً وكياناً إلى الله يجعله دائماً
الصلة بالله وهذه هى اللقاء الواقع، حاصلاً دون
تحصيل، والمستحيل هو لقاء ذاته تعالى وصولاً
إليها بحيطة شاملة علمياً ومعرفياً، وهو
باين عن خلقه وخلقه باين منه، لا هو فى
خلق ولا خلقه فيه.

ثم المفروض هو اللقاء المعرفى بكونه تعالى وتوحيده و كل شؤون ربوبيته، هنا تكليفاً وما أشبهه من شؤون نشأة الإمتحان، وفى الأخرى حساباً وجزاءً وفاقاً.

و ﴿الذين لا يرجون لقاءنا﴾ هم كل هؤلاء الذين يذكرون كل هذه اللقاءات أم بعضها، وذلك النكران كفر كله مهما اختلفت دركاته حسب دركات النكرانات.

هؤلاء ﴿الذين لا يرجون لقاءنا﴾ تاركين الحياة العليا، إنهم ﴿رضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها﴾ وهم ﴿الذين هم عن آياتنا غافلون﴾ أولئك ماوهم النار بما كانوا يكسبون.

هنا ﴿والذين هم عن آياتنا غافلون﴾ تعم ناكري المبدء والمعاد حيث تعذى آيات المبدء والمعاد - وكذلك ناكري المعاد تصديقاً بالمبدء مشركين وموحدين، و﴿آياتنا﴾ تعم الآيات التكوينية - آفاقية وأنفسية - والتدوينية، و﴿غافلون﴾ تعذى الغفلة المتعمدة المقصرة حيث الغافل القاصر لا يعذب.

ذلك ومن قبل هؤلاء الذين يحملون ثلوث ﴿لا يرجون لقاءنا﴾ ورضوا بالحياة الدنيا - واطمأنوا بها. هم كلهم ﴿ماوهم النار بما كانوا يكسبون﴾.

هنا ﴿رضوا بالحياة الدنيا﴾ معناه انحصار رضاهم بها وإنحصارها عن الأخرى، كما ﴿واطمأنوا بها﴾ تعذى ذلك الإنحصار الإنحصار.

ذلك و ﴿من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه﴾^١

١ . مفتاح كنوز السنة عن النبي 3 نقلاً عن بيخ - ك ٨١ ب ٤١، ك ٩٧ ب ٣٥، مس - ك ٤٨ ح ١٥ - ١٨ تر - ك ٨ ب ٤٧، ك ٣٤ ب ٦ قا، نس - ك ب ١٠، مي - ك ٢٠ ب ٤٣، ما - ك ٢٦ ح ٥٠، حمه - ثان ص ٣١٣ و ٣٤٦ و ٤١٨ و ٤٢٠ و ٤٥١، ثالث ص ١٠٧ و ١٢٢، رابع ص ٢٥٩، قا خامس ص ٢٣٨ و ٣١٦ و ٣٢١، سادس ص ٤٤ و ٥٥ و ٢٠٧ و ٢١٨ و ٢٣٦ قاط - ح ٥٦٤ و ٥٧٤.

ووفقه للقاءه الصالح بكل حقوله .
ومما لا بد منه في الحياة هو الإطمئنان بما
يُطمئن عن المضلات والمزلات، فالنفس المطمئنة
بالله لا ترضي إلا ما يرضاه الله: ﴿الذين آمنوا
وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن
القلوب﴾ (١٣: ٢٨) ، والمطمئنة بالحياة
الدنيا تختص رضاه وهواه بما يطمئن بها،
وقد تخاطب النفسان بـ ﴿يا أيتها النفس
المطمئنة إرجعي إلي ربك راضية مرضية
فادخلي في عبادي وادخلي جنتي﴾ (٨٩: ٢٧) .
فالمطمئنة بالحياة الدنيا، الفارة الفالته
عن ربها، تُدعي لترجع إلي ربها يوم الدنيا
ما لم يفت الأوان، دخولاً في عباد الله الصالحين
هنا فدخولاً في الجنة هناك .
ثم المطمئنة بربها تدعي لترجع إلي ربها
هنا أكثر مما رجعت، وفي الأخرى ترجع إليه
راضية مرضية . فادخلي في عبادي وادخلي
جنتي: ﴿والدنيا جيفة فمن أراها فليبصر
علي مخاطبة الكلاب﴾^١ ذلك وسلبية الرجاء
للقاء الله في يوم الحساب تُسقط كل حساب فيسقط
الوحي عن بكرته، ثم ينعطف هم الإنسان تماماً
إلي الحياة الدنيا، واطمئن بها حيث لا
مطمئن له إلا إياها: ﴿فأعرض عن توالي عن
ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم
من العلم﴾ (٥٣: ٣٠) و ﴿من كان يريد الحياة
الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها
وهم فيها لا يبخسون . أولئك ليس لهم في الآخرة
إلا النار﴾ (١١: ١٥) فهم ﴿مأواهم النار بما
كانوا يكسبون﴾ وقدره، حيث إن ﴿جزاء سيئة
سيئة مثلها﴾ دون اللآنهاية المزعومة! .
﴿يا أيها الإنسان ما جرأك علي ذنبك،
وما غرك بربك، وما أنسك بهلكة نفسك، أما
من داءك بلول، أم ليس من نومك يقظة، أما
ترحم من نفسك ما ترحم به غيرك، فلربما تري

١ . الدر المنثور ٣: ٣٠١ - أخرج أبو الشيخ عن يوسف
بن اسباط قال قال علي بن أبي طالب (عليه
السلام): ...

الضاحي من حرّ الشمس فثّظله، أو تري المبتلي بألم يَمْضُ جسده فتبكي رحمة له، فما صبرك علي داءك، وجلدك بمُصابك، وعزّاك عن البكاء علي نفسك وهي أ عز الأنفس عليك، وكيف لا يوقظك خوف بيّات نِقمة وقد تورطت بمعاصيه مدارج سطواته، فتداو من داء الفِزّة في قبلك بعزيمة، ومن كَبَرِي الغفلة في ناظرك بيقظة، وكن لله مطيعاً، وبذكره أنساً، وتمثل في حال توليك عنه إقباله عليك يدعوك إلي عفوه، ويتغمّدك بفضله، وأنت متولّ عنه إلي غيره فتعالي من قوى ما أكرمه، وتواضعت من ضعيف ما أجراك علي معصية وأنت في كنف ستره مقيم، وفي سعة فضله متقلب، فلم يمدحك يحدثها لك، أو سيئة يسترها عليك، أو بلدية يصرفها عنك، فما ظنك به لو أطعته، وأيم الله لو أن هذه الصفتين كانت في متفقين في القوة، متوازنين في القدرة، لكنت أول حاكم علي نفسك بذميم الأخلاق، ومساوئ الأعمال - وحقاً أقول: ما الدنيا غرتك، ولكن بها اغتررت، ولقد كاشفتك العِظات، وأذنتك علي سواء، ولهي بما تعدك من نزول البلاء بجسمك، والنقص في قوتك، أصدق وأوفي من أن تكذبك أو تغرّك، ولربّ ناصح لها عندك متهم، وصادق من خبرها مكذب، ولئن تعرفتها في الديار الخاوية، والرُبوع الخالية، لتجدنها من حُسن تذكيرك، وبلاغ موعظتك بمحلة الشفيق عليك، والشحيح بك، ولنعيم دار من لم يرض بها داراً، ومحل من لم يوطنها محلاً، وإن السُعداء بالدنيا غدا هم الهاربون منها اليوم ﴿الخطبة ٢١٤﴾ .

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ (٩) دَعَوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعَوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠:١٠﴾

تلك ضفّة الكفر و هذه ضفّة الإيمان وعمل الصالحات للإيمان، وتري كيف يهديهم ربهم بإيمانهم ﴿ ومن يهديهم ربهم؟ يهديهم ربهم

بإيمانهم الذي طبقوه بعلم الصالحات إلي إيمان أعلي بربهم وكما يؤمرون به ﴿يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله﴾ (١٣٦:٤) كما ويهديهم إلي صالحات هي أصلح مما سلف، ثم ويهديهم بعد موتهم بإيمانهم إلي جناته: ﴿تجرى من تحتهم الأنهار في جنات النعيم﴾ حيث ﴿نورهم يسعي بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا﴾ (٨:٦٦).

﴿دعواهم فيها﴾ علي طول خط الخلود الأبد ﴿سبحانك اللهم﴾ عما وصفك به الجاهلون، وعن كل نقص وشين ﴿وتحتيهم فيها سلام﴾ مما يدل علي أن السلام هو أعلي قمم التحيات، تحتيهم من الله وتحية بعضهم بعضاً اعتباراً بوجهي الإضافة، إلي الفاعل أو المفعول، ثم ﴿وأخر دعواهم﴾ التي لادعوي لهم غيرها ﴿أن الحمد لله رب العالمين﴾ فقد جمعوا حياتهم في الجنة بين كلمة السلب والإيجاب من ﴿لا إله إلا الله﴾ وكما عاشوها في حياة التكليف.

ولتعني ﴿آخر﴾ هنا آخر أعمارهم في الجنة إذ لا آخر لها ولا لأعمارهم، بل القصد إلي آخر دعواهم وجاه أول دعواهم اللذين يشكلان كلمة الإخلاص، فقد تشكل دعواهم من ﴿سبحانك اللهم﴾ و ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ أم ليست لهم دعوي فيها إلا ﴿أن الحمد لله رب العالمين﴾.

أجل، ولأنه الإنطلاق من هموم الحياة الدنيا وشواغلها ومشاغلها والإرتفاع عن ضروراتها وحاجاتها وحاجياتها، والررفة في آفاق الرضا والتسبيح والحمد والسلام، إذا فأقصى ما يشغلهم حتي ليوصف بأنه ﴿دعواهم﴾ هو تسبيح الله وحمده والسلام علي عباده حيث يتخلل بين التسبيح والحمد.

ومهما كان في حياة التكليف غشاوات عن صالح السلب هذا وإيجابه قضية الحجابات المسدولة بين أهل الحق وحق الحق رغم أنهم به مؤمنون، فقد تزول هذه الغشاوات عن وجه السلب والإيجاب، سلباً يحدق علي كل ما لا

يليق بساحته سبحانه، وإيجاباً يحلق علي كل ما يليق بجنابه، فقد يصفونه تعالي كالعباد المخلصين ﴿سبحان الله عما يصفون﴾. إلا عباد الله المخلصين ﴿٣٧: ١٦٠﴾ وهم يصفونه في الجنة: ﴿وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا﴾ ﴿٧: ٤٣﴾ ﴿وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن﴾ ﴿٣٥: ٣٤﴾ ﴿وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده﴾ ﴿٣٩: ٧٤﴾.

صحيح أن كل عباد الله يحمدون الله ولا سيما في صلواتهم ليل نهار، ولكن أين حمد من حمد، هنا محجوب وهناك غير محجوب.

وعن النبي³: ﴿إذا قال العبد سبحان الله سبح كل شيء معه ما دون العرش فيعطي قائلها عشر أمثالها، وإذا قال: الحمد لله أنعم الله عليه بنعيم الدنيا حتى يلقاه بنعيم الآخرة وهي الكلمة التي يقولها أهل الجنة إذا دخلوها والكلام ينقطع في الدنيا ما خلا الحمد لله وذلك قوله: ﴿وتحيتهم فيها سلام﴾^١.

وقد يعنى من انقطاع الكلام في الدنيا الذى يختص بحاجيات الدنيا ومحاويلها وكما فى آخر ﴿وينقطع الكلام الذى يقولونه فى الدنيا ما خلا الحمد﴾، فلا كلام - إذا - فى الجنة إلا ما يحول حول التوحيد مع الله وعباده، أو ما يحول حول السلام مع عباده، إذ لا حاجة لهم إلى محاويع الدنيا حتى يتكلموا بها صناعة أو زراعة أو تجارة أو دراسة أمهيه.

١. فى الإختصاص باسناده عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده الحسين بن على بن أبى طالب (عليهم السلام) عن النبي³: .. وفى العلل باسناده إلى الحسن بن عبد الله عن أبائه عن جده الحسن بن على (عليهم السلام) عن النبي³ حديث طويل فى تفسير ﴿سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر﴾ وفى آخره قال: وإذا قال العبد الحمد لله أنعم الله عليه بنعيم الدنيا موصولاً بنعم الآخرة وهى الكلمة التى يقولها أهل الجنة إذا دخلوها وينقطع الكلام...
وذلك قوله عز وجل: دعواهم فيما سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين.

ذلك وعلي حد المروى عن رسول الله 3: ﴿إِذَا قَالُوا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ أَتَاهُمْ مَا اشْتَهَوْا مِنَ الْجَنَّةِ مِنْ رَبِّهِمْ﴾^١ وتراهم - إذا - بكماء عن أى كلام إلا هذا، فلا محادثة بينهم ولا مؤانسة بأى كلام إلا إياه؟ إنهم يتحدثون ويتآذنون مع بعضهم البعض، ولكنها كلها تحوم حوم ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ وأية حظوة لهم روحية مثلها ثم الخطوات الجسمية هي رهن المشيئة ﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ وَلَدِينَا مَزِيدٌ﴾ (٣٥٠: ٥٠)، فهم أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم هي كلها تفاصيل لـ ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ كما المؤمن المخلص في حياة التكليف، مهما كان بين الحالتين بون قضية اختلاف المنشأتين، ثم ﴿تَحِيَّتُهُمْ﴾ من الله ومن أنفسهم بعضهم بعضاً ﴿سَلَامٌ﴾ قولياً وعملياً، فليس لهم هناك من الله ومنهم إلا سلام يشمل كافة الخيرات والبركات في الجنة.

ذلك، وقد تعذى ﴿دَعَاؤُهُمْ﴾ بدايتها ثم ﴿أَخْرَجَهُمْ﴾ نهايتها، فكل كلام لهم محتف بها مهما كان لا يخرج عن تفاصيلهما. أو تعنى ﴿دَعَاؤُهُمْ﴾ ذكرهم دعاءً وخطاباً، مهما كانت لهم قالات أخرى، حيث الدعوي وهي مصدر دعي تعذى خصوص الدعوة الطالبة، ولا تطلب هنا إلا من الله دون سواه، خلاف الحياة الدنيا حيث هي حياة التداعى ذريعة إلي حاجياتها، ولكن المدعو هناك إنما هو الله لا سواه، وعلي أية حال فهم ليسوا ليُحرموا في الجنة من قالات الإيمان ومحادثاته ومؤانساته و ﴿لَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُ أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ﴾. نزلاً من غفور رحيم ﴿٣٥: ٥٠﴾.

﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقَضَىٰ إِلَيْهِمْ أَجْلَهُمْ فَذَرُوا الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (١١: ١٠)

﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا

١ . الدر المنثور ٣ : ٣٠١ - أخرج ابن مردويه عن أبي بن كعب قال قال رسول الله 3: ..

كسبوا لعجل لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه مؤثلاً ﴿٥٨:١٨﴾ * ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليهم دابة ولكن يُوخِّرهم إلى أجل مسمى فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴿٦١:١٦﴾ .

* لو ﴿٥٨:١٨﴾ هنا تحيل تعجيل الشر فقضاء الأجل إلى تأجيله وقت قضاء الأجل، إملاً وإمهالاً واستدراجاً قضية حياة التكليف الإمتحان.

هنا الله يستعجل الناس بالخير رغم استحقاقهم الشر، فخير الحياة والأموال والبنين وما يشتهون يستعجل لهم فيها لينظر كيف يعملون، وشرها يستأجل لهم فيه إلى يوم لقاءه جزاءً بما كانوا يعملون.

فتخلفات الذنسان من الناس تقتضى عقاباً عاجلاً فيه قضاء أجلهم، إلا أن فى ذلك قضاءً على فسحة الإمتحان، وتبديلاً لدار البداية والإمتحان إلى دار الجزاء الإمتهان.

فلأن رحمته سبقت غضبه فقد يقدم رحمته على غضبه فيؤجل مؤاخذة العصاة إلى أجلهم المقرر لهم: * وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه مؤثلاً ﴿٥٨:١٨﴾ .

وهنا * استعجالهم ﴿٥٨:١٨﴾ من إضافة المصدر إلى مفعوله وهو الله، أم وإلى فاعله حيث تعذى استعجال الناس إلى الخير فلو أن الله يستعجل لهم الشر عقوبة كما يستعجلون الخير وهو ما يلائم أهوائهم فقد يعنى * الخير ﴿٥٨:١٨﴾ كما هنا ما يختارونه بأهواءهم الطائشة: * وانه لحب الخير لشديد ﴿٨:١٠٠﴾ أمّا هو أعم منه: * ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير أطمأن به وان أصابته فتنة انقلب على وجهه ﴿١١:٢٢﴾ .

وعلى أية حال * لقضى إليهم أجلهم ﴿٥٨:١٨﴾ وهو تقديم لأجالهم المسماة إلى قضية العقوبة

١ . نورالثقلين ٢: ٢٩٥ فى تفسير القمى فى الآية قال: لو عجل الله لهم الشر كما يستعجلون الخير لقضى إليهم أجلهم أى فرغ من أجلهم.

المستعجلة، ولكن ﴿فَنذِرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ مشركين وموحدين كتابيين وسواهم ﴿فِي طَغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ ﴿فَلَا يَحْسِبُنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّئُهُمْ لِيُزِدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ (١٧٨:٣) ﴿وَأَمَلِي لَهُمْ إِنْ كَيْدِي مُتِينٌ﴾ (٦٨:٤٥ و ٧:١٨٣).

ذلك ومن عمق الحمق لهؤلاء الأغبياش الذين لا يرجون لقاء الله أنهم يتجرءون علي تطلب عاجل العذاب إن كان الرسل صادقين فيما ينذرون: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١٠:٤٨) ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَاتُ﴾ (١٣:٦) ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (٨:٣٢) مما يصدر أبعاد العناد التي كانوا يواجهون بها رسل الله. فلو أن الله قابل استعجالهم أنفسهم بالخير كما يههون، باستعجال الشر الذي يطلبون أم لا يطلبون، لقضى إليهم أجلهم قبل حلوله.

ذلك، ولرجاء الله علامات دون اعتبار بمجرد الإدعاء وكما يفصله الإمام أمير المؤمنين X من دأ بمن يدعيه ولا يحويه: ﴿يَدْعَى بِزَعْمِهِ أَنَّهُ يَرْجُوا اللَّهَ، كَدَبٌ وَالْعَظِيمُ، مَا مَالَهُ لَا يَتَّبِعِينَ رَجَاءَهُ فِي عَمَلِهِ، فَكُلُّ مَنْ رَجَا عَرَفَ رَجَاءَهُ فِي عَمَلِهِ إِلَّا رَجَاءَ اللَّهِ فَإِنَّهُ مَدْخُولٌ، وَكُلُّ خَوْفٍ مُحَقَّقٌ إِلَّا خَوْفَ اللَّهِ فَإِنَّهُ مَعْلُولٌ، يَرْجُوا اللَّهَ فِي الْكَبِيرِ، وَيَرْجُوا الْعِبَادَ فِي الصَّغِيرِ، فَيُعْطَى الْعَبْدَ مَا لَا يُعْطَى الرَّبَّ، فَمَا بِاللَّهِ جَلُّ ثَنَاءِهِ يُقْصَرُ بِهِ عَمَّا يُصْنَعُ لِعِبَادِهِ؟

أتخاف أن تكون في رجاءك له كاذباً، أو تكون لآتراه للرجاء موضعاً، وكذلك إن هو خاف عبداً من عبده أعطاه من خوفه ما لا يعطى ربه، فجعل خوفه من العباد نقداً، وخوفه من خالقه ضمارة ووعداً، وكذلك من عظمت الدنيا في عينه، وكبر موقعها من قبله، آثرها علي الله فانقطع إليها وصار عبداً لها﴾ (الخطبة

(١٥٩).

ذلك، فبماذا نرجوا لقاء ربنا؟ طبعاً بآيات الله آفاقية وأنفسية، وأنفس الآيات الأنفسية والآفاقية هو القرآن يعرض إياهما سليماً عليماً معلماً واعظاً بناصع وحي الله وناصحه.

فبم نرجوا لقاء الله بعد القرآن؟ أبا لرسول³ وعترته المعصومين (عليهم السلام)، وهم لم يرجوا لقاء الله إلا علي ضوء القرآن، ثم وهم ارتحلوا إلي ربهم، فهلا يدقي للراجين لقاء الله و سيلة و سيلة مع صومة لتعصمنا في هذه السبيل؟

❖ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضَّرَّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ

كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زَيْنٌ لِّلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢:١٠﴾

هذه حالة المسرفين في مواجهة الضر والكشف عنه، إسرافاً في الدعاء ❖ لجنبه أو قاعداً أو قائماً ❖ إذا مسهم الضر، وإسرافاً في الإعراض عن الله لَمَّا كَشَفَ عَنْهُمْ الضَّرَّ، فهم مسرفون في كلا الإنابة إلي الله والإعراض عنه: ❖ وإذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين إليه ثم إذا أذاقهم منه رحمة إذا فريق منهم بربهم يشركون. ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون ﴿٣٠:٣٤﴾ ❖ وإذا أنعمنا علي الإنسان أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٌ ﴿٤١:٥١﴾. ❖ وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلي البر أعرضتم وكان الإنسان كفوراً ﴿١٧:٦٧﴾.

❖ الضر ❖ هنا كلما يفر عنه من ضرر نفسى أو مالى وما أشبه مهما كان خيراً له، ثم ❖ دعانا لجنبه... ❖ قد تعنى الحالات الثلاث التى تحلق علي حياة الإنسان اضطجاعاً لإستراحة أو نوم، وقعوداً حين يحتاجه، وقياماً لحاجته، فلا يدع الدعاء علي أية حال من الأحوال، فـ ❖ أو ❖ إذاً للقسيم، أو

وتعنى كما يروي^١ حالة العلة *لجنبه* حيث هو مضطجع لعلته *أو قاعداً* لعله لا يقدر على القيام *أو قائماً* لعله له فى حالات الثلاث الأول، و *أو* إذا للترديد حيث لاتجتمع هذه الحالات الأخيرة له، فهو لا يزال يدعوا مقعداً أو سليماً وفى كل حالاته، حيث يعرض كل حالة وكل وضع وكل مظهر ومنظر دون إبقاء فى ذلك الدعاء!

فلما كشفنا عنه ضره مرّاً: ذهب إلي ما كان يهواه من شهواته متغافلاً عن ربه *كأن لم يدعنا إلي ضر مسه* فلو ذكر دعاءه ربه إلي ضر مسه لكان معتدلاً فى سلوكه، غير معرض عن ربه، ولكن *كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون* حيث *وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون* (٢٧:٢٤) وهذا جزاء لمن لا يرجوا لقاء ربه: *إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زيننا لهم أعمالهم فهم يعمهون* (٢٧:٤).

ذلك، وإنها صورة سيئة مئعة لنموذج إنساني مكرور على مدار التاريخ حيث يظل مندفعاً بتيارات الحياة، يذنب ويطنغي فى ذنبه بصحة موفورة وملابس مواتية.

ثم إذا مسه الشر والضر فإذا هو جزوع ذو دعاء عريض، ثم إذا كشف الله عنه ضره *مر كأن لم يدعنا إلي ضر مسه*! مر دون توقف ليفكر أو يشكر أو يعتبر، مندفعاً مع تيار الحياة، غريقاً فى الشهوات دون أى زاجر أو كالج أو أية مبالاة.

وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونََ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ (١٠:١٣)

تذكير بم صارع الغابرين نُبَهَةً للحا ضرين

١ . نورالثقلين ٢: ٢٩٥ عن تفسير القمى فى الآية قال: *دعانا لجنبه* العليل الذى لا يقدر أن يجلس *أو قاعداً* الذى لا يقدر أن يقوم *أو قائماً* الصحيح.

وإلي يوم الدين ❊ ولقد أهلكنا القرون من قبلكم ❊ كقرن نوح وعاد وثمود وأصحاب الرس وفرعون وأضرابهم بمختلف ألوان الهلاك ❊ لما ظلموا ❊ ظلماً يجازي هنا قبل الأخرى ❊ والحال انهم ❊ جاءتهم رسالهم بالبينات ❊ ثم ❊ والحال أنهم ❊ ما كانوا ليؤمنوا ❊ فلو كانوا يؤمنون بعد كفرهم ما كنا مهلكيهم، ❊ كذلك نجزي المجرمين ❊ الذين يجرمون ثمرات الحياة قطعاً لها قبل إيناءها فإفساداً إياها، فهذه سنة الله الجارية بحق المجرمين كما تقتضيه الحكمة الربانية في حياة التكليف.

ولقد إنتهى بالمشركين العرب إسرافهم وظلمهم لحد التهديد الشديد لهم بمصارع الغابرين، وهم أولاء يرون بقية لها في الجزيرة بمساكن عاد وثمود وقرى قوم لوط: ❊ أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم ❊ (١٢٨:٢٠) ❊ فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلاً ❊ (٥٨:٢٨) ❊ وعاداً وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم ❊ (٣٨:٢٩) ❊ فأصبحوا لايري إلا مساكنهم ❊ (٢٥:٣٦) .
❊ ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون ❊ (١٤:١٠)

وهنا ❊ خلائف ❊ جمع ❊ خليفة ❊ صيغة مكرورة عن آدم وبذيه أجمعين، في عامة الحقول وخاصتها، فآدم - بذريته - خليفة عن أمثاله الغابرين: ❊ إن في جاعل في الأرض خليفة ❊ (٣٠:٢) ❊ ثم الناجون من قوم نوح خلفاء من غرقوا: ❊ وجعلناهم خلائف وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا ❊ (٧٣:١٠) ❊ واذكروا إذ جعلناهم خلفاء وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا ❊ (٧٣:١٠) ❊ واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح ❊ (٦٩:٧) ❊ وكذلك الباقون بعد عاد: ❊ واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض ❊ (٧٤:٧)

وهكذا كل قرن حاضر عن كل قرن غابر ❊ هو الذي جعلكم خلائف في الأرض فمن كفر فعليه كفره ❊ (٣٩:٣٥) ❊ وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ❊

(١٦٥:٦) ثم قرن خاص وقرن خاصه لصلحين هم خلفاء الأرض علي الإطلاق: ﴿أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض﴾ (٦٢:٢٧).

ذلك، وليست الخلافة إلا في حقل المتجانسين في كون أو كيان، بأنقراض المستخلف عنه كوناً، أم بقاءهم وانقراضهم كياناً، فلا تعني الخلافة علي أية حال خلافة عن الله، إذ لا مجانسة بينه وبين أي من الخلفاء، ولا انقراض له كوناً أو كياناً.

ولتعني خليفة الله في بعض الأدعية والروايات إلا من جعله الله خليفة عن آخرين أشباههم مهما اختلفوا في درجات.

أجل، ليس لله خليفة ولا نائب ولا وكيل ولا أي مثيل، اللهم إلا عباد، وهم في تعاليمهم بدرجات العبودية رسل، ولا ثالث يعبر عن خلق الله.

أجل ﴿جعلناكم﴾ أنتم المكلفين من الجنة والناس وسواهما أجمعين و ﴿جعلناكم﴾ أنتم الحاضرين ككل، أم أنتم الكافرين ﴿خلائف﴾ لهم تخلفونهم ﴿في الأرض من بعدهم﴾ عائشين في حياة التكليف ﴿لننظر كيف تعملون﴾ نظراً إلي واقع أعمالكم بعدما هو عالم بما سوف تعملون.

فانظروا أنتم كيف تعملون فلا تأخذكم غرة ولا عزة بالإثم، فقد كفت لكم مصارع الغابرين عظة ومعتبراً.

أجل وإن هذا التصور عن الواقع المكرور الذي يصوره القرآن يظل مثيراً في الإنسان يقظة وحساسية مرهفة إن ظل إنساناً غير متجاهل كرامته الإنسانية إلي دركات الحيوانية، يقظة هي له صمام الأمن والطمأنينة، فشعور الإنسان بأنه ممتحن ومبتلي بآياته علي أرض التكليف، وبما ملكه الله وخوله إياه، إنه يمنحه مناعة ضد الإغترار والإنخداع والغفوة، المناعة المانعة له عن مستغرق اللجة البهيمية والتكالب علي عرض هذه الأدني ﴿لننظر كيف تعملون﴾؟

وتراه نظراً بعد جهل؟ علماً بعد جهل! كلا، إنه علم بعد علم، ف ﴿كيف تعملون﴾ علماً، هو حاصل قبل ﴿تعملون﴾ ولكنه خارج عن الإمتحان، إنما هو علم وعلامة واقعية لتقع

موقع الإمتحان. *كيف تعملون* تعنى كيف الواقع إذا ف : *كيف العلم، فالنظر هو النظر إلي الواقع المُرام، دون غير الواقع المرام إذ لا محنة فيه. *لننظر* هنا ناظر إلي نظر الواقع وهو مجال الإمتحان بالتكليف، دون نظر العلم المجرد عن الواقع أنه ان وقع كان كذا إذ لا مجال فيه لامتحان بتكليف.

اطمئنان القلوب بذكر الله

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (٢٨:١٣)

فالمذيّب الي الله مؤمن بالله قبل ان يأتيه ذكره، ثم بذكره يُطمئن قلبه بالايمان، و ﴿ذكر الله﴾ هو كل ما يذكر الله من ذكرى انفسية فطرياً وعقلياً، او ذكرى آفاقية من كتاب الذكر ورسول الذكر ام اى ذكر، والكون كله ذكر لله فانه كله آية لله، وافضل الذكر الوحي هو القرآن وعلي ضوءه الرسول، ثم من يحمل رسالته معصوماً.

فما آية الرسالات الا ذكراً تطمئن به قلوب مؤمنة من ذى قبل، وفي ذكر القرآن وآيته البارعة الخالدة كفاية عن كل ذكر: ﴿وقالوا لولا انزل عليه آيات من ربه قل انما الآيات عند الله وانما انا نذير مبين. او لم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان في ذلك لرحمة وذكري لقوم يؤمنون. قل كفي بالله بيني وبينكم شهيداً...﴾ (٥٢:٢٩) والقرآن شهادة كافية وآية ورحمة وذكري وافية تدليلاً علي هذه الرسالة السامية!.

وآية الذكر - هذه - هي الوحيدة في سائر القرآن، المنقطعة النظر في هذا الكتاب البشير النذير، وقد تحلق علي كل ذكر بدرجاته، كما تطمئن القلوب به بدرجاته ودرجاتها.

فكما ان ﴿بذكر الله تطمئن القلوب﴾ الي الله، كذلك به تطمئن القلوب المؤمنة بالله الي من آمن بالله وكما يروي عن رسول الله قوله: ﴿... الا بذكر الله يتحابون﴾. فكل ما يذكر الله او من يذكر الله فهو ذكر الله،

١ . الدر المنثور ٤ : ٥٨ - اخرج ابن مردويه عن علي (رض) ان رسول الله ﷺ لما نزلت هذه الآية ﴿... الا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ قال: ذاك من احب الله ورسوله واحب الله بيدي صادقاً غير كاذب واحب المؤمنين شاهداً وغائباً الا بذكر الله يتحابون.

وعلي حده وحِدَّتِه تطمئن القلوب الي الله، وعلي هامشه وفي سبيله إالي اولياء الله، ثم ولا تطمئن القلوب بذكر غير الله كما وهو المستفاد من الحصر المدلول عليه بتقديم الطرف ﴿بذكر الله﴾ علي فعله ﴿تطمئن القلوب﴾.

وتري اذا ﴿بذكر الله تطمئن القلوب﴾ المؤمنة فما هو موقف الحصر في ﴿انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم..﴾ (٨:٢) فالقلب الوجيل مضطرب ولا اطمئنان مع الاضطراب؟!!

ان الوجيل هو قضية الايمان حيث يخافون عذابه بما تقدمه ايديهم من اسبابه، وذلك قبل الاطمئنان التام ثم - ﴿واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً وعلي ربهم يتوكلون﴾ فهم مضطربون من وعد العذاب، ثم يطمئنون برحمته علي مزيد الايمان عند تلاوة الآيات كما هي طبيعة الحال أمام القرآن: ﴿الله نزل احسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الي ذكر الله ذلك هدي الله يهدي به من يشاء﴾ (٣٩:٢٣).

فهما تقشعر الجلود وتوجل القلوب في باديء الذكر بما يذكر المؤمن من تقصيره أمام ربه خوفاً من عقابه، ولكنه لايلبث بعيداً ان يلين جلده وقلبه الي ذكر الله، حيث يذكر عظمته ورحمته، ويتصل قلبه بمعدن النور اللامحدودة، ويزيد نوراً علي نوره، واطمئناناً علي ايمان، ورجاءً ثوابه، فـ ﴿من خاف الله اخاف الله منه كل شيء ومن لم يخف الله اخافه الله كل شيء﴾.

ان القلوب الخالية عن الايمان هي خاوية عن الاطمئنان، فهي مضطربة طول الحياة الزكدة الكافرة، عمى عن نظارة النضارة بذكر الله ﴿وانها لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾ (٢٢:٤٦).

فان بغية الانسان فطرياً أياً كان هي الكمال اللامحدود، وليس إلا اللهب فلايصل الي بغيته ما لم يتصل قلبه بالله، والاطمئنان بذكر الله هو حقيقة مرقومة علي تلك القلوب المؤمنة بالله،

التي خالطت بشاشة الايمان قلوبهم فاتصلت بالله، وتلك الإتصاله المعرفية الايمانية هي التي تطمئنها عن كل اضطراب تعيشه في الحياة الدنيا، حيث الدنيا بزخارفها و حذافيرها ومحدودياتها لاتثبت القلوب عليها مطمئنة بها فالقلوب لهواها غير المحدودة من الكمال المطلوب هي دائمة التنقل من هذه الي تلك حتي اذا وصلت الي الله فترتكب إليه وتطمئن به حيث تجد فيه بغيتها المرموقة المطلوبة، فلا تهوي بعد تنقلاً وتبدلاً، إلا تأنقاً وتعمقاً في هذه الركينة العالية الذروة، واتصاله فاطمئنانة اكثر واكثر حتي تصل الي مقام ﴿ او ادني ﴾ .

فكل اتصاله بغير الله هي انفصاله عن الله فغربة واضطراب، وكل انفصاله عما سوي الله هي اتصاله بالله وقربة واطمئنان.

وليس في الحياة اشقي ممن يخلد الي الأرض وكان امره فرطاً، راضياً بالحياة الدنيا، واجساً من كل شيء خيفة، حيث لايشعر الصلة بالله، فهو يعيش معيشة ضنكاً مهما عاش في القصور العالية والاموال الطائلة:

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ (١٢٤)

قال ربِّ لِمَ حَسَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (١٢٥) قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها و كذلك اليوم تنسى ﴿ (١٢٦)

في الكون اضطرابات لايصمد لها الانسان أيا كان إلا من يطمئن بذكر الله، فالمرتكن بغير الله غريب وحيد وهيد دائم الاضطراب، والمطمئن بالله قريب لا يحس اي اكتئاب.

فالنفس المطمئنة بالله تعيش ربها وترجع الي ربها راضية مرضية ﴿ يا ايها النفس المطمئنة ارجعي الي ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي ﴾ والنفس المطمئنة بالدنيا وزينتها هي مضطربة: ﴿ ورضوا بالحياة بالدنيا واطمأنوا بها ﴾ (٧:١٠) تعيش معيشة ضنكاً وترجع الي ربها غاضبة مغضوبة.

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا أَجْرُهُمْ ﴾ (٢٩:١٣)

و هؤلاء هم المطمئنة قلوبهم بذكر الله حيث

يُطمئنهم ويُؤمنهم ويحملهم علي عمل الصالحات، فهم لا سواهم ❀ طوبي لهم ❀ في الحياة كل الحياة، حيث تطيب حياتهم الروحية بذلك الإطمئنان وعمل الإيمان، ثم ولهم ❀ حسن مآب ❀ حيث يرجعون الي ربهم راضين مرضيين.

❀ طوبي ❀ وهي مؤنث اطيبة لمتحذوف يناسب الحياة، فهي الحياة الطوبي في الاولي وفي الاخري: ف ❀ من عمل صالحاً من ذكر او انثي فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون ❀ (٩٧:١٦).

والشجرة المتشجرة من هذه الطوبي هي اولاً في بيت الرسول³ ثم في بيت علي^٤ واغصانها وفروعها المتهدلة هي في بيوت المؤمنين الصالحين، هنا مزيجة، وفي الاخري ❀ حسن مآب ❀ حيث لاتشوبها غير طوبي.

ف ❀ طوبي ❀ هي الحياة الطيبة بمصادقيها المختلفة روحية ومادية في الدنيا والآخرة

١ . الدر المنثور ٤: ٥٩ عن ابي سعيد الخدري (رض) عن رسول الله³ ان رجلاً قال يا رسول الله³ طوبي لمن راك وآمن بك قال: طوبي لمن راى وآمن بي وطوبي ثم طوبي لمن آمن بي ولم يرني قال رجل وما طوبي؟ قال³ شجرة في الجنة مسيرة مائة عام تخرج من اكامها وفي نورالثقلين ٣: ٥٠٤ عن اصول الكافي قال اميرالمؤمنين X في حديث له عنه علامات اهل الدني ❀ وطوبي شجرة في الجنة اصلها في دار النبي³ وليس مؤمن الا وفي داره غصن منها لا يخطر علي قلبه شهوة شيء الا اتاه به ذلك ولو ان راكبا مجدأ سار في ظلها مائة عام ما خرج منه ولو طار في اسفلها غراب ما بلغ اعلاها حتي يسقط هرما الافى هذه فارغبوا ان المؤمن من نفسه في شغل والناس منه في راحة اذا جن عليه الليل افترس وجهه وسجدله عزوجل بمكارم بدنه يناجي الذي خلقه في فكاك رقبته الا فهكذا كونوا.

٢ . الدر المنثور ٤: ٥٩ - اخرج ابن ابي حاتم عن ابن سرين قال: شجرة في الجنة اصلها في حجرة علي وليس في الجنة حجرة الا وفيها غصن من اغصانها وفي نور الثقلين ٣: ٥٠٢ عن رسول الله³ قال: لما دخلت الجنة رأيت في الجنة شجرة طوبي اصلها في دار علي وما في الجنة قصر ولا منزل الا وفيها فتر منها... اقول الجمع بين الاصلين ان اصلها الاول في دار الرسول³ واصلها الثاني في دار علي X لانه استمرار للرسالة المحمدية³. ولاتدخل مدينة علم الرسول الا من باب علي X.

❖ فلا تكونن ممن يقول للشيء انه في شى واحد ❶
فان هذه الوحدات ليست إلا مصاديق للمفهوم
الواسع .

وفي عدم تعريف ❖ طوبي ❷ رغم انها المبتدأ
تأييد لتعميمها لكل طوبي دون اختصاص بشجرة
في الجنة أمّا هيه .

❖ كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِيَتْلُوا عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ
وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٌ ❸ (٣٠:١٣)

❖ كذلك ❹ البعيد في أعماق التاريخ الرسالي
والسنة الرسالية المستمرة مدي الزمان
❖ ارسلناك ❺ انت يا حامل الرسالة الأخيرة
العليا ❖ في امم قد خلت من قبلها امم ❻ فـ
❖ ما كنت بدعاً من الرسل ❼ ولا هم بدع من
الأمم ، ❖ ارسلناك ❽ بجمعية الرسالات علي ضوء
جمعية الصفات الطيبات اذ تحمل في رسالتك
كافة الرسالات ❖ لتتلوا عليهم ❾ الامم كل الامم
في الطول التاريخي والعرض الجغرافي من
الكون المكلف كله ❖ الذي اوحينا اليك ❿
ونوحيه . حيث المضي في ❖ اوحينا ❶ تطوي مثلث
الزمان ، ام يعنى وحى القرآن المحكم الماضي
ليلة القدر وقد تفصله الآيات المفصلات ماضية
وحالية ومستقبلة . والأصل الاوّل في ❖ الذي
اوحينا اليك ❷ هو القرآن المحكم ، ثم الثاني
هو القرآن المفصل ، ومن ثم قرآن السنة فانه
وحيه في معناه وهو صنع الرسول في لفظه ، وكل
الثلاثة وحى يتلوه الرسول علي الأمم ، تلاوة
لفظية وعملية وتطبيقية ، وتلاوة إسماع وتعليم
وتزكية ❖ يتلوا عليهم آياتنا ويعلمهم
الكتاب والحكمة ويزكيهم ❸ (١٢٩:٢) .

❖ وهم ❹ رغم هذه التلاوة المجيدة ، التالية
تلاوات الرسل ❖ يكفرون بالرحمن ❺ الذي عمم
الرحمة الرسالية لكل الأمم ، كأنهم يخذصون
رحمانية هذه الرحمة وعامتها بجماعة خصوص
خلوا ، فهم اولاء خلوا من رحمته الشاملة ، ام
ليسوا هم بحاجة الي تلك الرحمة الرسالية ،
فلا جواب لكفرهم هذا إلا كلمة الرسالة
الجامعة لكل الرسل: ❖ قل هو ربي ❶ الذي
ر باني بهذه الرسالة السامية دون ظنة ولا

ضئنة، وكما هو رب الرسل الذين خلوا من قبل، فقد رباني بتلك التربية المكملة لما خلقت حتى اربكم بها فتفوقوا كل امة خلقت ﴿ لا إله الا هو ﴾ الذي رباني ورباهم ورباكم، فالرسالة واحدة من رب واحد مهما اختلفت درجاتها، وان كنتم صامدين في نفوركم وكفوركم، متربصين بي دوائر السوء فيها ان اذا ﴿ عليه توكلت ﴾ في رسالتي ودعوتي كما في كل شئوني لا عليكم حتي اذا كفرتم اترك دعوتي او اكفر ﴿ واليه متاب ﴾ ومرجعى في نهايتى لا اليكم ﴿ فانما عليكم البلاغ وعلينا الحساب ﴾ (٤٠:١٣).

وهذه حجة قائمة صارمة تقضى علي كل لجة عارمة وشجة خارمة، فانهم مهما ارعدوا وابرقوا ف ﴿ حجتهم داخضة عند ربهم ﴾ .
يا عجباً انهم يكفرون بالرحمن الذي تطمئن بذكره القلوب ويؤمنون بالجبت والطاغوت، يستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير، ولكنك لا شأن لك إلا ﴿ لتتلوا الذي أوحينا اليك ﴾ .

صبر النفس مع من يدعون الله

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا﴾ (٢٨:١٨)

نفسه مطمئنة يروضها ربها بالتقوي إيناساً بربها ووحيه، وصبراً مع الذين يدعونه يريدون وجهه، ويرفضها عن الطغوي بطاعة من أغفل قلبه عن ذكره واتبع هواه وكان أمره فرطاً.

هنا أمرٌ بصبر نفسه المقدسة معهم ونهيٌ أن يعدوا عيناه عنهم ونهي ثان أن يطيع غفلان القلوب، يتبني صرح هذه الرسالة السامية علي بساط الفقراء الي الله، دون الأثرياء الأغنياء الأغنياء في حسابانهم عن الله، مهما طالت وعودهم وابرق وقودهم: ﴿لو جلست في صدر المجلس وتغيبت عن هؤلاء وأرواح جبابهم حادثناك واخذنا عنك﴾^١.

ولقد كان يجمال فقراء المؤمنين ويكرمهم طول حياته المنيرة علي ميزانية تقواهم. وهل ان الرسول³ حدثته نفسه فيما طلبوا إليه رغبة في ايمانهم كما يدعون؟ هذا بعيد عن ساحته وغريب عن اخلاقه وسماحته ﴿وانك لعلي خلق عظيم﴾ (٤:٦٨) وكيف يطرد المؤمنين رغبة في ايمان المستكبرين، ثم وأين ايمان من ايمان لو صدقوا وآمنوا! سبحانك اللهم هذا بهتان عظيم!

١ . الدر المنثور ٤: ٢١٩ - اخرج ابن مردويه وابو نعيم في الحلية والبيهقي في شعب الايمان عن سلمان الفارسي قال: جاءت المؤلفة قلوبهم الي رسول الله³، وعنده عينة بن بدر والأقرع بن حابس فقالوا يا رسول الله³: وجلست في صدر المجلس وتغيبت عن هؤلاء وارواح جبابهم - يعنون سلمان وأبا ذر وفقراء المسلمين وكانت عليهم جباب الصوف - جالسناك او حادثناك واخذنا عنك فأنزل الله: ورتل ما اوحى... الي قوله: اعتدنا للظالمين ناراً احاط بهم سرادقها.

إنما يأمره ربه بما يأمر وينهاه عما ينهى
تثبيتاً للمؤمنين وتنديداً بالمستكبرين،
وتبعيداً لهم عن اقتراحهم عليه من طرد
المؤمنين، لا أنه طرد ثم نهى! ف ﴿يا أيها
النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين﴾ (٨:٦٨)
﴿... واخفص جناحك
للمؤمنين﴾ (١٥:٨٨) ... لمن اتبعك من
المؤمنين﴾ (٢٦:١٥) وهو ﴿يؤمن بالله ويؤمن
للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا
منكم﴾ (٩:٦١)! ﴿حريص عليكم بالمؤمنين
رؤوف رحيم﴾ (٩:١٢٨)! .

فانه لا تقوم الدعوات الرسالية إلا علي من
يعتنقونها ايقاناً وايماناً مهما كانوا
فقراء دون من يعتورونها متاجررين بها بمشون
معها ما تمشيهم في شهواتهم فاذا محصوا
بالبلاء قل الديانون!

﴿واصبر نفسك﴾ وكيف ﴿نفسك﴾ مفعولاً والصبر
لازم حيث يتعدي بواسطة؟ ان الصبر وهو الحبس
متعدٍ الي مفعول محبوس به، مهما يتعود
تعديته بمحبوس فيه او عليه او معه أم
ماذا؟ فاصبر نفسك في الحياة الدنيا علي
مشاقها وحرماناتها ﴿مع الذين يدعون ربهم
بالغداوة والعشى﴾ صبراً في الله والله والي الله!
كل إمساك واحتباس في ضيق صبر، منه ممدوح
ومنه غير ممدوح، والصبر مع المؤمنين
احتباس للنفس عن شهواتها وتحرير لكافة
الطاقات النفسية في التقدم معهم إلي قمة
الايمان بمواصلة المجاهدات وتحمل
الحرمانات! .

وما هي النفس المحمدية المأمورة بالصبر
معهم؟ إنها كله من روحه وجسمه، بعقله
وصدره وقلبه، في حله وترجاله، وعلي كل
حاله، فكما يصبر في الله في أوامره ونواهيه
وفي قوله الثقيل كذلك مع الذين يدعون
بالغداوة والعشى يريدون وجهه، يحملهم
ويتحملهم، يهديهم ويذود عنهم، يجاريهم
ويداريهم ولايفضل عليهم ولا يسوى بهم!

اجل ❁ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداوة والعشى يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين ❁ (٥٢:٦).

ولماذا تطردهم وهم مؤمنون؟ أرغبة في ايمان من يتأنفون عنهم، والإنذار لايفيدهم ❁ وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلي ربهم ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع لعلمهم يتقون ❁ (٥١:٦)!

تري وماذا تعنى ❁ بالغداوة والعشى ❁ حيث يدعون بهما ربهما؟ الأنهما وقت الصلاة بداية الفرض في العهد المكي طرفى النهار كما فى مكيات اخري ❁ واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشى والإبكار ❁ (٥٥:٤٠) ولاتطرد الذين يدعون ربهم بالغداوة والعشى... ❁ (٥٢:٦)؟ ولا بد فى سمة الايمان دوامتها والفرض فى المدينة خمس وعلى طول الخط، فليقل: مع المصلين لتشمل الفرض مكياً ومدنياً! وآية العشى والإبكار لا تخص المكي، بل والمدنى أيضاً ❁ وأذكر ربك كثيراً وسبح بالعشى والإبكار ❁ (٥٥:٤٠) ولاتطرد الذين يدعون ربهم بالغداوة والعشى... ❁ (٥٢:٦)؟ ولا بد فى سمة الايمان دوامتها والفرض مكياً ومدنياً! وآية العشى والإبكار لا تخص المكي، بل والمدنى أيضاً ❁ وأذكر ربك كثيراً وسبح بالعشى والإبكار ❁ (٤١:٣) وكما الكهف عليها مدنية او البعض من آيها وعلها منها!

ام لأن الغداوة هى الوقت الذى يتنقل فيه الإنسان من نومه الي يقظته، والعشى تنقلاً من يقظته الي نومه، وهما يذكران الحياة بعد الموت ثم الموت بعد الحياة، وهما ركنا اوقات الليل والنهار. فذكرهما أهم الذكر! إذاً فهما يعنيان أهم الأوقات من الليل والنهار، فالغداوة صباح والعشى عصر الي ليل، وكما هما فى الجنة والنار البرزخيان ركنان فى رحمة وعذاب: ❁ ولهم رزقهم فيها بكرة وعشياً ❁ (٦٢:١٩) النار يعرضون عليها

غدواً وعشياً ﴿٤٦:٤٠﴾ فهما اهم اوقات الذكر وسواه وفيما مضي كما هنا: ﴿فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشياً﴾ (١٩:١١) لا فحسب الإنسان فالجبال ايضاً: ﴿إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والإشراق﴾ (١٨:٣٨).
ثم وفى ردف العشى بالإشراق والغدو بالعشى - علي كونهما ركزى الاوقات - عطف الي ما بينهما من اوقات الليل والنهار، إلا فيما يخصهما بقرينة كرزق البرزخ وعذابه، فالغداوة والعشى فى ذكر الرب ودعوته تعنى الغداة الي العشى والعشى الي الغداة كما يقال ﴿انا دارس صباح مساء﴾ او ﴿ضارب اعداء الله ظهر بطن﴾.

فدعوة الرب هى حالهم ومقالهم، حلهم وترحالهم، غداتهم وعشيتهم بما فيها الفرائض الخمس كآر كان الدعوات وتلحقها سائرهما، كما الغداة والعشى من أركان الاوقات وتلحقها سائرهما.

﴿يدعون ربهم يريدون وجهه﴾. وماذا يعنى ﴿وجهه﴾؟ هنا وجه الرب كما فى عديد سواه^١ وهناك وجه الله كما فى عديد سواه^٢ وبينهما فرق كما بين وجه الله وسواه.
والوجه من كل شىء ما يواجه شيئاً او يواجهه بشىء، فيختلف حسب اختلاف الاشياء والمواجهات، فلايقاس وجه الرب الإله بسائر

١ . الدر المنثور ٤ : ٢٢٠ - اخرج البيهقى فى شعب الايمان عن ابراهيم ومجاهد فى الآية قالوا: الصلوات الخمس وفى نور الثقلين ٣ : ٢٥٨ عن تفسير العياشى عن زرارة وحمزان وعن ابى جعفر وابى عبد الله (عليهما السلام) فى قوله ﴿واصبر﴾ بالغداوة والعشى قال: انما عنى بها الصلاة.

٢ . كما فى ١٣ : ٢٢ : والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم واقامهم الصلاة - و ٥٥ : ٢٧ : ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاکرام - و ٩٢ : ٢٠ : الا ابتغاء وجه ربه الاعلى - و ٦ : ٥٢ : يريدون وجهه - فالمجموع خمسة موارد.

٣ . كما فى ٢ : ١١٥ : فايئما تولوا فثم وجه الله - و ٢ : ٢٧٢ : وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله - و ٣٠ : ٣٨ : ذلك خير للذين يريدون وجه الله و ٢٨ : ٨٨) الله لا اله الا هو كل شىء هالك الا وجهه.

الوجه، كما لا تقاس اقامة الوجه إليه وتسليمه لديه بسائر الوجه. فوجه الرب هو الوجهة التربوية التي يواجه الله بها خليقته يوم الدنيا والآخرة، ويواجهونه بها في الدنيا والآخرة، فبوجه الله من الوجهة التشريعية يدعون ربهم بالغداوة والعشى، وبهذه الدعوة يريدون الوجهة التربوية ليوم الدنيا تقرباً إليه وتكرماً لديه، وخطوة مما عنده من حياة ايمانية، فالمؤمن دنياه آخرة! وليوم الآخرة الوجهة التربوية ثواباً عند الرب وزلفى، واجهات خمس هي كلها وجه الرب حيث يريدونه بدعوتهم ربهم بالغداوة والعشى! كما ﴿وجاء ربك والملك صفاً صفاً﴾ (٢٢: ٨٩) يعزى الوجهة التربوية الأخروية التي تخصصها دون الدنيا، والدنيوية تخصصها دون الآخرة! فليس وجه الرب وجهاً عضوياً لذاته المقدسة، فلا أحد يقول به، ولا من المشبهة المجسمة، الذين يثبتون لله سبحانه أعضاً مؤلفة وأعضاء مُصَرَّفَة، ومن ثم لوجه الله معني غير ما يعنيه وجه الرب علي اشتراكهما في وجه.

فلأنك كأول العا بدين وكرسول لاتعذى من الحياة جاهاً ولا متاعاً ولا عَرَضاً من الحياة الدنيا، وانما وجه ربك، فاصبر نفسك مع الذين يريدون وجهه، تناسباً فتناسقاً وتناصرأ في هذه السبيل.

﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا..﴾!

العينان لهما عدو ومد، وعينا أهل الله لا تمدان الي غير الله واهله، وما سوي الله كله الحياة الدنيا: ﴿لا تمدن عينيك الي ما متعنا به ازواجا منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين﴾ (١٥: ٨٨) ... منهم زهرة الحياة الدنيا لفتنتهم فيه ورزق ربك خير

١ . فللرب وجه يوم الدنيا: شرعته - التقرب اليه بها - الخطوة بهما يوم الدنيا - ووجه يوم الآخرة - قرباه الخطوة الثواب.

وابقي ﴿٢٠:١٣١﴾ .
وانما هما نا ضرتان ناظرتان الي الرب
والذين يدعونه يريدون وجهه، منحصرتان بهم
منحسرتان عن سواهم .
وهل ﴿عيناك﴾ هما الظاهرتان الباصرتان؟
ومدهما اليهم دون رعاية ورقابة ومرحمة ليس
مد الرسول! ام هما عينا عقله وقلبه،
فبعقل الوحي يعقلهم عما لا يحمده، وبعين
القلب يحبهم ام ماذا؟ ولا يكفيان مداً،
والباصرتان الظاهرتان تعدوانهم الي سواهم!
ام هما عينا القلب بما معه، والقلب بما
معه، ان يكرس نفسه بطاقتها وامكانياتها
نظرة ناضرة اليهم، مراقبة عليهم؟ وهو جمع
جميل والله علي ما نقول وكيل!

﴿...وَلَا تُطْعَمَنْ أَعْفُلْنَا قَلْبُهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ (٢٨:١٨)

وهل ان اغفاله سبحانه قلباً يعنى وجدانه
غافلاً فهو في الحق غافل عاطل، كما يقال ﴿الله
درکم يا بنى سليم! والله لقد قاتلناكم فما
اجبناكم وهاجناكم فما افحمناكم وسألناكم
فما ابخلناكم﴾ اي: لم نجدكم جبانين عند
النزال ولا اعياء عند المقال ولا ابخال عند
السؤال.

وذلك احتشاماً عن ان يغفل الله قلباً وهو مذكر
لا مغفيل؟ ولكنما الصحيح والفصيح للتدليل
علي هذا المعني لفظه الخاص كـ (وجدنا قلبه
غافلاً) كـ ﴿إنا وجدناه صابراً نعم العبد انه
اواب﴾ (٣٨:٤٨) دون اصبرناه .

ثم الاغفال لا يختص المسيّر، ان يغفل الله قلباً
دونما اختيار منه وتقدير، بل إنه غفلة
معمدة ثم إقفال ومن ثم اغفال فامتناً عاً
للذكر بتعمد واختيار: ﴿فلما زاغوا ازاغ
قلوبهم﴾ .. ولكن من شرح بالكفر صدراً
فعلهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم . ذلك

١ . مجازات القرآن وتلخيص البيان للسيد الشريف
الرضي ينقله عن عمرو بن معد يكرب لبني سليم ص
٢١٢ .

بأنهم استحبوا الحياة الدنيا علي الآخرة وأن الله لا يهدي القوم الكافرين. أولئك الذين طبع الله علي قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون ﴿١٠٨:١٦﴾

فالمتغافلون الغافلون الدائبون في غفلتهم وغفوتهم ﴿١٠٨:١٦﴾ وهم في غفلتهم معرضون ﴿١٠٨:٢١﴾ أولئك هم الغافلون الذين غفلوا عما مدين فاغفل الله قلوبهم عن ذكره طبعاً عليها وختماً. ثم تري إن إغفاله لقلوبهم هو تركه لهاها أن يذره في طغيانهم يعمهون ﴿١٨٦:٧﴾ وفي غيهم وغيهم يترددون، ف ﴿١٠٨:٢١﴾ اغفلنا قلبه: تركناه غفلاً من السمات والكتابات الايمانية، ﴿١٠٨:٢١﴾ أولئك كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه ﴿١٠٨:٢١﴾ وهم خلو القلوب عنها، وكما يقال: اغفل البعير: تركه بلا سمة يعرف بها علي عادة العرب في إقامة السمات مقام العلامات اللهم إلا الطبع والختم ﴿١٠٨:٢١﴾ بل طبع الله عليها بكفرهم فهم لا يؤمنون ﴿١٠٨:٢١﴾؟ ومجرد الترك وإن كان ينتج بقاء الغفلة ولكنه ليس إغفالاً، فانه ايجاد للغفلة بعد الذكر، ام غفلة علي غفلة!

ام إنه مزيد في غفلة معمدة معاندة أن تستمر فتزيد جزاءً وفاقاً في الدنيا وفي الآخرة عذاب اليم: ان الله اقفل قلوبهم عن الذكر فاغفلها استمراراً فيها فمزيداً عليها ﴿١٠٨:٢١﴾ واتبع هواه ﴿١٠٨:٢١﴾ بعد الإغفال كما قبله وأكثر دونما تفكير في هداه ﴿١٠٨:٢١﴾ وكان أمره فرطاً ﴿١٠٨:٢١﴾ قبل الإقفال والإغفال، حيث الغفلة المعمدة دركات بعضها فوق بعض، فاغفالها علي حسبها دركات بعضها فوق بعض، أخذة من ترك التوفيق، فختم وطبع فدفح الي مزيد من الغفلة وهو الدرك الاسفل من الإغفال.

وقد يعنى ﴿١٠٨:٢١﴾ اغفلنا هنا كل هذه مترتبة: أن وجدنا قلبه غافلاً عن عمده فلما استمر في غفلته تركناه علي غفلته وحتى شرح بالكفر صدرأ فطبعنا علي قلبه حتي لايسطع الرجوع عن غفلته، إذ كان له قبل طبعه الرجوع الي ربه

ثم يمدهم في طغيانهم يعمهون ❀ وكان امره فرطاً ❀ قبل أن أغفلنا قلبه واتبع هواه من قبل ومن بعد في تزايد دركاته، وما اجمله جمعاً بين معان مترتبة يقتضيها أدب اللفظ وواقع المعنى! .

اتباع الهوي علي غفلة معمدة و امر فرط مضيع يتبعه جزاءً له إقفال القلب فأغفاله فاتباع مفرط للهوي و امر فرط في اتباع الهوي! ❀ استحوذ عليهم الشيطان فأنسأهم ذكر الله ❀ (١٩:٥٨) ❀ ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنسأهم أنفسهم ❀ (١٩:٥٩) .!

لاتطع - وان كانت رجاء لاهتداءهم - من غفلوا عن أنهم عبيد وهو ربهم فأغفلنا قلبه عن ذكرنا فلم يظامنوا من نخوتهم ولاخففوا من غلوائهم، ولم يستشعروا جلال الله الذي تتساوي في ظله العباد إلا من اتقى أو هو اتقى! .

ذلك القلب المقلوب، الملىء من الشهوات والطنطنات، في أمر إمر من فرطات، انه ليس قلب إنسان، بل هو مريض الحيوان ومزبل الشيطان! ❀ لاتطع... ❀ .

❀ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَعِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ❀ (٢٩:١٨)

آية محكمة تحكم عري الاختيار وتجتث جذور الإجبار ❀ فمن شاء... ومن شاء ❀ فمشية الايمان والهدي تجلب زيادة الهدي من الله واستمراريتها: ❀ والذين اهتدوا زادهم هدي ❀ كما مشية اللا ايمان والردي تجلب غفلة دائبة او زيادتها باغفال من الله.

❀ وقل الحق من ربكم ❀ حيث يربكم دلالة فتوفيقاً للهدي فمن شاء وتقبل الحق يثبته عليه ويزيد، ومن لم شاء وأعرض عن الحق يختم علي قلبه ويغفله، فانه ظالم في نكران الحق، يظلم نفسه ويظلم الحق وأهله - . ليس الحق ملكاً لحدٍ ولا مخلولاً فيه لأحد حتي

يجامل فيه فيمارى ويذارى ❊ وقل الحق من ربكم ﴿١﴾! فالحق - اذاً - لا يعتز ولا ينتصر بمن لا يبغونه إلا عوجاً، وانما يعز وينصر من يبغونه خالصاً بلا تجوير ولا تجوير، والذى يترفع عن الذين يبغونه ناصحاً ناصعاً لا يرجي منه اى خير ولا لنفسه فضلا عن قبيل الايمان!. انه لا حق لائقاً غير زائف ولاخليطاً بغير حق إلا من ربكم، والخطأ جائر كائن لغيره اياً كان إلا من عصمه ربه بوحيه، فلاتطلبوا مذى دخلاً فى حقه ولا بخلا وانحصاراً فى مواجهة حقه - وهذا ختام الكلام ومن ثم .

❊ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِنَّ سُرَادِقُهَا... ﴿٢﴾.

السرادق هو الفسطاط و سرادق النار هو زبانيته المحيطة والمشملة على أهلها. فلا يذجو منها ناج ولا يطلق منها عان حيث ❊ وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً ﴿٣﴾ (٨:١٧) حبساً يحصرهم وطولاً يقصرهم فـ ❊ إنها عليهم مؤصدة. فى عمدٍ ممددة ﴿٤﴾ (٩:١٠٤) فسطاط من نار هى حصير مؤصدة: مغلقة مطبقة - .

هذا وكما أحاطت بهم سرادقات نيران الشهوات وحصرتهم فى دنيا الحياة فهى هى تتمثل سرادق فى الحياة الأخرى. ❊ وان يستغيثوا ﴿٥﴾ على إياسهم من مُغيث، ولكنما الحالة تلك المزرية المضربة قد تدعوهم أن يستغيثوا ❊ يَغَاثُوا بماء كالمهل ﴿٦﴾: دردى الزيت المغدسى ❊ يشوى الوجوه ﴿٧﴾ بمواجهته قبل شربه، وهل يشربونه. و هو كالمهل؟ اجل! لأن الإغاثة ليست فقط

١ . نورالثقلين ٣: ٢٦٠ ح ٧٩ فى تفسير العياشى عن عبدالله بن سنان عن ابي عبدالله X فى قول الله ❊ يوم تبدل الارض غير الارض ﴿٨﴾ قال: تبدل خبزة نقية يأكل الناس منها حتى يفرغ من الحساب فقال له قائل: انهم يومئذ فى شغل عن الاكل والشرب؟ فقال X له: ان ابن آدم خلق اجوف لابد له من الطعام والشراب، اهم اشد شغلاً ام هم فى النار فقد استغاثوا ❊ وان تستغيثوا يَغَاثُوا بماء كالمهل ﴿٩﴾.

عرضاً للماء وان لم يشربوا، بل هي إشراب لهم، ولان سرادق النار يضطرمهم لشرب اياً كان ❀ إن شجرة الزقوم طعام الاثير. كالمهل يغدي في البطون كغدي الحميم ❀ (٤٦: ٤٤) ❀ وسقوا ماءً حميماً فقطع أمعائهم ❀ (١٥: ٤٧) ❀ ويسقي من ماء صديد ❀ (١٦: ١٤) !.

❀ بنس الشراب ❀ ماءه كالمهل ❀ وساءت ❀ النار ❀ مرتفعاً ❀ متكئاً يُعتمد عليه بالمرفق، كما المرفقة هي المخدة، وكما ❀ مأواهم جهنم وبنس المهاد ❀ هذا مرتفق النار ثم أهل الجنة ❀ متكئين فيها علي الأرائك نعم الثواب وحسنت مرتفقاً ❀ وأين مرتفق من مرتفق؟!!

شراب كالمهل ❀ كعكر الزيت، فاذا قرب إليه سقطت فروة وجهه ❀

❀ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا (٣٠) أولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب و يلبسون ثياباً خضراً من سندس وإستبرق متكئين فيها على الأرائك نعم الثواب وحسنت مرتفقاً ❀ (٣١: ١٨)

❀ أحسن عملاً ❀ لا فقط ايماناً، وإنما عمل الايمان، حيث يندثق العمل من الايمان، لا



وفيه عن مسعدة بن صدقة عن جعفر بن محمد عن ابيه عن جده X قال قال اميرالمؤمنين (عليه السلام ان اهل النار لما غلي الزقوم والضريع في بطونهم كغلي الحميم سألوا الشراب فأتوا بشراب غساق و صديد يتجرعه ولايكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ وحميم يغلي به جهنم منذ خلقت كالمهل يشوي الوجوه بنس الشراب وساءت مرتفقاً.

١ . الدر المنثور ٤: ٢٢٠ - اخرج احمد وعبد بن حميد والترمذي وابويعلی وابن جرير وابن ابي حاتم وابن جبان والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الشعب عن ابي سعيد الخدري عن النبي 3 في قوله ❀ بماء كالمهل ❀ قال: كعكر الزيت، وفي تفسير القمي قال ابو عبدالله X المهل الذي يبقي في اصل الزيت المغلي.

ايماناً دون عمل، ولا عملاً دون إيمان، وإحسان العمل هو أن يعمل الصالحات: التي تصلح انبثاقاً عن الايمان، وتصلح لساحة الربوبية قولاً بعمل، وقولاً وعملاً بنية، وقولاً وعملاً ونية بإصابة السنة!

لاضيع هناك في حساب الله، لا ايماناً: ❀ وما كان الله ليضيع ايمانكم إن الله بالناس لرءوف رحيم ﴿٣: ١٤٣﴾ ولا عملاً ❀ إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً ﴿١٤٤﴾ ولا إحساناً اياً كان في عمل ام ايمان ❀ إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع اجر المحسنين ﴿١٢: ٩٠﴾ .

الخشية من الله

هنا تعديد لعديد من النعم البارزة لكل عين ناظرة وبصيرة حاضرة من سماوية وارضوية، قراءة يراعة في كتابي التكوين والتدوين، ابتداءً بكتاب التكوين، ثم ما يصدق من كتاب التدوين، لتعم القراءة كل كتاب نازل من العزيز الحكيم:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ (٢٧:٢٥)

﴿انزل﴾ بمضيها تضرب الي اعماق الماضي حين كانت الأرض محترقة عطشانة فرواها ربها من ماء السماء، وكما تشمل مستقبل الإنزال، حيث الغذي الحميد ليس ليقطع رحمة شاملة تحتاجها الأحياء في عالم الحياة.

ثم ﴿انزل﴾ مفرداً لفردية الذات والنعمة المنزلة، واما ﴿فأخرجنا﴾ فهي لمحة الي جمعية الصفات في إخراج مختلف الثمرات، فالإخراج قاصد دون فوضي، فالماء الواحد والأرض الواحدة لا يخرجان – لولا مختلف التصميم – إلا ثمرة واحدة كما المكائن الخاصة!.

ومن ﴿ثمرات مختلفاً الوانها﴾ ثمرة واحدة في الوان، كما الكثرة في الوان الطعوم والاشكال والوان الألوان: سبحان العزيز المنان!.

وليست الثمرات – فقط – الواناً، بل ﴿ومن الجبال﴾ ايضاً مختلف الألوان، ﴿جدد بيض وحممر مختلف الوانها﴾ في بياضها واحمرها ﴿وغرابيب سود﴾.

والجدد هي الطرائق والشعاب، بيضاً وحمراً وغرابيب سود: حالكة شديدة السواد.

فما تراه من مختلف الألوان في الثمرة تراه في الصخرة، مما يزيدك تدليلاً علي ارادة قاصدة، وانها لفتة راصدة تهز القلوب، وتوقظ حساسية الذوق وخاصته في نظرة ناضرة

تجريدية الي جمال الكون، فالي جمال الكون حيث يبرز كونه الوحيد من مصارح في مسارح صفاته .

ثم نتخطي الثمرات والجمال الي مختلف الناس والدواب والأنعام :

﴿ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَأَلْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ

عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ (٢٨:٢٥)

اختلاف سائد في كم الكائنات وكيفها في مختلف الوانها . ولئن قلت: إن ذلك الاختلاف هو قضية اختلاف العناصر وخصوصيات التأليف، تجد الاجابة في المادة الأم الساذجة المركبة - فقط - من زوجين اثنين، فلا بد - اذاً - من تصميم قاصد في كل فصل ووصل، متفرع عن هذا الاصل: ﴿ ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون . ففروا الي الله إنى لكم منه نذير مبين ﴾ .

﴿ ومن... كذلك ﴾ الذي ذكرناه من مختلف الالوان، وفي ذلك المسرح الجميل، باختلاف الالوان، من الوان الذرات والجزئيات والعناصر وسائر المخلقات هذه الاختلافات . في ذلك المسرح ﴿ انما يخشي الله من عباده العلماء ﴾ فالعلم بالله عبر آيات الله هو سبب الخشية، والجهل بالله نتيجة الغفلة والتجاهل عن آيات الله، هو سبب الغفوة الباغية . ليس الجهل بالاسباب الكونية هو الموجب للاعتقاد بسبب غائب كما يهرفه الماديون، وانما العلم بالاسباب هو الذي يدلنا الي مسبب الاسباب!

لذلك نري القرآن يحرض العالمين الي توسع العلم والتعقل في الكون، ولكي ﴿ يخشي الله من عباده العلماء ﴾ .

فالقصد من العلماء ﴿ هنا هم العلماء بالله، الذين يستخدمون فوسفاتهم العقلية

١ . راجع كتابنا ﴿ حوار بين الإلهيين والماديين ﴾ ص ٢٠ : ٣٠ - العلم والعلماء في فكرة الإله .

وكشوفهم العلمية لمعرفة الله، فكما زادوا معرفة بالله إزدادوا خشية من الله، انقلاباً في قلوبهم الي الله، وانقلاباً عما يصرفهم عن الله! .

اتري ❁ انما ١ حين تحصر خشية الله في العلماء ٢ فما ذنب الجهال اذ لم يؤتوا من العلم ما يخشون به الله؟ العلم هنا ليس ليعنى فقط - علم الصلحات في بحوث فلسفية ام تجريبية امأهيه، مما تُساعد علي المعرفة إن حفظت فيها امانة التدليل علي وجود خالق المدلول والدليل.

بل هو علم الايمان مهما كان صاحبه أمياً لم يدرس أية صلحات، كما القرآن يربط الخشية احياناً بالايمان: ❁ فالله احق ان تخشوه ان كنتم مؤمنين ٣ (١٣:٩) وأخري بعمل الايمان: ❁ ومن يطع الله ورسوله ويخش الله وَيَتَّقْه فأولئك هم الفائزون ٤ (٥٢:٢٤) .

لذلك تري ان الآيات هنا وهناك هي الآفاقية والأنفسية لكل ذي بصر وبصيرة، لا تكلّف دراسات عقلية أو علمية، مهما كانت تساعد قضية المعرفة مع الحفاظ علي الأمانة.

فرب عالم قتله جهله، علماً بالصلحات وتجاهلاً عن التبصر بها في المعرفيات والعلم هنا هو الحجاب الاكبر! ..

ورب جاهل أحياه علمه، حيث يستخدم كافة الوسائل بمختلف الاساليب لمزيد المعرفة الإلهية، والعلم هنا يزيل الحجاب الاكبر! .

فيا ويلاه من جهل علي جهل، ظلمات بعضها فوق بعض، ويا عليها من علم نور علي نور؟ ❁ ... كذلك انما يخشي الله من عباده العلماء ان الله عزيز غفور ٥ ❁ عزيز ٦ ❁ يخشي ❁ غفور ٧ لمن لا يخشي مغبة أن يخشي! .

والخشية - وهي خوف يشوبه تعظيم عن علم بما يخشي منه - لزامها العلم قدرها، وهي حالة في القلب تجعل الخاشي خاشعاً لربه خاضعاً، في رقابة دائبة علي اقواله وافعاله واحواله قدر معرفته بربه، يخشاه لعدله تعالي علي ظلمه هو وعظمه تعالي.

فمن لا يخشي الله ليس من العلماء مهما كان
اعلمهم في الصلوات، حتى الإلهية عقلية
وعلمية، ومن يخشي الله فهو من العلماء مهما
كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب، فميزانية العلم
هي حسب ميزانية الخشية في ميزان الله! وكما
يروى عن رسول الله³: ﴿ العلم علمان علم في
القلب فذاك العلم النافع وعلم علي اللسان
فتلك حجة الله علي خلقه^١ حيث يحتج به علي
عالمه وعلي من يسمعه من عالمه!
﴿ اما علمتم ان لله عبداً أسكنتم خشيته من
غير عي ولا بكم، إنهم لهم الفصحاء النطقاء
النبلاء العلماء بايام الله غير انهم اذا
ذكروا عظمة الله طاشت عقولهم من ذلك، وانكسرت
قلوبهم، وانقطعت أسننتهم، حتي إذا
استقاموا من ذلك سارعوا الي الله بالاعمال
الزكائية، فاين انتم منهم؟...^٢.
وقد سئل رسول الله³ عن العالم والعابد فقال:
فضل العالم علي العابد كفضلي علي ادناكم
ثم تلا هذه الآية^٣ فليتزود المؤمن علي ضوء
فطرته وعقله وشرعته بسائر العلم، تزرعاً
الي معرفة اكثر بالله.

١ . الدر المنثور ٥ : ١٥٠ - اخرج ابن ابي شيبة
والترمذي والحاكم عن الحسن قال قال رسول الله³:...
٢ . الدر المنثور ٥ : ١٥٠ - اخرج الخطيب في المتفق
والمفترق عن وهب بن منبه قال: اقيدت مع عكرمة
اقود ابن عباس بعدما ذهب بصره حتي دخل المسجد
الجرام فاذا قوم يمترون في حلقة لهم عند باب بني
شيبه فقال: أمل بي الي حلقة المرء فأنطلقت به
حتي اتاهم فسلم عليهم فارادوه علي الجلوس فأبي
عليهم وقال انتسبوا الي اعرفكم فانتسبوا اليه
فقال: اما علمتم...^٤. أقول لعله رواية عن رسول الله
لم يذكر انها عنه³.
٣ . المصدر اخرج عبد بن حميد عن مكحول قال سئل
رسول الله³:... ثم قال: ان الله وملائكته واهل السماء
واهل الأرض والنبون في البحر ليصلون علي معلمي
الخير.
وفي المجمع في الآية روى عن الصادق^X انه قال:
يعني بالعلماء من صدق قوله فعله ثم يصدق فعله
قوله فليس بعالم، وفي الحديث: اعلمكم بالله اخوفكم
لله.

اجل ❁ وما العلم بالله والعمل الا إلفان مؤتلفان فمن عرف الله خافه وحثه الخوف علي العمل باطاعة الله، وان ارباب العلم واتباعهم الذين عرفوا الله فعملوا له ورغبوا اليه...❁^١.

❁ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ (٢٩) لِيُؤْتِيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ❁ (٣٠:٢٥)

هؤلاء هم من العلماء بالله الذين يخشون الله، دون الجهال الأغفال الذين لايتلون كتاب الله، مهما اقاموا الصلاة وانفقوا.

❁ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ❁ (٢:٣٩)

(إنا انزلنا) تأكيد مثلث في (إن) وتكرير (نا) لجمعية الصفات في مثلث الحق: (انزلنا بالحق) (اليك بالحق) (الكتاب بالحق) حق أنزل إلي حق إنزالاً بحق، نور علي نور يهدى الله لنوره من يشاء، ومن لم يجعل الله له من نور فما له من نور!

فالحق سمة الكتاب في أصله ونزوله ومنزله، أتري كيف بالإمكان تسرب الباطل في ذلك الحق؟! إذاً (فاعبد الله مخلصاً له الدين).

و(الدين) يوم الدنيا هو الطاعة، وهو يوم الأخرى جزاء الطاعة، وهو بروز حقيقة الطاعة ولا جزاء لها إلا هي، (فاعبد الله مخلصاً له الدين): الطاعة في عبادة السر والعلانية، في الزية والعقيدة المطوية، وفي أعمال الجارحة الظاهرة جهاراً وخفية، دون شرك ولا رياء الناس أمّن ذا حتي نفسك، متخلياً عن سوي الله، متخلياً بالله.

فإخلاص الطاعة لغير الله إحداد في الله، ومشاكسة الطاعة لله ولغير الله إشراك بالله، وإخلاص الطاعة

١ . تفسير البرهان عن الكافي بسند عن ابي حمزة الثمالي عن زين العابدين X قال: ... قال الله: انما يخشي الله من عباده العلماء.

لله توحيد في طاعة الله (فاعبد الله مخلصاً له الدين) أنت يا حامل الرسالة السامية، لتكون نبراساً تزيّر الدرب علي الدينين كيف يدينون الله في طاعته وعبادته! ولتقوم الحياة فرادي وجماعات علي هذا الأساس، مراساً في إخلاص وإخلاصاً في ذلك المراس، وليكون متراساً وجاه كل إشراك في أي حقل من الحقول.

ليس الدين الخالص كلمة تقال، فكثيرون يتكلمون بالإخلاص ولا يدينون، إنما هو منهج حياة في كافة الجنبات يبدأ من تصور فتصديق فاعتقاد وينتهي إلي نظام عملي في حياة الفرد والجماعات.

(ألا): فانتبهوا - إعلاناً عالياً مدوياً في إذاعة قرآنية، وتعديراً جلياً جليلاً مجلجلاً للعالمين أجمع: ﷻ الدين الخالص ﴿فكما له الألوهية والربوبية الخالصة دون نرد ولا ولا شريك، كذلك له الدين الخالص وعبادة، فلا يُعبد في ميزان الله - وهو الحق - إلا الله، ولا يطاع إلا الله، اللهم إلا من يحمل رسالة الله كوسيط في طاعة الله ف (من يطع الرسول فقد اطاع الله).

﴿ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم في ما هم فيه يختلفون إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار﴾ (٣:٣٩)

إنه لا ولي في كافة معاني الولاية الحق إلا الله، أمّن يلى شرعة الله والدعوة كوسيلة إلي الله: (والذين اتخذوا من دونه أولياء) يعبدونهم من دون الله، لقد هرفوا فخرقوا في أسطورتهم العاذرة في تخيلهم: (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلي الله زلفى): (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون) (١٨:١٠)!

عبادة غير الله يبعّد العابد عن الله، لأنها تسوية بالله، فكيف تعبد طريقاً إلي الله:

(ليقربونا إلي الله زلفي)؟! فالمعبود الوثن لا يعقل، فلا يقرب ولا يبعد إلا في فعل العابد، والمعبود الطاغوت طاغ علي الله فكيف يقرب إلي الله زلفي، والمعبود العابد من ملك أو نبي أمّن ذا من الصالحين هم يتقربون إلي الله بدينه الخالص، ويقربون إليه بالدين الخالص، فكيف يقربون إلي الله زلفي بما ينافر دعوتهم في بُعديها؟ بثالوث العبادة الخاسرة الكاسرة!

ولقد احتج الرسول³ في حجاجه مع قادة الأحزاب، علي مشركي العرب قائلًا: (وانتم فلم عبدتم الأصنام من دون الله؟ فقالوا: نتقرب بذلك إلي الله تعالي، فقال³: أو هي سامعة مطيعة لربها عابدة له حتي تتقربوا بتعظيمها إلي الله؟ فقالوا: لا - قال³: فإنتم الذين نحتموها بأيديكم فلإن تعبدكم هي لو كان يجوز منها العبادة - أحرى من أن تعبدوها إذا لم يكن أمركم بتعظيمها من هو العارف بمصالحكم و عواقبكم والحكيم فيما يكلفكم).

وفي الحق إن تسوية غير الله بالله في أية منزلة من منازل الربوبية ضلال مبين: *تالله إن كنا لفي ضلال مبين. إذ نسويكم برب العالمين(٢٦:٩٨) وظلم عظيم: (إن الشرك لظلم عظيم) فكيف تكون - إذا - حال من يعبد من دون الله ولا يعبد الله، زعم أنه يقرب زلفي إلي الله؟ إنه أظلم وأطغي وأضل سبيلًا! حيث الزلفي هي القربة الزلفي الراجحة علي قربة العبادة دون إشرارك! فيا لهم مُرا ما أبعد أن يعتبروا عبادة غير الله أفضل وأحظي من عبادة الله.

وهكذا خيّل الي بعض الصوفية إذ يوجهون

١ . الاحتجاج للطبرسي عن النبي³ حديث طويل وفيه: ثم اقبل علي مشركي العرب...
٢ . الزلفي هي مؤنث أزلف فهي افعل تفضيل في القرب والخطوة.

خطابهم في (إياك نعبد وإياك نستعين) إلي صورة المرشد مطيعة لربها عا بدة له حتي تتقربوا بتعظيمها إلي الله؟ وهم بذلك يزدادون بعداً عن الله، كما ازداد طاغوتهم بعداً علي بعد (ظلمات بعضها فوق بعض)! وهم بهذه الهرطقة الجاهلة القاحلة ينزلون الرب عن ساحته، ويمسونه من كرامته، مخالفين أمره في عبادته الخالصة، ورافعين درجة من يرونهم عباده إلي درجته الخاصة!

(إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه مختلفون) (يحكم) بين الموحدين وسواهم، وبين المشركين في مختلف شركهم، وبينهم وشركائهم، والمشركون هم المحكومون في هذه الثلاث لـ (ان الله لا يهدي من هو كاذب) في إشرائه بالله، (كفار) لأنهم لا يهدى في الأولي ولا في الأخرى، فالإشراك بالله محكوم في كافة المحاكم العادلة، لدي الفطرة والعقل والشرعة الإلهية، ولا يملك أية برهنة إلا حجة داحضة (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلي الله زلفي) (ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها)!

﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ﴾

الْقَهَّارُ ﴿٤:٣﴾

(لو) تذجو نحو الممتنع، حيث اتخذ الولد له يمتنع، ولماذا يتخذ ولداً؟ ألكي يرثه بعد موته؟ وهو الوارث لخلقه حياً لا يموت! أم ليسانده في سلطانه؟ وهو المساند لكل سلطان، غنياً لا يستند ولا يساند! أم لوحشة عن وحدة؟ ووحشة الوحدة ليست إلا لضعف عن ضده الأقوي، ولا ضد له فضلاً عن الأقوي! أم إذا من أسباب اتخاذ الولد؟ وهي كلها مستأصلة عن ساحة الربوبية: (قالوا اتخذ الله ولداً سبحانه هو الغنى له ما في السماوات وما في الأرض إن عندكم من سلطان بهذا أتقولون علي الله ما لا تعلمون) (١٠: ٦٨)؟

كل ذلك في بوتقة الإستحالة حياداً عن فقره تعالي ونقصه، كذلك والتبني تشريفياً فإنه مجاز فيما تجوز حقيقته: (وقالوا اتخذ الله

ولداً بل عباد...).

خروا سجداً لله

﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (١٥:٣٢)

﴿خروا سجداً﴾ لها مرحلتان، عامة ﴿إذا﴾ ذكروا بها ﴿ككل سماعاً أو إستماعاً للقرآن، والسجود هنا هو غاية الخضوع تذكراً بالقرآن، وأدناه الإستماع له والإنصات إليه كما في آية (٢٠٤:٧) وآية الأسري: ﴿.. إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجداً﴾ (١٠٧).

ومرحلة خاصة هي السجود بالأركان إضافة إلى الجنان حين إستماع أو سماع القرآن، وهذه من آياته كآية الحج والعلق والنمل إجماعاً، وآيات أخرى دلالة كما الأسري وأضرابها، بل ولا فرق دلاليّاً بينها وبين آية الأسري، فكل الآيات الأمرة بالسجود هي في الحق من العزائم الواجبة السجود لإستماعها أو سماعها على الأقوي.

﴿إنما﴾ هنا حصر بصادق الإيمان، أن الفكير بآيات الله يخزّرهم سجداً لله مسيحين بحمد ربهم دونما إستكبار، مما يدل - لأقل تقدير - على وجوب إستماع القرآن ككل، فإنه أقل سجود له وخضوع، وتركه - إذا - خلاف واجب الإيمان. وإنها صورة وضيئة لأرواح المؤمنة الشفيفة الحساسة اللطيفة المرتجفة من خشية الله وتقواه حين تذكر بآيات الله، حيث تتلقاها بتوفز الحس واستيقاظ القلب وإستنارة الضمير.

و ﴿سجداً﴾ عرض لحالتهم الخاضعة: الخاشعة في سمع وعقل وقلب أمام ذكريات القرآن، بل هم بكل جوارحهم وجوانحهم يسجدون له صاغين إليه، حاصرين حواسهم وإحساساتهم وإدراكاتهم فيه.

﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم﴾

يُنْفِقُونَ ﴿١٦:٣٢﴾

﴿المضاجع﴾ هنا هي فراشات ومكانات النوم، وتجافى الجنوب عندها هو تنحى الشقق عن مضاجعهم، لا أنهم يأخذون مضاجعهم متجافين فيها، وإنما ﴿عن مضاجعهم﴾ كيلا يأخذهم النوم عن الصلاة الأخرى عشاءً أو عصرًا، أم وبعد العشاء عن صلاة الليل^١ حيطة علي فرض الأوليين ونفل الأخرى كيلا تفوت أو تتأخر عن أوقاتها.

فعن بعض الأصحاب قال: ما رأيت رسول الله³ راقداً قبل العشاء ولا متحدثاً بعدها فإن هذه الآية نزلت في ذلك^٢ وكما يروي عنه³ فيها

١ . نورالثقلين ٤: ٢٢٦ عن تفسير القمي حدثني أبي عن عبد الرحمن بن أبي نجران عن عاصم بن حميد عن أبي عبد الله X قال: ما من عمل يعملُه العبد إلا وله ثواب في القرآن إلا صلاة الليل فإن الله عزوجل لم يبين ثوابها لعظيم خطره عنده فقال جل ذكره: ﴿تتجافى جنوبهم﴾ - إلي قوله - نزلاً بما كانوا يعملون ﴿١٦:٣٢﴾. وفيه عن العليل باسناده إلي أبي الحذاء عن أبي جعفر X قال في الآية: لعلك ترى ان القوم لم يكونوا ينامون، قال قلت: الله ورسوله وابن رسوله اعلم، قال فقال: لا بد لهذا اللبدن ان تريحه حتي يخرج نفسه فإذا خرج النفس استراح البدن ورجع الروح قوة علي العمل فإنما ذكرهم ﴿تتجافى جنوبهم﴾. انزلت في أمير المؤمنين X وأتباعه من شيعتنا ينامون في أول الليل فإذا ذهب ثلثا الليل أو ما شاء الله فزعوا إلي ربهم راغبين مرهبين طامعين فيما عنده فذكر الله في كتابه فأخبرك بما اعطاهم أنه اسكنهم في جواره وادخلهم جنته وأمنهم خوفه وأذهب رعبهم، قال قلت: جعلت فداك إن أنا قمت في آخر الليل أي شيء أقول إذا قمت؟ قال: قل الحمد لله رب العالمين وإله المرسلين والحمد لله الذي يحيى الموتى ويبعث من في القبور فإنك إذا قلت ذلك ذهب عنك رجز الشيطان ووسواسه إن شاء الله تعالى ﴿١٦:٣٢﴾ أقول: ورواية أهل البيت متظافرة في تفسير الآية بصلاة الليل وهذا من باب التفسير بالمصداق الخفي، وإلا فكيف ينحصر الإيمان الصحيح بصلاة الليل وليست إلا مندوبة؟

وقد يروي في تفسير الآية عن الإمام الصادق X قال: كانوا لا ينامون حتي يصلوا العتمة.

٢ . الدر المنثور ٥: ١٧٤ - أخرج عبدالرزاق في المصنف وابن مردويه عن أنس قال: .. وفيه عن أنس قال: نزلت فينا معاشر الأنصار كنا نصلي المغرب فلا

←

قال: هم الذين لا ينامون قبل العشاء فأثني عليهم... ١. وقد تعنى *تنجافى جنوبهم* إضافة إلي ترك النوم تداوم الصلاة وذكر الله بين الصلاتين، كما تلمح له *يبدعون ربهم خوفاً وطمعاً* وكذلك خدمة خلق الله: *ومما رزقناهم ينفقون*.

وعلي أية حال فهي من آيات الفصل بين العشائين، أم والظهيرين كما دلت عليه أية النور.

فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٧:٣٢)

هذا! وفي حديث قدسي قال الله تعالي: اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر علي قلب بشر... و *نفس* هنا هي النفس المؤمنة المراعية حق الله غير المرائية في جاهرة الأعمال لله، كما *هو العبد يعمل سراً أسرّه إلي الله لم يعلم به الناس فأسرّ الله له يوم القيامة قرّة أعين*.



نرجع إلي رجالنا حتي نصلي العشاء مع النبي³ فنزلت فينا: تنجافي جنوبهم عن المضاجع... ١١. المصدر - أخرج ابن مردويه عن ابن عباس أن النبي³ قال: تنجافي.. فلما ذكر جعل الرجل يعتزل فراشه مخافة أن تغلبه عينه فوقتها قبل أن ينام الصغير ويكسل الكبير.

٢. الد المنثور ٥: ١٧٦ - أخرج جماعة عن أبي هريرة عن رسول الله³ قال قال الله تعالي:... وروي مثله عنه³ سهل بن سعد وأضاف: ثم قرأ تنجافي جنوبهم - الأيتين.

وفيه عنه عن رسول الله³ قال: والذي نفسي بيده لو أن أخرج أهل الجنة رجلاً أضاف آدم فمن دونه ووضع لهم طعاماً وشراباً حتي يخرجوا من عنده لا ينقص ذلك مما أعطاه الله.

٣. المصدر أخرج جماعة عن جابر بن زيد عن ابن عباس عن النبي³ عن الروح الأمين قال: يؤتي بحسنات العبد و سيئاته.. فقلت: أفرايت قوله: فلا تعلم نفس... قال: هو العبد... وفيه أخرج جماعة عن المغيرة بن شعبة يرفعه إلي النبي³ أن موسى X سأل ربه فقال: رب أي أهل الجنة أدني منزلة؟ فقال: رجل يجيء بعدما دخل أهل الجنة



ثم ﴿نفس﴾ نكرة في سوق النفي تستغرق كل نفس، و ﴿أخفى﴾ ماضياً دليل صارم أن ﴿قرة أعين﴾ لهم كائنة معهم في ملكوت أعمالهم يوم الدنيا، وإلا فكيف ﴿أخفى﴾ غير الموجود؟ وذلك من براهين أن الجزاء هو نفس العمل بملكوته، إن خيراً فبفضل الله مزيد، وإن شراً فبعدل الله علي قدره ولا يزيد بل وينقص. و ﴿ما﴾ المجهول لكل نفس تعم كلا كيف والكم ﴿من قرة أعين﴾ و ﴿اعين﴾ دون عينيها ﴿تقرر أن المخفي لكل نفس هو قرة أعين كل نفس﴾ جزاءً بما كانوا يعملون ﴿أن زاد الله في ملكوت أعمالهم الصالحة مزيادات ومزيادات.

وإنه تعبير عجيب يشي بمدى الحفاوة الربانية لهؤلاء الأركان حيث يتولي الله ما يخفيه لهم بنفسه المقدسة إعداد المذخور لهم عنده، الذي لا مطلع لأحد فيه إلا له، فيظل مستوراً لهم عنده حتى يوم القيامة، ثم يكشف عنه عند لقاءه هناك..



الجنة فيقال له ادخل فيقول كيف ادخل وقد نزلوا منازلهم واخذوا اخذاتهم فيقال له: أترضي أن يكون لك مثل ما كان لملك من ملوك الدنيا فيقول: نعم أي رب قد رضيت، فيقال له: فإن لك هذا وعشرة أمثاله معه، فيقول: أي رب رضيت فيقال له: فإن لك مع هذا ما اشتئت نفسك ولذت عينك، فقال موسى X أي رب فأى أهل الجنة أرفع منزلة؟ قال: أياها أردت وسأحدثك عنهم إنني غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها فلا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر علي قلب بشر.

ادعيه وانابات الى الله من المرسلين، ودعاء من آدم X

﴿فَدَلَاهُمَا بَغْرُورٌ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (٢٢:٧)

فيا ويلاه من ذلك الأوان ببداية العصيان من أبويننا الأولين، حيث ﴿أسكن سبحانه آدم داراً أرغد فيها عيشه، وآمن فيها محلته، وحذره إبليس وعدواته، فاغتره عدوه نفاسة عليه بدار المقام، ومرافقة الأبرار، فباع اليقين بشكه، والعزيمة بوهنه، واستبدل بالجذل وجلاً، وبالإغترار ندماً، ثم بسط الله سبحانه له في توبته ولقاه كلمة رحمته، ووعد المرد إلى جذته، وأهبطه إلى دار البلدية، وتناسل الذرية﴾.

١. نهج البلاغة (الخطبة ٢٨/١) وفيه ﴿فلما مهد أرضه وأنفذ أمره إختار آدم X خيراً من خلقه وجعله أول جبلته، واسكنه جنته، وأرغد فيها أكله، وأوعز إليه فيما نهاه عنه، وأعلمه أن في الإقدام عليه التعرض لمعصيته، والمخاطرة بمنزلته، فأقيم علي ما نهاه عنه - موافاً لسابق علمه - فأهبطه بعد التوبة ليعمر بنسله، وليقيم الحجة به علي عباده﴾ (الخطبة ٨٩ / ٣ / ١٧٤).

وفي نورالثقلين ٢:١١ عن عيون أخبار الرضا X من حديثه حول عصيان آدم وزوجه ﴿ولم يكن آدم وحواء شاهداً قبل ذلك من يحلف بالله كاذباً﴾ فدلاهما بـغـرور ﴿فأكلا منها ثقة بيمينه بالله، وكان ذلك من آدم قبل النبوة ولم يكن ذلك بذنب كبير استحق به دخول النار، وإنما كان من الصغائر الموهوية التي تجوز علي الأنبياء قبل نزول الوحي عليهم، فلما اجتباه الله تعالي وجعله نبياً كان معصوماً لا يذنب صغيرة ولا كبيرة﴾ قال الله تعالي: ﴿وعصى آدم ربه فغوي. ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى﴾ وقال عزوجل ﴿إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران علي العالمين﴾.

وفيه عن تفسير القمي روى عن أبي عبدالله X قال: لما أخرج الله آدم من الجنة نزل عليه جبرئيل X فقال: يا آدم أليس الله خلقك بيده ونفخ فيك من روحه واسجد لك ملائكته وزوجك أمته حواء واسكنك الجنة وأباحها لك ونهاك مشافهة أن لا تأكل من هذه الشجرة فأكلت منها



﴿فدلاهما﴾ أنفسهما الغرور بدلائه الثلاثة
 ﴿بغرور﴾ فأصبحا دلوين دلاهما بحبل الغرور
 كالأرشية في هذه الطوي البعيدة! بما وعدهما
 وقاسمها ﴿فلما ذاقا الشجرة﴾ المنهية ﴿بذت﴾
 لهما سواتهما - الخفية - وطفقا يخصفان
 عليها من ورق الجنة ﴿حيث نزع عنهما﴾
 لباسهما بما غرهما ﴿وناداهما ربهما ألم﴾
 أنهكما عن تلكما الشجرة... ﴿﴾.

﴿قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من﴾

الخاسرين ﴿٢٣:٧﴾

إعتراف بالظلم العصيان، وتطلب للغفران،
 وإلا فورد الخسران، وقد غفر لهما وإجتبى
 آدم بعد ما تاب عليه وهدى: ﴿وعصى آدم ربه﴾
 فغوي. ثم إجتباه ربه فتاب عليه وهدى ﴿٢٠:٢١﴾
 ولكنه لم يرجعهما الي جنته
 بتوبته:

﴿قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو و لكم في الأرض مستقر ومتاع إلى﴾

حين ﴿٢٤:٧﴾

هبوط جمعى يضم إبليس إليهما ويضمهما إلي
 إبليس، فله هبوط حابط خابط، ولهما هبوط عن
 الجنة إلي دار المحنة والبليّة: ﴿فإما﴾
 يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف
 عليهم ولا هم يحزنون ﴿٢:٣٨﴾.

وهنا ﴿لكم في الأرض﴾ دليل أن الهبوط كان
 من عل فوق الأرض، فهو هبوط في المكان كما
 المكانة، وأما ﴿اهبطوا مصراً﴾ في أخري،
 فهو هبوط عن مكانة الدعة والراحة، ولا يدل
 هذا الهبوط بقريذته القاطعة علي أنه من
 أرض إلي أرض، علي أن ﴿اهبطوا﴾ أيضاً هكذا



وعصيت الله؟ فقال آدم: يا جبرئيل ان إبليس حلف لي
 بالله انه لي ناصح فما ظننت أن أحدا من خلق الله يحلف
 بالله كاذباً.
 أقول: لمزيد الإطلاع علي تفاصيل القصة راجع تفسير
 الآيات في البقرة.

وقرينته مضادة لتلك!

والقدر المعلوم من العداوة في ❀ بعضكم لبعض عدو❀ هو المعلوم بين الشيطان والإنسان، عداوة لا تزول فانها لا تزال بينهما قائمة طول زمن التكليف، فلا تعذى العداة بين الناس أنفسهم، فانها مرفوضة وأحيانية، وتلك العداة مرفوضة وفي كل الأحيان، اللهم إلا عداة ضمن عداة، بما هو قضية ذلك العداة، حيث ❀ قل لعبادى يقولوا التى هى هى أحسن إن الشيطان ينزعه بينهم❀ (١٧:٥٣).

وأما ❀ قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو❀ (٢٣:٢٠) فقد يعنى هبوط قبلى الشيطان والإنسان، أم قبيل الإنسان، والمحصور إذا فيهما قضية دار البلية والإمتحان، و ❀ إن الشيطان ينزع بينهم❀ (١٧:٥٣).
وعلى أية حال ❀ قلنا اهبطوا منها جميعاً فإما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون❀ (٢:٣٨) وهى بعد ❀ قلنا إهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض مستقر ومتاع إلى حين❀ (١).

فالهبوط الجمعى بعد ذكر الشيطان وآدم وزوجه، إنه نص فى هبوطهم جميعاً دون ريب. وهنا ❀ مستقر ومتاع إلى حين❀ يعذى حين الموت وحين قيامة الإماتة، وهذه لمحة أخرى إلى مديد إنظار الشيطان أنه كان إلى هذه القيامة، دون ❀ يوم يبعثون❀ خلافاً لما تطلبه ألا يموت مع الموتى.

❀ قال فيها تحيونَ وفيها تموتونَ ومنها تُخرجونَ❀ (٣٢:٢٥)

فأرض التكليف البلية، والإختبار الإختيار، هى المحيى والممات والمخرج إلى القيامة الكبرى، سفرة مثلثة الجهات فيها. وإلى هنا انتهت التجربة الأولى فى حق الإنسان الأول بحقل الجنة، وتكشفت خصائص الإنسان الكبرى، واستعد - إذاً - لخصائصه الكامنة المزاولة خلافته الأرضية عن الغابرين، وللدخول فى معركته المصيرية مع

عدوه المعلن في بداية القضية، فالعداوة مستمرة بينه وبين الشيطان، ثم وبين بنى الإنسان أنفسهم بنوازع شيطانية. فلقد هبطوا إلى الأرض، أرض الصراع الدائم والنزاع القائم، بين محض الشر، ومزدوج الاستعداد لكل الخير والشر، فانتهدت الجولة الأولى تتبعها جولات وجولات علي مدي الحياة. وإليكم علي ضوء هذه الآيات الناصعة القاصعة الخطبة القاصعة لعدو أمير المؤمنين X حيث يعرض فيها مداخل الشيطان ومخارجه من الإنسان:

✽ الحمد لله الذي لبس العز والكبرياء، واختارها لنفسه دون خلقه، وجعلها حميًّا وحزماً علي غيره، واصطفاهما لجلاله، وجعل اللعنة علي من نازعه فيهما من عباده، ثم اختبر بذلك ملائكته المقربين ليميز المتواضعين منهم من المستكبرين، فقال سبحانه وهو العالم بمضمرات القلوب ومحجوبات الغيوب: ✽ إني خالق بشراً من طين. فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين. فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس. إعترضته الحمية، فافتخر علي آدم بخدقه، وتعصب عليه لأصله، فعدو الله إمام المتعصبين، وسلف المستكبرين، الذي وضع أساس العصبية، ونازع الله، وادرع لباس التعزز، وخلع قناع التذلل إلا ترون كيف صغره الله بتكبره، ووضع الله بترفه، فجعله في الدنيا مدحوراً، وأعد له في الآخرة سعيراً، ولو أراد الله أن يخلق آدم من نور يخطف الأبصار ضياءه، ويبهر العقول زواؤه، وطيب يأخذ الأنفاس عرفه لفعل، ولو فعل لظَّلت له الأعناق خاضعة، ولخفت البلوي فيه علي الملائكة، ولكن الله سبحانه إبتلي خلقه ببعض ما يجهلون أصله تميزاً بالإختبار لهم، ونفياً للإستكبار عنهم، وإبعاداً للخلاء منهم فاعتبروا بما كان من فعل الله بإبليس، إذ أحبط عمله الطويل وجهده الجهيد، وقد كان

عبد الله ستة آلاف سنة لا يُدري أمين سنّي الدنيا أم من سنّي الآخرة عن كبر ساعة فمن ذا بعد إبليس يسلم علي الله بمثل معصيته؟ كلاً! ما كان الله سبحانه ليُدخل الجنة بشراً بأمر أخرج به منها ملكاً، إن حكمه في أهل السماء وأهل الأرض لواحد، وما بين الله وبين أحد من خلقه هوادة في إباحة حمي حرمه علي العالمين.

فاحذروا عباد الله عدو الله أن يُعديكم بدائه، وأن يستفزكم بنداؤه، وأن يجلب عليكم بخيله ورجله، فلعمري لقد فوق لكم سهم الوعيد، وأغرق لكم بالنزع الشديد، وربما من مكان قريب وقال: ﴿رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين﴾ قذفاً بغيب بعيد، ورجماً بظن غير مصيب، صدقه به أبناء الحمية، وإخوان العصبية، وفرسان الكبر والجاهلية، حتي إذا انقادت له الجامعة منكم، واستحكمت الطاعة منه فيكم، فنجمت الحال من السر الخفي إلي الأمر الجلي، استفحل سلطانه عليكم، ودلف بجنوده نحوكم، فأقحموكم ولجات الذل، وأحلّوكم ورطات القتل، وأوطأوكم إثنخان الجراحة، طعنأ في عيونكم، وحرأ في حلوقكم، ودقأ لمناخركم، وقصدأ لمقاتلكم، وسوقأ بخرائم القهر إلي النار المعدة لكم، فاصبح أعظم في دينكم جرأ، وأوري في دنياكم قدحأ، من الذين أصبحتم لهم مناصبين، وعليهم متألبين، فاجعلوا عليه حدكم، وله جدكم، فلعمري لقد فخر علي أصلكم، ووقع في حسبكم، ودفع جدكم، فلعمري لقد فخر علي أصلكم، ووقع برجله سبيلكم، يقتنصونكم بكل مكان، ويضربون منكم كل بنان، لا تمتنعون بحيلة، ولا تدفعون بعزيمة في حومة ذل، وحلقة ضيق، وعرصه موت، وجولة بلاء، فاطفئوا ما كمن في قلوبكم من نيران العصبية، وأحقق الجاهلية، فإنما تلك الحمية تكون في المسلم من خترات الشيطان ونخواته ونزعاته ونفثاته، واعتمدوا وضع التذلل علي رؤوسكم، وإبقاء

التعزز تحت أقدامكم، وخلع التكبر من أعناقكم، واتخذوا التواضع مَسَلْحَةً بينكم وبين عدوكم إبليس وجنوده، فإن له من كل أمة جنوداً وأعواناً ورَجِلاً وفرساناً، ولا تكونوا كالمتكبر علي ابن امه من غير ما فضل جعله الله فيه، سوي ما ألحقت العظمة بنفسه من عداوة الحسد، وقدحت الحمية في قلبه من نار الغضب، ونفخ الشيطان في أنفه من ربح الكبر الذي أعقبه الله به الندامة، وألزمه آثام القاتلين إلي يوم القيامة... (الخطبة ٢٣٤).

ذلك، وقد يعنى ﴿مَلَكاً﴾ تعبيراً عن إبليس عبادته الملائكية وكونه فيهم آلفاً من السنين لحد شمله أمر الملائكة: ﴿إذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس﴾ فلا ينافى - إذاً - ﴿كان من الجن ففسق عن أمر ربه﴾ (١٨:١٥).

ادعيه من نوح X

١

❖ وَ لَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ (٧١) وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ (٧٢) فَانظُرْ كَيْفَ

كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذِرِينَ ❖ (٧٣:٣٧)

وتدكم الأكثرية الضالة دائية فى الطول التاريخى والعرض الجغرافى، رغم تواتر الإنذار من المنذرين، فكان ضلالهم معمداً بعد التحذير والإنذار، ❖ فانظر ❖ نظراً فى عمق الغابر ❖ كيف كان عاقبة المنذرين ❖ المصدقين منهم والناكرين:

❖ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ❖ (٧٤)

فهم بينهم لم تكن لهم عاقبة إلا الحسنى، رغم السائرين من مكذبين، او مصدقين قاصرين او مقصرين، حيث نالوا ما قصروا او قصروا شرطاً فى الأولي ❖ ثم يجزاه الجزاء الأوفى ❖! والإستثناء يعم ❖ من ضل ❖ و ❖ المنذرين ❖ فإن للشيطان سبيلاً الي غير المخلصين مهما كان لهما أو كبيرة.

ومن هنا استعراضات وجيزة لعاقبة المنذرين والمنذرين، من مخلصين وسائر المؤمنين أو المكذبين، بادئاً بأول المرسلين العظام نوح عليه السلام:

❖ وَ لَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ❖ (٧٥:٣٧)

نداء وإجابة مهما كان بينهما من بون كما تقتضيه الحكمة الإلهية، ومن ندائه ❖ فدعا ربه أنى مغلوب فانتصر... فحملناه على ذات ألواح ودسر. تجربى بأعيننا جزاء لمن كان كُفراً ❖ (١٤:٥٤) ❖ قال رب انى دعوت قومى ليلاً ونهاراً... مما خطيأتهم أغرقوا فأدخلوا ناراً فلم يجدوا لهم من دون الله أنصاراً. وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً... (٢٨:٧١) والجمع فى ❖ نادانا ❖ و ❖ المجيبون ❖ يعنى جمعية الصفات جلالاً بسحق

الكافرين، وجمالاً بنجاة المؤمنين ﴿فلنعم
المجيبون﴾ لمن هو نعم العبد!.. ﴿صدقت
ربنا أنت أقرب من دُعي وأقرب من يعطى فنعم
المُدعي ونعم المعطى ونعم المسؤل ونعم
المولي أنت ربنا ونعم النصير﴾.^١
﴿وَنَجِّنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ (٧٦) وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ (٧٧) وَتَرَكْنَا
عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿(٧٨:٣٧)

هذه ثلاث إجابات لما دعا نوح X بين نفي
لغير أهله وإثبات لأهله، وأهله - هنا -
الآهلون للنجاة، من أهله في النسب وأهله في
الإيمان، فلم ينجُ فيمن نُجِّيَ ابنه وإمراته
وهما أقرب أهله نسبياً، وقد نُجِّيَ مَنْ آمَنَ به
مهتما كانوا أبعد عنه في النسب، فإنما الأهل
هنا أهل الإيمان، سواء فيهم أقاربه
وأغاربه: ﴿قلنا حمل فيها من كل زوجين
اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن
آمن﴾ (١١:٤٠) ﴿فقال رب إن ابني من أهلي
وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين. قال يا
نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا
تسالن ما ليس لك به علم إنى أعظك أن تكون
من الجاهلين﴾ (١١:٤٦)

تري وإذا كان أهله أعم من ذريته فماذا
تعني ﴿وجعلنا ذريته هم الباقين﴾ وإبنة من
ذريته وقد هلك، والمؤمنون القلة غير ذريته
وقد بقوا؟

فهل هم ذرية الإيمان كما أهله؟ فلماذا
التحول من ﴿أهله﴾ إلى ﴿ذريته﴾؟ علها
تعني ذرية أهله فإنهم ذريته إيمانياً كما
هم أهله: ﴿ذرية من حملنا مع نوح إنه كان
عبداً شكوراً﴾ فلم يكن الباقون بعد طوفان
نوح إلا من انتسل من أهله وذريته المؤمنين

١ . الدر المنثور ٥: ٢٧٨ - اخرج ابن مردويه عن
عائشة قالت كان النبي 3 اذا صلي في بيتي فمر بهذه
الآية ﴿ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون﴾ قال:
صدقت ربنا... .

وسائر من آمن معه^١.
و من آمن معه كانوا هم أو أكثرهم من
ذريته، ف - ❀ أهلك❀ في يونس مقابل ❀ من
آمن❀ تعذى الأقربين، والآخرون هم سائر
ذريته!^٢

أم إن المحمولين معه كانوا من ذريته
وغيرهم، ولكنما الباقيين لم يكونوا إلا
ذريته مهما شملتهم النجاة عن الغرق؟
فلماذا إختصاص البقاء ببعض المحمولين ولم
يختصوا بالإيمان، وعلّ منهم من كان أفضل من
ذريته؟ علّهم ماتوا في السفينة فلم تنسل
لهم ذرية وكما يروي عن الرسول³ في روايات
عدة، وهي توافق ظاهر آية الذرية.
تري وماذا ترك عليه في الآخرين؟ ومن هم
أولاء؟

علّ الآخرين هم سائر حملة الدعوة الرسالية
بعد نوح من إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد³
ومن بينهم، وقد ترك الله وخلد دعوته العالمية
بين سائر الخمسة الذين دارت عليهم الرحي،
فربط بينهم برباط الدعوة الوحيدة الموحدة،
أو يعنى ❀ تركنا عليه في الآخرين❀ ترك
الدعوة ضده لمكان ❀ علي❀ وكما ترك عليه
سلاماً في الآخرين.

❀ سلامٌ على نوح في العالمين (٧٩) إنا كذلك نجزي المحسنين (٨٠) إنه من

عبادنا المؤمنين (٨١) ثم أغرقنا الآخرين❀ (٨٢:٣٧)

فسلام عليه دائبٌ في العالمين إلي يوم

١ . نورالثقلين ٤ : ٤٠٥ ح ٣٦ علي بن ابراهيم في
رواية ابي الجارود عن ابي جعفر X في الآية يقول:
الحق والنبوة والكتاب والايمان في عقبه وليس كل من
في الارض من بنى آدم من ولد نوح قال الله عزوجل في
كتابه ❀ احمل فيها من كل زوجين واهلك الا من سبق
عليه القول منهم ومن آمن وما آمن معه الا قليل❀
وقال الله عزوجل ايضاً ❀ ذرية من حملنا مع نوح❀

٢ . الدر المنثور - اخرج الترمذي وحسنه وابن جرير
وابن ابي حاتم وابن مردويه عن سمرة بن جندب عن
النبي³ في الآية قال: سام وحام ويافث - اقول اخرج
ما في معناه جماعة آخرون عن سمرة وابي هريرة .

الدين دونما انقطاع لذكراه المجيدة
الوطيدة الصامدة فإنه أوّل من انتفض في
دعوة باهضة فائزة، بمقاساة أشدّ البلايا
والفتن طول الدعوة، فله نصيب من كل خير
وسلام إلى يوم القيامة!

وإنه سلامٌ من الله ومن أهل الله ❀ في العالمين ❀
من الملائكة والجنة والناس أجمعين أم اياً
من المكلفين، ❀ إنا كذلك ❀ الواسع الفاسح
❀ نجزي المحسنين ❀ فـ - ❀ للذين أحسنوا
الحسني وزيادة ❀.

ادعية من نوح X

٢

❖ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا (٥) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا

فِرَارًا ﴿٦٧:٦﴾

عرض نموذجي لما بلغه نوح من رسالات الله، وما لا قاه وعاناه من قومه طوال الدعوة مع ما كان منه من صبر علي الوان الأذي طوال الف سنة إلا خمسين عاماً: ❖ وقوم نوح من قبل إنهم كانوا اظلم واطغي ﴿٥٣:٥٢﴾

هذه الدعوة كانت متواصلة ليل نهار دون ملل ولا كلل ولا خلل، دون أن يمله عدم الاجابة، أو تكله مواصلة الأذي، يعرضها نوح في نهاية الأمد الطويل من دعوته ومستهل دعائه عليهم بعد الإياس من خيرهم والتأكد من شرهم ومن في أصلابهم.

❖ فلم يزدتهم دعائي إلا فراراً ﴿٦٧:٦﴾: هل لأن دعوته كانت قاسية يُسر منها؟ ام لانها كانت ناقصة لا تحمل حججا تقبلها الفطر والعقول؟ ام لانهم هم كانوا اظلم واطغي، ودعوة الحق لاتزيد دعاة الباطل العنيدين إلا ضلالاً بما يصرّون في عتوهم ونفورهم ونكيرهم للحق الصراح: ❖ وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً ﴿١٧:٨٢﴾ إذ يخسرون فيها الدعوة والداعي ويبدلون الرحمة عذاباً وخساراً: ❖ في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون ﴿٢:١٠﴾ وانما زيادته بظهوره عند ظهور الحق وفوره عند نكيره.

إنه لا بد للدعوة الحقه من زيادة، إما في الهدي، أو في الضلال، وأما ألا تؤثر لا إثباتاً ولا نفيّاً؟ فلا! ولا بد من مواصلة الدعوة ليل نهار وإثباتاً للحجة تنويراً للمهجة لكي تصبح نوراً للمهتدين وناراً علي المعتدين جزاء وفاقاً.

إنهم كانوا يفرون عن دعائه وعن اجابة

الحق، ولكن نوحاً لم يكن ليذرهم يفرّون إلا ويلاحقهم أينما كانوا، فما استطاعوا بالفرار بُعداً عن دعائه، لذلك احتالوا حيلاً أُخري ليفروا عن سماع الحق في فرارهم علي قرارهم، بملاحقته اياهم:

﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَاصْرَبُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾ (٧:٧١)

اصراراً تلو اصرار واستكبار، اصرار الداعية علي دعوة الحق في محاولة دائبة، وتحين الفرص لتبليغهم اياه، واصرارهم تجاهه في ادبار واستكبار كأنهم يُدعون إلي الموت! وهو يدعوهم إلي الحياة، ليغفر الله لهم ذنوبهم ويحييهم حياتاً طيبة! ظلوا في محاولة عنيدة بغیضة كيلا يسمعوا نوحاً ولا يروه بطريقة صبيانية حمقاء، بسد الأذان عن سماع الحق، وستر العيون عن رؤية داعية الحق، برد الثياب، وهذا منتهي الضلال.

لقد جرب نوح كافة الأساليب في دعوتهم علمهم يهتدون، وهم قابلوه بكافة أساليب التمرد والعصيان وظلوا معاندين.

فمن حيث الزمن: الف سنة إلا خمسين عاماً، وفي مواصلة دعاهم ليل نهار، وفي ملاحقتهم حالة الفرار لم يخل مجالاً، وفي كيفيتها: إسراراً ثم اعلاناً، ثم إعلاناً وإسراراً:

﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا﴾ (٨)

فقد يوحى بسابق الإسرار، وهو بطبيعة الحال مستهل الدعوة: فلو ابتدأت جهاراً واجهت حملة جماهيرية قاضية، فلا بد من الإسرار أولاً كي تجد جواً صالحاً ور كيزة تتركز عليها الدعوة في المارقين.

ثم إذا واجهت قبولاً ولو قليلاً، ام لم تواجه، فالإعلان، علها تثير عطف الجماهير وتحرك فكّرهم وتنير فطرهم عل فيهم من يقبل ويقبل.

ثم أخيراً لا بد من الجمع بين الإعلان

والإسرار، كلُّ في مجاله المناسب وجوّه اللائق:
 ﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ (٩:٧١)

إسراراً ليدخل شقاف القلوب وعلّ القابل
 يقبل فيلحق دون خجل من الجماهير العنيدة،
 وإعلاناً لتعزيز كلمة الحق، ولتظهر
 القابليات علي رؤوس الأَشهاد، ولقد حملت
 الدعوة - فيما حملت - ترغيبهم بالحق
 فوعدتهم بمتطلبات الحياة الدنيا، رغم انها
 ليست دار جزاء، وتحريكاً لعقولهم وعواطفهم
 وضمائرهم، وتنديداً بهؤلاء الذين قلوبهم
 قلوب الشياطين فلا يعرفون أو يفهمون كلمة
 الحق!

﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ (١٠:٧١)

لا يذهب استغفاركم هباءً، لأن الله تعالى غفار
 في سنته الإلهية منذ بدء الخلق، فاستغفروه
 لأنه ربكم: المالك المدبر لكم، ولأنه معدن
 الغفران: ﴿إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾.
 ومن آثار غفرانه في الدنيا انه يفتح لكم
 بركات من السماء والارض:

﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ

وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ (١٢:٧١)

﴿ولو أن أهل القري آمنوا و اتقوا لفتحنا
 عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا
 فاخذناهم بما كانوا يكسبون﴾ (٧:٩٦)
 هذه البركات الموعودة هي مما تنتج عن
 الإيمان والتقوي وليزيدوا من الصالحات
 ويعيشوا بركات، ولكنها ليست دائماً ناتجة
 عن الصالحات كالتى توفر علي الكفار إملأً
 وامهالاً ليزدادوا إثمًا ولهم عذاب مهين، فهي
 اذاً بركات لهم وليست ببركات، وكما نشهدها
 اليوم في دولتين كبيرتين موسع عليهما في
 الرزق، ممكّن لهما في الأرض: أمريكا
 الرأسمالية المستعمرة، وروسيا الشيوعية
 المستحمرّة، والدرك الاسفل في الأولي هبوط
 المستوي الأخلاقي إلي اشر بركات الحيوانية،

والحياة كل الحياة قائمة فيها علي اغراءات المال، وفي الثانية تهدر قيمة الإنسان الروحية إلي أسفل دركات، ويسود التجسس ويعيش الناس في وجل دائم من المذابح المتواليّة، وليست هذه أو تلك حياتاً انسانية، ولاتعد بركاتهم إلا دركات! ❀ الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم وارسلنا السماء عليهم مدراراً وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم فاهلكناهم بذنوبهم وانشأنا من بعدهم قرناً آخرين❀ (٦:٦)

وآية المدرار والإمداد بالأمطار الغزيرة والأموال والبنين توحى انهم كانوا في نقصان منها كلها، فما يزيدنا عليها مجاناً ودون عمل دنيوى، هو الإستغفار من الذنوب ومواصلة الطاعات، إلا أنه ليس حتماً في كل الظروف والمجالات، فقد تكون هناك عوائق نجهلها، أو نحن نعملها، وإنما الإستغفار لوخلى وطبعه يستتبع بركات من السماء والأرض كضابطة عامة تقبل الإستثناءات ولاسيما بالنسبة للأفراد، فالحديث في هذه القاعدة عن الأمم لا عن الأفراد، فما من امة قام فيها شريعة الله واتجهت اتجاهاً حقيقياً لله بالعمل الصالح والإستغفار المنبئ عن خشية الله إلا فاضت فيها الخيرات ونزلت عليها البركات من الأرض والسموات، وكما الآيات تحمل هكذا وعد للأمم لا للأفراد: ❀ ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولادخلناهم جنات النعيم. ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم منهم امة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون❀ (٥:٦٦) اذا فالقاعدة اممية لافردية وإن كانت تعم الأفراد أحياناً.

والتقوي الجماهيرية بطبيعة الحال تقى جماهيرها عن التورط في دركات الحياة، وتخلق جواً سليماً سالماً متحلاً عن التطاولات

المسببة للفوضويات، وتبنى صرحاً عالياً لرغد الأمن والعيش لمن يتقى الحرمات واللا أخلاقيات، مما يؤهل لنزول مزيد البركات كذموذج فعلى للجزاء، وتمام الجزاء ليوم الجزاء: ﴿ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدراراً ويزدكم قوة إلی قوتکم ولا تتولوا مجرمين﴾ (١١:٥٢)

وارسال السماء مدراراً لا يخص ماءه المدرار المكثار، إنما بركات السماء ككل، من نور شمسها وحرارتها ورياحها واشباهها.

والإمداد بالأموال والبنين ليس دائماً إلی خير، فمن الأموال ما لا ثميداً وإنما تمد في خسار وبوار، ومن البنين من لا يمدون إلا في غي وطغيان، ومنها ما يضر ديناً ودنياً، فالإمداد الموعود فيهما هو الذي يأخذ بيد الإنسان إلی صالح النشاطين، ويدفع عنه تباهما. ﴿فرحم الله امرءاً استقبل توبته واستقال خطيئته وبادر منيته﴾^١.

﴿ما لكم لا ترجون لله وقاراً﴾ (١٣) ﴿وقد خلقكم أطواراً﴾ (٧١:١٤)

وأصل الوقار ثبوت ما يكون به الشيء عظيماً، من الحكم والعلم اللذين يؤمن معهما الخرق والجهل، ومن القدرة التي تؤمن عن العجز، وأشباهها التي تثقل الكائن وتخرجه عن الخفة، وبصيغة أخرى العظمة المطلقة.

والرجاء ظن يقتضى حصول ما فيه من المسرة، وكذلك هو خوف عما يؤهل المخالفة، فأنتم أنتم الأوغاد المناكيد ما لكم: تقطعون عن ربكم وحتى أمل الخير، أمل الوقار والعظمة، كمن يتأكد من ربه اللا وقار فيفر منه وممن يدعو إليه، وإذا أنتم تعتقدون وقاره فلماذا لاتخافونه، رغم أن وقاره وعظمته، تصميمه وحكمته، عطفه ورحمته، علمه وقدرته، وكل مظاهر ألوهيته وربوبيته، إنها ظاهرة

١ . نورالثقلين ٥: ٤٢٣ عن نهج البلاغة بعد قوله X وقد جعل الله سبحانه الاستغفار لدرور الرزق ورحمة الخلق (مستشهداً بالآية) ...

فى خلقه لكم وللكون كله لو أنتم تشعرون، فهو الذى يجيب رجاء وقاره وتوقيره: أن تخافوه لأنه الوقار كله، والوقور يُخاف لعدله وقدرته، وأن تأملوا من وقاره خيراً، فإنه يؤمل فضله لرحمته، وأن تأملوا من انفسكم له وقاراً فتعبدوه وتوقروه وتعزروه. فقد يعتقد الإنسان ربوبية الله ولايقوره جهالة وعصياناً، وقد لايقوره ارتياباً فى ربوبيته مع احتمالها، وقد لايرجوا - أيضاً - وقاره، كأنه متأكد انه ليس إلهاً، وهذا أحط دركات الكفر بالله، رغم ظهور آياته فى الأنفاس والانفس!

❁ وقد خلقكم اطواراً ❶ فلكل من اشخاصكم اطوار، ولكم أجمع اطوار، مما تنتفى عنه الصدفة العمياء، والخلق الفوضى: فمنها الاطوار الجنينية من النطفة إلى العلقة إلى المضغة إلى الهيكل إلى الخلق الكامل وإلى انشاء الخلق الآخر ❁ الروح ❷ فتبارك الله أحسن الخالقين.

ومن الأطوار الجنينية نفسها أن الجنين يشبه لأول مرة حيوان الخليّة الواحدة، ثم بعد فترة يمثل شبه الحيوان المتعدد الخلايا، ثم شكل حيوان مائي، ثم حيوان، ثم المخلوق الإنساني، وإدراك هذه الاطوار الثانية، مهما كان بعيداً عن قوم نوح، فإنه قريب الينا كما كشف عنه العلم حديثاً، والقرآن كتاب كل الأزمان.

ومن الأطوار الأخرى بعد الخلق هي اطوار الحياة الدنيا، من كونكم طفلاً وإلى الشيخوخة ثم إلى الأجداث وقد تجمع هذه الثلاثة آية الخلق والبعث: ❁ يا أيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقه ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لذبين لكم ونقر فى الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى و منكم من يرد إلى ارضل العمر لكيلا يعلم بعد

علم شيئاً... ﴿٥:٢٢﴾ ومنها اطوار الحالات الجسمية والنفسية والألوان واشباهها. ثم الاطوار الاربعة هي الجماعية، فالقطاعات البشرية تـري مختلفـة في الألسن والـعادات والأشكال والأحوال، وليتعارفوا: ﴿يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم﴾ ﴿١٣:٤٩﴾.

فهذه الأطوار المقصوده في الخلق، الدائبة فيه، مما يجعل العقلاء الأحرار يأملون ويخافون ويرجون لله وقاراً، لأنه الخالق، وهو المدبر لاسواه، وهو الرحمان الرحيم والمنتقم، فـ «ما لكم لاترجون لله وقاراً وقد خلقكم اطواراً؟!»، والخلق المتطور يدل علي الخالق المطور، والتطور المتناسق اللامتفاوت دليل علي وحدة المطور، فكما لا خالق سواه، كذلك لامدبر ولا مطور إلا إياه، فليرجي وقاره علي اية حال.

﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا (١٥) وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَ

جَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ ﴿١٦:٧١﴾

هل الرؤية المسؤل عنها هنا هي الحسية؟ أم العلمية التجريبية؟ أم بالوحي؟ وكيفية السبع الطباق مجهولة حتي الآن! بديهي انها ليست رؤية حسية حين الخلق إذ لم يكونوا موجودين عنده: ﴿وما أشهدتهم خلق السماوات﴾ ﴿٥١:١٨﴾ ولا بعد الخلق، كيف والعيون المسـلحة حتي الآن لم تصل إلي عمق السماء الأولي، سماء الأنجم، فضلاً عن واقع أو كيفية السبع الطباق، وفضلاً عن الانسان زمن نوح عليه السلام! وكذلك الرؤية العلمية علي ضوء العلوم التجريبية لم تتحقق حتي الآن.

وأما رؤية المعرفة الدينية من طرق الوحي فهي وان كانت حاصلة لقطاعات من البشر المعتنقة وحي السماء، ولكنها علم الواقع عن السبع الطباق بالوحي، لا كيفية خلقها،

اذاً فماذا تعنى الآية، لاسيما والمخاطبون – وهم الكفرة من قوم نوح – لم يكونوا ممن يعتنق وحي السماء ليعرفوا ذلك بالوحي! والجل أن معرفة كيفية خلقة السبع الطباق ليست بمستطاع الإنسان أيا كان، إلا من يوحى اليه فيريه الله ملكوت الكون كما اراه ابراهيم * وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين ﴿٦: ٧٥﴾ فلتكن الرؤية المسؤل عنها معرفة واقع السبع لاحقيقتها وملكوتها، ولا سبيل اليها أيضاً إلا عن طريق الوحي، حيث العلم التجريدي قاصر حتي الآن عنها وحتى عن المعرفة الشاملة بالسماء الأولى، فالآية توحى انه كان هناك وحي قبل نوح، بالامكان أن يتعرف به إلي أمثال هذه البدايع الكونية، طالما كان قوم نوح مكذبي الوحي، حين كان عليهم تصديقه، لمزيد المعرفة بالله عبر التعرف إلي عظمة الخلقة.

أو أن الخطاب لا يخصهم، وإنما المخاطبون هم الذين يخاطبون بوحي القرآن منذ نزوله وحتى القيامة، فهؤلاء يمكنهم معرفة السبع الطباق، بتصديق الوحي أم بالمحاولات العلمية التوسعية، وان لم يصلوا بها حتي الآن.

أو أن رؤية السماء – أية رؤية كانت – هي في الواقع رؤية السبع الطباق سواء عرفوا السبع بما تُعرف، أم لم يعرفوا، فلا أقل من رؤية هذه الأجواء الواسعة ذات القناديل البراقة الكوكبية والنجومية، فليعتبروا بها، بالسبع أم الجو الممتد مد البصر. فمهما كانت الرؤية قاصرة عن السبع، ولكنها ليست لتجعل واقع السبل غير واقعها، فلينبه الناظرون – ولو بأمثال هذه الآيات – ان ما يرونه فوقهم هو السبع الطباق، والقرآن كما يخبرهم بها. يجركم نحو معرفتها والاستدلال بها علي قدرة بادئها. ولقصور الرؤية المتحللة عن الوحي: هنا

يجعل القمر فيهن نوراً والشمس سراجاً وهاجاً ﴿وجعلنا سراجاً وهاجاً﴾ (١٣:٧٨) كل ذلك رغم آلاف الأقمار والشموس في سماء الانجم، وعدلها في سواها أيضاً.

فيما أن المخاطبين هنا - فعلاً - هم سكنة الأرض، وان كان معهم غيرهم، ولا نور قمرياً ولا سراج شمسيّاً لهم في هذه السماوات، إلا هذا القمر وهذه الشمس لذلك يقول: ﴿وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجاً﴾ أي جعلها لكم، كما جعلها لغيركم من سكنة الكرات طالما لهم أقمار النور والشموس السراج، مما يبرهن أن الشمس الضياء والقمر النور هما في السماء الأولى: سماء الأنجم، لا فوقها: ﴿تبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً﴾ (٢٥:٦١).

والشمس السراج توحى أن نور القمر مكتسب منها، ودليلاً واقعيّاً حسيّاً علي أنه ليس له نور من ذاته، وصول البشر إلي سطح القمر، بينما تأكدت الاستحالة علي أي المخلوقات الوصول إلي كوكب الشمس، فلولا الشمس لكنا في ليل داغ دائم، فالقمر ليس سراجاً، وإنما نور كما يستعمل لغرفة النوم ليلاً ﴿وهو الذي جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً﴾ (١٠:٥).

فالقمر إذاً ليس سراجاً ولاضياءً بذاته، إنما هو الشمس سراجنا وضياءنا الوحيد في كل الأفلاك، مهما كان في سماء الأنجم وسواها شمس وأقمار لمن سوانا من سكنة الكرات.

﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ (١٧) ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ

إِخْرَاجًا ﴿﴾ (١٨:٧١)

هل إنسان من نبات الأرض؟ أجل ولأنه نبت منها كسائر النباتات مهما اختلفت كيفية الإنبات، فلنبات الإنسان من الأرض وسائل طائفة تخرجه من صدق نبات الأرض عليه فيما يطلق، فلا يصح السجود عليه لعدم صدق الأرض عليه ولانباتها، مهما كان نابتاً منها. فصدق الاستعمال والتعبير إيحاءً بحقيقة كونية

لا يصدق شمول اللفظة المطلقة علي المستعمل فيه، وحقيقة الإنبات الظاهرة من لفظه، إنما هي فيما تطلعه الأرض من نباتها، وتخرجه عند ازديادها، ولما كان الله سبحانه يخرج البرية من مضائق الأحشاء إلي مسافح الهواء، ويخرجهم من الصغر إلي الكبر وينقلهم من الهيئات والصور، كل ذلك علي وجه الأرض ومن الأرض، لذلك صح التعبير عنه بكونه نباتاً وان لم يشمل علي الإطلاق.

أنت تبيع أحياناً ما عندك من البقل، فأنت حقاً بايع البقل، فهل أنت إذاً بقال!...
انما البقال من شغله بيع البقل، وكذلك النبات - حين اطلاقه - لايشمل كل نبات من الأرض، وإنما لقرينة خاصة كما هنا.
فهذه الآية ونظائرها توحى بالوحدة بين أصول الحياة الأرضية مهما اختلفت نشأتها وألوانها وأشكالها واسمائها، وكلها من نبات الأرض.

فالإنسان الأول نابت من تراب الأرض، ثم نسله كذلك منها، من ترابها ومائها وثمارها التي هي نتيحة التزاوج بين ما يخرج من بين الصلب والترائب، ثم في الرحم ينمو بادواره واطواره مما يصله من الأرض ونباتها، ثم يعيش - بعد ما يولد - علي هذه الأرض بما تنبت.

وانباته نباتاً دون إنباتاً، خلاف ما يقتضيه بناء فعله، علّه للإشارة إلي اذواجية خلق الإنسان: من فعله تعالي: ﴿الإنبات﴾ هو الأصل في خلقه، ومن فعل الأرض الذي هو أيضاً راجع إلي فعله: ﴿النبات﴾ فهو انبتكم منها، فنبتتم منها نباتاً بفعلها وتفاعلها، وبما تزرعون وتأكلون فتولدون: فعل الله وفعل الخلق.

فالأرض الأم هي التي تلده بما تلده أمه، ثم تعيده في رحمها بعد انقضاء أجله، ثم تلده ثانية لحياة الحساب والجزاء.
ومن لطيف التناسب هنا أن السجود في الصلاة

يفسر لنا عملياً هذه المراحل الثلاث، فالسجدة الأولى لله أن انبتنا من الأرض نباتاً، نسجد شكراً له ولنشر برفع رؤسنا عن السجدة الأولى، إلي سبب الشكر: ﴿أُنْبِتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ ثم نسجد ثانية، إشارة إلي الإعادة ﴿ثُمَّ يَعِيدُكُمْ فِيهَا﴾ فالموت نعممة تتطلب الشكر كما الحياة نعمه، ثم نرفع رؤسنا ثانياً إشارة إلي الحياة والولادة الثانية والأخيرة التي نحاسب فيها فنجازي.

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بَسَاطًا (١٩) لَتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾ (٢٠:٧١)

بما أن البسط هو النشر بعد القبض، وإن جعل المتعدى لمفعولين هو جعل الشيء شيئاً آخر في كلفيته وصورته، فجعل الأرض بساطاً يوحى أنها كانت منقبضة غير منبسطة، ثم جعلها الله منشورة للعائشين عليها، ولا سيما إنسانها: ﴿جَعَلَ لَكُمْ﴾ فلم تكن بساطاً قبلئذ، ولا صلباً، إذ كانت محترقة مذابة، ولا لها جو إذ كانت حارة محترقة، دون أن يعيش فيها مواد الحياة من الماء وأكسجين الهواء، شرباً وتنفساً ونباتاً.

إنها لم تكن لتسلك فيها سبل فجاج: الطرق الواسعة، التي يهتدى بها إلي متطلبات الحياة: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ (٣١:٢١) فالسبل الفجاج في الصحاري وبين الجبال، إنما هي من حصائل بسط الأرض ونشرها، فقد ذلت الأرض بعد شماسها لنمشي في مناكبها وتأكّل من رزقه: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ (١٥:٦٧) ذلولاً بعد شماس، في ركوبها وسكنها وابتغاء الرزق فيها، وبصيغة عامة: الحياة المريحة عليها، في فجاجها السبل التي ما كانت مسبلة حين شماسها.

ثم البساط - وهو النمط الذي يمد علي الاستواء فيجلس عليه - إنه يوحى برياحة التنقل في الأرض كما يتنقل الإنسان علي بساطه.

فيا نبات الأرض، المفضل علي كل نباتها! المدلل إلي كل خيراتها وبركاتها، المستنير بقمر السماء وشمسها ومطرها، أنت كيف تسمح لنفسك أن تكفر بربك رب العالمين ولا تستطيع التحلل عن نعمه ابدأ؟

﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالَهُ وَوَلَدَهُ إِلَّا

خَسَارًا﴾ (٢١:٧١)

رب انهم - علي طول الدعوة وبعد هذا العناء الطويل والتنوير الوفير، والانذار والتبشير، بعد هذا كله - إنهم عصوني في عبادتك وتقواك وطاعتي، واتبعوا الخاسرين المخسرين، الذين لم تزدهم نعمة المال والأولاد إلا خساراً لسوء تصرفهم فيها، وغرورهم بها: ﴿الم تر الي الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار، جهنم يصلونها وبئس القرار﴾ (٢٩:١٤).

﴿وَمَكْرُوا مَكْرًا كَبِيرًا﴾ (٢٢) وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَ

لَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ (٢٣) وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا. وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا

ضَلَالًا﴾ (٢٤:٧١)

...مكراً كبيراً: متناهيأ في الكبر، مستعملين فيه كافة أساليب التدجيل فقالوا ما قالوا: .. ﴿وقالوا لا تذرنا آلهتكم﴾ إضافة الآلهة اليهم إثارة للنخوة الكاذبة والحمية الحمقاء، كأنهم يدعون إلي إله غريب عنهم، دخيل في آلهتهم، فليذكروه حفاظاً علي الكرامة، وليتمسكوا بآلهتهم ابقاءً للقديم علي قدمه واستدامة لعادة الآباء والجدود، ففي تخليهم عنها والإيمان بإله نوح، رفض لكيانهم وخروج عن كونهم حملة التراث، وأنهم أبناء آبائهم.

فإثارة الحميات والقوميات والطائفيات والعنصريات، لها دور كبير في المتمسكين بها، المتقيدين بأسرها، المفتخرين بها، بين المتحللين عن المثل العليا الأخلاقية،

المفاخرين بما لغيرهم من اللأخليات،
الماشين ممشاهم علي العمياء .
والنص يلح لدرجات ثلاث بين آلهتهم، أهمها
❁ ود وسواع❁ إذ خصصا بالعطف بعد التعميم،
ثم يغوث ويعوق ونسر، المذكورة في عطف وردف
واحد، ثم بقية الآلهة الداخلة في عموم
اللفظه .

طبقات في الآلهة هي معبودة طبقات،
فالنظام الطبقي العارم بين الوثنيين كان
سائداً بين آلهتهم أيضاً، ظلمات بعضها فوق
بعض! .

❁ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ ذِيَارًا (٢٦) إِنَّكَ إِن تَذَرْنِي
يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا❁ (٢٧:٧١)

فان صالح الانسان في صلاحه و صلاح نسله،
فاذا فقد الجانبين إلي الاضلال فيهما، لم
يبق لبقائه إلا فساد علي فساد وسبحان الله عن
هكذا إبقاء!

فقد لمح الوحي إلي نوح بمستقبلهم وذريتهم
سنداً لما عرف عنهم في ماضيهم: ❁ إنه لن
يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا تبتئس بما
كانوا يفعلون❁ (١١:٣٦) فـ ❁ لن❁ تنفي
ايمانهم ابدأ، ولزامه أن لا يلدوا إلا فاجراً
كفاراً، وكما عن باقر العلوم X. ٢

فقد كانت الأرض بحاجة إلي الإحياء بعد
موتها، وإلي التطهير بعد قذارتها من الشر
العارم الذي انتهى اليه القوم في زمنه،
ولم يبق علاج في تطهيرها إلا تدميرهم، إذ إن
في بقاءهم إضلال القلة القليلة ممن آمن
معه، طوال ألف سنة إلا خمسين عاماً.

١ . في تفسير علي بن ابراهيم: كان ❁ ود❁ صنما
لكعب و ❁ سواع❁ صنما لهذيل وكان ❁ يغوث❁ صنما
لمراد وكان يعوق صنما لهمدان، وكان نسر لحصين.
٢ . القمي بسنده عن صالح بن ميثم قال قلت لابي
جعفر الباقر X ما كان علم نوح حين دعا علي قومه:
انهم لا يلدوا الا فاجرا كفارا؟ فقال: اما سمعت قول
الله لنوح: ❁ انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن❁ .

وفيما إذا سئلنا: كيف لا يلدون إلا فاجرا كفارا، والإنسان ايا كان لا يولد كافراً مهما كان ابواه كافرين، وإنما الكفر والإيمان منذ التكليف لا الولادة؟

فالجواب: ان خبث النطفة اضافة إلي خبث الجو والبيئة، لايلدان إلا فاجراً كفاراً، فان الجو الفاسد الذي أو جدوه، والبيئة الضالة التي خلقوها، انهما يوحيان بالكفر من الناشئة الصغار، فلا توجد فرصة لتري الناشئة نوراً، وقليل هؤلاء الذين يولدون من الظلمات ويعيشونها، ثم يخالفونها إلي النور، وقد ولد هذا القليل في هذه المدة الطائفة ولم يبق منهم أحد وفي أنسالمهم أيضاً، فلا يعني من ولادة الفاجر الكفار منذ الولادة، إنما من حين التكليف، وإن كانت الولادة الخبيثة والجو الخبيث لهما دورهما الفعال في الكفر والفجور، فالولادة عن هكذا كفار، ثم ولادة ثانية تولدهم البيئة الكافرة لحد التكليف، ثم عفوياً الولادة الثالثة منذ التكليف، الناتجة عن الولادتين، هذه وتلك ليست إلا ولادة الفاجر الكفار: ❀ لا يلدوا إلا فاجرا كفارا❀.

حينذاك كانت مناداة نوح ربه حقا وفي محله ومرضيا عند ربه: ❀ ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون❀ (٧٥:٣٧) دون أن تكون مرضية للشيطان كما في مختلفات الروايات. ثم يدعو للمؤمنين والمؤمنات مع نفسه ووالديه:

❀ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا

تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا❀ (٢٨:٧١)

دعاء علي الظالمين مرتين يوسط بينهم دعاءه لنفسه ولوالديه، ولمن دخل بيته مؤمناً، لما حان حين الغرق، فهم المؤمنون الجدد حينه وعند البأس، ثم للمؤمنين والمؤمنات طول الزمن، وهذا شعور عام بأصرة القربي علي مدار الزمن واختلاف السكن دون

أن يبعدهم بعد الزمان والمكان، كما الدعاء
علي الظالمين عام علي طول الزمن.

ادعية ابراهيميه

١

﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ (٧٨) وَ الَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠) وَ الَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (٨١) وَ الَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يُغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢:٢٤﴾

أ بواب ثمان لمعرفة تعالي عدد ابواب الجنة ، لا يتركها إلا كل ذي جنة :
١ - ﴿الَّذِي خَلَقَنِي﴾ فهل الخالق اجدر بأن يُعبد أم المخلوق؟ يقدم خلقه نفسه لأنه اقرب آية واثمنها واتقنها دليلاً علي خالقه .
٢ - ﴿فهو يهدين﴾ لا سواه ، حيث الهداية

١ . الدر المنثور: ٥ : ٨٩ - عن سمرة بن جندب قال: قال رسول الله ﷺ إذا توضأ العبد لصلاة مكتوبة فأسبغ الوضوء ثم خرج من باب داره يريد المسجد فقال حين يخرج: بسم الله الذي خلقني فهو يهدين هداه الله للصواب - ولفظ ابن مردويه - لصواب الأعمال ﴿والذي يطعمني ويسقيني﴾ اطعمه الله من طعام الجنة وسقاه من شراب الجنة ﴿وإذا مرضت فهو يشفين﴾ شفاه الله وجعل مرضه كفارة لذنوبه ﴿والذي يميتني ثم يحيين﴾ احياه الله حياة السعداء واماته ميتة الشهداء ﴿والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين﴾ غفر الله خطاياها كلها وإن كانت اكثر من زبد البحر ﴿رب هب لي حكماً والحقني بالصالحين﴾ وهب الله له حكماً والحقه بصالح من مضي وصالح من بقي ﴿واجعل لي لسان صدق في الآخرين﴾ كتب في ورقة بيضاء ان فلان بن فلان من الصادقين ثم وفقه الله بعد ذلك للصدق ﴿واجعلني من ورثة جنة النعيم﴾ جعل الله له القصور والمنازل في الجنة . وفي تفسير البرهان ٣ : ١٨٤ ابن بابويه بسند متصل عن الصادق جعفر بن محمد (عليهما السلام) قال: سألته عن قول الله عزوجل: ﴿وإذ ابتلي إبراهيم ربه بكلمات فاتمهن﴾ ، وذكر الحديث فيما ابتلاه به ربه إلي أن قال: والتوكل بيان ذلك في قوله: الذي خلقني - إلي - يوم الدين - ثم الحكم والإنتماء إلي الصالحين في قوله: رب هب لي حكماً والحقني بالصالحين﴾ يعزني بالصالحين الذين لا يحكمون إلا بحكم الله عزوجل ولا يحكمون بالآراء والمقاييس حتي يشهد له من يكون بعده من الحجج بالصدق بيان ذلك ﴿واجعل لي لسان صدق في الآخرين...﴾ .

الكاملة الشاملة تقتضى كامل القدرة والعلم وشامله لمن يهدى، فقد انشأبى من حيث يعلم وأنا لا أعلم ولا من سواى ممن أنشأه، فهو العالم بسؤلى لا سواه، والعارف بحالى ومالى وكل مالى لا سواه ❀ فهو ❀ إذا ❀ يهدين ❀ إلى ما خلقنى لأجله، وقد هدانى فطرياً وعقلياً وحسياً إليه، وأرانى آياته فى الآفاق وفى نفسى ❀ أو لم يكف بربك انه علي كل شيء شهيد ❀؟ هناك ❀ خلقنى ❀ هو محور المعرفة، ثم ❀ فهو يهدين.. ❀ وما بعدها من التدبير تتمحور الخلق، تفرعاً للتدبير علي الخلق، وان الخالق هو المدبر لما خلق لأنه الخالق، وهما لزام بعض فطرياً وعقلياً وواقعياً، وليس الفصل بين الخالق والمدبر أعضلاً للخالق عمأ خلق وهو به أعرف وعليه أقدر، وإعطاء التدبير لغير الخالق وهو مخلوق كسائر المخلوق، لا يسطع علي تدبير نفسه فضلاً عن الآخرين.

❀ يهدين ❀ بصيغة المضارعة بعد خلقنى الماضى، اشارة إلى استمرارية الهداية فى كل حلقاتها ما دام الكائن كائناً، كما الهداية تعم كل شئونه بل وكل شئء وكما فى جواب موسى لفرعون: ❀ ربنا الذى أعطي كل شئء خلقه ثم هدي ❀ (٥٠:٢٠)

٣ - ❀ والذى هو يطعمنى ❀ كفالة حانية حامية عن جوعتى وهى سؤل الجسم، فكيف لا يكفل سؤل الروح، والهداية تشمل كل سؤل بسؤال ودون سؤال!

٤ - ❀ ويسقين ❀ فمادة الاطعام والسقى هى من خلقه، ومعرفة الحصول عليها هى بهدايته.

٥ - ❀ وإذا مرضت فهو يشفين ❀ فالمرض مذى لمكان ❀ مرضت ❀ والشفاء منه والدواء منه و علم الأدوية والإدواء منه مهما كان هنالك أطباء، فإنهم بعلومهم منه، وقد يُمرض الله لما قدمت ايدينا ام لإصلاحنا فهو منا.

٦ - ❀ والذى يميّتنى ❀ كما خلقنى، فلا يميّت إلا الخالق مهما كانت للموت ظاهرة الأسباب.

٧ - ❁ ويحيين❁ ليوم الحساب، يوم تقطع الأسباب وتحار دونه الألباب.

٨ - ❁ والذى اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين❁ لا سواه، إذ لا غافر إلا إياه المعصى والمطاع - كإله - ليس إلا إياه.

وقد جمع ذلك التعريف العريف برب العالمين إلي ربوبيته المادية الربوبية الروحية، وإلي الهدي المادية الهدي المعنوية، وإلي ربوبية العاجل ربوبيته في الآجل، جمعاً بين المبدء والمعاد، وذلك هو ❁ رب العالمين❁ ليوم الدنيا ويوم الدين، أما انتم فـ ❁ نعبد اصناماً فنظّل لها عاكفين❁ دون ان تحمل أياً من هذه المواصفات الثمان التي هي لزام الربوبية والمعبودية! فأني تؤفكون؟ أفكاً آلهة دون الله تريدون؟

ولماذا لغفر الخطيئة ❁ أطمع❁ دون قطع رغم وعده تعالي للمؤمنين، دون سائر ما ذكر من قبل؟ لأنها كلها مقطوعة غير ممنوعة حسب سنة التكوين، ولكن الغفر يوم الدنيا ليس سنة قاطعة فـ ❁ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء❁ (٤: ٤٨) وهل ان ابراهيم كان مخطئاً وهو نبي حتي يطمع غفره يوم الدين؟.

إنه يقوله قبل حكمه الرسالي الذي يتطلب العصمة المطلقة ❁ رب هب لي حكماً❁ فلعل له خطيئة قبل عصمة الرسالة! أم إنه تطامن وتذل أمام الرب قصوراً عما يناسب ساحته تعالي، وعل منه طلب الغفر لأبيه وهو قبل حكمه الرسالي.

ثم هذا لسان حال المقربين وقالهم تذكيراً لساحتهم وتبجيلاً لساحة رب العالمين فـ ❁ حسنات الأبرابر سيئات المقربين❁ ثم وتعليماً للمخطئين كيف يجب عليهم ان يستغفروا الله.

وما هو دور ❁ لي❁ في ❁ يغفر لي خطيئتي❁؟
 عنه سلّب لوسيط الشافع فانه غفر لشافع كوسيط، وكذلك سلّب لانتفاعه تعالي بغفره،

وانما ﴿١﴾ لي .
ولماذا ﴿٢﴾ يوم الدين ﴿٣﴾ وظرف الغفر الصالح هو يوم الدنيا؟ عليه لأن الغفر يوم الدين هو المهم في غفر الخطايا، والبرزخ ليس محل الغفر، والغفر يوم الدنيا قد تلحقه خطيئة اخري، ولكن الغفر يوم الدين هو الكاسح الماسح غبار الخطيئة بأسرها.
هنا يسأل الخليل بجدارة ربّه الجليل زاداً لراحلة الدعوة الرسالية، عاجلاً وآجلاً إذ نجح في ذلك الاختيار:

﴿٤﴾ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٥﴾ (٨٣:٢٦)

وذلك حكم رسالي خاص يطليه بعد الرحمة العامة، فهناك ﴿٦﴾ رب العالمين ﴿٧﴾ في مواصفات تُدرُّ رحمتها علي العالمين، وهنا ﴿٨﴾ رب ﴿٩﴾ الله. فيستوهب - إذا - ﴿١٠﴾ حكماً ما لم يكن له لحدّ الآن، وليتزود به في دعوته الصارمة أمام الدعايات الضالة العارمة.

وقد يجمع الحكم المستوهب هنا تحكيم الأحكام الفطرية والعقلية والعلمية، إلي الحكم والحكمة الرسالية، حيث الحكم أعم من الرسالة، وإطلاقه هنا يعمها وسواها من حكم يستحكم عري الدعوة الإبراهيمية الشاملة، ولحد الإمامة بين المرسلين نسبياً.
وقد يعنى ﴿١١﴾ ألحقني بالصالحين ﴿١٢﴾ اضافة إلي يوم الدين، لحوقه بهم يوم الدنيا، ان يكون في زميرتهم وهم الرعيل الأعلى من المقربين، نوح و موسى والمسيح وخاتم النبيين صلوات الله عليهم اجمعين.

وقد يعنى من ﴿١٣﴾ هب لي حكماً ﴿١٤﴾ كمال القوة النظرية المستكملة بقوة الوحي، ومن ﴿١٥﴾ ألحقني بالصالحين ﴿١٦﴾ كمال القوة العملية وكما بالنسبة لمن جعلهم الله أئمة وهو منهم ﴿١٧﴾ وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات. . ﴿١٨﴾ (٧٣:٢١)

﴿١٩﴾ وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٢٠﴾ (٨٤:٢٦)

وقد استجاب له دعواته، فالأخيرة نجدها في مريم ﴿فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحاق ويعقوب وكلاً جعلنا نبياً﴾ (٢٩). ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق علياً ﴿٥٠﴾.

﴿لسان صدق﴾ هنا هو لسان صادق مصدق مصدق حالاً وقالاً وأفعالاً، و﴿الآخرين﴾ هم حملة الرسالة الأخيرة، محمد 3 كرأس الزاوية، وسائر الأئمة من ولده كسائرهما وقد تعنى ما تعنيه آية الصافات، كمريم ﴿وتركنا عليه في الآخرين﴾ (١٠٨) والذخرف: ﴿وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون﴾ (٢٨) وطبعاً كبعض المصاديق الصالحة ودعاء من ابراهيم تستمر طيلة حياته المنيرة وحتى بناء البيت وهو في أخريات عمره: ﴿ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك... ربنا وابعث فيهم رسولا منهم...﴾ (٢: ١٢٩).

وقد يلمح ﴿لسان صدق في الآخرين﴾ أن من الأولين ومن بعدهم كاذبين بحقه، كما اليهود والنصارى ينسبون إليه ما هم يعتقدون من ضلالات في حقل المعرفة والعمل، وأما محمد 3 فهو لسان صدق له في الآخرين، استمرارية لدعوته الرسالية، وإفصاحاً بكيان ابراهيم

١ . راجع تفسير الآية في سورتها وفي تفسير البرهان ٣: ١٨٤ تتمه الحديث السابق عن الصادق X ﴿... بيان ذلك في قوله ﴿واجعل لي لسان صدق في الآخرين﴾ أراد في هذه الأمة الفاضلة فأجاب به الله وجعل له ولغيره من الأنبياء ﴿لسان صدق في الآخرين﴾ وهو علي بن أبي طالب X وذلك قوله: ﴿وجعلنا لهم لسان صدقاً علياً...﴾.

وفي ملحقات أحقاق الحق ٣: ٣٨٠ في الآية ﴿هو علي X عرضت ولايته علي ابراهيم X فقال: اللهم اجعله من ذريتي ففعل الله ذلك﴾ أوردته عدة من اعلام القوم منهم الحافظ أبوبكر ابن مردويه في كتاب المناقب كما في كشف الغمة ٩٤ روي عن ابي عبدالله X قال: ... ومنهم المير محمد صالح الكشفي الترمذي في مناقب مرتضوى ٥٥ نقلاً عن ابن مردويه عن الباقر X.

٢ . راجع تفسير آية الذخرف للحصول علي تفصيل المعني.

كأفضل الموحدين .

﴿وَجَعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾ (٨٥:٢٦)

وهم ﴿مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾: ﴿تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقياً﴾ (١٩:٦٣) والمؤمنون حقاً: ﴿الذين هم في صلاتهم خاشعون. والذين هم عن اللغو معرضون. والذين هم للزكاة فاعلون. والذين هم لفروجهم حافظون. إلا... والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون. والذين هم علي صلواتهم يحافظون. أولئك هم الوارثون. الذين يرثون الفردون هم فيها خالدون﴾ (٢٣: ٢ - ١١) والعاملون الصالحات بإيمانهم: ﴿.. وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا... ونودوا ان تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون﴾ (٧:٤٣) و (٧٢:٤٣).

وهل هي ميراث عن الله ﴿ولله ميراث السماوات والأرض﴾ (٣:١٨٠) يرث ولا يُورث! أم ميراث عن صالحين؟ وهم انفسهم من ورثة جنة النعيم! إنها ميراث لهم عمّن ليسوا بداخلها حيث طغوا وما اتقوا، وإبراهيم يستدعي بعدما دعي أن يصبح من أهل الجنة، وطبعاً من أئمتهم وكما كان يوم الدنيا. ويا للتواضع والإشفاق من التقصير، ويا للخوف من قلب المصير، إن مثل الخليل يطلب من الجليل ان يجعله من أهل الجنة، علي علو محتده!

﴿وَاعْفِرْ لِي يَا رَبِّ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ﴾ (٨٦:٢٦)

وقد يكون ذلك التطلب من خطياً ته، غير المحرمة في شرعة الله، حيث لم يصب فيها واقع الأمر كما استدركه له ربه ﴿وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدوٌّ تبرء منه﴾ (٩:١١٤) واستثنى من الأسوة به ذلك الخطأ، غير القاصد ﴿لقد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم.. إلا قول إبراهيم لأبيه لا استغفرن لك..﴾ (٤:٦٠).

وعلى الموعدة هي المفهومة من قول أبيه

❖ واهجرني ملياً ❖ كما شرحناه في مريم، وذلك الإستغفار كان في بداية عمره ومفح أمره قبل حكمه الموهوب، ثم لم نسمعه يدعوا في خاتمة أمره وعمره إلا: ❖ ربنا اغفر لي ❖ ولوالدي ❖ (١٤:٤١) دون ابوي، وقد تبرء من ابيه منذ دهر طويل، فوالده - إذا - غير ابيه كما فصلناه في محالّه.

وقد تلمح ❖ انه كان من الضالين ❖ الي ضلاله المحتوم قبل موعدته التي اخرجته عن حتمه، والضال المتجرى عن الحق ليس كالمتجرى علي الحق، فيُدعي للأول دون الأخير.

وذلك من حنانه في الدعوة لمن هو كوالده في شأنه التربوي، مهما كان مشركاً ولكنه ❖ .. واهجرني ملياً ❖ اصبحت كوعده بالإيمان فسلم عليه ووعدّه الإستغفار ❖ قال سلام عليك سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيماً ❖ (١٩:٤٧)

وقد يبدوا من ❖ فلما تبين له انه عدو لله تبرء منه ❖ انه كان قبل موته، وقد تبين له خلف وعده وأن لم يكن ❖ واهجرني ملياً ❖ ليجد مجالاً للتفكير، وانما مجالاً ملياً كيلا يسمع دعوة الحق ثم لكل حادث حديث.

فبطبيعة الحال لم تكن هذه الدعاء فور تركه اباه، وانما بعد مدي أم لما اوتى حكماً فتبين له انه عدو الله.

❖ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ (٨٧) يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ

بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ❖ (٢٦:٨٩)

وَكَيْفَ ❖ لاتحزني ❖ بعد ❖ واجعلني من ورثة جنة النعيم ❖؟ إنه دعاء وليس هو في واقعه حتي يتقدم سلبه علي ايجابه، ثم هو مع ايجابه دعاء علي تخوف من سلبه، وهذه قضية أدب العبودية حيث يحصر النصرة في الله، فإذا لم ينصره في الدنيا أو الآخرة خزي، وكما كان يدعوا رسول الهدي³ في صلاته ❖ اللهم لا

تحزنى يوم القيامة^١.
وليس من الخزي المطلوب سلبه دخول آزر فى الجحيم، إذ لم يكن والدّه وقد تبرء منه قبل موته، فرواية الخزي مخالفة لكتاب الله وساحة الرسول³ برئية من امثالها.^٢

ثم * ان الخزي اليوم والسوء علي الكافرين^٣ (٢٧:١٦) فكيف يستسلبه ابراهيم عن نفسه؟ ان الخزي - وهو عدم النصر ممن يؤمل منه النصر - قد يكون طاماً فى دركاته لدكافرين كما السوء، وقد يكون جاندياً لتقصير أو قصور وهو يعم سائر المؤمنين، * إلا من أتى الله بقلب سليم^٤ و ابراهيم يدعو بما يدعو ولما يؤت حكماً، وهو علي تخوف من عاقبة حاله يوم الدين، فلأن * يوم يبعثون^٥ هو * يوم لا ينفع مال ولا بنون^٦ فلا ناصر - إذا - إلا الله.

وهل الآية * يوم لا ينفع...^٥ إلي سبعة عشر آية من تنمة دعاء ابراهيم؟ وهو بعيد كل البعد عن حالة الدعاء، ان تشمل علي تفاصيل لا صلة لها بالدعاء إلا تعريفاً لمن لا يعرف! فهي - إذا - من كلام الجليل يلحق بها دعاء الخليل، تكملة للمعرفة فى هذه الإذاعة القرآنية.

* يوم لا ينفع مال^٦ إذ ليس هنا لك مال، ولا ينفع يومئذ مال الدنيا بما هو مال لزوال المجال، * ولا بنون^٦ حيث تنقطع هناك كل الصلات: * فاذا نفخ فى الصور فلا انساب بينهم

١ . الدر المنثور ٥ : ٩٠ - اخرج احمد عن رجل من بنى كنانة قال صليت خلف النبي³ عام الفتح فسمعتة يقول:...

٢ . فى الدر المنثور - اخرج البخارى والنسائى عن ابى هريرة عن النبي³ قال: يلقي ابراهيم اباه آزر يوم القيامة وعلي وجه آزر قنبرة وغبرة يقول له ابراهيم: ألم اقل لك لاتعصنى؟ فيقول ابوه: فاليوم لا اعصيك، فيقول ابراهيم: رب انك وعدتني أن لا تخزيني يوم يبعثون فأى خزي أخزى من أبى الأبعد؟ فيقول الله: إنى حرمت الجنة علي الكافرين ثم يقال: يا ابراهيم ما تحت رجلك؟ فإذا هو بذخ متلطح فيؤخذ بقوائمه فيلقى فى النار.

يومئذٍ ولا يتساءلون ﴿٢٣: ١٠١﴾ - ﴿٩٤: ٦﴾ ولقد
 جئتمونا فرادي كما خلقناكم أول مرة وتركتم
 ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم
 شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء لقد
 تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم
 تزعمون ﴿٩٤: ٦﴾ .

هل انه ﴿٩٤: ٦﴾ يوم لا ينفع.. ﴿٩٤: ٦﴾ - ﴿٩٤: ٦﴾ إلا من أتى الله
 بقلب سليم ﴿٩٤: ٦﴾ فينفعه ماله الذي قدمه في سبيل
 الله، وبنوه الذين رباهم علي شرعة الله، فان كان
 له مال وبنون فاستثناء متصل، وإن لم يكن
 له مال ولا بنون فقد يكفيه قلب سليم،
 فاستثناء منقطع، والجمع بينهما اجمل
 واكمل، حيث المال المصروف في الله، والبنون
 الصالحون، هما في الباقيات الصالحات:
 ﴿٩٤: ٦﴾ المال والبنون زينة الحياة الدنيا
 والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً
 وخيراً أملاً ﴿٩٤: ٦﴾ (٤٦: ١٨) فهناك النفع ينحصر في
 قلب سليم بمخلفاته مهما لم يكن لصاحبه مال
 ولا بنون، وينحسر عن قلب غير سليم مهما كانت
 لصاحبه مال وبنون.

اجل ﴿٩٤: ٦﴾ قلب سليم ﴿٩٤: ٦﴾ من كل نائبة وآئبة
 عائبة، من كل مرض وغرض، ومن كل حب وهوي إلا
 الله، وليس نفع الشفاعة أيضاً إلا لمن ارتضى الله
 فـ ﴿٩٤: ٦﴾ لا يشفعون لمن ارتضى ﴿٩٤: ٦﴾ (٢٨: ٢١) .

فالقلب ﴿٩٤: ٦﴾ السليم الذي يلقي ربه وليس فيه
 أحد سواه، وكل قلب فيه شرك أو شك فهو
 ساقط، وانما اراد بالزهد في الدنيا لتفزع
 قلوبهم إلى الآخرة ﴿٩٤: ٦﴾ .

١ . نورالثقلين ٤: ٥٨ في اصول الكافي القمي عن
 ابيه عن القاسم بن محمد عن المنقري عن سفيان بن
 عيينة قال سألته عن قول الله عزوجل: ﴿٩٤: ٦﴾ إلا من أتى الله
 بقلب سليم ﴿٩٤: ٦﴾؟ قال: السليم.. ﴿٩٤: ٦﴾ وفيه في آخر قال
 قلت له: ما حد التواضع الذي إذا فعله العبد كان
 متواضعاً؟ فقال: التواضع درجات منها ان يعرف المرء
 قدر نفسه فينزلها منزلتها بقلب سليم لا يجب ان
 يأتي الي أحد مثل ما يؤتي إليه، إن رأى سيئة
 درأها بالحسنة، كاظم الغيظ عاف عن الناس والله يجب
 المحسنين ﴿٩٤: ٦﴾ .

❁ سليم من حب الدنيا❁^١ فان حب الدنيا رأس كل خطيئة، ف❁ صاحب النية الصادقة صاحب القلب السليم لأن سلامة القلب من هو اجس المذكورات تخلص النية لله في الأمور كلها..❁^٢.

وان سلامة القلب يومئذ تنفع بقدرها فانها درجات، كما ان عتامته تضر بقدرها فانها درجات والذيات والأعمال الصالحة هي من خلفيات سلامة القلب عما يريد، وتزيده سلامة، كما الأعمال والذيات الطالحة تزيده عتامة، فكل خير أو شر من الانسان هي صادرة من قلبه، فواردة إلي قلبه، فهو مورد كما هو مصدر.

فلأن❁ القلوب أئمة العقول والعقول أئمة الأفكار والأفكار أئمة الحواس والحواس أئمة الأعضاء❁ فصاحب القلب المدعى سلامته، غير الصالح في أعماله، كاذب في دعواه، وقلبه مقلوب عن الهدى، مغلوب بطوع الهوى، وليس الايمان - وهو حالة القلب - إلا قريناً بصالح العمل، وكما نرى قرنه لزاماً في كل القرآن.

❁ وَأَزْلَفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ (٩٠) وَبُرُزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ❁ (٩١:٢٦)

❁ يوم يبعثون..❁ وَأَزْلَفَتِ الْجَنَّةُ وقربت للمتقين، الذين كانوا من عذاب ربهم مشفقين،❁ وبرزت الجحيم❁ حيث كانت كامنة في الغاوين، فتبرز بما برز وليوم الدين، واما الجنة فهي قضية فضل الله، مخلوقة بارضاها قبل يوم الدين، ولكن الجحيم تُصلي بما يرد لها اهلها من الغاوين، فلذلك الجنة تُزلف والجحيم تبرز:❁ وإذا الجحيم سعرت. وإذا الجنة أزلفت❁ (١٣:٨١) -❁ وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد❁ (٣١:٥٠) فهنا إزلاف التقريب لغير بعيد، وهنالك تبريز التسعير

١ . المصدر مجمع البيان وروي عن الصادقX: ...
٢ . المصدر عن مصباح الشريعة قال الصادقX: ...
قال الله تعالى: يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم❁.

حيث يحشر كلٌ بعيد .
 ﴿ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴾ (٩٢) مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ
 يَنْتَصِرُونَ ﴿ (٩٣:٢٦)

و ﴿ لَقَدْ ضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ (٣٠:١٠) -
 ﴿ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلِ وَظَنُوا
 مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ ﴾ (٤٨:٤١)
 وذلك سؤال التقرير والتأنيب بما كانوا
 يعبدون، وظلموا عليها عاكفين، وهم ضلوا
 عنهم وقت الحاجة الحارقة، ﴿ هَلْ
 يَنْصُرُونَكُمْ ﴾ هناك؟ ﴿ أَوْ يَنْتَصِرُونَ ﴾ لأنفسهم حين
 يعذبون؟ لقد ضل عنهم كياناتهم كآلهة، وحين
 يبرز لهم كونهم فهم معهم معذبون، اللهم إلا
 الصالحون من الملائكة والنبين ﴿ ان الذين
 سبقت لهم منا الحسني أولئك عنها مبعدون ﴾
 ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ
 السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (١٢٧:٢)

قد تعنى ﴿ القواعد من البيت ﴾ أن ليس
 البيت هو القواعد والبنيان، مهما كانت
 منه، إذا فالبيت هو المربع الخاص من سطح
 الأرض، ثم من فوقها إلي السماء السابعة،
 وكذلك من تحتها، عمود مستقيم يربط أعلي
 النقط من الكون إلي أدناها، وقد يصدقه ما
 يروي عن الرسول³.

﴿ هذا البيت خامس خمسة عشر بيتاً سبعة
 منها في السماء وسبعة منها إلي تخوم الأرض
 السفلي، وأعلاها يلي العرش البيت المعمور،
 لكل بيت منها حرم كحرم هذا البيت لو سقط
 منها بيت لسقط بعضها علي بعض إلي تخوم
 الأرض السفلي، ولك بيت من أهل السماء ومن
 أهل الأرض من يعمره كما يعمر هذا البيت ﴾^١.

١ . عن الصادق (عليه السلام) يعنى من ثمرات القلوب
 أي جهنم الي الناس ليثوبوا اليهم (تفسير البرهان
 ١: ١٥٤) وعن الباقر X ان الثمرات تحمل اليهم من
 الآفاق وقد استجاب الله له حتي لا توجد في بلاد المشرق
 ←

وقد يعنى البيت المعمور - حيث يلي العرش - السدرة المنتهى، التى انتهى اليها الرسول 3 فى معرجه، مجتازاً * من المسجد الحرام ٥ - إلى سائر بيوت الله فى السماوات والأرضين - * إلى المسجد الأقصى ٥ وهو البيت الأقصى فى الكون فى السدرة المنتهى. وهكذا يحق لخاتم النبيين وأشرف الخلق أجمعين أن يطوف البيوت الخمسة عشر بأهلها، وكما قال 3 عن سفرته هذه: * رأيت فى كل سماء ميادين فيها خلق كثير... ٥.

لقد رفع إبراهيم القواعد من البيت واسماعيل بما بوء له ربُّه مكان البيت: * وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئاً وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود ٥ (٢٢: ٢٦)

بوأه له بما إليه هندسة المكان ليرفع القواعد عليه كما هندسه ربُّه.

إذ لم تكن له - حينذاك - قواعد ولا أعلام، إلاً بذلك الإعلام من الله الملك العلام ١.



والمغرب ثمرة لا توجد فيها حتى حكى انه يوجد فيها فى يوم واحد فواكه ربيعية وصيفية وخريفية وشتائية (تفسير السعادة ١: ١٤٥).

١. الدر المنثور ١: ١٢٦ - أخرج الديلمي عن عيسى X عن النبي 3 فى الآية قال: * جاءت سحابة علي تربيع البيت لها رأس تتكلم ارتفاع البيت علي تربيعي فرفعاه علي تربيعها ٥.

وفى نور الثقلين وعن الصادق X ان اسماعيل X لما بلغ مبلغ الرجال امر الله إبراهيم X ان يبني البيت فقال: يا رب فى اى بقعة؟ قال: فى البقعة التى انزلت بها علي آدم القبة، فأضاء لها الحرم فلم يدر إبراهيم فى اى موضع يبنيه فان القبة التى أنزلها الله علي آدم كانت قائمة الي ايام الطوفان فلما غرقت الدنيا رفع الله تلك القبة وبقي موضعها لم يغرق ولهذا سمي البيت العتيق لانه اعتق من الغرق فبعث الله جبرئيل X فخط له موضع البيت فانزل الله عليه القواعد من الجنة وكان الحجر لما انزله الله علي آدم اشد بياضاً من الثلج فلما مسته ايدى الكفار اسود، فبني إبراهيم X البيت ونقل اسماعيل الحجر من ذى طوي فرفعه فى السماء تسعة أذرع ثم دله علي موضع الحجر فاستخرجه إبراهيم X ووضع فى الموضع الذى



وان هذا البيت المبارك – قبل ان يضع ابراهيم القواعد منه – كان بيتاً بأعلام أحياناً ودون أعلام أخري، كيف لا و ﴿﴾ إن أول بيت وضع للناس للذي بركة مباركاً و هدي للعالمين ﴿﴾ (٩٦:٣) .

فابراهيم X ليس إلا أول بان لقواعده، بما يوأه ربه من مكان البيت، وقد كان بيتاً منذ آدم، مطافاً له ولذريته، بل ومنذ كانت خليقة علي وجه الأرض ووجوه السماوات السبع والأرضين السبع .

﴿﴾ ربنا تقبل منا ﴿﴾ ما نرفع من قواعد البيت ﴿﴾ انك انت السميع ﴿﴾ دعاءنا سرّاً او جهراً ﴿﴾ العليم ﴿﴾ بنياتنا وطوياتنا، و ﴿﴾ العليم ﴿﴾ سؤلنا، وقد كان النبي 3 إذا أفطر قال: ﴿﴾ اللهم لك صمنا وعلي رزقك أفطرننا فتقبل منا انك انت السميع العليم ﴿﴾ .

﴿﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ

عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿﴾ (١٢٨:٢)

وتراهما لما يسلمما بعد لربهما حتي يسألانه ﴿﴾ واجعلنا... ﴿﴾؟ إن الإسلام المسؤول هنا هو غاية التسليم، وهي لا تحصل إلا بعد الخروج الي معارج الإيمان، ومما استجاب لهما ربهما عن سؤال الإسلام: ﴿﴾ فلما أسلما وتلاه للجبين. وناديناه أن يا ابراهيم. قد صدقت الرؤيا إننا كذلك نجزي المحسنين ﴿﴾ (١٠٣:٣٧) .

ولذلك الإسلام درجات تدرج ابراهيم الي ما دون العليا منها، فان محمداً أول من اسلم. ﴿﴾ قل إنني أمرت أن أكون أول من أسلم ﴿﴾ (١٤:٦) حيث الأولية هنا ليست لتكون



هو فيه الآن فلما بني جعل له بابين، باباً الي المشرق وباباً الي المغرب يسمي المستجار ثم أقي عليه الشجر والأذخر وعلقت هاجر علي بابه كساء وكان معها وكانوا يكتسبون تحته .
١ . الدر المنثور ١: ١٣٧ – أخرج الدار قطنى عن ابن عباس قال كان النبي 3... .

زمنية وقد كان قبله مسلمون كإبراهيم واسماعيل ومن أشبه، فهي أولية في الدرجة، و*الايمن من الإسلام بمنزلة الكعبة الحرام من الحرم قد يكون في الحرم ولا يكون في الكعبة، حتي يكون في الحرم*^١ ولذلك الإسلام ميّزات عن مطلق الايمان وسمات، فلا يلبس الإسلام بظلم أو شركٍ مهما لبسهما الإيماّن: *الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن*^٢ (٨٢:٦) *وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون*^٣.

ولقد قورن مطلق الايمان بمقارنات الظلم والشرك والفساد والعصيان، ولم يقارن بشيءٍ منها ذلك الإسلام، فلذلك يُعد من ميّزات المرسلين دون الإيماّن فانه لكل المؤمنين بدرجاتهم.

لذلك يطلب الخليل الي ربه الخليل ان يجعله واسماعيل مسلمين له، بعد كل درجات الإيماّن ودرجاتٍ من الإسلام.

ثم يتطلب من ربه *ومن ذريتنا*^٤ ذريتي من إسماعيل *أمة مسلمة لك*^٥ وهم أهل بيت الرسالة المحمدية، فالرسول فيهم هو محور الدائرة، وذووه المعصومون هم الأشعة، فلأن إبراهيم تطلب لهم أصل الإسلام لادرجته، لم يمنع سؤاله أن يكون محمد أول المسلمين.

ولقد أسلم إبراهيم لدرجة قبل هذا الوقت: *إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين*^٦ (١٣١) ثم يتطلب بعده إسلاماً أرقى *ربنا واجعلنا مسلمين لك..*^٧ فهو كما الإيماّن درجات: *يا ايها الذين آمنوا آمنوا...*^٨.

ولو أنه إسلام قبل الإيماّن، لم يكن يسأله من ربه، بل كان يفعله لأنه من فعله، فإنما الإسلام المسؤول هنا هو قمة التسليم بما آمن وأسلم، توفيقاً من الله.

وهكذا نري ذلك الإسلام أنه من حصائل

١ . في الكافي عن سماعة عن الصادق...X

الإيمان، كل درجة منه حصلة درجة منه
فإنهما كلاً درجات:

ف ﴿ إِن تُسْمِعْ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (٥٣:٣٠) ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (١١١:٥).

كما ويوصى المصطفين من عباده أن يكونوا من المسلمين: ﴿ إِن اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُونَنَّهُ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (٢:١٣٢).

ثم ولا تسمع أحداً من النبيين يؤمر بالإيمان، اللهم إلا بالإسلام، اللهم إلا شذراً في عرض إيمان المؤمنين بعرض الرسول تليقاً رفيقاً بينهما: ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ﴾ علي أن إيمانه هنا ليس بالله، بل بما أنزل إليه، طمأنة للمؤمنين.

ولاتجد الله يذكر أحداً منهم بخير أفضل من الإسلام ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا ﴾ (٣:٦٧) و تراهم -
دوماً - يؤمرون بالإسلام ومرتبون بالإسلام!

فذلك بدرجاته إسلام، وقبله الإيمان بدرجاته، ثم قبلهما إسلام لما يصل إلي القلب فلم يصل لحد الإيمان: ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ (٤٩:١٤) واين إسلام من إسلام؟!

وهنا ﴿ من ذريتنا ﴾ تختص دعاء الخليل بأمة مسلمة لله من ذرية إبراهيم من اسماعيل، فلا تشمل الأمة الإسرائيلية حتى المسلمة منهم لأنهم من إسحاق، دون اسماعيل، ولا كل المسلمين إذ ليسوا كلهم ولاجلهم من اسماعيل، أتراهم بعد هم كل بني هاشم فإنهم من ذرية اسماعيل، وكيف تعمهم ذلك الدعاء لإسلام ردف إسلام إبراهيم؟ وفيهم عصات طغات! ولئن خصت بعدولهم فليس كل العدول مسلمين بذلك المعنى الرفيع، ثم لماذا تختص بهم وممن سواهم مسلمون أرقى واجل من جلهم؟

إذا فهم مسلمون خصوص من ذرية اسماعيل، والمعصومين الأربعة عشر عليهم السلام^١ أو هم أصدق مصاديقها، وسائر الأمة المسلمة من ولد اسماعيل هم علي هامشها؟ إلا إسلاماً أدنى مما لآبراهيم واسماعيل والمحمديين المعصومين، هو إسلام يحصل علي ضوء الصومود والرقى فلماذا يسأله لها ولهم من الله. فلا بد - إذا - أنه إسلام العصمة القمة المرموقة ولما يصلا اليه إذ يرفعان القواعد من البيت.

وهكذا تكون ❀ وتب علينا ❀ فإنها ليست توبة عليهم من عصيان، بل هي توبة رجوعاً عليهم برحمة خاصة تضمن لهم كامل الإسلام. فقد يتوب الله علي عبد عن ذنب كما في آدم ❀ وعصي آدم ربه فغوي. ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى ❀ (٢٠: ١٢١)

او يتوب علي عبد رجوعاً برحمة خاصة تعصمه وتسدده عما لا يُحمد، لولاها لكاد أن يقتربها او يقتربها حيث تكل الطاقات البشرية كما في يوسف ❀ ولقد همت به وهم بها لولا أن رأي برهان ربه ❀ (١٢: ٢٤) وفي محمد 3.

❀ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ❀ (٢: ١٣٠)

❀ ملة إبراهيم ❀ هي توحيد الإسلام وإسلام التوحيد لوجه الله، ولا يرغب عنها إلا من سفه نفسه: حملاً لها علي خفة العقل والإدراك، فالنفس الانسانية فطرياً وعقلياً راغب الي هذه الملة المسلمة الحنيفة، فلا يرغب عنها إلي سواها إلا من حمل نفسه علي التنازل عن

١ . نورالثقلين ١: ١٣٠ في الكافي باسناده الي ابي عمر والزبيرى عن ابي عبدالله X حديث طويل يقول فيه . . ثم اخبر عن هذه الأمة وممن هي وانها من ذرية ابراهيم وذرية اسماعيل من سكان الحرم ممن لم يعبدوا غير الله قط الذين وجبت لهم الدعوة دعوة ابراهيم واسماعيل من اهل المسجد الذين اخبر عنهم في كتابه انه ❀ اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ❀ .

ذاتيتها، استخفافاً بها وتغريباً عنها.
 * ولقد اصطفيناه في الدنيا * بقمة الإصطفاء
 فانه من أصفي الأصفياء * وانه في الآخرة لمن
 الصالحين * كما تطلبه يوم الدنيا:
 * وألحني بالصالحين * وسعي له سعيه، ومتي
 اصطفيناه في الدنيا؟:

* إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمَ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ * (٢: ١٣١)

وعده إسلامه بفعله لما أمر به قبل إسلامه
 المطلوب من ربه حين دعا * واجعلنا
 مسلمين.. *

فهناك إسلام قضية كمال الإيمان، وهنا إسلام
 قضية الأمر الخاص، وعده لأمر خاص كما * أسلما
 وتله للجبين * ثم إسلام بعدهما تطلباه إذ
 يرفعان القواعد من البيت، وقد يجمع مراتب
 الإسلام حديث قدسي يذكر عيدشأ أهني وحياءة
 أبقى.

١ . في البحار عن ارشاد الديلمي قال الله سبحانه يا
 أحمد هل تدري اي عيش اهني وای حيوۃ أبقى؟
 قال: اللهم لا - قال: اما العيش الهنيء فهو الذي
 لا يفتن صاحبه عن ذكرى ولا ينسي نعمتي ولا يجهل حقي،
 يطلب رضائي في ليله ونهاره، واما الحياة الباقية
 فهي التي يعمل لنفسه حتي تهون عليه الدنيا وتصغر
 في عينه وتعظم الآخرة عنده، ويؤثر هوای علي هواه
 ويبتغي مرضاتي، ويعظم حق نعمتي، ويذكر عملي به،
 ويراقبني بالليل والنهار عند كل سيئة او معصية،
 وينقي قلبه عن كل ما أكره، ويبغض الشيطان ووساوسه
 ولا يجعل لإبليس علي قلبه سلطاناً وسبيلاً، فإذا فعل
 ذلك اسكنت قلبه حياً حتي أجعل قلبه وفراغه
 واشتغاله وهمه وحديثه من النعمة التي أنعمت بها
 علي أهل محبتي من خلقي وافتح عين قلبه وسمعه حتي
 يسمع بقلبه وينظر بقلبه إلي جلالتي وعظمتي، وأضيق
 عليه الدنيا، وأبغض اليه ما فيها من اللذات
 وأحذر من الدنيا وما فيها كما يحذر الراعي علي
 غنمه مراتع الهلكة، فإذا كان هكذا يفر من النار
 فراراً وينقل من دار الفناء الي دار البقاء، ومن
 دار الشيطان الي دار الرحمن، يا أحمد ولأزيتنه
 بالهيبة والعظمة فهذا هو العيش الهنيء والحياة
 الباقية، وهذا مقام الراضين فمن عمل برضاي الزمه
 ثلاث خصال: أعرفه شكراً لا يخالطه الجهل، وذكراً
 لا يخالطه النسيان، ومحبة لا يؤثر علي محبتي محبة
 المخلوقين، فإذا أحبني أحببته وافتح عين قلبه إلي
 جلالتي، ولا أخفي عليه خاصة خلقي، وانا جيه في ظلم
 الليل ونور النهار حتي ينقطع حديثه مع المخلوقين
 ←

﴿ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (١٣٢:٢)

﴿ بهاء ﴾ لا مرجع صالحاً لها إلا ﴿ ملته ﴾ إبراهيم ﴿ دون الإسلام لذكوريته ﴾، ثم وهذه هي ملّة الإسلام في توحيد العقيدة والعمل.
 قبل: ﴿ إذ قالوا ليوסף واخوه احب الي ابينا منا ونحن عصبته ان ابانا لفي ضلال مبين ﴾ (٨)



ومجالسته معهم، وأسمعه كلامي وكلام ملائكتي، وأعرّفه السر الذي سترته عن خلقي، وأبدسه الحياء حتى لا يبقى عليه شيئاً من جنة ولانار، وأعرّفه ما يمر علي الناس في القيامة من الهول والشدة وما أحاسب به الأغنياء والفقراء والجهال والعلماء، وأنومه في قبره، وأنزل عليه منكرات ونكيرا حتى يسألاه، ولا يري غم الموت وظلمة القبر والذبح وهول المطلع، ثم انصب له ميزانه وأنشر ديوانه، ثم اضع كتابه في يمينه فيقرأه منشوراً، ثم لا أجعل بيدي وبينه ترجماناً، فهذه صفات المحبين، يا أحمد اجعل همك همياً واحداً، واجعل لسانك لساناً واحداً، واجعل بدنك حياً لا يغفل أبداً، من يغفل عني لم أبال في أي وادٍ هلك.

دعاء من يعقوب X
 ﴿ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ
 مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٩٦:١٢)

وعلى البشير هو الكبير بينهم وله سابقة
 سابقة من بينهم حيث دلهم على ﴿ أن يجعلوه
 في غيابت الجب ﴾ دون ان يلقوه فيه او يلغوه
 فيذهب هباءً ، واخيراً قال لهم ﴿ لن أبرح الأرض
 حتى يأذن لي ابي ﴾ فبطبيعة الحال ينتخبه
 الصديق لهذه البشارة السارة وكما في
 رواية .

وهنا نري يعقوب يقول لهم بديلاً عن اي
 تنديد او تثريب: ﴿ ألم اقل لكم إنى اعلم من
 الله ما لا تعلمون ﴾ من حياة يوسف، ووجدان
 ريجه؟ تنبيها لهم بموقفه من الله فلا ضلال فيه
 اياً كان وأيان .

﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴾ (٩٧) قَالَ سَوْفَ اسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي
 إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (٩٨:٢)

﴿ يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا ﴾ عى في
 الإستغفار لعظم الذنوب، وأنها اضررت بحقه
 ومست من كرامته، فليكن هو الذى يستغفر لهم
 بعدما استغفروا لأنفسهم، ولأنه نبي مستجاب
 الدعوة وكما في نبينا: ﴿ ولو أنهم إذ ظلموا
 أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم
 الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً ﴾ (٤:٦٤)
 ومن آداب الإستغفار الإعتراف بالخطأ وقد
 اعترفوا، وتري كيف يسوف ابوهم الإستغفار
 لهم؟ وخير البر ما كان عاجله، وهو وعدهم
 آجله!

ولكن ليس عاجل الخير دوماً خيراً من آجله،
 حيث الخير الآجل قد يفوق عاجله، فالاستغفار
 فى نفسه خير وعاجله خير على خير، إلا انه
 خير منه فى الآجل المستجاب، وكما يروي عن
 النبي 3 ﴿ أخرهم إلى السحر لان دعاء السحر

مستجاب^١ أو ❁ حتى تأتي ليلة الجمعة^٢ أو

١ . الدر المنثور ٤ : ٣٦ - اخرج ابو الشيخ وابن مردويه عن ابن عباس ان النبي³ لم اخرج يعقوب بنيه في الاستغفار؟ قال: اخرهم.. ورواه مثله في الكافي عن المفضل بن ابي قرة عن ابي عبدالله والعقبيه عن محمد بن مسلم عنه^X والعياشي مرسلأ عنه^X وزاد: قال يا رب انما ذنبهم فيما بيني وبينهم فاوحى الله انى قد غفرت لهم.

٢ . اخرج الترمذى وحسنه والحاكم وصححه وابن مردويه عن ابن عباس قال جاء علي بن ابي طالب الي النبي³ فقال: بابى وامى تفلت هذا القرآن من صدرى فما اجدنى اقدر عليه فقال رسول الله³ يا ابا الحسن افلا اعلمك كلمات ينفعك الله يهن وينفع الله يهن من علمه ويثبت ما تعلمته فى صدرك؟ قال: اجل يا رسول الله³ فعلمنى - قال³: اذا كانت ليلة الجمعة فان استطعت ان تقوم ثلث الليل الاخير فانه ساعة مشهودة والدعاء فيها مستجاب وقد قال اخى يعقوب لبنيه ❁ سوف استغفر لكم ربي ❁ يقول: حتى تأتي ليلة الجمعة، فان لم تستطع فقم فى وسطها فان لم تستطع فقم فى اولها فصل اربع ركعات تقرأ فى الركعة الثالثة أم الكتاب وسورة يس وفى الركعة الثانية بفاتحة الكتاب وحم الدخان وفى الركعة الثالثة بفاتحة الكتاب والم تنزيل السجدة وفى الركعة الرابعة بفاتحة الكتاب وتبارك المفصل فاذا فرغت من التشهد فاحمد الله واحسن الثناء مع الله وصل على وعلى سائر النبيين واستغفر للمؤمنين والمؤمنات ولاخوانك الذين سبقوك بالايمان ثم قل فى آخر ذلك اللهم ارحمنى بترك المعاصى ابدأ ما ابقيتنى وارحمنى ان تكلف ما لايعيننى وارزقنى حسن النظر فيما يرضيك عذى اللهم بديع السماوات والارض ذا الجلال والاکرام والعزة التى لا ترام اسالك يا الله يا رحمن بجلالك ونور وجهك ان تلزم قلبى حفظ كتابك كما علمتني وارزقني ان اتلوه على الذجو الذى يرضيك عذى اللهم بديع السماوات والارض ذا الجلال والاکرام والعزة التى لا ترام اسالك يا رحمن بجلالك ونور وجهك ان تنور بكتابك بصرى وان تطلق به لسانى به وان تفرج به عن قلبى وان تشرح به صدرى وان تغسل به بدنى فانه لا يغنى عنى الحق غيرك ولا يؤتيه الا انت ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم، يا ابا الحسن تفعل ذلك ثلاث جمع او خمسا او سبعا باذن الله تعالى والذى بعثني بالحق ما اخطأ مؤمنا قط..

(١ و ٣) المصدر ٤٦٥ ج ١٩٦ فى العلل باسناده الي اسماعيل بن الفضل الهاشمى قال قلت لجعفر بن محمد^X اخبرنى عن يعقوب^X لما قال له بنوه: يا ابانا استغفر لنا.. ❁ فاخر الاستغفار لهم ويوسف^X لما قالوا له: ❁ تالله آترك الله علينا وان كنا لخاطئين. قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو



حتي نجمع بيوسف لانه صاحب الحق الاصيل (٣) ،
 لا ❀ لان قلب الشاب ارق من قلب الشيخ ❀ (١) ! .
 ام ليختبرهم هل استغفروا خالصاً وتابوا
 توبة نصحاً حتي يستغفر لهم ، وكل صالح
 لتاجيل الإستغفار والجمع أجمل .
 وما أجمل تعبير يوسف حيث استغفر لهم :
 ❀ يغفر الله لكم ❀ دون ❀ غفر الله ❀ فانه في وجه
 الإخبار يضرب الي المستقبل حين نُقيا أبيه ،
 لانه أيضاً صاحب حق ، وهو في الإنشاء مشروط
 بشروطه ومنها أن يغفر الأب ويستغفر ،
 والصيغة العاجلة للإستغفار هي ❀ غفر الله لكم ❀
 والشاملة لها وللآجلة هي : ❀ يغفر الله لكم ❀ .



ارحمنا الراحمين ❀ قال : لان قلب الشاب ارق من قلب
 الشيخ ، وكان جناية ولد يعقوب علي يوسف وجنايتهم
 علي يعقوب انما كانت بجنايتهم علي يوسف فبادر
 يوسف الي العفو عن حقه وآخر يعقوب العفو لان عفو
 انما كان عن حق غيره فاخرهم الي السحر ليدلة
 الجمعة .

ادعية موسوية

١

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ

مُسْلِمِينَ ﴾ (٨٤:١٠)

هنا ﴿ إن كنتم مسلمين ﴾ بعد ﴿ إن كنتم آمنتم بالله ﴾ تعني الإسلام بعد الإيمان، ﴿ إن كنتم مسلمين ﴾ لله وجوهكم في هذه البيئة الخطرة الفرعونية.

وهنا قد لحق بـ ﴿ ذرية من قومه ﴾ ممن سواهم، أم لم يلحق، يسمع سليم الإجابة ممن آمن:

﴿ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (٨٥) وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ

مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (٨٦)

فعل ﴿ القوم الظالمين ﴾ تخص ملاءهم أم وتعمهم إلي فرعون وملاه، ثم ﴿ القوم الكافرين ﴾ هم فرعون وملاه، فـ ﴿ لاتجعلنا فتنة للقوم الظالمين ﴾ أن يفتنونا من داخل ﴿ ونجنا برحمتك من القوم الكافرين ﴾ أن يفتنونا من خارج، والفتنة الداخلية أفتن من الخارجية.

أجل و ﴿ علي الله توكلنا ﴾ لا علي ملاننا الخونة، ولا علي موسى والمؤمنين به، إنما ﴿ علي الله توكلنا ﴾ كما وأمرتنا ﴿ إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا... ﴾.

ذلك، وقد تلمح ﴿ إن كنتم... ﴾ أنهم فقط ﴿ ذرية من قومه ﴾ لسابق إيمانهم علي ذلك الخطاب و ﴿ وما آمن لموسي إلا ذرية من قومه ﴾ فـ ﴿ يا قوم ﴾ إلا إعتباراً كأنهم فقط هم قومه دون الباقيين منهم إذ لم يؤمنوا. ذلك، وقد يحتمل أن ﴿ ذرية من قومه ﴾ تعنيهم من قوم فرعون لسابق ذكره، فـ

﴿ملاهم﴾ هم الفرعونيون^١، وقد تعذى هذه الذرية إلى السحرة الناشئين من الفرعونيين فى تلك المبارات الباهرة، مؤيداً بخطابه قومه ككل دون خصوص الذرية ﴿وقال موسى يا قوم...﴾.

وقد يكون المعنيان هما معنيان، فـ ﴿ذرية من قومه﴾ تعنى مثلثها: السحرة، وذرية من قوم فرعون، وذرية من قومه نفسه، وما أجمله جمعاً، وأجله قمعاً للملا غير المؤمنين. فـ ﴿ذرية﴾ هى المؤمنة - دوماً - بين الملا المستكبرين حيث يجدون ملجأ من الدعاة إلى الله.

تري وكيف سألوا الله أن ﴿لاتجعلنا فتنة للقوم الظالمين﴾؟ وحياة التكليف كلها فتنة! ﴿ونبلوكم بالشر والخير فتنة﴾ (٢١:٣٥) ﴿وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون﴾ (٢٥:٢٠).

الفتنة قد تعذى مجرد المحنة دون مهنة، فهى شاملة للمكلفين أجمعين، وأخري تعذى مهنة فى محنة فهى مختصة بالظالمين جزاءً وفاقاً: ﴿إننا جعلناها فتنة للظالمين﴾ (٣٧:٦٣) فى الأخرى نتيجة ظلمهم فى الأولي ﴿وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا﴾ (٤٧:٣١) ﴿إننا مرسلوا الناقة فتنة لهم فارتقبهم واصطبر﴾ (٧٤:٢٧) وهما محنة فى الأولي.

فهذه الفتنة الماكنة الفاتنة التى لامفلت عنها هى خاصة بالظالمين: ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة﴾ (٢٤:٦٣) وأما الذين آمنوا فـ ﴿ربنا لاتجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا﴾ (٦٠:٥): ذنوبنا التى توردنا موارد الفتنة المضللة، ﴿ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من

١ . الدر المنثور ٣ : ٣١٤ - أخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: كانت الذرية التى آمنت بموسى من أناس غير بنى إسرائيل من قوم فرعون منهم امرأة فرعون ومؤمن آل فرعون وخازن فرعون وامرأة خازنه.

الله شيئاً ﴿٥: ٤١﴾ .
 ففي مثنى الفتنة الفاتنة الممتحنة،
 والفتنة الممتحنة، ليس نصيب المؤمنين إلا
 الثانية، والأولى هي للذين ظلموا وكفروا.
 ذلك، والتوكل على الله بعد الإيمان بالله
 والإسلام لله هو عذصر القوة المتينة المكيمة
 الذى يضاف إلى رصيد التقوي مع الإيمان
 والإسلام، فإذا ذرية قليلة ضعيفة تصبح قوية
 صارمة أمام جبروت الطاغوت.
 فقولهم ﴿ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم
 الظالمين﴾ يعني به ألا يمكّن الظالمين منهم
 إضلالاً لهم وإدغالاً، أم استئصالاً لهم وإخملاً
 ﴿ونجنا برحمتك من القوم الكافرين﴾ فى
 ورطة الفتنة المستمرة منهم .
 ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بَيْوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً
 وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٠: ٨٧)

ذلك الوحي فى الوسط الذى عاشه بنو
 إسرائيل بين الغلب على فرعون فى تلك
 المبارات وبين ملاحقته موسى وقومه، وغرقه
 مع ماله ﴿أن تبوء القومكما بمصر بيوتاً﴾
 مما يدل على أنهم لم تكن لهم بمصر بيوت إذ
 كانوا مستخدمين فى البيوت الفرعونية دونما
 استقلال حتى كالخدم المستقلين فى بيوتهم،
 المستغلين عند المستخدمين إياهم .
 وأما كيف ﴿واجعلوا بيوتكم قبلة﴾؟ فهل هى
 قبلة للصلوات؟ وليست بيوتهم قبلة، كعبة أو
 القدس! أم قبلة قبال الفرعونيين؟ وهذه
 سياسة الإستهدار الإستهتار أن تجعل بيوتهم
 قبالهم، فصراع دائم بدل أن يتغربوا عنهم
 ولا يتقربوا منهم!
 هنا ﴿قبلة﴾ تعنى قبال بعضها البعض
 تغرباً عن القبط الكافرين، وتغرباً إلى
 بعضهم البعض، ليكونوا على خبرة جمعية

١ . الدر المنثور ٣: ٣١٤ - أخرج ابن أبي حاتم عن
 ابن عباس فى الآية قال: يقابل بعضها بعضاً.

بينهم لأحوالهم فيما يُصلحهم أو يفسدهم، والهجمات المحتملة عليهم من السلطة الكافرة، فإن ﴿قبلة﴾ هي هيئة خاصة في الإقبال، تقابلاً في البيوت كما هنا، واستقبالاً كما في الصلاة.

وهذه سياسة الحياد والحياط علي جمع مشرّد مطرود في سبيل الله أن يذضموا ويتضامنوا مع بعضهم البعض، بعداً عن شتاتهم بين الأعداء فيذبوا، وقرباً فيما بينهم فلا يذبوا، وهذه تعبئة نظامية إلي تعبئة روحية هما ضرورتان للمطاردين في الله، وقد عمت الفتنة وتجبر الطاغوت، وفسد الناس ومنتت البيئة. وقد تعذى ﴿واجعلوا بيوتكم قبلة﴾ أن ﴿أقيموا الصلاة﴾ فيها دون تظاهر فيها خارجها قضية التقية، أم تعذى ﴿اجعلوا﴾ فقط موسي و هارون أن تكون بيوتهما قبلة لبني إسرائيل يتجهون إليها علي أية حال، حيث الإمام لابد له أن يكون بمتناول الأمة علي كل حال، دون انعزال وتغرب عنهم، ولقد كان علي X لايسكر باب بيته ليل نهار حتي يفسح المجال للمحاويج، وفي الأثر أنه X لما ملك الأمر أمر أن يقلع باب بيته حتي لا يُغلق لوقت ما أمام المحاويج.

وقد يكون مثلث المعني معنياً من ذلك النص لصلوح اللفظ والمعني، فكما أن قبلة الصلاة مفتوحة مفسوحة لكافة المصلين، فلتكن قبلة الصلات بالداعية مفتوحة للمدعوين، وهكذا قبلة الصلاة بين بعضهم البعض بتقابل بيوتهم المتواصلة، وقبلة الصلاة تقية في تلك البيوت.

١ . نورالثقلين ٢: ٣١٥ في تفسير القمي بسند متصل عن منصور عن أبي إبراهيم X قال: لما خفت بنو إسرائيل جبابرتها أوحى الله تعالى إلي موسي و هارون (عليهما السلام) ﴿ان تبوءا لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة﴾ قال: أمروا أن يصلوا في بيوتهم.

ادعية موسوية

٢

﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ (٢٥) وَبَسِّرْ لِي أَمْرِي (٢٦) وَاخْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (٢٧)

يَقْفَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨:٢٠﴾

هنا يطلب نصرة ذاتية متصلة بساحة هذه الرسالة في بنود ثلاثة، ومن ثمَّ نصرة منفصلة في ثلاثة أخرى هي أزرُّ للأولي، وأولي له ثمَّ أولي أن يستعد بزاد ازيد وراحلة أرحل في هذه السفارة الشاقة الطويلة، لا لأمر، إلا لـ ﴿كي نسجك كثيراً. ونذكرك كثيراً. أنك كنت بنا بصيراً!﴾

نري سؤال موسي هنا في احدي عشر آية، لم يكن ليسألها قبل امر الرسالة، مما يدل علي انها كلها سؤال الرسالة بمسؤ ولياتها الخطيرة.

والبند الاول من سؤله الاول ﴿رب اشرح لي صدري﴾ وذلك شرح لتلك الرسالة بعد شرحه للوحي النبوءة فليس - اذاً - سؤالاً لسؤال حاصل، فانه سؤال جاهل، وسئول قاحل، فقد اختاره الله حين اوحى اليه، وكيف يختار ضائق الصدر عن تلقي الوحي؟ وكما شرح الله صدر محمد³ وان كان دون سؤال: ﴿الم نشرح لك صدرك﴾ ﴿لك﴾ كرسول الي قوم لُدَّ وامة خالدة، وكذلك لموسي الي فرعون اللدود وامته اللدودة.

فانشراح الصدر لنبوءة الوحي أمر، وانشراحه للرسالة بعدها والنبوءة أمر آخر، حيث يلتقي فيها جماهير الأمة، ومكذبوا الرسالة، فكلُّ مجالٍ حالٌ ولكل حالٍ مجالٌ، ولكل هديٍّ شرح للصدر كما لكل ضلالٍ ضيقٌ: ﴿فمن يرد الله ان يضلّه يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد الي السماء...﴾ (١٢٥:٦)

فانشراح الصدر في سبيل الرسالة يحوّل مشقة

المسؤولية الكبرى الي متعة، وعناء ها الي لذة، مهما كانت السبيل شاقة شائكة وملتوية طويلة، وهنالك ينجح الرسول وتنجح الرسالة في هدفها الأسمى بمكانتها العليا.

اجل انه وجد لنفسه ضيقاً في هذه الرسالة دون ما قبلها: ﴿واذ نادي ربك موسى ان ائت القوم الظالمين. قوم فرعون الا يتقون. قال رب انى اخاف ان يكذبون. ويضيق صدرى ولاينطلق لسانى فأرسل الي هرون. ولهم على ذنب فاخاف ان يقتلون﴾ (١٤:٢٦) فشرح الله صدره عن ضيقه في نفسه وبوزيره هارون.

وفى تقديم نداء الرب فى الدعاء ﴿رب﴾ تعليم لكيفية الدعاء أنها تبدأ باسم الربوبية، فان من قضيتها الإستجابة بعد الدعاء بشروطها، والتربية الرسالية تتطلب فى سؤالها شرح الصدر عطاءً من الله، كما تتطلب العصمة الإلهية.

و ﴿لى﴾ هنا دون ﴿لنا﴾ دليل الاختصاص لذلك الشرح، فللمؤمنين به، الصابرين معه، المثابرين على ايمانهم، إن لهم شرحاً كأمة، ولموسى الرسول شرح كرسول واين شرح من شرح؟ اجل ﴿اشرح لى﴾ فانا الذى امرتنى بالذهاب الي فرعون، اشرح لى حتى لايضيق اذا ازدحمت على عقبات الدعوة وخلفيات الدعاية.

والبند الثانى: ﴿ويسر لى امرى﴾ وطبعاً هو امر الرسالة المعسور، يتطلب الي ربه ان يجعله الميسور، وليس ذلك سؤالاً لتخفيف فى رسالته، ام تطفيف عن وحيه ودعوته، لأنه يباين سؤال الرسالة، فانه مزيد منها فى كل حلقاتها، وحيأ وآية وسعة فى دعوة ودعاية.

انما هو يسرها لموسى على عسرها، بمثلث من التأييد الربانى، مزيداً فى تصبُّره، ووزيراً من اهله، وتأييداً فى نجاحه من عنده تيسيراً للعسير، لاتقليلاً للكثير، فانه حط عن ساحته، ومس من كرامته، وكيف يدعوا عاقل ربه هكذا فضلاً عن نبي كموسى!.
ففى ذلك التيسير ضمان لنجاح الرسالة،

مهما أودى الرسول في سبيلها، حيث الهدف الأسمى منها نجاحها، لا أريحية الرسول في حياته الدنيوية دونما أية صعوبة، فإن طبيعة كل رسالة هي الدوائر المتربصة بها، المحتفة عليها، كلما كانت الرسالة أوسع، والمرسل اليهم اشرس، فدوائر السوء عليها اكرس واكرث.

والبند الثالث: ❁ واحلل عقدة من لساني. يفقهوا قولي❁.

ففقاه القول الرسالي ضرورة في متن الرسالة، فلتحلل كافة العقدة عن لسان الرسول حتي يفقهوا ما يقول.

اتري ❁ عقدة❁ هنا كانت حبسة في لسانه لخلل عضوية^١ وتلك حبسة في أوصل و سائل الرسالة، ونقص في الرسول، فإن السنة القولية هي من مثلث السنة المعصومة الرسالية، بل هي أولها دلالة مهما كانت العملية أولها تأثيراً، فقصور اللسان ام تقصيره في بلاغ الرسالة خلاف كونه حجة بالغة آلهية، ❁ والله الحجة البالغة❁.

ثم ❁ واخرى هارون هو افصح مني لساناً فأرسله معي رداً أ يصدقني اني أخاف ان يكذبون❁ (٣٤:٢٨) انها تكذب نقص العضو، وتحبس عن لسانه حبسته العضلانية، فان معقود اللسان ليس فصيحاً حتي يكون هارون افصح منه.

١ . في نور الثقلين ٣: ٣٧٧ عن تفسير القمي حدثني ابي عن الحسن بن محبوب عن العلاء بن رزين عن محمد بن مسلم عن ابي جعفر❁ قال: وكان فرعون يقتل اولاد بني اسرائيل كلما يلدون ويربى موسى ويكرمه ولا يعلم ان هلاكه علي يده فلما درج موسى كان يوماً عند فرعون فعطس موسى فقال: الحمد لله رب العالمين فانكر فرعون ذلك عليه وقال: ما هذا الذي تقول؟ فوثب موسى علي لحيته وكان طويل اللحية فهلبها اي قلعتها فألمه ألماً شديداً فهم فرعون بقتله فقالت له امرأته: هذا غلام حدث لا يدري ما يقول وقد لطمته بلطمتك اياه فقال فرعون: بل يدري فقالت له: ضع بين يديه تمراً وجمراً فان ميز بينهما فهو الذي تقول فوضع بين يديه تمراً وجمراً وقال له: كل فمد يده الي التمر فجاء جبرئيل فصرفها الي الجمر فأخذ الجمر في فيه فاحترق لسانه وصاح وبكى فقالت آسية لفرعون: الم اقل لك انه لم يعقل فعفي عنه.

ثم الفصاحة ليست سبب التصديق، ولا خلافها
 سبب التكذيب، فرب فصيح يكذب، ورب غير فصيح
 أم احرص يصدق! .
 فتلك اذاً عقدة من الإفصاح تقوية أمّا هيه،
 فحل عقدة هنا هو إزالة التقية عن لسانه
 وكفاية سطوة فرعون وغواته، حتي يؤدي عن الله
 أمناء، ويقول متمكناً لاخائفاً ولا وجلأً، فلا
 يكون معقود اللسان بالتقية، ومعكوم الفم
 بالخوف والمراقبة .
 فتراه يقول ❁ ويضيق صدرى ولاينطلق لسانى
 فإرسال النبي هـارون ٥ .

ادعية موسوية

٣

❖ وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿١٠: ٨٨﴾

هذه أقصي وأقصي كلام لموسي X مع الله فيما يفسر بغير ما يعنيه، وفي التوراة نص حضيض يعبر عن سوء أدبه X مع الله: ❖ فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى الرَّبِّ وَقَالَ: يَا سَيِّدَ لِمَاذَا أَسَأْتَ إِلَيَّ هَذَا الشَّعْبُ؟ لِمَاذَا أَرْسَلْتَنِي؟ فَإِنَّهُ مِنْذُ دَخَلْتُ إِلَيَّ فِرْعَوْنَ لِأَتَكَلَّمَ بِإِسْمِكَ أَسَاءَ إِلَيَّ هَذَا الشَّعْبُ، وَأَنْتَ لَمْ تَخْلُصْ شَعْبَكَ. فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: الْآنَ تَنْظُرُ مَا أَنَا أَفْعَلُ بِفِرْعَوْنَ. فَإِنَّهُ بِيَدِ قُوَّةٍ يَطْلُقُهُمْ وَبِيَدِ قُوَّةٍ يَطْرُدُهُمْ مِنْ أَرْضِهِ ﴿٥: ٢٢ - ٢٣﴾، فهذه وما أشبهت في مزيف التوراة تمس من كرامة الرسالة الموسوية مصيداً قد تجعله غير مؤمن بربه، ناكر حكمته ورحمته!

١ . موسي يذكر بدعواته القيمة وجهاده المتواصل بكل تبجيل وتجديل في زهاء الربع (٣١) من سور القرآن (١٣٦) مرة، والتوراة تذكره دون ذلك زعم أنها كتاب شرعته، وتمس من كرامته مرارا وتكرارا: ❖ فقال الرب لموسي وهارون من أجل أنكما لم تؤمنا بي حتى تقدساني أمام عين بني إسرائيل لذلك لا تدخلان هذه الجماعة إلي الأرض التي أعطيتهم إياها ﴿٢٠ : ١٢﴾ - و ❖ إن الله حمي غضبه علي موسي إذا التمس منه وزيراً ردها له يصدقه فقال موسي للرب استمع أيها السيد. لست أنا صاحب كلام منذ أمس ولا أول من أمس ولا حين كلمت عبدك، بل أنا ثقيل الفم واللسان. فقال له الرب: من صنع للإنسان فيما أو من يصنع أخرس أو أصم أو بصيراً أو أعمى. أما هو أنا الرب. فالآن اذهب وأنا أكون مع فمك وأعلمك ما تتكلم به، فقال: استمع أيها السيد. أرسل بيد من ترسل. فحمي غضب الرب علي موسي وقال: أليس هارون اللاوي أخاك. أنا أعلم أنه هو يتكلم وأيضاً ها هو خارج لاستقبالك... وهو يكون لك فما وأنت تكون له إلهاً ﴿٤ : ١٠ - ١٦﴾.

ثم القرآن يذود عن ساحته كل شين ورين،
وهنا ﴿ليضلوا﴾ لا يدل علي إضلال قاصدٍ دون
سبب صالح، بل هو مثل ﴿فلما زاغوا أزاغ الله
قلوبهم﴾ (٥:٦١) إزاغة بزيغ جزاءً وفاقاً،
كما ﴿إنا أرسلنا الشياطين علي الكافرين
تؤزهم أزاً﴾ (٨٣:١٩) وقيضنا لهم قرناء
فزينوا لهم ما بين أيديهم وما
خلفهم﴾ (٢٥:٤١) ويضل الله الظالمين﴾ (٢٧:١٤)
﴿وأملئ لهم إن كيدى متين﴾ (١٨٣:٧)، هذه
وما أشبه تدلنا علي أن الله تعالي يستدرج
الظالمين ويمهلهم ليخرج مكين كيدهم ومكنون
سرههم.

لذلك هنا يطلب موسي بقطع أسباب فرعون عن
إضلاله وعن إيمانه: ﴿ربنا أطمس علي أموالهم
واشدد علي قلوبهم فلا يؤمنوا حتي يرووا
العذاب الأليم﴾. وحقيقة الطمس هي محو الأثر
من قولهم: طمست الكتاب إذا محوت سطوره،
وطمست الريح ربع الحى، إذا محت رسومه،
فكان موسي دعي الله سبحانه بأن يمحوها معارف
أموالهم بالمسح لها حتي لا يعرفوها ولا يهتدوا
إليها، وتكون منقلبة عن حال الإنتفاع بها،
حيث الطمس هو تغيير حال الشيء إلي الدثور
والدروس، ثم ﴿واشدد علي قلوبهم﴾ هو الختم
عليها والطبع.

وليس ﴿ليضلوا﴾ غاية مقصودة لـ ﴿آتيت﴾
بل هي واقعية معلومة لله وكما في أخري غير
معلومة لفرعون وملاءه معلومة لله: ﴿فالتقطه
آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً﴾ (٨:٢٨)
ذلك، ولا مانع أيضاً من كون الإضلال غاية
مقصودة جزاءً وفاقاً لفرعون ليزيد ضللاً
وإمتحاناً لمن يضلهم وله إمتحاناً، حيث
الإضلال البدائى هو المستحيل علي الله، دون
النهائى الذى فيه دور الإضلال المعاند، كما
وأن ﴿واشدد علي قلوبهم فلا يؤمنوا﴾ إضلال
كجزاءٍ علي ضلال.

إذا فلم يكن ﴿ليضلوا﴾ نقداً من موسي علي
الله وعوداً بالله، إذ هو الذى دعي بعد نفسه بشد

الضلال: ﴿وَأَشَدُّ عَلَيَّ قُلُوبَهُمْ﴾ .
﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١٠: ٨٩)
وترى متي ﴿أجيبت دعوتكما﴾ هل هي فور الدعوة أم بفاصل المحنة المهنة؟ قد يُرى من ﴿فأراه الآية الكبرى. فكذب وعصي. ثم أدبر يسعي. فحشر فنادي. فقال أنا ربكم الأعلى. فأخذه الله نكال الآخرة والأولى﴾ (٧٩: ٢٥) أن لم يكن فصل بين الأمرين.
ولكن ﴿تبوء آلقومكما بيوتاً...﴾ قد تصرخ لمهلة ماحلة قاحلة بين الأمرين، وليس ﴿فأخذه الله﴾ صراحاً في فور الإجابة كما و ﴿فاستقيما...﴾ لامحة إلي طول لأمد الإجابة، وإلاً فما هو دور الإستقامة في فور الإجابة؟ فإيجابية الإستقامة أمام الهجمات الفرعونية وسلبية الإتياع لسبيل الذين لا يعلمون، لهما دور المهلة الماحلة الفرعونية الطاغية، ثم و ﴿لقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعدهم يذكرون...﴾ فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين. ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى أدع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى إسرائيل. فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه إذا هم ينكثون. فانتقمنا منهم فأغرقناهم في اليم...﴾ (٧ : ١٣٠ - ١٣٦) هذه مما تدل صراحة بفصل فاصل بين وعد الإجابة وواقعها لموسي X. ولماذا هنا ﴿دعوتكما﴾ ولم يكن الداعي إلا

(١) . نور الثقلين ٥: ٥٠٠ عن الخصال عن زرارة عن أبي جعفر (عليهما السلام) قال: أملي الله لفرعون ما بين الكلمتين أربعين سنة ثم أخذه الله نكال الآخرة والأولى فكان بين أن قال الله تعالى لموسي وهارون ﴿قد أجيبت دعوتكما﴾ وبين أن عرفه الإجابة أربعين سنة، ثم قال قال جبرئيل X: نازلت ربي في فرعون منازلة شديدة فقلت: يا رب تدعه وقد قال: أنا ربكم الأعلى؟ فقال: إنما يقول هذا عبد مثلك، وفي ٢: ٣١٦ عن أبي عبدالله X قال ما في معناه إلا ﴿نازلت﴾ .

موسي؟ لأن هذه الرسالة واحدة فدعوة موسي هي بنفسها دعوة هارون كما وتلمح له ﴿ربنا﴾ حيث تعذى جمعية رسولية متمثلة فيهما، أم ولأن موسي دعي وهارون أمّن دعائه فهما - إذا - داعيان إثنان، وكما يروي عن النبي³، أم أنهما دعيا مهما لم يذكر منهما إلا دعاء موسي^٢.

﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرْقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتَ بِهِ بَنُوا إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٩٠:١٠)

﴿جَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ﴾ إجمال عن تفصيل في آيات أخري تفصل خارقة هذه المجاوزة ﴿فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ﴾ في البحر لما رأوهم مجاوزين، فخوف البحر لم يكن ليخوفهم تخيلاً منهم أنهم علي ضعفهم جاوزوه، والطريق بعد يبس، فلماذا لانجازه نحن علي قوتنا، ثم ﴿ان فعلت هذا فمروا وامضوا﴾^٣ كيد أخير كاد به نفسه وقومه. وهنا ﴿بَغْيًا وَعَدُوًّا﴾ تقرران مدي الملاحقة الصامدة الباغية العادية، وقد تعذى

١ . نورالثقلين ٢ : ٣١٦ في أصول الكافي عن أبي عبد الله X قال قال النبي³ : دعي موسي وأمّن هارون (عليهما السلام) وأمّن الملائكة فقال الله تعالى: ﴿قد أجيبت دعوتكما فاستقيما﴾ ومن غزا في سبيل الله استجيبت له كما استجيبت لكم يوم القيامة.

٢ . المصدر في تفسير القمي عن أبي جعفر X في طائل القصة: فيمضي موسي وأصحابه حتي قطعوا البحر وأدركهم آل فرعون فلما نظروا إلي البحر قالوا لفرعون: ما تعجب مما تري؟ قال: أنا فعلت هذا فمروا وامضوا فيه، فلما توسط فرعون ومن معه أمر الله البحر فأطبق عليهم فغرقهم أجمعين فلما أدرك فرعون الغرق ﴿قال آمنت...﴾.

٣ . نورالثقلين ٢ : ٣١٨ في تفسير العياشي عن أبي عمرو عن بعض أصحابنا يرفعه قال: لما صار موسي في البحر اتبعه فرعون وجنوده، قال: فتهيب فرس فرعون أن يدخل البحر فتمثل له جبرئيل X علي رمكة فلما رأي فرعون الرمكة اتبعها فدخل البحر هو وأصحابه فغرقوا.

❖ عدواً ❖ بعد ❖ بغياً ❖ مع العداء، العذ والركض أنهم أسرعوا في ذلك الإتياع فأسرع في إدراكهم الغرق.

وهنا ❖ أدركهم ❖ دون ❖ أغرقهم ❖ تلمح أن الغرق إستقبلهم محيطاً بهم بعد ما تقدموا في البحر لحد لم يبق لهم مجال الرجوع، فقد كان إتياعاً في الغورة تجاوزاً عن الساحل. أجل ❖ أدركه ❖ إلي درك النار في نفس البحر برزخياً وكما كان لقوم نوح: ❖ مما خطيئاتهم أغرقوا فأخلوا ناراً ❖ (٢٥:٧١) .

❖ أدركه الغرق ❖ فعاين الموت ولم يعد يملك نجاهة علي قوته! فبرزت فطرته المحجوبة، وظهرت عقليته المدخولة المعقولة ❖ قال أمنت أنه لا إله إلا الذي أمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين ❖ فلقد سقطت عن الباغية الطاغية كل أرديته التي تنفخ فيه فتظهره لقومه هائلة مخيفة ساقطاً من علواءه، هابطاً من غلواءه، فتضاءل وتضاغر واستخذي، فسقط في يديه، وزاد - بادعاءه قولاً - علي إيمانه إسلامه وهو بالغ الإيمان لحد التسليم لرب العالمين، ولكن:

❖ آلاّن وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ❖ (٩١:١٠)

❖ آلاّن ❖ وقد مضي يوم خلاص ولات حين مناص؟ الآن حيث لا إختيار ولا فرار؟ الآن وقد سبق العصيان والإستكبار، الآن ❖ وقد عصيت ❖ في مجالتك الفاسحة ما استطعت ❖ وكننت من المفسدين ❖ طول حياتك؟ والإيمان عند رؤية البأس قاحل ماحل لأصل له إلا بغية الخلاص؟ ❖ فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين. فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنت الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون ❖ (٨٥:٤٠)

١ . الدر المنثور ٣: ٣١٦، أخرج أبو الشيخ عن أبي أمامة قال قال رسول الله 3: .. أقول ورواه عنه مثله ابن عباس وأبو هريرة وابن عمر باختلاف يسير، وهي مشتركة في ضرب الحماة.

❖ يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانهم لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً ﴿٦: ١٥٨﴾^١.

وقد يروي عن النبي 3 قوله: ❖ قال لي جبرئيل ما أبغضت شيئاً من خلق الله ما أبغضت إبليس يوم أمر بالسجود فأبى أن يسجد، وما أبغضت شيئاً أشد غضباً من فرعون فلما كان يوم الغرق خفت أن يعتصم بكلمة الإخلاص فينجوا فأخذت قبضة من حمأة^٢ فضربت بها في فيه فوجدت الله أشد غضباً مني... ﴿٣٠﴾^٣.

فالأصل في عدم قبول توبته هو طائل العصيان والإفساد حتي رأي البأس، فلم تكن توبته سالحة تعني صالح الإيمان، وحتى لو كان فكيف تقبل مع تحليق حياته علي كل إفساد وعصيان، ثم لم يكن ذلك إيماناً حيث ❖ قال إنى تبت

١ . نورالثقلين ٢ : ٣١٦ عن عيون أخبار الرضا X باسناده إلي إبراهيم بن محمد الهمداني قال قلت لأبي الحسن الرضا X: لأى علة غرق الله تعالى فرعون وقد آمن به وأقربتوحيده، قال: لأنه آمن عند رؤية البأس والإيمان عند رؤية البأس غير مقبول وذلك حكم الله تعالى ذكره في السلف والخلف قال الله تعالى: ❖ فلما رأوا بأسنا... ﴿٣٠﴾ وقال ❖ يوم يأتي... ﴿٣٠﴾ وهكذا فرعون لما أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين فقيل له: الآن وقد عصيت... وقد كان فرعون من قرنه إلي قدمه في الحديد قد ليسه علي بدنه فلما غرق ألقاه الله تعالى علي نجوة من الأرض ببدنه ليكون لمن بعده علامة فيرونه مع ثقله بالحديد علي مرتفع من الأرض و سبيل الثقل أن يرسب ولا يرتفع فكان ذلك آية وعلامة... ﴿٣٠﴾.

٢ . نور الثقلين ٢ : ٣١٨ في تفسير القمي في الآية: فإن موسى أخبر بنى إسرائيل أن الله عزوجل قد أغرق فرعون فلم يصدقوه فأمر الله عزوجل البحر فلفظ به علي ساحل البحر حتي رأوه ميتاً.

وفيه عن أبي جعفر X: فلما توسط فرعون ومن معه أمر الله البحر فاطبق عليهم فغرقهم أجمعين... إن قوم فرعون ذهبوا أجمعين في البحر فلم ير منهم أحد في البحر هووا إلي النار فأما فرعون فنذبذبه الله عزوجل وجده ألقاه بالساحل لينظروا إليه وليعرفوه ليكون لمن خلفه آية ولئلا يشك أحد في هلاكه أنهم كانوا اتخذوه رباً فأراهم الله عزوجل إياه جيدة ملقاة بالساحل ليكون لمن خلفه عبرة وعظة يقول الله: ❖ وإن كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون ﴿٣٠﴾.

الآن ﴿١﴾ دون ﴿فتاب﴾ وتراه بعد إنما لم تقبل توبته حيث قصد من ﴿الذي آمنت به بنو إسرائيل﴾ العجل الذي عبده؟ وإنما عبده أم أرادوها بعد ما جاوزوا البحر و غرق فرعون! ﴿وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا علي قوم يعكفون علي أصنام لهم قالوا يا موسى إجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة...﴾ (١٣٨:٧) فهنا أرادوها ثم عبدها، لما غاب عنهم موسى لميقات ربه: ﴿واتخذ قوم موسى من بعده عجلًا جسدًا له خورًا﴾ (١٤٧:٧) أم قصد منه إلهًا مجسدًا كما تجسده التوراة؟ و ﴿الآن﴾ سؤال تنديد بتأخير الإيمان، ولو لم يكن صالحاً في أصله لكان التنديد بغير صالح الإيمان دون تأخيره، فإنما هو الإيمان مخافة البأس، فلو كان قبل الآن لكان صالحاً يُقبل، وهنا تتبين حال سائر الاحتمال ك: أنه ورّي في قوله فأراد بـ ﴿الذي آمنت به بنو إسرائيل﴾ نفسه، حيث عبدهم لنفسه فترة فتيرة من الزمن الذي استعبدهم فيه.

كلاً! وإنما قصد به ﴿الله﴾ ولكن ﴿قال آمنت﴾ دون اخبار باتّ من الله أنه ﴿آمن﴾ وحتى لو آمن فـ ﴿آلئن﴾ وقد مضي يوم خلاص ولات حين مناص ﴿وقد عصيت﴾ طول حياتك النكدة ﴿وكننت من المفسدين﴾ ثالوث منحوس ليس عنه خلوص. فهنا تأخير التوبة عن الحالة غير المخيفة إلي المخيفة، هو مما يدخلها فيما لا يقبل وإن كانت سالحة، فـ ﴿إنما التوبة علي الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليهما حكيمًا. وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتي إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذاباً أليماً﴾ (٤ : ١٧ - ١٨).

فتأخير الإيمان إلي رؤية البأس، وهو إيمان للبأس، وقد سبقه كل عصيان وإفساد، ذلك مما يمنع باتّاً لاحتواء عنه عن قبول التوبة، فقد

يُقبل صالح الإيمان عند رؤية البأس: ﴿فلولا كانت قرية آمننت فننفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلي حين﴾ (١٠: ٩٨) ولكنه إذا كان صادقاً ولم يعش صاحبه كل الظلمات والعصيانات.

﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا

لَغَافِلُونَ﴾ (١٠: ٩٢)

﴿ننجيك ببدنك﴾ دون روحك، ودون كل حياتك خلاصاً عن الغرق ﴿ننجيك﴾ لا نجاهاً لك، بل نجاهاً لمن ألهمك عما كانوا يظنون ﴿لتكون﴾ ببدنك ﴿لمن خلفك﴾ حاضرين ومستقبلين ﴿آية﴾ مجسدة ربانية تقضى علي ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ وتثبت أن الله هو الرب لا سواه ﴿وإن كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون﴾.

إذا فالمفروض بقاء بدنه آية، وكما نراه في دائرة الآثار العتيقة بالقاهرة، ولقد رأيت جثمان فرعون فيها وكان بجنبي مستشرق مسيحي من أنجلترا فقلت له هذا ما أخبر عنه القرآن: ﴿فاليوم ننجيك...﴾ فقال حائراً قلقاً: ويكأن القرآن فيه كل غيب، فلان للإيمان!

هنا ﴿لمن خلفك﴾ دون ﴿قومك﴾ وما أشبهه، تخلف خلفاً واسعاً فيه من قوم فرعون و من بنى إسرائيل الحاضرين ومن خلفهم إلي ما

١ . نورالثقلين ٢ : ٣١٩ في علل الشرايع بسند متصل عن محمد بن سعيد الأذخري وكان ممن يصحب موسى بن محمد بن محمد بن علي الرضا أن موسى أخبره أن يحيى بن أكتم كتب إليه يسأله عن مسائل فيها: وأخبرني عن قول الله عزوجل: ﴿فإن كنت في شك مما نزلنا إليك فأسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك﴾ من المخاطب بالآية؟ فإن كان المخاطب به النبي 3 ليس قد شك فيما أنزل الله عزوجل إليه وإن كان المخاطب غيره فعلي غيره إذا أنزل الكتاب؟ قال موسى: فسألت أخى علي بن محمد X عن ذلك قال: أما قوله: ﴿فإن كنت في شك...﴾ فإن المخاطب بذلك رسول الله 3 ولم يكن في شك مما أنزل الله عزوجل ولكن قالت الجهلة: كيف لا يبعث

شاء الله، وذلك الـ بدن حتى الآن باق بمعرض
الآثار القديمة في القاهرة.

❖ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأً صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى

جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾

❖ بَوَّأْنَا ① بواءً روحياً وحيوياً بما بعثنا
فيهم رسلاً ولا سيما موسي X حيث نجاهم من
فرعون، وجعلناهم ملوكاً يملكون أنفسهم
بعدهما كانوا يُملكون، ويقدرّون أمورهم بعدما
كانوا يُقدِّرون ويُغدرون.

وإفراد ❖ مَبَوَّأً صِدْقٍ ② قد يعنى جملة حياتهم
التي تحولت من جحيم الإستعباد إلى جنة
الإبعاد عن فرعون وملاه، ثم ❖ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ
الطَّيِّبَاتِ ③ بعد الحياة الخبيثة الجائعة
المائعة ❖ فَمَا اخْتَلَفُوا ④ في الحق ❖ حَتَّى
جَاءَهُمُ الْعِلْمُ ⑤ فاختلّفوا فيه بغياً بينهم، إذ
كانوا قبل بواء الصدق ورزق الطيبات ضلّالاً
لايختلّفون علي محور الحق ولمّا يأتيهم، فلما
❖ جَاءَهُمُ الْعِلْمُ ⑥ بالشرعة التوراتية
والبلاغات الموسوية اختلفوا فيها علي علم.



إلينا نبياً من الملائكة أنه لم يفرق بينه وبين
غيره في الإستغناء عن المأكل والمشرب والمشى في
الأسواق فأوحى الله عزوجل إلي نبيه 3 فأسأل الذين
يقرءون الكتاب من قبلك بمحضر من الجهلة هل بعث الله
رسولاً قبلك إلا وهو يأكل الطعام ويمشى في الأسواق
ولك بهم أسوة وإنما قال ❖ وإن كنت في شك ① ولم
يكن، ولكن ليتبعهم كما قال له 3: فقل تعالوا ندع
أبنائنا وأبنائكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا
وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله للمباهلة وقد عرف
أن نبيه 3 مؤد عنه رسالته وما هو من الكاذبين
وكذلك عرف النبي 3 أنه صادق فيما يقول ولكن أحب أن
ينصف من نفسه.

دعاء من داودX

﴿هَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذِ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ (٢١) إِذِ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢٨﴾ (٢٢:٣٨)

الخصم هو الخصومة وكأنهما هما نفس الخصومة لعظمتها وشدتها، ومن آيته تسور المحراب: إرتقاء بتكلف إلي سور المحراب، دون بابه المتعدّد، وهو بادرة غير متعددة تكشف عن بالغ الخصومة، لذلك ﴿ففزع منهم﴾ - قالوا لا تخف ﴿للسنا نحن من خصمائك، وإنما نحن ﴿خصمان بغى بعضنا علي بعض...﴾. الخصم هنا يطالبونه بالحكم بينهم بالحق ﴿فاحكم بيننا بالحق﴾ ثم تقريراً لشاكلة الحكم، وكأنهم هم الحاكمون عليه: ﴿ولا تُشْطِطْ﴾ إفراطاً في البعد عن الحق ﴿واهدنا إلي سواء الصراط﴾ من الحق، وفيه فزعٌ لداود علي فزع، وهو النبي الملك فكيف يُشْطِط؟ وهنا في قصة ﴿الخصمان﴾ و ﴿تسعة وتسعون نعجة وواحدة﴾ شططٌ من المختلفات الزور أقحمت في رواياتنا، تُضرب عرض الحائط، وعلي من نسب إليه الزنا بإمرأة أورياه الجتّي حد القذف، لاسيما وأن سليمان حسب الخرافة الإنجيلية ولد منها!

١ . انجيل متي ١ : ٦ ﴿ان داود الملك ولد سليمان من التي لاوريا - راجع ﴿عقائدينا﴾ ص ٤١٩ - ٤٢٦ - تجد تفصيل الحوار بيننا وبين الجمعية الرسولية الأمريكية حول الفرية التوراتية علي داودX وفي تفسير البرهان ٤ : ٤٥ - ابن بابويه بسند عن صالح بن عتبة عن الصادقX في حديث قال فيه يا علقمة إن رضي الناس لا تملك وألسنتهم لا تضبط وكيف تسلمون مما لم تسلم أنبياء الله ورسله وحججهX ألم ينسبوا يوسف إلي أنه هم بالزنا؟ ألم ينسبوا أيوب إلي أنه أبتلي بذنوبه؟ ألم ينسبوا داود إلي أنه نظر إلي امرأة أوريا وأنه قدم زوجها امام التابوت حتي قتل ثم زوج زوجها؟

❖ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَ تِسْعُونَ نَجَّةً وَ لِي نَجَّةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَ عَزَّنِي فِي الْخِطَابِ (٢٣) قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجْتِكَ إِيَّايَ نِعَاجِهِ وَ إِنْ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لِيَبْغِيَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَ قَلِيلٌ مَّا هُمْ وَ ظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَ خَرَّ رَاكِعًا وَ أَنَابَ ﴿٢٤:٣٨﴾

كأن العصمة العلمية الإلهية هنا انقطعت عن داود X لفترة الحكم فتنة له، ولكي لا يزهوا بشد الملك والحكمة، ويلمس تماماً أن العصمة الإلهية هي - فقط - التي تعصمه عن الأخطاء. والقضية - كما هي معروضة - تحمل في يديها ظلماً صارخاً مستثيراً، لجد يحمل داود النبي الأبواب علي الحكم العاجل، دونما نظيرة دفاع للمحكوم عليه أو سؤال عنه.

❖ وظن داود أنما فتناه ﴿٢٤﴾ لمحبة من تسوؤ المحراب، وأخري من جرأة الخصم: ❖ لا تشطط ﴿٢٤﴾ وثالثة بعيد حكمه وهدوء الببال وسكون الحال انتبه خطأ في حكمه، أو عل المحكوم عليه اعترض عليه، لماذا الحكم - فقط - بدعوي المدعي دون سماع إلي المدعي عليه؟ هنا ❖ ظن ﴿٢٤﴾ أنه فتنة وبليّة إلهية، وتجربة مؤرة تلافت نظره إلي ضعفه علي قوته وشدة وطأته في ملكه!

❖ ظن ﴿٢٤﴾ ما ظنه ❖ فخر راعياً ﴿٢٤﴾ لربه ❖ وأناب ﴿٢٤﴾ إلي ربه مما أخطأ.

فالظن هنا بمعناه كما في سواه، دون العلم بتأويل، إذ لا مدخل هنا للعلم أنه فتنة إلهية، وإنما ملامحها تدل دلالة راجحة غير قاطعة علي أنها فتنة!

❖ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِن لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَّآبٍ ﴿٢٥:٣٨﴾

ولماذا ❖ غفرنا له ذلك ﴿٢٥﴾ الحكم الشطط؟ لأنه كان ابتلاءً إلهياً، وكان العُجال في الحكم لظاهر الفخامة في الظلم، فلم يحكم عن شطط، ولا عن جهل، بل عن غفلة ابتلى بها كفتنة إلهية يتكامل بها عبادة المخلصون! ❖ وغفرنا ﴿٢٥﴾ لذلك ❖ وإن له عندنا لزلفى وحسن

مأب ١ كأصل أصيل من حياته الإيمانية .
لذلك تراه يغفر له فور ظنه، ثم يمدحه بما
يزيح عنه وصمة خلاف العصمة، ثم يجعله خليفة
فى الأرض.

❖ يا داوودُ إنا جعلناك خليفةً فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع
الهُوى فَيُضِلِّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بما
نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ٢٤:٣٨

أتري يُوسم داود بوسام الشرف هذا، حاكماً
مطلقاً بين الناس، لأنه ظلم فى حكمه، أم لأنه
غُفِر له عن شطط حكمه؟!

وقد يلمح أو يصرح ❖ إنا جعلناك خليفة فى
الأرض ١ أن خلافته الرسالية كانت بعد فتنته
❖ فاحكم بين الناس ٢ بحكم الشرعة العامة
وحكم الأقضية الخاصة، وهنا تزول كل مشكلة
تحيك حول عصمة الرسالة، و ❖ خليفة ٣ هنا
كما فى غيره لاتعنى خلافة عن الله، فإنه إشارك
بالله وأضل سبيلاً، حيث الخلافة تقتضى مستخلفاً
عنه متجانساً، الميت أو الساقط عن كيانه،
سبحان الله العظيم.

وإنما تعنى خلافة الحكم الرسالى عن رسول
أم رسل سابقين.

ثم ❖ إنا جعلناك ٤ برهان لامرد له أن الحكم
بين الناس بحاجة ماسة إى جعل إلهى، فلا
خلافة الرسول عن رسول، ولا خلافة خلفاء
الرسول عن الرسول، ليس شىء منهما إلاً بجعل
وانتصاب إلهى.

من ادعية سليمان X

﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ (١٥:٤٦)

إن الأربعين هنا هو أبلغ الأشد، كما الأشد جمع الشد: هو الاستحكام في طاقات نفسية وبدنية تجعل الإنسان مستقلاً في حياته الفردية والجماعية، فلإنسان أدوار أربعة: الطفولة وبلوغ الشد والأشد والشيخوخة: (ثم يخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخاً) (٦٧:٤٠) فالطفل هو الطفيلي المتطفل في حياته، المتكفل بها في شئونها من قبل الوالدين أو غيرهما، حيث لا يستوى في حياته دون كافل، ثم إذا يبلغ أشده - لا فقط شده - يستقل، فلا يعنى هنا شد العضلات والبنية الجسدانية فحسب وإنما (أشده) وأقلها مثلث: شد العقل، والحكمة والجسم بحيث يستطيع الإصلاح في ماله: (ولاتقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده) (١٥٢:٦) وفي حاله: (ولما بلغ أشده آتيناه حكماً وعلماً) (٢٢:١٢) الحال الجامعة - لأقل تقدير - بين العقل والحكمة ثم في الأشد المزيد. وإذا استمرت الأشد في التعامل والتكامل، تصل ذلي الأبلغ في كمال الس: (.. وبلغ أربعين سنة) كأصدق مصاديق الأشد، ثم بين الأشدين بدايةً ونهايةً متوسطات، وليس أولها بداية التكليف، فإن بلوغ العقل والجسم، - بل العقل فقط - كاف في جرى قلم التكليف، اللهم إلا في الجسم الذي لا يتحمل حمل بعض التكاليف البدنية، كالصوم أم ماذا، فلا يجرى قبل السن المحدد للتكليف، ولكنما العقل، والعقل فقط، إذا بلغ شدة، فصاحبه مشدود بحبل التكليف، ثم إذا أضيف إليه شد الرشد والحكمة، فلا يكلف أحد في حفظ ماله وحاله، وإنما هو القائم فيها: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ (٦:٤) فبلوغ النكاح هو بداية لتكليف مآ، وليس يكفى لتسليم أمواله

إلا بعد إيناس رشدي، فبلوغ الأشد يتراوح بين بلوغ شد التكليف أو شديه^١ وبين الأربعين، ان يحتل له ثالث هو شد الرشد والحكمة، ثم تتعامل فتتكمّل أشده الثلاثة أو ما زاد، ولحد البلوغ الكامل: الأربعين، فالأربعون هي - عادة - غاية الرشد، إذ تتكامل فيها كافة القوي، وفي هذا السن تتجه الفطرة السليمة الي عمق الحياة، الحاضرة والمستقبل، ولكي تستصلحها بما يصلحها.

هذا هو السير العادي في أدوار السن، وليس لزاماً دون استثناء، فقد نُبيء يحيي عند الصبا: ﴿وآتيناها الحكم صبياً﴾ وكان من أكمل الوحي، وكما آمن علي^٢ عند الثانية عشرة من عمره، عند بزوغ الوحي علي الرسول محمد³ فكان أكمل الايمان^٤ وإنما آية الأربعين تعني السيره الأغلبية، دون العموم^٥، ودون شخص أو أشخاص خصوص، ثم إنها توحى بمدي حاجة الأولاد إلي كفالة الوالدين، وإلي حد الأربعين أيضاً، فضلاً عما قبله ومنذ الولادة فالطفولة.. فهل للأولاد أن يجازوا

- ١ . شد العقل، او شدى العقل والجسم.
- ٢ . اصول الكافي باسناده عن علي بن اسباط قال رأيت ابا جعفر^X وقد خرج عليّ فأخذت انظر اليه وجعلت انظر الي رأسه ورجليه لأصف قامته لأصحابنا بمصر فبيننا انا كذلك حتي قعد فقال: يا علي ان الله احتج في الامامة بمثل ما احتج به في النبوة فقال: ﴿وآتيناها الحكم صبياً﴾ ولما بلغ أشده وبلغ أربعين سنة ﴿فقد يجوز ان يؤتي الحكمة وهو صبى ويجوز ان يؤتي الحكمة وهو ابن أربعين سنة.
- ٣ . الخصال للصدوق عن ابي بصير عن ابي عبدالله الصادق^X: اذا بلغ العبد ثلاث وثلاثين سنة فقد بلغ أشده واذا بلغ أربعين سنة فقد بلغ منتهاه فاذا طعن في واحد واربعين فهو في النقصان وينبغي لصاحب الخمسين ان يكون كمن كان في النزاع.
- وفي التهذيب باسناده عن عبدالله بن سنان عن ابي عبدالله^X قال: سأله ابي وأنا حاضر عن قول الله عزوجل ﴿حتي اذا بلغ أشده﴾ قال: الاحتلام.
- اقول: يبعده ان ليس في الاحتلام الاشد واحد او شدين الا نادراً، وان قوله: وبلغ أربعين سنة بعد أشده ﴿يوحى بأن سن الأشد قبيل الأربعين فيناسب الرواية الأولى.

الوالدين ولو أقل جزاء؟ اللهم لا! إلا أن يستمدوا في ذلك برب العالمين!.
 ﴿قَالَ رَبِّ أَوْزَعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى

وَالَّذِينَ...﴾ (١٥:٤٩)

﴿... أوزعني﴾: ألهمني، وليس فقط إلهام الإِعلام والإِفهام، فكثيرون هؤلاء الملهمون علماء الملهمون علماً الملهمون عملاً، والقصد هنا ﴿أن أشكر...﴾ لا أن أفكر، وإنما هو الهام عملي، أو افهام يتبعه العمل: دعوة صارمة تدفع للعمل: ﴿أن أشكر نعمتك...﴾.

نعمتان هما من الله كسائر النعم: ١ - ﴿التي أنعمت علي﴾ أن تربيت منذ كنت جنيناً ولأبلغ الأشد: ﴿الأربعين﴾ ٢ - ﴿وعلي والدي﴾: أن ربياني صغيراً وكفلاني كبيراً: أن أشكر في نعمتك علي بأداء واجب طاعتك وعبادتك، وأشكر في التي أنعمت علي والدي أن أقوم قومة حسنة في الإحسان بهما، فإنه أيضاً من عبادتك، فـ ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾.

﴿ان أشكر...﴾: قولياً وواقعياً: علمياً إيمانياً ومن ثم عملياً، شكراً في هذا المثلث الميمون المنتهي إلي نتاج رأس الزاوية: العمل الصالح المرضي:

﴿وأن أعمل صالحاً ترضاه﴾ كأنه الشكر فقط والأولان يهيآن له فيتقدما نه: اقول شكراً وأؤمن شكراً لأعمل شكراً: ﴿اعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادي الشكور﴾ (١٣:٣٤)، فالعمل الصالح لجناب الربوبية وساحته، المرضي عند حضرته، هو الشكر لنعمته حقاً، دون المقاولات والمحاولات التي لاتعدوا الشفاه والقلوب إلي الواقع.

﴿صالحاً ترضاه﴾ شكراً لنعمتك التي أنعمت علي وعلي والدي، صالحاً يضم إلي شكر الله الوالدين شكراً لله دون سواه.

﴿وأصلح لي في ذريتي﴾: أن يكونوا لي كما كنت

لوالدي اضافة إلي سائر الصلاح، كجزاء متتابع لكل ولد بما فعل من الإحسان بوالديه، أن

يحسن به وُلده كما أحسن هو بوالديه.. أصلح لى ذريتي كما أصلحت لوالدى فى، اصلاحاً عدلاً متتابعاً جماعياً يتبني إصلاح المجتمع على قواعده الأصيلة ❁ الوالدان والأولاد❁. وإنما (فى ذريتي) لا (ذريتي) ككل، حيث الإصلاح (فى) يعنى البعض وهو الممكن المعقول، وأما الكل فلا، كيف وهو يشمل كافة الأنسال الناسلة منه بينه وبين القيامة وهذا مما لا يكون، ومن أدب الدعاء رعاية الأمر كان عقلياً وواقعياً، فلان جد أهداً من النبيين يدعو: (واصلح لى ذريتي) إذ الظالمون المعاندون لا يهلون الإصلاح، وكما عن إبراهيم (قال ومن ذريتي قال لاينال عهدى الظالمين)! ولا يصلح الله تعالى إلا من يستصلح، دون فوضى وبلا شروط.

وهذه سنة إلهية أن يجازى الأولاد بما فعلوا بالوالدين وبالعكس فى الأولى قبل الأخرى، إن خيراً فخيراً وإن شراً فشراً: (وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً) (٩:٤).

ولماذا هذه الطائفة فى الدعاء الشاملة له ولأبويه وذريته؟ إصلاحاً لهم جميعاً، بما يوزعه الله أن يعمل صالحاً يرضاه؟

لأنه تاب وأسلم: (إنى تبت إليك وإنى من المسلمين): توبة إلى الله ثم إسلام لله، فلا إسلام قبل التوبة، كما لا استجابة لدعاء قبل الإسلام والتوبة، وتري انه الإسلام القولى: أن يشهد الشهادتين؟ وهو أدنى الإسلام الذى لا يضره عدم التوبة بل ولا الكفر فى الباطن كما المنافقون بهذا المعنى مسلمون!.

كلاً: انه إسلام الوجه لله قلباً وقالباً: (ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن) (١٢٥:٤)، وكل درجة منه درجة بعد الإيمان، بل هو ناتج عن الإيمان، فما لم يكن إيمان فلا إسلام! وهذا الإسلام هو الإيمان والعمل الصالح للإيمان بعد التوبة: (إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً فأولئك يدخلون الجنة

ولا يضلون شيئاً) (١٩: ٦٠)
 ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ تَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَتَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ
 الْجَنَّةِ وَعَدَّ الصَّدَقَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ (١٦: ٤٦)

أولئك الأركان، التائبون نصوحاً، المسلمون حقاً، الصالحون أعمالاً، الشاكرون لله، المحسنون بالوالدين، أولئك الذين يتقبل الله عنهم أحسن ما عملوا من هذا وذاك، ويتجاوز عن سيئاتهم: المعاصي الصغيرة: تركاً لصغائر الواجبات، وفعللاً لصغائر المحرمات، فإنها كلها سيئات، ويتجاوز عنهم سيئاتهم كل سيئاتهم، وقد يبدل سيئاتهم حسنات إذا أحسنوا التوبة والإسلام والعمل الصالح: (إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات) (٢٥: ٧٠)

نتجاوز.. في أصحاب الجنة، وهم درجات، فالتجاوز أيضاً درجات ولحد تبديل السيئات حسنات:

(وعد الصدق الذي كانوا يوعدون) في آيات أخري وهي تترى: (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم) (٢٩: ٧). (ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلاً كريماً) (٤: ٣١) ففعل أحسن الحسنات كما هناك، وترك أسوء السيئات كما هنا، هما من أشفع الشفعاء عند الله لتكفير سائر السيئات: إيجابية في فعلها، وسلبية في ترك صغائر الواجبات فإنه من السيئات.

ثم يقابل هؤلاء الصالحين بجماعة طالحين عاشوا حياتهم كفراً بالله وكفراناً بالوالدين، فحق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم:

﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أَفْ لَكُمْ أُنَادِيَنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَعْثِمَانِ اللَّهَ وَإِنَّكَ آمِنٌ إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقَّ قَوْلٍ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (١٧: ٤٦)

الإنسان الذي سامح عن إنسانيته، أن عذب

ضميره وغرب عقله وهربت عاطفته، وحتى بالنسبة لوالديه المؤمنين الذين يحذرانه الوعد الحق! هذا للإنسان - إذ عبر عنه بـ الذي ﴿ لا الإنسان - :

﴿ قال لوالديه أف لكما.. ﴾ : كلمة تبرم إظهاراً للتسخط والتوجع، لا لشيء إلا أنهما وعداه - بما وعد الله - : الخروج من قبره يوم الخروج، تحذيراً له عن الكفر والفسوق، حناناً عليه لما بعد الموت، كما يحذنان له قبل الموت.

﴿ قال.. أف لكما.. ﴾ ترجراً منهما لهما وعداء، وزجراً لهما عمداً وعداء، مقابلة الحسن بالسوء! رغم أن محرم لهما وحتى إذا كبرا وساءت أخلاقهما: ﴿ إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً. وخفض لهما جناح الذل من الرحمة ﴾ (٢٤:١٧) حتى وإذا كفرا وأمراه بالكفر: ﴿ وان جاهدك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً.. ﴾ (١٥:٣١)!

فكيف إذا حسنت أخلاقهما وأحسننا إليك في الأولي والأخري: أن وعداك الخروج للحياة الأخري، ليقفوك علي حد العبودية في الأولي، فهل لك أن تجابه هكذا إحسان من والديك بأسوء السوء؟ بتأفف جارح وقح: ﴿ أف لكما أتعدانني أن أخرج ﴾؟ ولا ريبة في وعد الخروج إلا استغرابك: ﴿ وقد خلت القرون من قبلي ﴾ : أن لو كان الخروج حقاً صادقاً لخرج من القرون قبلي ولو واحداً، ولم يخرج ولا واحد، فالخروج إذا أسطورة!

وما أحق هذا المسكين أن يستدل بعدم الخروج إلي الحياة الدنيا علي عدمه في الحياة الأخري، وليس الخروج الموعود إلا للحياة الحساب الجزاء، لا الحياة التكليف البلاء، ورغم أن جماعات من القرون الأولي خرجوا إليها بإذن الله تدليلاً علي إمكانية الخروج بعد الموت.

ثم الخروج من الأحداث في الأولي ليس لعبة فوضي أن يبعث جيل مضي في عهد جيل أتي، إنما هو الحساب الجماعي الختامي للرحلة كلها ❁ لتجزي كلها نفس بما تسعي❁ .
وإذ لا يعقل ويفهم هذا الولد الغدي لغة الإنسان ولا حجة الرحمان، فماذا يصنع الوالدان بهذا الحيوان إلا:
❁ وَهُمَا يَسْتَعِينَانِ اللَّهَ وَيَلْتَكِمَانِ إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا ❁

ان وعد الخروج - حق: ثابت بكافة صنوف البراهين، عقلية وعدلية وحسية أم ماذا، ولأنه وعد الله، فيرجع عليهم ما ثانياً بكلمة جوفاء وقلب خواء: ❁ فيقول ما هذا إلا اساطير الأولين❁ . ❁ ولقد وعدنا هذا نحن وأبائنا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين❁ (٢٧: ٦٨): خرافاتهم وأوهامهم المختلفة المسطرة التي تتنقل للتفكه والمسخرة!

فيا عجباه من هذا الحمق العميق أن يعكس أمر الحق والباطل هكذا، فيدلج الحق في الأساطير، ويدلج الباطل في الحقائق؟ فهل ان الحياة الحساب العدل أسطورة مع ما تملك من براهين، والفوت الاحساب الفوضي ليس بها و هو لا يملك أية براهين؟

ثم: ❁ الذي❁ هذا ليس يعنى شخصاً بعينه كما يدعى بل هو كل من يعق والديه كافراً بالله

١ . الدر المنثور ٦: ٤١ - اخرج البخاري عن يوسف بن ماهك وعبد بن حميد والنسائي وابن المنذر والحاكم وصححه وابن مردويه عن محمد بن زياد - هما عن مروان و اخرج ابن جرير عن ابن عباس وابن ابي حاتم عن السدي - كلهم ان الآية نزلت في عبدالرحمان بن ابي بكر (رض).
اقول: لكن الآية تأتي عن ذلك لمكان الجمع في تاليتها: ❁ اولئك الذين..❁ وان عبدالرحمان هذا أسلم فكيف يحق عليه القول في امم في النار، وكما اخرج ابن ابي حاتم عن السدي ❁ ثم اسلم فحسن اسلامه❁ واليكم بعض الاثر عن الحجاج في ذلك:
اخرج ابن ابي حاتم وابن مردويه عن عبدالله قال: اني لفي المسجد حين خطب مروان فقال: ان الله قد اري امير المؤمنين (معاوية) في يزيد رأيا حسناً وان يستخلفه فقد استخلف ابوبكر وعمر، فقال عبدالرحمان
←

واليوم الآخر هكذا، وهم جماعات وليس واحداً
وكما يقول الله:
﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمِّمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ
إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾ (١٨:٤٦)

﴿ولئك﴾ من حماقي الطغيان ﴿الذين﴾ حق ﴿:﴾
ثبت ﴿عليهم﴾ القول ﴿:﴾ كلمة العذاب ﴿في﴾
أمم ﴿:﴾ جماعات وقرون ﴿قد﴾ خلت ﴿:﴾ مضت و غبرت
﴿من﴾ قبلهم من الجن والإنس ﴿فهم﴾ وإياهم شرع
سواء إذ كانوا معاً في شرعة سوداء ﴿انهم﴾
كانوا خاسرين ﴿دينهم﴾ ودنياهم، أولاهم
وأخراهم، وأية خسارة أخسر من خسارة الأمن
والإيمان دنياً، ثم خسارة الذعيم والرضوان
عقبي؟! .

ثم وليس أولاء و هؤلاء علي شرع سواء في
الجزاء ثواباً وعقاباً - بل:

﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا وَ لِيُؤْفِقِيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَ هُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (١٩:٤٦)

﴿ولكل﴾ من الفريقين: صالحين وطالحين
﴿درجات﴾: للمؤمنين حسب مراتبهم درجات،
ولغيرهم كذلك دركات، وليست فوضى وبلا حساب
وإنما ﴿مما﴾ عملوا ﴿:﴾ سعوا في أعمال الإيمان
وعقائده وأقواله، في مثلث الإيمان درجات و
كما في كل زاوية منه درجات، كذلك وثالثو
اللا إيمان دركات كما في كل زاوية منه
دركات ﴿وليوفيهم﴾ أعمالهم وهم لا يظلمون ﴿.﴾



بن ابي بكر: أهر قلية! ان ابابكر والله ما جعلها في
أحد من اهل بيته ولا جعلها معاوية إلا رحمة وكرامة
لولده، فقال مروان: أليست الذي قال لوالديه أف
لكما؟ فقال عبدالرحمان: أليست ابن اللعين الذي لعن
اباك رسول الله؟ قال: وسمعتها عائشة فقالت: يا
مروان! أنت القائل لعبد الرحمن كذا وكذا؟ كذبت والله
ما فيه نزلت، نزلت في فلان ابن فلان.
اقول: لاعبدالرحمان ولا فلان بن فلان أياً كان وإنما
كل من كان بهذه الصفة، عبدالرحمان وغيره، ولكن
ليس عبدالرحمان ولا يشمله لأنه أسلم فلم يبق علي
كفره ونكرانه للأخرة، فلا يحق عليه وعد الله في أمم قد
خلت من قبله.

وكما أن درج المؤمن والكافر في درجة واحدة ظلم، كذلك درج كل من الفريقين في درجة واحدة، رغم اختلاف درجاتهم: ظلم: ﴿أفمن أتبع رضوان الله كمن بآء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير. هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون﴾ (١٦٣:٣) ﴿ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون. ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل عما يعملون﴾ (١٣٢:٦).

ثم هنا درجات حسب الصالحات والطالحات ﴿مما عملوا﴾ وهناك درجات الإستعدادات ليست مما عملوا، وإنما ابتلاءات من الله: ﴿ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم﴾ (١٦٥:٥) ﴿ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً﴾ (٣٤:٤٣).

وإنما الجزاء الحساب يوم الحساب حسب الدرجات مما عملوا، لا ما خلقوا عليها بلائاً وامتحاناً، مهما أملاوا! كما وان من الدرجات هي العلي ﴿فأولئك لهم الدرجات العلي﴾ (٧٥:٢٠) ومنها الدرجات الدنيا التي هي دركات و ﴿إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً﴾ (٤٠:٤) ﴿ومن جاء بالسيئة فلا يجزي إلا مثلها وهم لا يظلمون﴾ (١٦٠:٦)

فهم درجات عند الله ﴿(١٦٣:٣)﴾ : ﴿ولكل درجات مما عملوا﴾ لماذا؟.. (وليوفيتهم أعمالهم وهم لا يظلمون) فعطف الواو هنا يعطف بنا إلى المحذوف من غايات الدرجات، فأعمالهم هي التي تجعلهم عند الله وبإذنه درجات، وإن كانت الحسنات بفضله مضاعفات، وإن كانت بعض السيئات بفضله مكفرات، ولكنما الأصل المذكور هنا: (وليوفيتهم أعمالهم وهم لا يظلمون) توفية عدل، وإن كان هناك فضل فوق عدل، وليس هنا ظلم دون عدل. ثم إن توفية الأعمال؟ هي الوفاء الكامل للعالمين بنفس الأعمال: أبرازاً لصورها وأقوالها المسجلة في مختلف السجلات

الكونية: من أرض بفضاءها، ومن أعضاء العاملين لها أم ماذا (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينه وبينها أمداً بعيداً) (٣: ٣٠) فهي تشهد لك أو عليك يوم يقوم الإلهاد، فتُعذب بها نفسياً أو تتلذذ علي رؤوس الإلهاد، ثم هي تتحول بإذن الله إلي ملكوتها وحقائقها الشريفة أو الخيرة فتُعذب بها نفسها أو تثاب: (هل تجزون إلا ما كنتم تعملون) (٢٧: ٩٠)

(لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد) (وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون) لا ينقصون: عما عملوا من طاعة أو عصيان، وإنما جزاء عدلاً وفاقاً في العصيان، ومع فضل من الله في بعض العصيان تكفيراً وعفواً، ومع الفضل كل الفضل في الطاعات، إذ فلا نقصان لا في طاعة ولا عصيان. ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ (٢٠: ٤٦)

هنا معرض السيئات بعد أن قضى الأمر وأتى دور الحساب: (يعرض الذين كفروا علي النار) كأنهم متاع للنار وكما يجاء بجهنم (وجيء يومئذ بجنهم) (٢٣: ٨٩) وتعرض هي أيضاً للكافرين: (وعرضنا جهنم للكافرين) (١٠٠: ١٨) فانها أيضاً متاع للكافرين هم مشتروها. فبعد أن كملت المعارضة تكمل المعاملة المخالطة، دون مماكثة فإذا زالت الموانع من الجانبين المتاعين بتمام العرض مع بعض وكمال الملائمة، حيث الطينة السجينية لاتلائم إلا السجين، فالنار لاتشتري وتحرق إلا الكفار كما الكفار لا يشترون إلا النار (جهنم

١ . العرض هو اظهار لعدم المانع من تلبس شيء بشيء .

يصلونها وبئس القرار)! .
 عرض و عرض ولكن دون اي خفاء في أي منهما
 كمتاع، فأنتم (يومئذ تعرضون لا تخفي منكم
 خافية) (١٨:٦٩) عرضاً لصوركم بسيزكم
 وأعمالكم وأقوالكم، لا تخفي خافية من
 سيئة ظاهرة أو باطنة، وأما جهنم (وعرضنا
 جهنم للكافرين عرضاً) (١٨:١٠٠): حقيقياً
 لا تخفي منها خافية، فلا مباغته هنا وهناك
 ولا مباغنة (يوم يعرض الذين كفروا على النار
 أليس هذا بالحق) (٣٤:٤٦)؟ وتراهم يعرضون
 عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف
 خفي... (٤٢:٤٥).

فلما تمت المعارضة الحجة الذاتية في
 المتاعين المعروفين، حقت كلمة العذاب،
 وبعد مصارحة الحجة من رب العالمين:
 * اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا
 واستمتعتم بها... *

... * وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من
 الطيبات * (٤٠:٦٤) طيبات خلقت لكم واحلت
 لتكسبوا بها حسنات، وتنموها لعقبى الحياة،
 ولكنكم اذهبتموها في دنيا الحياة،
 مستمتعين بها في الشهوات، مستغلين إياها
 للموبقات، فلم تبق لكم - إذاً - طيبات،
 وإنما خبيثات نذات، اللهم الا من تمتع
 بالطيبات المحللات وأمتع، واستفاد من زينة
 الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق حسب
 شريعة الله، فإن ذلك ليس من اذهب الطيبات.

١ . قد يكون اذهب الطيبات اخلاذاً الي الدنيا فهو
 كفر، او يكون تمتعاً بالحلال دون غفلة عن الآخرة فـ
 * قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من
 الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة
 يوم القيامة * ولكنيه القدرة من اهل الله احياناً
 يتركونها، لاتحريمها لها، وانما زهداً في الدنيا
 وتسكيناً للفقراء وكما يروي عن عمر بن الخطاب قال:
 استأذنت علي رسول الله³ فدخلت عليه في مشربة أم
 ابراهيم وأنه لم يضجع علي حفصة وان بعرضه علي
 التراب وتحت رأسه وسادة محشوة ليفاً فسلمت عليه ثم
 جلست فقلت: يا رسول الله! انت نبي الله وصفوته وخيرته
 من خلقه وكسري وقيصر علي سرر الذهب وفرش الديباج
 ←

❖... قَالَتْ نَمَلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ

لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢١:١٨﴾

خطيبته متأمرة فى شعبها تنادى مَن تحت إمرتها حفاظاً عليهم من التحطم، سياسة قيادية حيادية للذمل الخارج عن مساكنها للحاجة المعيشية: ❖ ادخلوا مساكنكم ❖ عن بكرتكم، كي ❖ لا يحطمنكم سليمان وجنوده ❖ ثم حفاظاً على كرامة سليمان وجنوده وهى تعرفهم كما هم، تعقب على نداءه: ❖ وهم لا يشعرون ❖ إذ لا يرون ما تحت اقدامهم، فلا يحطمونكم عمداً وعداءً، وإنما غفلة لا شعورية! وتعذى



والحرير، فقال رسول الله 3: أولئك قوم عجلت طبيباتهم وهى وشكية الانقطاع وانما أخرجت لنا طبيباتنا. وعن أمير المؤمنين X فى بعض خطبه: والله لقد رقت مدرعتى هذه حتى استحييت من راقعها، ولقد قال لى قائل: ألا تنبذها؟ فقلت: اعزب عذى: فعند الصباح يحمد القوم السرى. وفى الدر المنثور 6: 43 - أخرج احمد والبيهقى فى شعب الايمان عن ثوبان (رض) قال: كان رسول الله 3 اذا سافر كان آخر عهده بانسان من أهله فاطمة وأول من يدخل عليه إذا قدم فاطمة فقدم من غزاة له فاتاها فاذا بمسح على بابها ورأى على الحسن والحسين قلبين من فضة فرجع ولم يدخل عليها فلما رأت ذلك فاطمة ظننت انه لم يدخل من اجل ما رأى فهتكت استر ونزعت القلبين من الصبيين فقطعتهما فبكى الصبيان فقسمته بينهما فانطلقا الي رسول الله 3 وهما يبكيان فأخذه رسول الله 3 منهما فقال: يا ثوبان! اذهب بهذا الي بنى فلان اهل بيت بالمدينة واشتر لفاطمة فلادة من عصب وسوارين من عاج فان هؤلاء اهل بيتى ولا أحب ان يأكلوا طبيباتهم فى حياتهم الدنيا. وفى نور الثقلين انه لما دخل العلاء بن يزيد بالبصرة يعود علياً X قال له العلاء: يا أمير المؤمنين! اشكو اليك أخى عاصم بن زياد، لبس العباء وتخلي من الدنيا، فقال X: عدى به، فلما جاء قال X: يا عدى نفسه لقد استهام بك الخبيث، أما رحمت أهلك وولدك؟ أتري الله أحل لك الطبيبات وهو يكره ان تأخذها؟ انت اهون على الله من ذلك! قال: يا أمير المؤمنين! هذا أنت فى خشونة ملبسك وجشوبة ماكلك؟ قال: ويحك، انى لست كأت، ان الله تعالى فرض على أئمة الحق ان يقدروا أنفسهم بضعفة الناس كيلا تبيغ بالفقير فقره.

❖ وهم لا يشعرون❖ جنوده دون نفسه، ولكنه لا يناسب إضافة سليمان إلي جنوده في ❖ لا يحطمنكم❖ .

وأعجب بنملة من النمل تبرهن نداءها الحيادية بأن ذلك الحشد العظيم من الإنس والجن والطير ❖ لا يشعرون❖ وهى النملة تشعر تحطيمهم لاعتن شعورهم! أدرك سليمان قالة النملة وهش لها وانشرح صدره بها كما يهش الكبير العادل الحنون للصغير الذى يحاول النجاة من أذاه، دون ان يضره إذاه:

❖ فتبسم ضاحكاً من قولها..❖ تبسمة ضاحكة، فرحة بما عرف، وتعجباً مما تعرّفت وقاتلت، وكيف تبسم ضاحكاً وهو دون الضحك آتياً قبله، فلا تبسم حال الضحك كي تصح ❖ تبسم ضاحكاً❖؟ عدّه لأنه تظاهر بحالة التبسم وهو ضاحك، حفاظاً علي سؤدد الملك، تبسماً يخفى ظاهر الضحك فيه إلي باطنه، كيلا يجلب انظار جنوده كيف يضحك سليمان لا من شيء يضحكه؟ إذ لم يسمع قالة النمل إلا سليمان.

لقد شعرت النملة عصمة سليمان واعتصام من فى امرته من جنوده، لحد لا يحطمون النمل قاصدين، فضلاً عن حطم الإنس، فما لأناس - بعد - لم يشعروا أن الأنبياء معصومون؟! وتري النملة ارادت بما قالت الحذار عن حطم النمل بحياتها المادية، ام حيويتها المعنوية إذ خافت هى علي النمل - إذا رأت سليمان وجنوده فى تلك الحشمة العالية أن تتأرجف عما هى عليها فتقع فى كفران نعمة الله، وكما تلمح له قالة سليمان: ❖ اوزعنى ان أشكر..❖ وتحطيم الحيوية اخطر من تحطيم الحياة؟ أم هي مريدة كلا الأمرين، لاندري..

وهنا ندرس أن تحطيم النمل واى حيوان غير مسموح فى شرعة الله اللهم إلا دون شعور، فليشعر الإنسان فى مشيه ألا يحطم دون مبرر، جويماً أو برياً أو بحرياً، وكما ندرس كف الإذي عن كل حيوان، بل ونبات، حالة الإحرام وفى

حرم الله، تنتمرن هكذا حتي نعيش غير محطمين
الضعفاء أياً كانوا وأيان حتي النبات
والحيوان فضلاً عن الجن والإنسان.

﴿فَتَبَسَّمْ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ
وَ عَلَيَّ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ

الصَّالِحِينَ﴾ (١٩:٢٩)

﴿فتبسم﴾ تبسم الفرحة بهذه النعمة
الناعمة أن علم منطق الذمل، فاستفاد منه
التحذر عن تحطيمها ﴿وهم لايشعرون﴾ مما
يشعرنا أن علينا أن نشعر وندرك من حول
أقدامنا، فلا نتمشي تحطيماً غافلاً لذي روح،
فضلاً عما فوقه من تحطيم في تقصّد.

والايزاع هو الحبس عن التفرق، حبس الأول
إلي الآخر والآخر إلي الأول، وهو هنا حبس
طاقات سليمان عن التمزق والتفرق، جمعاً
لجوارجه وجوانحه كلها في شكر الله، وحشراً
لطاقاته كلها في خدمة الله، وهكذا ايزاع
للشكر ليس - بطبيعة الحال - إلا بطريقة
الوحي والإلهام، حيث الإنسان - اياً كان - لو
خلى وطبعه، لا يستطيع أن يجنّد كل طاقاته
وامكانياته في سبيل شكر نعم الله كما يحق
ويليق بساحته.

فسليمان هنا يتطلب الي ربه ان يُلهمه شكر
نعمته، اضافة الي ما تدعوه إليه فطرته
وعقليته وشرعته، شكراً إلهامياً ليس فقط من
مقولة الألفاظ، وليس الشكر - كذلك - قالة
تلفظ، بل هي حكاية عن واقع الشكر بجانحة
أو جارحة، فقد تعني ﴿أوزعني أن أشكر...﴾
هنا ما تعنيه ﴿وجعلناهم ائمة يهدون بأمرنا
واوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة
وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين﴾ (٧٣:٢١)،
ثم ﴿وأن اعمل صالحاً ترضاه﴾ كخلفية لذلك
اليزاع الحبس الإلهام، أو هو مصداق عملي
لشكر بعد مصداقه الروحي، فايزاع الشكر
هنا يحدق علي الشاكر بكل كونه وكيانه،
وأنه الشكر بعينه، بقلبه وقالبه، ولايتيسر

ذلك الشكر التام الطام إلا بإلهام من الرحمن ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾! .
 ﴿اوزعدي أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي...﴾ وهي الوحيدة: - لمكان نعمتك -
 النعمة الرسالية، معرفية وعمدية، ولحد علمنا منطلق الطير ﴿ - ومنطق النمل وسائر الحيوان! وكذلك التي ﴿علي والذى﴾: والذى داود حيث أوتى ما أوتى من ملك الذبوة السامية، ووالدتي إذ ولدتنى من والدى بكل طهارة ونزاهة، دون ما تتقوله التوراة المحرفة، إن سليمان ولد من امرأة أوريا التي اغتصبها منه داود وحاشاه وهو هبة الله لداود ﴿ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب﴾ (٣٨: ٣٠) - ﴿وان له عندنا لزلفي وحسن مآب﴾ (٤٠) فهل إن الهبة الإلهية يولد من امرأة ذات بعل يغتصبها داود؟!
 وان سليمان هو من المشهود لهم بما نقول: ﴿واشهد أنك كنت نوراً في الأصلاب الشامخة والأرحام المطهرة لم تنجسك الجاهلية بأنجاسها ولم تلبسك من مدلهمات ثيابها﴾

١ . ففي صموئيل الثاني الاصحاح ١١ ﴿وكان وقت المساء ان داود قام عن سريرته وتمشي علي سطح بيت الملك فرأي من علي السطح امرأة تستحم . وكانت المرأة جميلة المظنر جداً . فارسل داود وسأل عن المرأة فقال واحد اليست هذه تشبه بنت اليعام امرأة أوريا الحثي . فارسل داود رسلاً واخذها فدخلت اليه فاضطجع معها وهي مطهرة من طمئتها . ثم رجعت الي بيتها وجبلت المرأة فارسلت واخبرت داود وقالت اني حبلي . فارسل داود إلي يواب يقول ارسل الي اوريا الحثي . فارسل يواب اوريا الي داود . فاتي اوريا اليه فسأل داود عن سلامة يواب وسلامة الشعب ونجاح الحرب . وقال داود لاوريا انزل الي بيتك واغسل رجلك - الي ان يقول في احتياله علي اوريا - اجعلوا اوريا في وجه الحرب الشديدة وارجعوا من ورائه فيضرب ويموت . . الي قوله: فلما سمع امرأة اوريا انه قد مات اوريا رجلا نديت بعلها ولما مضت المناحة ارسل داود وضمها الي بيتها وصارت له امرأة وولدت له ابن . . .﴾
 هذا! وفي انجيل متي ١: ٦ - ان داود الملك ولد سليمان من اوريا!
 لافحسب بل داود نفسه ايضاً كما في المزامير ٥١: ٥ : هانذا بالاثم صُورت وبالخطيئة حبلت بي امي!

وما هذه الفرية الوقحة التوراتية المزورة إلا تستراً لأهلها وراءها فيما يفتعلون من دعارات وافتضاحات، وسليمان المفتري عليه يستوزع ربه شكر النعمة الغالية علي والديه كما عليه، ومنها عرض براءته في هذه الإذاعة القرآنية، قضاءً صارماً علي هذه التهم المزورة.

❖ أن اشكر... وان اعمل صالحاً ترضاه ﴿٢٠:٢٩﴾ دون ما لا ترضاه مهما أنا ارضاه، وإنما ❖ صالحاً ترضاه ﴿٢٠﴾ فسليمان الذي يستوزع شكر نعمة الله، ليس ليوقف علي حالة الشكر وقالته، بل و ❖ صالحاً ترضاه ﴿٢٠﴾ جمعاً لشكر العمل إلي شكر الحالة والقالة.

❖ .. وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين ﴿٢٠﴾ هنا وفي يوم الدين، فنراه يضرع إلي ربه بعد ملكه ونبوته بنعمته ان يدخله في الصالحين، وهكذا تكون الحساسة المرهفة بتقوي الله وخشيته، والتشوق إلي رضاه ورحمته في الآونة التي تتجلي فيها نعمته تعالي عليه.

والملاحظ في ذلك المسرح من دعاء سليمان والتجاءه انه لا تزهيه زهوة المُلْك ورعونته، خلاف كل من يزدهي من الملوك والزعماء بكل زهوة وزهرة، فهم يسطون كلما ازدادوا سلطة وقوة، وسليمان يزداد تطامناً في عبوديته وشكر النعمة الربانية عليه قائلاً: رب اوزعني - كل غير موزع: ان اشكر - كانه غير شاكر: وأن اعمل صالحاً ترضاه - كانه تارك أو مقصر: وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين - كانه ليس من الصالحين، حين يتخوف علي نفسه من غلب النعمة ان تنقلب عليه نعمة، ملتجياً إلي ربه مستدعياً أن يثبتته علي الروحية الرسالية ويزداد.

❖ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٢٠:٢٩﴾

❖ الطير ﴿٢٠﴾ هنا هي مختلفها من جنوده المحشورين معه في مسيرته، ولما ❖ تفقد الطير ﴿٢٠﴾ كما تفقد الإنس والجن من جنوده، فلم

يجد الهدهد ❊ فقال مالى لا أرى الهدهد ❊ مما يلمح انه واحد منتخب من الهداهد، ام قائد فى جيش الهدا هد، وتعريفه باللام يخصه بالتفقد، إما لو حدة فى شخصه أم شخصيته القادية^١.

والتفقد هو تعرف فقدان الشيء حين فقده لماذا فقد، ولمكان ❊ الطير ❊ ككل لم يكن تفقده يختص بالهدهد، بل يشمل جنود الطير كلها، فلما لم ير الهدهد من بينها ❊ فقال مالى لا أرى الهدهد... ❊ مما يدل على ان سائر الطير كانت حاضرة لديه وهو يراها - بما فيها سائر الهداهد المجندة - إلا أن تُعنى غيباً آخرون من ❊ كان من الغائبين ❊ ولكنه هنا يعنى الهدهد الخاص، المعين لنوبته فى ذلك العرض.

وقد يلمح ذلك التفقد لمدي اليقظة والدقة والحزم من سليمان فى عرض جنوده، حيث لا يتغافل عن جندي واحد من حشره الضخم الهائل من الجن والإنس والطير، الذى يوزع جمعاً لأوله إلى آخره إلى أوله كيلا يتفرق وينتكت.

وليدرس قواد الجنود من سليمان درسهم فى هذه المراقبة التامة والتفقد الشامل، تحكيماً لعري التجنيد، دونما تغلب ولا تلفت. ❊ فقال ❊ هنا قولة جاهرة أمام الجيوش، ليعلم الجميع ويعرفوا غائبهم، فلو أسره أم اجمل شأن الغائب لكان سابقة سوء لكل الجند إذ لا يُعرف المتخلف بعينه، ❊ فقال مالى لا أرى الهدهد... ❊ ونراه هنا لا يوجه التخلف إلى الهدهد ❊ حين يتفقده فيفقده، أخذاً بالحائطة متهماً نفسه: ❊ مالى ❊ كأنه حاضر

١ . الدر المنثور ٥ : ١٠٥ - اخرج عبد بن حميد وابن ابي حاتم عن قتادة فى الآية قال: ذكر لنا ان سليمان اراد ان يأخذ مفازة فدعا بالهدهد وكان سيد الهداهد ليعلم مسافة الماء وقد كان اعطى من البصر بذلك شيئاً لم يعطه شيء من الطير لقد ذكر لنا انه كان يبصر الماء فى الأرض كما يبصر احدكم الخيال من وراء الزجاج.

و هو لا يراه لنقص فى رؤيته، ام حاجز عن مرئيه، فلما تأكد من سلامة نظره، انتقل الي مرحلة ثانية ❁ ام كان من الغائبين ❁ وقد تلمح ❁ كان ❁ للغياب عن الحضور فى حشر الجنود، أنه ❁ كان من الغائبين ❁ عن الحشر، لا أنه غاب بعد الحضور، وإلا لم يكن لـ ❁ كان ❁ مكان.

كما قد يلمح جمع ❁ الغائبين ❁ أن هناك غيبٌ غير الهدهد، من الجن.

من ادعية سليمان

❖ وَ لَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَ أَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ ❖ (٣٤)

❖ فتنا سليمان ❖ تأشيرة لامعة أن عرض
الصفقات لم تكن فتنة له وابتلاءً، وإلا
فلماذا هنا ❖ فتنا ❖ وهناك ❖ نعم العبد إنه
أواب. إذ عرض عليه ❖ ؟
وتري ما هو الجسد الملقى علي كرسيه ومم
أناب؟

هل هو جسد سليمان نفسه حين مرض لحد كأنه
جسد لا روح له؟ وصحيح التعبير عن المرض هو
المرض، دون الجسد الصريح في ميتة! ثم
❖ وألقينا ❖ دون ضمير يرجع إليه، و ❖ جسداً ❖
مذكراً دون جسده، ثلاثة دالة علي أنه غير
سليمان نفسه!

أم إنه الشيطان الملقى علي كرسيه يحكم
بديله أياماً؟ فكذلك الأمر، ولأنه حي غير
مريض، وإلقاء الشيطان علي كرسى الحكم
الرسالي إلغاء للحكم الرسالي!

أو أنه جسد صبي له كان ❖ استرضعه المزن
خوفاً من بأس الشياطين، فألقاه الله علي كرسيه
جسداً تنبيهاً علي أن الحذر لاينفع من
القدر؟ ولو أن للشياطين مقدرة علي قتله
لقتلوا مسترضع المزن والسحاب! وكيف يخافهم

١ . الدر المنثور ٥ : ٣١٣ - اخرج ابن جرير عن ابن
عباس في الآية قال: الجسد الشيطان الذي كان دفع
سليمان اليه خاتمه فقدفه في البحر وكان ملك
سليمان في خاتمة وكان اسم الجنى صخر! واخرج ابن
جرير عن إسد أن الشيطان حين جلس علي كرسيه
أربعين يوماً... أقول وانها خرافة نكراء هراء!
٢ . الطبرسي روي أن الجن والشياطين لما ولد
لسليمان ابن قال بعضهم لبعض ان عاش له ولد لنلقين
منه ما لقينا من ابيه من البلاء فاشفق X منهم
فاسترضعه المزن وهو السحاب فلم يشعر الا وقد وضع
علي كرسيه ميتاً تنبيهاً علي ان الحذر لاينفع من
القدر وانما عوقب علي خوفه من الشياطين و هو
المروى عن ابي عبد الله X.

ولا مُميت - كما لا محيي - إلا الله!
أو أنه ولد له من واحدة من السبعين امرأة
جاءت بشق ولد، رغم ما هواه أن يؤتي بسبعين
ولد يضربون بالسيف فى سبيل الله ولم يقل إن
شاء الله!

ومهما يكن من شىء فليس الجسد الملقى علي
كرسيه من شأنه حتى يكون شائناً فيه فيستغفر
وينيب، فإنما له صلة بشأن منه، فتنة له فى
غير محظور ولا مشكور.

فالإبتلاءات مختلفة حسب مختلف المبتدئين،
فكما مذهبها جزاءً بما عمل من سوء تنبيهاً
وتخفيفاً عن جزاء، كذلك منه ما يبتلي بها
عباد الله الصالحون ولكي يزدادوا من ربهم
زلفي، فإن أفضل الأعمال أحمرها، فكما
﴿ابتلي إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال انى
جاء لك للناس إماماً...﴾ (٢: ١٢٤) كذلك
يبتلي سليمان بفتنة، فيسأله تعالى بعد
نجاهه ﴿هد لي ملكاً لاينبغى لأحد من بعدى...﴾
فيؤتاه سؤلته ﴿فسخرنا...﴾.

أتراه لأنه عصي ربه إذ يطلب منه ذلك المُلْك
القمة، بديل التوبة؟ وكما قالوه فى عرض
الصفانات الجياد؟!

﴿فتنا سليمان﴾ حين ترك إن شاء الله، وحين
﴿ألقينا علي كرسية جسداً﴾ فما فزع من ذلك
الجسد الذى عكس هواه فى سبيل الله، فلما نجح
﴿استغفر ربه﴾ من ترك المشكور هنا: إن شاء
الله ومن أن يعترضه أى محظور، ﴿ثم أناب﴾
إلى ربه فى استيهاب الملك القمة.

ولماذا الإستغفار من ترك المشكور - إن صح
الحديث أن ترك إن شاء الله - لأن حسنات

١ . تفسير الفخر الرازى ٢٦ : ٢٠٨ - روي عن النبي³
انه قال قال سليمان لاطوفن الليلة علي سبعين امرأة
كل واحدة تأتي بفارس يجاهد فى سبيل الله ولم يقل ان
شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل الا امرأة واحدة جاءت
بشق رجل فجىء به علي كرسية فوضع فى حجره فوالذى
نفسى بيده لو قال: ان شاء الله لجاهد كلهم فى سبيل
الله فرساناً اجمعون فذلك قوله: ولقد فتنا... وأخرجه
البخارى فى صحيحه مرفوعاً عنه³.

الأبرار سيآت المقربين!
وقد يلمح إستيهابه ربه ملكاً لاينبغى لأحد
من بعده أن الجسد الملقى علي كرسيه كان من
يرجوا سليمان أن يرثه ملكه فلما ابتدى
بموته إستبدل به ما هو خير:

❖ قال رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ

الْوَهَّابُ❖ (٣٨:٣٥)

أتراه يدخل في ذلك الإستيهاب الإستيعاب،
فيتطلب ملكاً لاينبغى حتي لخاتم الأنبياء
روحياً، ومن ثم لخاتم الأوصياء زمنياً وروحياً
وهو يصفهما علي البدل كأفضل محبوب كما في
النص العبراني التالي:

❖ حِكْو مَمْتَقِيم وكولو محمديم زه دودي وزه
رعى بنت يرشالام❖ نشيد الانشاد: (١٦:٥)
❖ فمه حلو وكله محمد هذا محبوبى وهذا
ناصرى يا بنات أروشليم❖.

وذلك بعد ما يصف محبوبه بأوصاف فائقة في
آيات سابقة، فكيف له أن يفضل ملكه علي
محبوبه الوحيد؟ كما وأن أباه داود يصف
القائم المهدي X بعدة مواصفات في تصريحات
تحيد عن سواه!

قد لايعنى أثره له علي من ياتي بعده طول
الزمن وحتى في آخر الزمن، بل ❖ من بعدى❖
لصقاً أم طوال الرسالة الإسرائيلية وقد حصل،
فان ❖ من بعدى❖ يعم البعد القريب والبعد
الغريب، ونحن نبعد البعيد ذوداً للدخل عن
ساحة سليمان، وتأشيراً منه وأبيه في الملك
العالمي الأخير للقائم المهدي عليه السلام.
أم يعنى ملكاً لاينبغى لأحد من الملوك بعدى
❖ مأخوذاً بالغلبة والجور واختيار الناس❖^٢

١ . راجع ❖ رسول الاسلام في الكتب السماوية❖ .
٢ . تفسير البرهان ٤: ٤٨ - ابن بابويه بسند عن
علي بن يقطين قال قلت لابي الحسن موسى بن جعفر X
ايجوز ان يكون نبي الله عزوجل بخيلاً؟ فقال: لاقلت له:
قول سليمان X رب اغفر لي وهب لي ملكاً لاينبغى لأحد
من بعدى❖ ما معناه؟ فقال: الملك مُلكان، ملك

وقد حصل فعلاً علي ذلك المُلك، فما ملك أحد بعده ولن يملك زمنياً كما ملك، وأما روحياً فالمسيح ومحمد³ أفضل منه، وأما زمنياً وروحياً معاً؟ فالقائم من آل محمد³ أكمل منه.

أم يعني ❁ ملكاً ❁ في طول مكوثه^١ بين صالحى الملوك وكما هو واقع، فلم يأت حتى الآن ملك يملك طول ملكه.

وعلّ مثلث المعنى هو المعنى إذ يصلح كل معنى صالحاً لذلك الإستيهاب القمّة، والقرآن حمال ذو وجوه فاحملوه علي أحسن الوجوه، والجمع بين الوجوه الحسنّة هو أحسن الوجوه! وقد يخرج المسيح ومحمد³ والمهدى من آل محمد³ عن ❁ لأحد ❁ حيث يعنى - فقط - الملوك بعده، وهؤلاء لم يكونوا ملوكاً مهماً يكون لثالّتهم سلطة فوق كافة السلطات الروحية والزمنية.

فالقائم المهدي^X يعيش عيشة الفقراء فلا



ماخوذ بالغلبة والجور و اختيار الناس وملك مأخوذ من قبل الله تبارك و تعالي كملك ابراهيم وملك جالوت وذي القرنين فقال سليمان: هب لي ملكاً لاينبغى لاحد من بعدى ان يقول انه مأخوذ بالغلة والجور واختيار الناس فسخر الله له.. فعلم الناس في وقته وبعده ان ملكه لايشبه ملك الملوك المختارين من قبل الناس والمالّكين بالغلبة والجور قال فقلت له قول رسول الله³ رحم الله اخى سليمان ما كان أبخله، فقال^X: لقوله وجهان: احدهما ما كان أبخله بعرضه وسوء القول فيه، والوجه الآخر يقول: ما كان أبخله ان اراد ما يذهب اليه الجهال ثم قال: قد والله اوتينا ما اوتي سليمان ولما لم يؤت سليمان وما لم يؤت احد من العالمين قال الله في قصة سليمان: هذا عطاءنا فامنن او امسك بغير حساب وقال عزوجل في قصة محمد³: ما آتاكم الله الرسول فخذوه ما نهاكم عنه فانتهوا. ١. الدر المنثور ٥: ٣١٣ - اخرج الحاكم في المستدرک عن عمر بن على بن الحسين قال مشيت مع عمى واخى جعفر فقلت زعموا ان سليمان^X سأل ربه ان يهبه ملكاً قال حدثنى ابي عن ابيه عن على عن النبى³ قال: لن يعمر ملك في امة نبى مضي قبله ما بلغ بذلك النبى³ من العمر فى امته، اقول قد يعنى قبله قبل محمد³.

يقال عنه: أحد من الملوك، وسليمان النبي عاش كأفضل عيشة الملوك مهما لم تملكه زهوة الملوك!

ف *ملكاً لا ينبغي لأحد* يعم الملوك من غير النبيين حيث لا ينبغي لهم ملك النبوة مهما كانوا عدولاً، والنبيين غير الملوك إذ لم يعطوا ملكاً إلي نبوة، والإمام المهدي الذي أوتي أقوى قوة روحية وزمنية ليس في عداد الملوك ولا النبيين، فلا ينبغي أن يقال له: ملك، لأنه فوق الملوك، وأن عيشته عيشة أفقر الفقراء.

* فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ * (٣٦:٣٨)

طرف من ملكه الذي لا ينبغي لأحد أن سخّرت له الريح تجرى بأمره رخاءً حيث أصاب، فهو إذاً راكب الريح يسوقها كما يسوق ركاب الطائرات.^١

إنها ريح *عاصفة تجرى بأمره إلي الأرض التي باركنا فيها* (٨١:٢١) وهي *غدوها شهر ورواحها شهر* (١٣:٣٤)

أتري لا تُنافي *رخاءً* هنا *عاصفةً* هناك؟ كلا! فإن رخاءً حال جريانها بأمره ألا تستصعب مطاوعة أمره، ثم وقد يتجمع العصف والرخاء، أنها تجرى سريعة تعصف، ولكنها عصفة الرخاء كأن لا حراك لها، رغم أن الإضطراب وشديد الحراك من خلفيات السرعة.

فالريح العاصفة الرخاء كانت له مركبة فضائية لاتشعره بحراك رغم سرعتها الهائلة! *تجري بأمره* كما سخر الله *حيث أصاب* سليمان من هدف يرميه، وأى مكان يعنيه، اللهم إلا أن يشارك عاصفة لمولاه سيد الشهداء الإمام الحسين X فيدور بساطه كما دار.^٢

١ . راجع سورة سبأ من الفرقان تجد تفسيراً مفصلاً لآية الريح.

٢ . تفسير البرهان ٤ : ٥٠ وروي ان سليمان X كان يجلس علي بساطه ويسير في الهواء فمر ذات يوم وهو

وهذه الريح هي من أسباب السماوات والأرض، التي لا تسخر بالعلم، إلا بما يسخر الله لمن يشاء ويرضي، وسوف تسخر هي مع سائر الأسباب - إلا التي تخص ربنا - تسخر لصاحب الأمر عجل الله تعالى فرجه وسهل مخرجه.

❖ وَالشَّيَاطِينَ كُلِّ بَنَّاءٍ وَغَوَاصِّ (٣٧) وَآخِرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ❖ (٣٨:٣٨)

❖ وسخرنا له ❖ الشياطين ❖ يعملون له ما يشاء ❖ كل بناء ❖ منهم في البر ❖ وكل غواص ❖ في البحر، سيطرة شاملة علي البر والبحر! ❖ ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير ❖ (١٢:٣٨) وقرنهم في الأصفاة هو من ذوق عذاب السعير.

❖ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ❖ (٣٩:٣٨)

❖ هذا عطاؤنا ❖ ملكاً لك يا سليمان ❖ بغير حساب ❖: لأحد له عطاء، ولا حساب عليه أجراً ❖ فامنن ❖ صرفاً وعطاءً لمن تشاء وكما تشاء ❖ بغير حساب ❖ - أو أمسك بغير حساب ❖.

أتراه عطاءً فوضي في من أو إمساك بغير حساب؟ كلاً حيث المٌعطي له حساب دون فوضي:

❖ وَإِنْ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنُ مَآبٍ ❖ (٤٠)

فزلفاه عند ربه تمذعه عن فوضي العطاء والإمساك، وحسن مآبه يدفعه ليكون العطاء والإمساك آتبيين إلي الله، فما سليمان - إذاً - أداة لمرضاة الله في ذلك العطاء بغير حساب.



سائر في ارض كربلاء فادارت الريح بساطه ثلاث دورات حتي خافوا السقوط مسكنت الريح ونزل البساط الي ارض كربلاء فقال سليمان للريح لم سكنت؟ فقالت: ان هنا يقتل الحسين X فقال: ومن يكون الحسين؟ فقالت: هو سبط محمد المختار وعلي الكرار فقال: ومن قاتله؟ فقالت: يقتله لعين الله السماوات والأرض يزيد لعنه الله فرجع سليمان يديه ولعنه ودعي عليه وامن علي دعائه الانس والجن فهبت وسارت.

ادعية لأيوب X

❖ وَأَذْكَرُ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَ

عذاب (٤١) ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ❖ (٣٨:٤٢)

أُتْرِي أَنْ اللَّهُ يَسْلُطَ الشَّيْطَانَ عَلَيَّ عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ
أَيُّوبَ أَنْ يَمْسَهُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ، ❖ وَإِنْ عِبَادِي لَيْسَ
لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ❖
وهو ❖ نعم العبد إنه أواب ❖؟

هنالك سلطة ممنوعة للشيطان علي المخلصين
هي علي عقولهم وأرواحهم وأعمالهم، لكيلا
تبطل حجج الله علي عباده، وهنا سلطة ممنوحة
علي أبدانهم وأموالهم هي من الإبتلاآت
الربانية الشاملة لعباد الله الأمثل منهم
فالأمثل.

والسلطة الشيطانية علي أيوب في ربح من
زمن المحنة لم تكن إلا علي الناحية
المادية، وقد بلورت فيها السماحة الروحية
❖ إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب ❖.

فيا لهذا العذاب الجسداني من عذوبة حين
يصبر العبد عليه دونما شكوي ولانكوي، وكما
نراه في سائر الصالحين طول الزمن الرسالي
من مختلف النُصب التي تُنصب لهم، والعذاب
يقصدهم في سبيل الدعوة، أم في طريق
التكلمة الرسالية لتكمل الدعوة، وهذه
الثانية تمثلت لأيوب ❖ بنصب وعذاب ❖.

❖ وأيوب إذ نادى ربه أنى مسنى الضر وأنت
أرحم الراحمين. فاستجبنا له فكشفنا ما به
من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من
عندنا وذكرى للعابدين ❖ (٢١: ٨٣ - ٨٤).

نصان في سائر القرآن يتحدثان عن بلوي
أيوب وصبره عليها، باختصار في الأنبياء،
وفصلاً هنا.

ذلك النبي العظيم الذي طمع الشيطان في
تضليله بنصبه وعذابه، أن يصدّه عن عبادة
ربه أم ينقصه، ولم يصدّه ربه امتحاناً
لعبده، فعمل في ذلك واعتمل ولم يرجع علي

طول المدة وطائل النصب والعذاب إلا خاسئاً وهو حسير!

أجل، وليكن ايوب قبساً وهاجاً في الإيمان، ومثلاً عالياً وحيداً في الصبر واليقين، حيث ينكص الشيطان علي أعقابيه ويجمع شياطينه المردة، ويوحى لهم أن الله ليس ليصدهم عن آية أذي يريدونها بأيوب، فقالوا: نجرده عن أهله وماله وصحة حاله ليعود مجرداً عن إيمانه حيث تشغله بليته بالله هنا يريد الله بذلك السماح إمتحان عبده، ويريد الشيطان إمتهانه ❁ والله غالب علي أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون❁.

ولقد سُلط الشيطان علي قصوره فجعلها قبوراً، وعلّ علي ولده أيضاً فبدلهم ميتاً، وعلي مواشيه وأمواله، وعلي بدنه، فقلبه في حظوظه المادية ظهرياً يظن لا يبقى له شيئاً ولا يذر إلا أطاح به ودمّر.

يريد الشيطان ليضطر عبد الله أيوب إلي اختراق ثوب الإصطبار إذا تهدمت عليه أركان حياته، في ماله وأولاده ودوره وحاله، ويريد الله ليجعل من أيوب عبداً صبوراً أو ابناً شكوراً، تصبح قصته ذكري للعابدين وعبرة للمصابين، وعزاء للمكروبين، وسلوي للمرضي والزمني والمجروحين.

مرت الايام، وتجدرت الاعوام وايوب لا يزال علي شكاته حتي هزل جسمه وذهب لحمه، وأصبح منقوف الوجه شاحب اللون، لا يقر علي فراشه من الآلام.

فرّ عنه الصديق، وجانبه الرفيق، ورغبت عنه شيعته ومن حوله إلا زوجه الرؤوف العطوف الحنون حيث تحذنت عليه ما وسع قلبها الحنان، وعذبت به ما استطاعت إليه سبيلاً، وزفت عليه بجناحيها، وبسطت له أكناف قلبها، وما شكت إلا هموماً تساورها من آلامه، ومخاوف تتحذرهما علي حياتيه، ولكنها ظلمت أيام مرضه حامدة راضية، مؤمنة محتسبة. لهذا أعيي أمر ايوب عبد الله إبليس عدو الله،

ولم يجد إليه سبيلاً إلا من قبل زوجته، فانطلق إليها وهي في بعض شأنها مع أيوب، فتمثل لها رجلاً وقال: أين زوجك؟ قالت: هوذا عميداً وقيذاً، يتضور من الحمي، ويتقلب مما ألح عليه من الداء، فلا هو حي ولا هو ميت.

هنا طمع اللعين في إغوائها فأخذ يذكرها بما كان لزوجها في صدر شبابه وخصاصة إهابه من صحة وعافية ونعمة صافية، فاعادت لها الذكرى الأشجان، وأثارت لديها كوامن الأحزان، ثم أخذ يدركها الضجر وينساب إلي قلبها اليأس فذهبت إلي أيوب قائلة:

حتي متي تعذب، أين المال؟ أين الجمال، أين الحال والعيال، أين شبابك الزاهب، أين عزك القديم؟! فأجابها قائلاً: أراك قد سؤل لك الشيطان أمراً، أترك تديكين علي عز فانت، وولد مانت؟

فقلت: هلا دعوت الله أن يكشف عنك حزنك ويزيح بلواك؟

قال: كم مكثت في الرخاء؟ قالت: ثمانين، قال: وكم في البلاء؟ قالت سبعاً.

قال: أستحي من ربي أن اطلب إليه كشف بلائي، ولمّا قضيت فيه مدة رخائي، ولكن يخيل لي أنه قد بدأ يضعف إيمانك، ويضيق بقضاء الله قلبك، ولئن برئت وأتتني القوة لأضربك مائة سوط، وحرام علي أن آكل من يدك بعد اليوم طعاماً أو أشرب شراباً، أو أكلفك أمراً، فاغربي عني حتي يقضى الله أمراً كان مفعولاً!

أصبح أيوب - الآن - وحيداً فريداً وقد اشتدت الآمه، وتضاعفت أسقامه، ففزع إلي ربه داعياً متحنناً، لاشاكياً متبرماً ف ﴿نادي ربه أني مسنى الشيطان بنصب وعذاب﴾ ﴿إني مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين﴾ (٨٣:٢١) وذلك في آخر الإمتحان، وكما تدل الآية التالية ﴿أركض برجلك﴾ استجابة دون فصل!

يشكوا إلي ربه الرحيم من الشيطان الرجيم دون أن يصارحه في كشف ضره، وإنما عرضاً

لحاله ❁ أنى مسنى الشيطان..❁ وقرناً لرحمته تعالى إلى حاله ❁ وأنت أرحم الراحمين❁ فإن رأيت فارحم عبدك، وإلاً فأنا من الصابرين، فاستجاب له ربه فور عرضه ❁ أركض برجلك..❁. أجل! ولحد الآن يصمد أيوب لوسوسة الشيطان، فيرتقى إلى ذروة الإيمان ❁ إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب❁. ❁ أركض برجلك❁ - وليس الركض حسب العادة إلا برجل فذلك لمحة إلى مدي مرضه لحد لم يك يمشى برجل، ولكنه الآن ❁ أركض برجلك❁ عدواً قفزة أولى إلى الصحة، ثم وثانية إلى العافية ❁ هذا مغتسل بارد وشراب❁ فلم يكن يسطع قبل لاغتسال ولاشرب شراب.

فما شرب واغتسل حتي اندملت قروحه ظهر بطن، وبرئت جروح، وكان بارد الماء كان مرحماً ملحماً، رغم أنه يضر بالجروح فى عادية الأحوال!

ولقد كانت زوجته رق قلبها وحدثت عليه ولم تطاوعها نفسها الكريمة الحنونة أن تتركه وشأنه، وقد لزمته منذ أول بلائه علي طول المدة وطائل المحنة، فرجعت إليه كعادتها تعاود إصلاح شأنه فتري عجباً حين تري شاباً مكتمل الشباب، غض الإهاب، مكنز اللحم، وافر المنة والقوة، فحمدت الله علي ما ردت إليه من عافية.

فهل إن ايوب يتركها ويستبدل بها غيرها، بعد أن يضربها مائة سوط كما عهد من ذى قبل؟ ما هكذا الظن به ولا المعروف من فضله، أن يتناسى حنانها الدائب، وحضورها الواصب. وحين لا يتركها فماذا يفعل بعهدده عليها وهو بلاء علي بلاء وعناء علي عناء، إذا يأتي الوحي الحبيب من الحبيب:

❁ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْتًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُتْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ

أَوَّابٌ❁(٤٤:٣٨)

خذ حزمة من القش والريحان تشتمل علي مائة باقة وا ضرب بمجموعها زوجك مرة واحدة،

حفيداً رقيقاً رقيقاً، رخصة لك في يمينك،
ورحمة بهذه المخلصة الصالحة التي احتملتك
في مرضك، وشاركتك في الألم!

ولئن سئلنا كيف يتلى ايوب بمثل هذه
البلدية التي تنفّر عنه الطباع، أ بذنب؟
والأنبياء لا يذنبون، أم بغير ذنب فأسوء
وأنكى، ومن لزامات الرسائل بقاء الرسل في
حالة جذابة غير مذفرة، والروايات تقول
أصبح بدنه كله منتناً مدوداً.

فلنضرب بروايات متخلفات ومختلقات تمس من
ساحة نبي الله ايوب وتنتقص من سماحته -
نضربها عرض الحائط، كما هو مصير آيات
مختلقات متناقضات في العهد القديم، فقد

١ . ففي حين يصفه حزقيال ١٤ : ١٤ و ٢٠ بكمال
العبودية والایمان وانه تحمل الوان الرزايا صابراً
محتسباً - و: ليس كمثله احد في كمال الاستقامة
والتقوي (ايوب ١ : ٨ و ٢ : ٣ و ٣٨ : ١ و ٤٠ : ١ و ٦ :
٤٢ : ٧).

نجده يصفه بما يناقضه: * قد كرهت نفسي حياتي،
اسئب شكواي، اتكلم في مرارة نفسي قائلاً لله: لم
تستأذنين، فهمني لماذا تخا صمني؟ احسن عندك أن
تظلم، أن ترذل عمل يديك وتشرف علي مشورة الاشرار،
الك عينا بشر ام كنظر الانسان تنظر.. حتي تبحث عن
إثمي وتفتش علي خطيئتي، في علمك إنني لست مذنباً ولا
منقذ من يدك.. ان ارتفع تصطادني كاسد ثم تعود
وتتجبر علي، تجدد شهودك تجاهي وتزيد غضبك علي،
نوب وجيش ضدي فلماذا اخرجتني من الرحم... (ايوب
١٠ : ١ - ٨)

اشكوه بمرارة نفسي... قد ذبت لا الي الأبد احيا..
ما هو الانسان حتي نعتبره ونضع عليه قلبك وتتعهد
كل صباح و كل لحظة تمتحنه، حتي متي لا تلتفت عني
ولا ترخييني ريثما ابلع ريقى.. لماذا جعلتني عاثورا
لنفسك علي نفسي حملاً... (ايوب ٧ : ١١ - ٢١).

فاعلموا ان الله قد عوجني ولف علي احبولته، ها اني
اصرخ ظلما فلا استجاب، ادعوا وليس حكم، وقد حوط
طريقي فلا اعبر، وعلي سبيلي جعل ظلاما، ازال عني
كرامتي ونزع مخ رأسي، هذ مني من كل جهة فذهبت،
وقلغ مثل شجرة رجائي، واضرم علي غضبه وحسبني
كاعداء معاً جاءت عزائه واعدوا علي طريقهم وحلوا
حول خيمتي، قد ابعد عني اخوتي، ومعارفي زاغوا
عني، اقاربي قد خذلوني، والذين عرفوني نسوني،
نزلاء بيتي وامنائى يحسبونني اجنبياً، صرت في
اعينهم غريباً... نكهتني مكروهة عند امرأتي، وقممت
عند ابناء احشائي، الاولاد ايضاً رذلوني، اذا قممت
يتكلمون علي كرهني كل رجالي والذين احبهم انقلبوا



طغت إسرائيليات في رواياتنا هناك فشوهت الحقيقة الناصعة التي أتت بها القرآن العظيم، ولا نؤمن إلا بما جاء نصه في الذكر الحكيم.

والقول الفصل في الجواب في أصوب الصواب تجده عند باقر العلوم X: ❁ ان ايوب X ابتلى من غير ذنب، وإن الانبياء لا يذنبون، لأنهم معصومون مطهرون، لا يذنبون ولا يزيغون ولا يرتكبون ذنباً صغيراً ولا كبيراً، وان ايوب X مع جميع ما ابتلى به لم ينتن له رائحة ولا قبحت له صورة، ولا خرجت منه مدة من دم ولا قيح ولا استقره احد رآه، ولا استوحش منه احد شاهده، ولا تدود شيء من جسده، وهكذا يصنع الله عزوجل بجميع من يبتليه من أنبيائه وأوليائه المكرمين عليه، وإنما اجتذبه الناس لفقره وضعفه في ظاهر أمره لجهلهم بماله عند ربه تعالى من التأيد والفرج، وقد قال النبي 3: أعظم الناس بلاءً الانبياء ثم الأمثل فالأمثل.

ابتلاه الله بالبلاء العظيم الذي تهون معه علي



علي عظمي قد لصق بجسمي ولحمي ونجوت بجلي اسناني، ترافوا ترافوا انتم علي يا اصحابي، لأن يدالله قد مستني، لماذا تطاردوني كما الله، ولا تشبعون من لحمي، ليت كلماتي الآن تكتب، يا ليتها رسمت في سفر ونقرت الي الأبد في الصخر بقلم حديد وبرصاص... ❁ (١٩: ٦ - ٢٤).

❁ من يعطيني اجده فآتي الي كرسية، احسن الدعوي امامه، وأملاً فمي حججاً فأعرف الأقوال التي يجيبني وافهم ما يقوله لي... ها أنذا اذهب شرقاً فليس هو هناك وغرباً اشعر به، شمالاً حيث عمله فلا انظره، يتعطف الجنوب فلا اراه ❁ (٢٣: ٣ - ٨) ❁ حي هو الله الذي نزع حقي والقدير الذي امر نفسي ❁ (٢٧: ٢). هذا! ولكن ربه يناقضه في هذه التهم ❁ فقال الرب للشيطان هل جعلت قلبك علي عبدي ايوب لانه ليس مثله في الأرض رجل كامل ومستقيم يتقى الله ويحيد عن الشر ❁ (١: ٨) ❁ الي الآن هو متمسك بكما له وقد هيجتني عليه لأبتلعه بلا سبب (٢: ٣) فانظر الي هذه الشطحات المتناقضات في التوراة والروايات المتأثرة بها ثم انظر الي القرآن الحكيم فاقض ما انت قاض.

جميع الناس، لئلا يدعوا معه الربوبية إذا شاهدوا ما اراد الله أن يوصله إليه من عظام نعمه متي شاهدوه، وليستدلوا بذلك علي ان الثواب من الله تعالى ذكره علي ضربين استحقاق واختصاص، ولئلا يحتقروا ضعيفاً لضعفه، ولا فقيراً لفقره، ولا مريضاً لمرضه، وليعلموا انه يُسقم من يشاء، ويشفى من يشاء متي شاء باي سبب، ويجعل ذلك عبرة لمن شاء، وشقاوة لمن شاء، وسعادة لمن يشاء، وهو عزوجل في جميع ذلك عدل في قضائه، وحكيم في أفعاله، لايفعل بعباده إلا الأصلح لهم ولا قوة لهم إلا به^١.

ثم في ❀ إذ نادى ربه ❀ تلميحة أنه ناداه استرحاماً تربوياً كما يراه الرب صالحاً دونما اقتراح عليه أمراً، إلا ❀ أنى مسنى الشيطان بنصب وعذاب❀، هنا و ❀ أنت أرحم الراحمين❀ في الأنبياء .
و ❀ نُصِبُ❀ هي مختلف التعب ❀ وعذاب❀ فوق التعب وقد عبر عنهما في الأنبياء بـ ❀ أنى مسنى الضر❀ .

وقد يعم ضره الدعاية علي رسالته تذرماً إليها بمرضه وذهاب ماله وولده، وذلك صورة عامة عن السيرة الرسالية لسائر المرسلين: ❀ وما أرسلنا من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته❀ (٥٢:٢٢) .

وقد يعنى النصب سائر أتعابه الظاهرية، و ❀ عذاب❀ هو العذاب الروحي حيث كان الشيطان يذفر خدصائه القلائل وحتى زوجته الحنون، فيؤذيه ضلالهم أشد مما يؤذيه ضره! .
إن الله تعالى عافاه بمغتسل بارد وشراب فور دعائه ، لافحسب، بل:

❀ وَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِأُولَى الْأَلْبَابِ (٤٣) وَخُذْ

١ . تفسير البرهان: ٤ : ٥٣ - ابن بابويه القمي بسند عن جعفر بن محمد عن ابيه X.

بِيَدِكَ ضِعْفًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٤:٣٨﴾
 * أهله * تشمله زوجته، وبأحري من سائر أهله، وقد كانت معه طيلة مصابه، فكيف وهبنا له أهله * ثم ماذا تعنى * ومثلهم معهم ؟

هذه الوهبة الربانية تشير إلي انفصاله بينه وبين أهله ضمن مصابه الوا صل إلي قمته، فرجعها الله إليه قبل دعاءه - كما رجع سائر أهله، ثم أتم وهبتها إليه بعد إستجابته، حيث لم يرفضها، وعالج موقفه من يمينه أن يضربها ولا يحنث.

ثم الميئون من أهله خلال المحنة أحياءم الله وهم تدمة من أهله، وعلّ مثلهم معهم عديد كأمثالهم ماتوا من ذى قبل فأحياءم معهم^١ *رحمة منا* زائدة علي رحمة حصلت * وذكري لأولى الأبواب أن الله لا ينسى الصابرين يوم الدنيا كما لا ينسأهم يوم الدين.

ولأن النص لا يشير إلي إحياء ميت من أهله، ولا أنهم أو بعضهم ماتوا في هذه الفتنة، وأن * وهبنا * بعيدة عن إحياء، فقد تعنى الهبة إرجاع أهله إليه كما كانوا قبل الإبتلاء، ثم أولد له مثلهم معهم.

ثم وفي أخذ الضغث - أن يضرب به ولا يحنث - دليل أنه كان ما حلف به مسموحاً له غير ممنوع، تأديباً لزوجه في محذته، إلا أنها لما رجعت عما صدر منها خفف الله عنها، وليس ذلك حيلة شرعية فان الله ليس ليحتال لنفسه وهوطرف الحلف، وإنما احتراماً للحلف والحالف والمحلوف له كضابطة ثابتة في كافة الإلتزامات، أن يحافظ عليها، مهما يخفف عن وطئتها حينما يخف سببها.

١ . تفسير البرهان ٤ : ٥٢ محمد بن يعقوب باسناده عن يحيى بن عمران عن هارون بن خارجه عن ابى بصير عن ابى عبد الله X فى الآية قلت: احيى له ولده كيف اعطى مثلهم معهم؟ قال: احيى له من ولده الذين ماتوا قبل ذلك باجالهم مثل الذين هلكوا يومئذ.

وفى ذلك لمحة إلى مدي التخفيف عن مجازاة المجرمين، حين يخف الإجمام، أم فى العقوبة زيادة على الإستحقاق كما فى الزانيين الذين لا يتحملان الحد المقرر لهم أو مرض^١.

١ . الدر المنثور ٥ : ٣١٧ - أخرج احمد و عبد بن حميد و ابن جرير و الطبراني وابن عساكر عن سعد بن عبادة قال: كان فى ابياتنا انسان ضعيف مجدع فلم يرع اهل الدار الا وهو علي امة من اهل الدار يعبت بها و كان مسلماً فرفع سعد شأنه الي رسول الله³ فقال: اضربوه حده فقالوا يا رسول الله³ انه اضعف من ذلك ان ضربناه مائة قتلناه! قال: فخذوا له عثكالا فيه مائة شمراخ فاضربوه ففعلوا! أقول: ان صح النقل فلا بد من اثبات شرعى للزنا حتى يحكم الرسول³ بما حكم وهنا روايات اخرى بالفاظ اخرى يجمعها التخفيف عن الضعيف.

دعاء من زكريا

﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ (٨٩)

إن قصة ولادة يحيى العجيبة مضت في سورة آل عمران ومريم، وهنا ﴿لاتذرنى فرداً﴾ استدعاء لولد ﴿فهب لى من لدنك وليا يرثنى ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيعاً﴾ (٦:١٩). ولما كانت هذه الوارثة المطلوبة توهم أن لولاها لم تكن هناك وراثة والله خير الوارثين، يُلحَق دعاءه بتلك الوراثة الإلهية، وأنه يطلب وارثاً من جنسه حتى يرثه فى حمل الرسالة الإلهية، فحتى ان لم ترزقنى ولدأ فـ ﴿انت خير الوارثين﴾ وان رزقتنيه ايضاً فـ ﴿انت خير الوارثين﴾.

﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي

الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ (٩٠:٢١)

﴿واصلحنا﴾ زوجه عن عقرها اذ كانت عاقراً، ثم ﴿ووهبنا له يحيى﴾ من قبل، قد تعذى فيما عنت إصلاح حاله عند كبره عنه اذ ﴿قال رب انى وهن العظم منى و اشتعل الرأس شيباً... و انى خفت الموالى من وراثى وكانت امرأتى عاقراً فهب لى من لدنك ولياً﴾. هذه تبين لنا ان المسارعة فى الخيرات والدعاء رغباً ورهباً والخشوع لله، إن فى ذلك مادة الإجابة الخارقة للعادة فى الأدعية الصالحة، وكما نرى السابقين والمقربين وشرطاً من اصحاب اليمن تستجاب لهم دعواتهم العجيبة.

والعبادة رغباً ﴿هى الرغبة فى الله ثواباً و لقاءً ورضواناً، و رهباً﴾ هى الإشفاق من الله خوفاً ورهباً وفرقاً منه، والدرجة العليا من الرغب والرهب تناسب السابقين والمقربين الذين يعبدون الله حباً له، ثم سائر الناس

عبيد ❀ رهباً ❀ ام تجار ❀ رغباً ❀^١.
❀ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً

لِلْعَالَمِينَ ❀ (٩١:٢١)

والروح المنفوخ فيها هو المسيح، وفي الطلاق ❀ ومريم ابنت عمران التي احصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا... ❀ (١٢) بياناً ان الموضوع المنفوخ فيه الروح منها هو فرجها لا سواه، فصلناه في محالها الانسب كالطلاق وسواها.

وتري كيف جُعلا هما ❀ آية للعالمين ❀ لا ❀ آيتين ❀ والمسيح بنفسه آية إلهية بما معه من آيات؟ القصد من ❀ آية ❀ هنا هي الذاتية الكونية، وهذه الولادة المنقطعة النظير آية واحدة، قائمة بكلتا الولد والوالدة، لولا احدهما لم يكن الآخر آية، اذا فهما آية نظراً الي هذه الولادة القائمة بهما كليهما، آية واحدة فذة في تأريخ الإنسان علي مرّ الزمان، و مثل واحد من ذلك النوع يكفي تماماً للإنسانية في اجيالها علي طولها وعرضها في سماءها وارضها، لمساً معرفياً وواقعيّاً ليد القدرة الطليقة المطلقة الالهية التي تخلق النواميس، دون حصر واحتباس داخل النواميس!

و ❀ روحنا ❀ هنا هي روح المسيح اضافة الي جسمه وقد جرت من مجراها في مريم نفخاً دون علوق من ذكر، ولا انتقال من طبق إلي طبق، واضيفت الي الله لمزية الاصطفاء بالتكريم والاختصاص بالتعظيم في بعدى خرق العادة لخلقها، والميزة علي سائر الارواح، اللهم

١ . نورالثقلين ٣ : ٤٥٧ في كتاب الخصال عن يونس بن ظبيان قال قال الصادق X ان الناس يعبدون الله علي ثلاثة اوجه فطبعة يعبدونه رغبة في ثوابه فبتلك عبادة الحرصاء وهي الطمع وآخرون يعبدونه فرقا من النار فبتلك عبادة العبيد وهي الرهبة ولكني اعبدته حيا له فبتلك عبادة الكرام .
اقول: ولان هؤلاء الرسل هم من الكرام فعبادتهم رغباً ورهباً لاتعني ما عنته هذه الرواية .

إلا التي فضّلت عليها كروح محمد والمحمديين
من عترته الطاهرين صلوات الله عليهم اجمعين.

دعاء زكريا

٢

﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ

الدُّعَاءِ﴾ (٣٨:٣)

انه لم تكن حتي الآن لزكريا ذرية، وطبيعة الحال في الدعاء انها عند انقطاع الرجاء، وانقطاع الأسباب المتعددة لحصول المدعو له، ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي﴾ الذي ربيتذني بالتربية الرسالية وهي خارقة العادة ﴿هُبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ كخارقة أخرى.

و ﴿مِنْ لَدُنْكَ﴾ استيهاب من رحمته اللدنية الخاصة، ليست كالعادة باسبابها العادية ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ فهو - اذاً - تطلب لخرق الأسباب المألوفة في الإيلاد.

فقد حمل زكريا ﴿هُنَالِكَ﴾ مظهراً من مظاهر طلاقة المشيئة الإلهية، الطليقة عن المألوف، رغم ما نحسبه قانوناً لايتخلف فنشك - اذاً - في كل حادث خارج عن نطاق هذا القانون المزعوم!.

فها هو زكريا الشيخ الكبير وزوجه - العاقران - اللذان لم يلدوا في صباهما، هنالك تجيش في قلبه الرغبة في ذرية طيبة هبة من عند الله، وحق له وهو يري بين يديه مريم العذراء الصالحة الرعناء: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ. فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ (٩٠:٢١) - ﴿ذَكَرَ رَحْمَةً رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا. إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا. رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا. وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا. يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾. (٦:١٩)

﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيحْيَى مُصَدِّقًا
بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَوَعْدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (٣٩:٢)

﴿هنا﴾ نادته الملائكة وفي مريم ﴿يا
زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى..﴾ (٧) ولامنافة بينهما فان الملائكة هم وسطاء في
ذلك البلاغ المبين.

والتبشير هنا يحمل مواصفات اربع ليحيى:
﴿مصدقاً بكلمة من الله﴾ هي المسيح عيسى بن
مريم، فانه كلمة قالها من قبل وكلمة دالة
علي الله تكوينياً حيث ولد دون أب، وكلمة
رسولية حيث تدل علي الله بربانية اعماله و
فعاله وقاله، وكلمة رسالية تكلم بها
المرسل اليهم، مربع الكلمات يحملها
المسيح X ولم يحملها كلها سائر الخلق
اجمعين، فقد ولد دون اب ولادة منقطعة
النظير في تاريخ الانسان، وادم لم يكن
وليداً حتي يكون هو الاول في تلك الولادة،
فانما خلق من تراب.

وليس كونه كلمة آية خارقة للعادة من حيث
الولادة، ليفضله علي سائر الرسل، إذ إنها
آية اقوي من سائر الآيات المبصرة لأن بني
اسرائيل هم أغوي من سائر الامم، ثم آية
القرآن هي اقوي الآيات الرسولية والرسالية
علي الاطلاق لانها تحلق علي كافة المكلفين
منذ بزوغها الي يوم الدين.

﴿وسيداً﴾: عظيماً في الحقل الروحي علماً
وتقياً، يمتاز عن كل رجالات العلم والتقوي،
الرساليين و ﴿سيداً﴾ في كل حقول السيادة
الصالحة.

فالتصديق بكلمة من الله، والسيادة اللآيقة
للقيادة، والحصر عن كل الشهوات، كل هذه من
الشروطات الأصيلة للنبوّة حيث تجتمع
القيادتين: الروحية والزمنية.

﴿وحصوراً﴾ مبالغة الحصر، وهو الحصر عن
الشهوات محرمة ومرجوحة، دون الراجعة في
شرعة الله كالزكاح، خلاف ما يهرف بشأنه تبجيلاً

له وتخجلاً لكل هؤلاء الذين تزوجوا من نبيين وسواهم من الصالحين، لا! وانما ﴿حضوراً﴾ نفسه عن الشهوات والدهوات من المحرمات والمرجوحات، وحصوراً كل وجه بكل وجهه إلي الله، فهو حضور في ﴿لا إله﴾ ثم حضور في ﴿إلا﴾ حسراً عما سوي الله وحصراً في الله.

والحديث الخبيث المفتري علي الرسول الطاهر الامين 3، المحلق للذنب علي الكل إلا يحيى X لأن ذكره مثل هدبة الثوب مضروب عرض الحائط حيث يمس من كرامة الخالق للبعورات والشهوات المحللة، ومن كرامة الصالحين الناكحين حلاً!

اجل! وقد تعنى ﴿حضوراً﴾ فيه فيما تعنيه، تركه - كما المسيح X - للزواج علي شبقه، ترجيحاً لتقدم الدعوة الرسالية علي تحقيق الشهوة المحللة، اذ لم تكن ظروفه لتسمح له بالجمع بين الزواج وتحقيق الرسالة، معاكساً لمحمد 3 حيث اقتضت ظروفه الرسالية زواجاً وأكثر من الأربع المسموح للأمة، تحقيقاً حقيقياً لكرامة الرسالة بضم عوائل كثيرة الي خضمه إذا نسبة الصهرية الي العرب تجذبهم اكثر.

١ . الدر المنثور ٢: ٢٢ - أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن عساكر عن عمرو بن العاصي عن النبي 3 قال: ما من عبد يلقي الله إلا اذنب إلا يحيى بن زكريا فإن الله يقول: وسيداً وحصوراً، قال أقول: ولا يرجي من ابن العاصي إلا هكذا اختلاق معادى علي رسول الهدي 3.

واختلاق آخر جفاظاً علي ﴿حضوراً﴾ له إيجاباً وعلي غيره سلباً، أخرجه الطبراني عن أبي أمامة قال قال رسول الله 3 أربعة لعنوا في الدنيا والآخرة وامنت الملائكة رجل جعله الله ذكراً فأنت نفسه وتشبه بالنساء وإمرأة جعلها الله أنثى فتذكرت وتشبهت بالرجال والذي يضل الأعمي ورجل حضور ولم يجعل الله حضوراً إلا يحيى بن زكريا، أقول: ذكره حضوراً في الذكر الحكيم دليل أنه من كمالته الممتازة فنفيه إذا نقص وعوداً بالله من هذه الجهالة المزدوجة!

وفي نور الثقلين ١: ٣٢٥ عن المجمع ﴿حضوراً﴾ ولايات النساء وهو المروي عن أبي عبد الله X.

اذاً ف ❊ حصوراً ❊ المطلق علي كل داعية الي الله تخلتف ظروفه وطقوسه فيـ البعض من مصاديقه، فكما النكاح راجح ام واجب احياناً، كذلك هو مرجوح او محرم احياناً أخرى، والحصور هو الذي يتابع صالح الدعوة وفقاً لظروفها المواتية المناسبة. ❊ ونبياً من الصالحين ❊ وتري هناك انبياء غير صالحين حتي يوصف هنا ❊ نبياً ❊ بـ ❊ من الصالحين ❊؟

كلاً، حيث يعنى ❊ نبياً ❊ رفيع الدرجة، ولأن رفعة الدرجة درجات هنا يقيد بـ ❊ من الصالحين ❊ يعنى المرسلين، حيث المرسلون درجات والنبيون منهم أرفع شأناً وأنبي مكانة ويحيي منهم، كما و ❊ من الصالحين ❊ آباء وامهات منذ آدم الي زكريا. فلقد استجيبت الدعوة الحانية، المنطلقة من القلب الطاهر الحاني، الذي علق رجاءه بسميع الدعاء، وهو يملك الإجابة كيف يشاء حيث يشاء، استجيبت في ❊ يحيي ❊ الذي ❊ لم نجعل له من قبل سميماً ❊ - ❊ مصدقاً بكلمة من الله ❊ اسمه المسيح عيسي بن مريم ❊ وسيداً ❊ كريماً ❊ وحصوراً ❊ يحصر نفسه عن الشهوات الباطلة ويملك زمام نزعات من الانفلات، ❊ ونبياً ❊ رفيع المنزلة ❊ من الصالحين ❊ الرساليين.

ذلك! ولكننا نسمعه كأنه يستغرب ما استقر به الله، استغرباً عن عقره وزوجه لا عن رحمة الله:

قال رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ

يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (٢: ٤٠)

ولكن ❊ أني ❊ سؤال عن زمن تحقيق البشارة، وليس استفهام انكار واستعباد عندها، فلم يقل ❊ كيف - او - اين ❊ وانما ❊ أني ❊ - ولكي لا تتأخر أكثر مما تأخرت يعرض حاله ❊ وقد بلغني الكبر ❊ وحال زوجته ❊ وامراتي عاقر ❊ فاجيب من فوره بتأكيد البشارة ❊ قال

كذلك ﴿البعيد البعيد عن حساب الناس، العظيم العظيم عند الله﴾ الله يفعل ما يشاء ﴿دون رادع ولا مانع، فانما امره اذا اراد شيئاً ان يقول له كن فيكون... فلا ينسب إلي اى عاقل فضلاً عن نبي ان يستبد من رحمة الله ما رجاه ودعاه، ولقد كانت﴾ أني ﴿فى موقعها حين يري ان البشارة واقعة موقعها - اذ يبتهج بجدارته لها فوزاً بحظوتها، حاصلها علي مزيتها، فتطلب زمن تحققها، عالماً انه يورق الهشيم ويستنتج العقيم.

وهذه طبيعة الحال لمن بشر بما يتمناه، وهى غريبة عن حاله علي رجاءه أن يولد له فرط السرور عند أول ما يهجم علي سمعه ما تقاضاه، استعنافاً فى المعرفة وزيادة فى الاستبانه، ولا أقل من استعلام زمن الهبة المبشرة.

اجل ﴿وقال رب أني يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقراً وقد بلغت من الكبر عتياً﴾ (٨:١٩) عرضاً لحاله البعيدة عن هذه الرحمة الغالية، بعد أن دعا ربه ﴿هب لى من لدنك﴾ وهو الرحمة اللدنية الخاصة، البعيدة عن المألوف تكويناً وتشريعاً، وهذه شيمة كريمة من الصالحين فى دعاءهم عرضاً لفقرهم وغناهم، واستعراضاً لسلب اهليتهم فى انفسهم رجاء رحمة الله.

فما اقبحه تاويلاً عليلاً قليلة القائل: ان الله لما بشره بالولد - وكان عنده أن العاقر لاتلد - والعقيم لا تنسل - اعترضه الشيطان حين نادته الملائكة ان ما سمعه انما هو منه لا منهم، فشك فيما بشر.

دعاء من المسيح X

❖ إِذْ قَالَ الْخَوَارِثُونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٥:١١٢﴾

فلقد أوحى الله إليهم أن آمنوا عند هذه القالة الغائلة فقالوا ❖ آمنا واشهد بأننا مسلمون ❖ وعله بعد سابق الآيات الرسولية للمسيح X.

وتري الموحى إليه بالرسالة لمحور الرسالة ❖ هل يستطيع ربك ❖ شكاً في إستطاعة الله، وهتكاً في التعبير عن الله بـ ❖ ربك ❖ دون ❖ الرب - أو - ربنا - أو - رب العالمين ❖ فكان جوابهم ❖ إتقوا الله إن كنتم مؤمنين ❖ حيث هُددوا توبيخاً بعدم الإيمان الصالح لحد الأيمان. وتوجيه الآية بما يعارض نصها قبيح، مثل ❖ هل تستطيع ربك ❖^١ زعماً أنها تعذى هل تستطيع أن تطلب من ربك أو ❖ هل يطيعك ربك ❖^٢ سناداً لهما إلي معصوم، ذلك تزييف للثقل الأكبر فرية عليه بالثقل الأصغر، ولا سيما في الآخر فإنه يجعل الله في طوع عبده!

وذلك للحفاظ علي زعم رسالتهم، فقد أولوا الإ استطاعة بمعني الإطاعة، والإطاعة بمعني الطوع، والطوع بمعني الرضا، سلسة من التأويلات العليلة في ❖ هل يستطيع ❖ حتي يستطيعوا الحفاظ علي عصمة متخيلة للحواريين!

و هذه من التأويلات الهارفة الخارفة من هؤلاء الله الذين لا يرجون لكلام الله وقاراً، ويكأن

١ . الدر المنثور ٣: ٣٤٦ - اخرج الحاكم وصححه الطبراني وابن مردويه عن عبدالرحمن بن غنم قال سألت معاذ بن جبل عن قول الخواريين: هل يستطيع ربك أو يستطيع ربك؟ فقال: اقرأني رسول الله³ هل يستطيع ربك.

٢ . المصدر اخرج ابن ابي حاتم عن عامر الشعبي ان علياً X كان يقرءها: هل يستطيع ربك، قال: هل يطيعك ربك، ومثله عن السدي.

الدلالات القرآنية لآتمشي إلا كما يهون ويمشون! .

وتري ما هو الفارق بين هذه القبلة الغيلة وبين قالة اليهود: ❀ ادع لنا ربك... ❀ بل إن قالتهم أولاء أقل إساءة من قالة هؤلاء! ذلك، وفي اقتراح آية سماوية وبهذه الصيغة المهينة بعدما رأوا آيات المسيح X الرسولية حيث ❀ رسولاً إلي بني اسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم... ❀ (٤٩:٣) تدل علي أن بزوغ دعوته كان بآيات إضافة إلي آية ولادة من ذي قبل.

إن في ذلك الإقتراح أساءة أدب من هؤلاء، فأوحي إليهم أن آمنوا بي وبرسولي حيث كانت قالتهم قالة اللايمان.

فقد استحقوا من الله تنديدات شديدة تحملها الآيات التالية ومنها هنا ❀ اتقوا الله إن كنتم مؤمنين❀: تقوي عن طغواهم علي الله، وعن قبلة الشطحات وتطلبه مثل تدكم الآيات من الله، مسحوبة بالتشكك في استطاعة الله! .

فالمسيح X الذي هو بنفسه آية - وقد اتي بآيات، فهم غرقي آيه البيئات - كيف يسوغ لهم أن يتطلبوا إليه ❀ هل يستطيع ربك... ❀؟ فلذلك يوحي إليهم هنا ❀ أن آمنوا بي وبرسولي❀ .

فعجبا من أناس يحاولون تأويل الآية خلاف نصها حفاظاً علي عصمة متخيلة للحواريين في بداية أمرهم، تقديماً لها علي عصمة القرآن العظيم وكما أولوا عصيان آدم إلي ترك الأولي وما أشبه من تأويلات علييات هي مس من كرامة العصمة القرآنية.

ولا يذكر الإنجيل قصة تطلب المائدة إلا بصورة أخرى هي أنكي وأضل سبيلاً، أنهم تطلبوا منه أن يحول لهم الماء خمراً فأمنوا به لما تحول! .

١ . في انجيل يوحنا ٣ : ١ - ١١ - ١ - ❀ وفي اليوم الثالث كان عرس في قانا الجليل وكانت ام يسوع



وبصورة أخرى هي أخف وطأة وأقل مساً من كرامة الإيمان والصورة الواقعية هي المذكورة هنا بما يليها، محافظة علي كرامة الله ومسيحه، وبياناً لقلّة الحواريين رغم توفر الآيات الرسولية للسيد المسيح X.

ذلك! وإلي عاذرتهم الغادرة المائرة المائدة في تطلب المائدة حيث تضيف إلي قالتهم غالة أخرى:

❖ قالوا نريد أن نأكل منها وَتَطْمِئِن قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا

مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥:١١٣﴾

فهنال لا ❖ أن نأكل منها ❖ ولا ❖ تطمئن قلوبنا ❖ ولا ❖ نعلم أن صدقتنا ❖ ولا ❖ نكون عليها من الشاهدين ❖ لا تبرر شيء منها ذلك السؤال الهاتك الفاتك، حيث الأكل غير مخصوص



هناك ٢ - ودعى ايضاً يسوع وتلاميذه الي العرس ٣ - ولما ففتح الخمر قالت أم يسوع له ليس لهم خمر ٤ - قال لها يسوع مالي ولك يا امرأة لم تأت ساعتي بعد ٥ - قالت أمه للخدام مهما قال لكم فافعلوه ٦ - وكانت ستة أجران من حجارة موضوعة هناك حسب تطهير اليهود يسع كل واحد مطرين أو ثلاثة ٧ - قال لهم يسوع املاً الأجران ماءً فملاوها إلي فوق ٨ - ثم قال لهم استقوا الآن وقدموا الي رئيس المتكء فقدموا ٩ - فلما ذاق رئيس المتكء الماء المتحول خمرأ ولم يكن يعلم من اين هي ولكن الخدام الذين كانوا قد استقوا الماء وعلموا دعاء رئيس المتكء العريس ١٠ - وقال له كل انسان انما يضع الخمر الجيدة أولاً ومتي سكروا فحينئذ الدون اما انت فقد ابقيت الخمر الجيدة الي الآن ❖ هذه بداءة الآيات فعلها يسوع في قانا الجليل واطهر مجده فأمن به تلاميذه!

١ . ففي أنجيل متي في منتهي الأصحاح الخامس عشر: واما يسوع فدعا تلاميذه وقال: اني اشفق علي الجميع لأن لهم الآن ثلاثة ايام يمشون معي وليس لهم ما ياكلون. ولست اريد أن اصرفهم صائمين لئلا يخجروا في الطريق. فقال تلاميذه من اين لنا في البرية خبز بهذا المقدار حتي يشبع جمعاً هذا عدده؟ فقال لهم يسوع يتكئوا علي الأرض واخذ السبع خبزات والسمك وشكر وكسر واعطي تلاميذه والتلاميذ اعطوا الجمع فاكل الجمع وشبعوا ثم رفعوا ما فضل من الكسر سبعة سلال مملوءة والاكلون كانوا اربعة آلاف ما عدا النساء والأولاد ❖.

اقول: وورد مثلها في سائر الأنجيل.

بمائدة السماء، والحاجة المدقعة إلي أكل،
أم التبرك بمائدة السماء تقضي بعبارة
أدبية كـ * هل تطلب من الله أن ينزل عليها
مائدة... *.

وهلاً تأخر * نريد أن نأكل منها * علي
الثلاثة الأخري، تقدماً للحاجة الباطنية
الروحية علي البطنية الجسمانية؟
فهذا مما يبرهن أن تطلبهم الخواء البواء
لم يك يقصد منه - كأصل - مزيد الإيمان
والإيقان، حيث الدور الأول فيه * نريد أن
نأكل منها * و من ثم * وتطمئن قلوبنا *.

ثم كيف * تطمئن قلوبنا * فحين لم تطمئن
قلوبهم بسائر الآيات البيئات الرسولية
العيدسوية فلا دور لإيمان أو مزيده بآية في
سؤال الأكل، وكذلك * نعلم أن صدقتنا * ومن
ثم * ونكون من الشاهدين * أفلم يكونوا
شاهدين في سابقة الآيات السابغة؟ أم هم
اعلم من الله بنوعية الآيات القاطعة؟ فهذه
الطلبية هي بعبارة أخري نكران لآيات المسيح
الرسولية، الظاهرة البارزة لهم من ذي قبل.
إذاً فما زادتهم هذه الأعذار القاحلة غير
تخسير، ظلمات بعضها فوق بعض! فالأثر الوارد
بحق خلوصهم وتخليصهم أولاء الحواريين مطروح
أو مأول بغير البداية من أمرهم الإمر كما
في آية الصف: * يا أيها الذين آمنوا كونوا
أنصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين
من أنصارى إلي الله قال الحواريون نحن أنصار
الله فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت
طائفة... * (١٤) وذلك * فلما أحس عيسى منهم
الكفر قال من أنصارى إلي الله قال الحواريون

١ . نورالثقلين ١ : ٦٩٠ في عيون الأخيار باسناده
الي علي بن الحسن الفضال عن ابيه قال قلت لأبي
الحسن الرضا X لم سمى الحواريين الحواريين؟ قال:
اما عند الناس فانهم سموا حواريين لانهم كانوا
قصارين يخلصون الثياب من الوسخ بالغسل وهو اسم
مشتق من الخبز الحوار، واما عندنا فسمى حواريين
لانهم كانوا مخلصين في انفسهم ومخلصين لغيرهم من
اوساخ الذنوب بالوعظ والتذكر.

نحن أنصار الله آمننا بالله واشهد بأننا مسلمون .
ربنا آمننا بما أنزلت وإتبعنا الرسول
فاكتبنا مع الشاهدين ﴿٣:٥٣﴾ .

ذلك، وقد تكون تطلبية آية المائدة من
بعضهم دون جمعهم، ثم المخلصون منهم فى آخر
أمرهم - فقط - منهم، أم و ممن سواهم، دون
المستحق لعذاب الله فيهم فى ذلك التهديد
الحديد ﴿لأعذبه عذاباً...﴾ .

فعلى آية حال فقد تعدي الحوار يون فى
سؤالهم هذا طور العبودية بأدبها رغم تقدم
الآيات الباهرة لرسالة المسيح، فأوحى إليهم
الله ﴿أن آمنوا بى وبرسولى﴾ فقد تشابه أمرهم
هذا تطلبات المشركين الطائلات الغائلات آيات
يشتهوونها بعد أهم الآيات وأعمها وهى
القرآن العظيم، ولكنهم لجرمة إيمانهم
الصالح فى مستقبل أمرهم أوحى إليهم أن
آمنوا.. وأجابهم فيها بدعاء المسيح X عيداً
وآية تنضم إلي سابقة الآيات السابقة مزيداً
للحجة وتزويداً للمحجة، مهدداً إياهم باليم
العذاب إن كانوا بها كافرين:

﴿قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً
لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين﴾ (٥:١١٤)

وقد بدل ﴿ربك﴾ هنا بـ ﴿ربنا﴾ كما بدل
الإستطاعة بواقع المستطاع ﴿أنزل﴾، وضمن
دعاءه هذا الأديب الأريب سؤلات ثلاث لاتحمل من
أسؤلتهم تلك إلا ﴿نأكل منها﴾ بغير
التعبير: ﴿وارزقنا﴾ .

فـ ﴿تكون لنا عيداً﴾ كمفخرة فى إجابة
الدعاء أمام الغلاظ الشداد الألداء من كفره
بنى اسرائيل ﴿لأولنا وآخرنا﴾ مهما كنا
مؤمنين من قبل مطمئنين بسابقة الآيات، فقد
دمج نفسه فى متطلبى هذه المائدة ولم يكن
ليشك فى رسالة نفسه ولا فى استطاعة ربه
إستجابة سؤله، فهذا أدب أول فى دعاءه X،
خليصاً عما دعوه ليدعوا، من سوء الأدب وخلط
الإرب. و عيد المائدة فيه تجديد حياة الملة

وتنشط نفوس العائدين وذكري لهم علي مر الزمن ❀ لأولنا وآخرنا ❀ .
ثم ❀ وآية منك ❀ هي الأخرى بعد معظم الآيات التي بعثت بها إلي بنى إسرائيل، فكلما كثرت الآيات كثرت الإطمئنانات، لالتصور في سابقة الآيات فإنها سابغات، وإنما لتصور متطلبها وتقصيرهم، وليس منهم المسيح نفسه فإن ❀ آية ❀ منكرة ليست إلا للقاصرين والمقصرين، دون المسيح الذي هو نفسه آية ومعه كبريات الآيات، التي هي معرفة وهذه بجنبها منكرة .

ومهما كانت تطدبه آية بعد سائر الآيات تطلبه خواء، ولكنها حين تتضمن ❀ عيداً ❀ فليس الله منزها براء، ولا سيما إذا كانت هذه الآية رزقاً لأبدانهم مع كونها رزقاً لأرواحهم في بعدى العيد والآية .

ومن ثم ❀ وأرزقنا وأنت خير الرازقين ❀ مما يلحق أنهم كلهم كانوا في حاجة ملحة مدققة إلي أكل لم يجدوه في أرض الله، فليطلبوه من خير الرازقين أن ينزله عليهم من سماءه فإنه ❀ هو الذي في السماء إله وفي الأرض إله ❀ والقائل: ❀ وفي السماء رزقكم وما توعدون ❀ .

ولقد أخرج حاجة الأكل كفرع - رغم ما قدموها كأصل - أدباً بارعاً في الدعاء في تقديم سؤال الروح علي سؤال الجسم، فقد بان البون بين دعاءهم الهارع القارع ودعاءه البارع وأين دعاء من دعاء .

وكما البون بين هؤلاء الحواريين بداية ونهاية وبين حوارى نبينا محمد³ وأهل بيته المعصومين عليهم السلام^١ .

١ . بحار الأنوار ١٤ : ٢٧٤ - ٧ عن الكافي بسند متصل عن ابي عبدالله X قال: ان حوارى عيسى X كانوا شيعته وان شيعتنا حواريون وما كان حوارى عيسى X باطوع له من حوارينا لنا وانما قال عيسى X للحواريين: ❀ من انصاري الي الله قال الحواريون نحن انصار الله ❀ فلا والله ما نصره من اليهود ولا قاتلوهم دونه

ذلك ولكن أدب المسيح X أثر فيهم كأفضل ما أمكن وأجمله بين هؤلاء اليهود الصلدين الصلتين حيث لازموه وساندوه في مختلف المجالات وكانوا مذياعاً لصوته الرسالي بين الناس.

❦ قال الله إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعدبه عذاباً لا أعدبه أحدًا

من العالمين ❦ (١١٥:٥)

إذاً فلم تكن الإجابة بدعاءهم المسيح أن يدعوا الله، وإنما هي بدعاء المسيح X حيث خلص دعاءه عما تقولوا وأخلص في دعاءه مستنداً إلي تلكم الثلاث التي هي كلها مرضية عند الله. هنا ❦ قال الله إني منزلها عليكم ❦ برهان لامرد له أنه أنزلها عليهم فإن الله لا يخلف الميعاد مهما كان الموعدون غير صالحين، وفيهم مثل السيد المسيح X وهو من أصلح الصالحين حيث دعي ما دعي فأجيب هكذا فيما دعي، فالحوار حول: هل إن الله أنزل المائدة أم لم ينزلها؟ إنه بوار من حوار. وليست قصة استعفاءهم المروية بالتي تنقض ما وعده الله مسيحه X فلو أنه تعالي كان قابلاً لاستعفاءهم لما كان واعداً إنجاز طلبتهم، ولو أن استعفاهم يعقب العفو، لما كان - إذاً - إعفاءً عما طلبه المسيح X فأين دعاءه من دعاءهم!.



وشيعتنا والله لم يزالوا منذ قبض الله عز ذكره رسوله 3 ينصرون ويقاتلون دوننا ويحرقون ويعذبون ويشردون في البلدان جزاهم الله عنا خيراً. ١ . ففي البحار (٨) احمد بن عبدالله عن احمد بن محمد البرقي عن بعض اصحابه رفعه قال قال عيسى بن مريم عليهما السلام يا معشر الحواريين لي اليكم حاجة اقضوها لي، قالوا: قضيت حاجتك يا روح الله فقام فغسل اقدامهم فقالوا: كنا نحن احق بهذا يا روح الله! فقال: ان احق الناس بالخدمة العالم، انما تواضعت هكذا لكيما تتواضعوا بعدى في الناس كتواضعى لكم ثم قال عيسى X بالتواضع تعمم الحكمة لابلتكبر وكذلك في السهل ينبت الزرع لافي الجبل ❦.

وهنا التهديد الجديد بعد نزول آية المائدة بـ ﴿أعذبه عذاباً...﴾ دليل باهر أنها ما كانت الآية الأولى النازلة لاثبات رسالته، بل هي آية مقترحة بعد آيات كافية، وهكذا يكون دور الآيات المقترحة أن يشمل المكذب بها عذاب الإستئصال، فكما ان تطلب آية المائدة بعد سائر الآيات الفضلي كان من حصائل عدم الايمان فاستحقوا التنديد الشديد ﴿اتقوا الله إن كنتم مؤمنين﴾ كذلك هم يستحقون نكال العذاب إن كفروا بهذه الآية المقترحة.

وهكذا تصرح آيات عدة أن وعيد العذاب يختص بمقترحات الآيات إذا لم يؤمنوا بها، وبعد إذ أتتهم آيات بينات، ولو أن الحواريين لم يروا - قبل اقتراحهم آية المائدة - آيات المسيح X لم يكن في اقتراحهم هذا - كيفما كان - تأنيب وقد أنبوا بـ ﴿اتقوا الله إن كنتم مؤمنين﴾ ولا وعد التعذيب بعد وقد أوعدوا: ﴿فمن يكفر بعد منكم فإنى أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين﴾ وكما عذب من كفر منهم ان جعلهم خنازير، ومن سواهم ﴿إذ كانوا يجحدون بآيات ربهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون﴾ (٣٦: ٤٦).

ذلك، ومن ثم قد توحى ﴿وإذ أوحيت..﴾ إذ قال الحواريون... ﴿- حيث كان ذلك الإيحاء بعد إقتراحهم آية المائدة - أنهم كان عليهم ذلك الإيمان بما رأوا من آيات الله البينات، فلما تطلبوا مائدة من السماء أوحى إليهم ﴿أن آمنوا بى وبرسولى﴾ بما أريتكم تلكم الآيات.

وأما هذه المائدة السماوية كيف كانت وكم؟ فلنستكت عما سكت الله عنه مهما ورد فى الآثار لكمها وكيفها مختلف الأخبار.

وهنا بعد صُراج الوعد بإنزال المائدة تهديد شديد بمن يكفر بعده ﴿فمن يكفر بعد منكم فإنى أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين﴾ وذلك الوعيد هو قضية صارم الحجة

ل صارح المحجة، فكلما إزدادت الحجة عِدَّة وعِدَّة إزداد عذاب المتخلفين عِدَّة وعِدَّة، وكما نري بمدار الزمن الرسالي عذابات الإستئصال وسواها علي قدر النكرانات لآيات الرسالات بقدر الحجج البالغة فـ ❀ من يعمل سوءً يجز به ❀ وعلي قدره حيث ❀ إنما تجزون ما كنتم تعلمون ❀.

ثم ❀ لا أعذبه أحداً من العالمين ❀ مستقبلاً قد يعنى تفوق عذابهم علي مستقبل العذابات دون ماضيها، فما ورد من جعل الكافرين منهم قردة وخنزير، تسوية بينهم وبين قردة من اليهود لايطارد ❀ لا أعذبه أحداً من العالمين ❀ ثم والخنزير أنحس من القردة وقد لايسبق سابق تحوُّل الإنسان خنزيراً في أمة من الأمم ولايلحقه لاحق، وفي الأثر عن الرسول الأطهر3 ❀ فمسخوا قردة وخنزير❀^١. ولأن جعل اليهود قردة كأصحاب السبت وارد في القرآن ❀ ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين ❀ (٦٥:٢)

ولم يرد جعلهم خنازير، وقد أوعد هنا ❀ عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين ❀ ونبأ بالعذابين: ❀ قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنزير وعبد الطاغوت... ❀ (٥:٦٠) لذلك قد يصدق هذا المروي عن الرسول3 انه قوله فما أجمله، أن البعض من هؤلاء الحواريين حولوا إلي خنازير^٢ حيث الوعيد كان راجعاً إليهم دون

١ . الدر المنثور ٣ : ٣٤٨ - اخرج الترمذي وابن جرير وابن أبي حاتم وابن الأنباري في كتاب الأضداد وأبو الشيخ وابن مردويه عن عمار بن ياسر قال: قال رسول الله3: انزلت المائدة من السماء خبزاً ولحمياً وامرؤا الا يخونوا ولا يدخروا فخانوا وادخروا ورفعوا لعد فمسخوا قردة وخنزير. كما في تفسير العياشي عن الفضيل بن يسار عن أبي الحسن X قال: ان الخنازير من قوم عيسى سألوا نزول المائدة فلم يؤمنوا بها فمسخهم الله خنازير،

من سواهم من الذين كفروا بعد نزول المائدة .

ذلك وليس بذلك البعيد أن يمسخ جماعة من الحواريين خنازير و فيهم أنحس منهم و هو يهوذا الأسخر يوطى الذى باع المسيح بدراهم ليصلبوه فاشبه لهم و صلب بديلاً عنه، ثم الباقون هم الصالحون الممدوحون فى آيتى آل عمران والصف.

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ

مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٢٦:٣)

آية منقطة النظير فى مسرح الملك والعزة والذلة سلباً وايجاباً ننفذ فيها من مفرداتها الي جملها فجملتها، لكى نحصل علي مغزاها الصالحة، ذباً عما يخيل إلي الذين فى قلوبهم زيغ من طالحة بشأنها والله من وراء القصد.

﴿قُلِ﴾ انت يا رسول الهدي كحامل الوحي الأخير، و ﴿قُلِ﴾ ايها التالى للذكر الحكيم مع الرسول، قولاً باللسان والأفعال والجنان، قولاً لازماً ودعائياً فى مختلف الجموع ومحتشد المكلفين الي يوم الدين.

﴿قُلِ اللَّهُمَّ﴾ أمراً من الله ان نخاطب الله فى كل الحقول والمسارح، بكل المصارج.

﴿مَالِكِ الْمُلْكِ﴾: ﴿مَالِكِ﴾ ملكاً حقيقياً لاجول عنه، دون المالكين سواه، فانهم بملكهم مستودعون فيما يُملكون ومستخلفون فيما يملكون.

﴿وَالْمُلْكِ﴾ يعم الملك ككل، زمنياً وروحياً، تكوينياً وتشريعياً، ام هو مثلث ملك المال



وفيه عن عبدالصمد بن بندار قال سمعت ابا الحسن X يقول: كانت الخنازير قوماً من القصارين كذبوا بالمائدة فمسخوا خنازير، اقول: والجمع بين الروايتين والمروي عن رسول الله³ ان جماعة مسخوا قرده وآخريين مسخوا خنازير كل علي قدركفرهم بالمائدة.

دولة^١ ومُلك المنال دولة في حقل القيادة :
الروحية والزمنية، فمثلت المُلْك المحلق علي
كل مُلك يختصه انحصاراً فيه وانحصاراً عمّن
سواه إلا من ودعّه وديعة زائلة، فقد يستعمل
المُلْك في مصطلح الذكر الحكيم في كل من
الثلاثة .

وهنا ❀تؤتي❀ دون ❀تهب❀ او تعطي❀ للإشعار
بان المُلْك اياً كان ليس عطية ربانية فان
قضيتها البقاء دونما تحول ولا تحويل، ثم
لاعطاء في المُلْك غير الحق لو صح في المُلْك
الحق .

فانما المُلْك يؤتي إيتاءً، زمناً او روحياً
او مالياً، بحق او باطل، والتشريعي منها
كله حق، لأنه شرعة من الدين ولا باطل في دين
الله .

ولكن التكوين - وكله حق - يعم تكوين الشر
بما يختاره الشرير قضية الاختيار للمكلفين .
فمن الملك الزمني: ❀يا قوم لكم المُلْك
اليوم ظاهرين في الأرض❀ (٢٩:٤٠) ❀أليس
لي مُلْك مصر❀ (٥١:٤٢) .

وهو بين حق كما للنبيين وسائر المعصومين
الملوك، وباطل كما للفراعنة والذمردة،
فليس الله بمؤتٍهم الملك مرصاة له حتي يُحتج
لبنى أمية ❀أليس قد أتى الله عزوجل بنى أمية
الملك؟ حيث الجواب: ليس حيث تذهب إن الله

١ . الدر المنثور ٢ : ١٤ - أخرج ابن أبي الدنيا في
الدعاء من معاذ بن جبل قال: شكوت إلي النبي³ ديناً
كان علي فقال يا معاذاً أتجب أن يقضي دينك؟ قلت:
نعم قال قل اللهم مالك الملك .

وفيه أخرج الطبراني عن معاذ بن جبل أن رسول الله³
افتقده يوم الجمعة فلما صلي رسول الله³ أتى معاذاً
فقال يا معاذ ما لي لم أرك؟ فقال: ليهودي علي
وقية من بر فخرجت إليك فحسني عنك فقال: ألا أعلمك
دعاءً تدعو به فلو كان عليك من الدين مثل صبير
أداه الله عنك فادع الله يا معاذ قل اللهم . . . إلي -
بغير حساب، رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما تعطي من
تشاء منهما وتمنع من تشاء منهما إرحمني رحمة
تغنيني بها عن رحمة من سواك اللهم اغنني من الفقر
واقض عني الدين وتوفني في عبادتك وجهاد في سبيلك .

عزوجل آتانا الملك وأخذته بنو أمية بمنزلة الرجل يكون له الثوب فيأخذه الآخر فليس هو الذى أخذه.^١ واين إيتاء من إيتاء، إيتاء الله لأهله تشريعياً، ثم إيتاءه لغير أهله تكويدياً بمعنى عدم منعه تسييراً، كما * الذى حاج إبراهيم فى ربه ان آتاه الله الملك * وهو نمرود الطاغية فى أحد وجهى الآية وهما معاً معنيان.

ومن الروحى: فى وجه لإبراهيم X: * الم تر إلي الذى حاج إبراهيم فى ربه أن آتاه الله المُلْكُ * (٢: ٢٥٨) وبكل الوجوه: * ام لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون الناس نقيراً * (٤: ٥٣) فالرسالة الإلهية مُلكٌ، بل هى أفضلها ومن ضمنها الزمنى: * إني رسول الله اليكم جميعاً الذى له ملك السماوات والأرض * (٧: ١٥٨) * قال رب اغفر لى وهب لى ملكاً لا ينبغى لأحد من بعدى * (٣٨: ٣٥).

ذلك، وهو بين حق كما شرعه الله وقرره لأنبيائه وأوليائه، وباطل اغتصبه الذين احتلوا المناصب الروحية عن اصحابها الصالحين، فهذه خرافة مجازفة ان واقع المرجعية الدينية ليس الا بخيرة صاحب الأمر عجل الله تعالى فرجه، فكل مرجع دينى - إذا - هو نائبه المنصوب المرضى عنده.

فان واقع الخلافة الروحية عن الرسول³ كان واقعاً فى الخلافة اغتصاباً لتلك الخلافة فضلاً عن المرجعية الروحية زمن الغيبة ومن ملك المُلْكُ فانه من المُلْكُ، فكل ما يُملك يشمله المُلْكُ، من دُولة ودُولة وقيادة روحية، حقاً ام باطلاً.

فقد يجتمع الإيتان تشريعاً وتكويدياً كما فى المُلْكُ الحق فى مثلثه ام مثناه ام موحدده

١ . نورالثقلين ١: ٣٢٤ فى روضة الكافي بإسناده إلى عبد الأعلى مولى آل سام عن أبى عبد الله X قال قلت له: قل اللهم .. أليس...

كما فى الصالحين. واخرى ايتاء تشريعى و لم يحصل تكوين، كالقيادة الزمنية للروحيين الصالحين حيث تحول بينها وبينهم طغات بغات، ثم لاينصرهم فى معركتهم الصاخبة المؤمنون معهم قصورا أو تقصيراً.

وثالثة تحمل الإيتاء التكويني دون التشريعى كمن يؤتى من هذه الثلاثة ام كلها دون حق شرعى، فليس الحصول عليها تغلباً على ارادة الله وتالباً عليها، وانما هو تخلف عن شرعة الله: ﴿ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملى لهم خيراً لأنفسهم إنما نملى لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين﴾ (١٧٨:٣) ﴿وأملى لهم إن كيدى متين﴾ (١٨٣:٧) ﴿وكأين من قرية أملت لها وهى ظالمة ثم أخذتها﴾ (٢٢:٤٨)، وأصل الإملاء هذا من الشيطان ثم الله لا يحول بينه وبينهم فينسب اليه كما ينسب الي الشيطان وبنيهما بون الرحمن والشيطان: ﴿الشيطان سول لهم وأملى لهم﴾ (٢٥:٤٧) = ﴿فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم﴾ ومن الجامع بين الأولين ام والثالث: ﴿واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان﴾ (١٠٢:٢) ﴿وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء﴾ (٢٥١:٢) - ﴿رب قد آتيتنى من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث﴾ (١٠١:١٢) ﴿فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً﴾ (٥٤:٤).

وذلك المثلث كما هو بين حق وباطل، وبين جعل تشريعى وتكويني، كذلك هو بين شخصى - كما فى أشخاص الملوك - أو جماعى - كما فى بيوتات سالحة ام طالحة ام عوان بينهما. ثم ﴿تؤتى الملك﴾ دون ﴿تعطى﴾ تعميم لعطية الملك وهو الهبة الربانية فى حقلى التشريع والتكوين، وإيتاءه لمن يؤتاه تكويناً فى طالح الملك زمنياً وروحياً، بمعنى ألا يحول دون وصول الطالحين إليهما ام إلي أحدهما، حين يحاولون بمختلف المحاولات

والحيل الوصول إليه، والصالحون بمعزل عن المحاولات الصالحة لفصله عنهم وصولاً للقواد الصالحين إليه، حيث الدار العاجلة هي دار الاختيار دون إجبار، اللهم الا فيما لا تكليف فيه أمّا أشبهه.

إذاً فمشية الإيتاء تعم التكوينية المحلقة علي صالح الملك وطالجه، والتشريعية الخاصة بصالحه.

فمهما كان الملك الظالم - روحياً او زمنياً - هو المتغلب علي ملكه والغاصب لما في يده، ولكنه تعالي ليس بمنعزل عن ايجابه وسلبه، حيث الارادة الإلهية المحلقة علي كل كائن هي قضية التوحيد الأفعالي، فقد يحاول الظالم كل محاولة له ممكنة للوصول الي حكم والله يحول بينه وبين مغزاه، ام يحاول بعض المحاولات والله لا يحول بينه ومغزاه، وكما يراه من الحكمة العالوية.

وعلي أية حال ليس مالك المُلْك - كأصل - إلا هو، ولايؤتيه لأحد إلا من يشاءه، دون جبر ولا تفويض، فانهما تنقيص لساحته وتقويض، فله الحكم في كل الحقول دون انعزالية تامة تفويضاً، ولا ايجابية تامة جبراً، كما ويضل من يشاء ويهدى من يشاء ولايظلمون نقيراً.

إنه ❁ مالك المُلْك ❁ اياً كان من الثلاثة بين تشريع وتكوين ❁ تؤتى الملك من تشاء ❁ منهم في صالح الحكمة الربانية امتحاناً بامتهان ام سواه، بإضفاء النعم عليهم، وإقرار الأموال الدثرة عندهم، وبما ترفدهم به من بنين ورفدة، وعد يد وعدة، وإلزاماً لمن دونهم علي طاعتهم متي اجابوا داعيك واتبعوا اوامرك، وحين يعدلون عن نهج طاعتك ويفارقون سواء محجتك نزع من الملك، بان تسلبهم ملابس نعمك وتجعل أموالهم وأحوالهم، دُولتهم ودُولتهم، غزماً ونفلاً لغيرهم من عبادك.

ذلك - وايتاء الملك تشريعياً ككل - يخص الصالحين فلا انتزاع له عنهم، اللهم إلا

نقلة لمُلك الشريعة عن قوم إلي آخرين بما
 بغوا وطمغوا علي صلاح رسلهم، كما انتقلت
 الشريعة الإلهية من بنى إسرائيل الي بنى
 إسماعيل، واليكم نصاً من التوراة من الأصل
 العبراني بهذا الصدد تصديقاً للقرآن
 العظيم:

ففي سفر التكوين (١٠: ٤٩): ﴿لَوْءَ يَا ثور
 شِبْطِ مِيهُودَاهُ وَمُحَوِّقِ مُيِّينِ رِغْلَايُو عَدِّكِي يَا بُوءُ
 شَيْلُوهُ وَلَوْءَ يِيَقَهْتِ عَمِيمِ أَوْ ثَرِي لِنْفِنِ
 عِيروهِ...﴾.

﴿لاتنهض عصي السلطنة من يهودا ولا الحكم
 من بين رجليه حتي يأتي شيلوه الذي يجتمع
 فيه كافة الأمم...﴾.

فانتهاض السلطنة من يهودا هو انتقالها من
 الشعب الاسرائيلي إلي غيرهم، وهو هنا
 ﴿شيلوه﴾ من غير اسرائيل، اذ لو كان منهم
 لما قوبل بهم في انتهاض السلطنة عنهم إليه^١
 وقد يندد بهم القرآن في ادعائهم الجوفاء
 ان النبوة منحصرة فيهم ﴿ام لهم نصيب من
 الملك فاذا لايؤتون الناس نقيراً﴾ (٥٣: ٤)
 ﴿ام يحسدون الناس علي ما آتاهم الله من فضله
 فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة
 وآتيناهم ملكاً عظيماً﴾ (٥٤: ٤).

وقد ورد في الأثر ان نبي الله³ سأل ربه أن
 يجعل ملك فارس والروم في أمته فأنزل الله هذه
 الآية^٢ وذلك بعد ما أمره ربه ان يسأله^٣
 ويروي عنه³ ان اسم الله الذي إذا دعي به أجاب

١ . راجع كتابنا (رسول الإسلام في الكتب السماوية).
 ٢ . الدر المنثور ٢: ١٤ - أخرج عبد بن حميد وابن
 جرير وابن أبي حاتم عن قتادة قال: ذكر لنا أن نبي
 الله³...

٣ . المصدر أخرج ابن المنذر عن الحسن قال جاء
 جبرئيل إلي النبي³ فقال: يا محمد سل ربك قل
 اللهم... ثم جاء جبرئيل فقال يا محمد فسل ربك قل
 رب ادخلني مدخل صدق... فسأل ربه بقول الله تعالي
 فأعطاه ذلك.

في هذه الآية^١.
 ذ لك! فليكن الصالحون علي مدار الزمن
 ظروفاً لتحقيق مشيئة الله ان يؤتيهم الملك
 تحقيقاً لشرعة الله في بلاد الله، دون تكاسل او
 تعاضل في أسبابه ❀ وان ليس للإنسان إلا ما
 سعي❀.

فهناك توفّر شروط القيادة روحياً وزمناً
 فيمن يحق له ان يقود الأمة، يجب تحصيلها
 كفائياً بينهم، وهنا محاولات عاقلة صالحة
 لسائر المؤمنين في سلب القيادة عن
 الطالحين وايرصالها الي الصالحين، ففي نقض
 شرط او نقصه هنا او هناك الفرصة متاحة لمن
 يتربصون بهم دوائر السوء، لكي يجعلوا
 القيادة وحتى الروحية منها فريسة لهم بكل
 ادغال، وهنا ناقص الشرط او ناقضه عن تقصير
 متخلف عن مشيئة الله وشرعته، قائداً او مقوداً.
 نجد النقص والنقض في عصور ائمة الدين
 المعصومين اذ لم يناصرهم المؤمنون كما يجب
 فاحتلت مناصبهم فاختلفت موازين القيادتين
 روحية وزمنية.

ثم نجدهما في زمن الغيبة لولى الأمر
 تقصيراً جاهلاً او متجاهلاً قاحلاً من قبل الأمة،
 ومن قبل من تحق لهم القيادة، مهما بان
 اليبون بين القواد والمقودين في ابعاد
 التقصير او القصور.

ثم الملك قد يكون عزاً كما يرضاه الله، وهو
 نفسه ذل فيهما لايرضاه، كما الانحسار عن
 الملك ذل فيهما يتوجب تقلده لصالح الأمة،
 وهو نفسه عز اذا لزمنا محاذير اكثر حظراً من
 تركه.

وكضابطة ثابتة في ايتاء الملك و سواه
 وايتاء العز وسواه: الخير كله بيديه والشر
 ليس إليه إذ: ❀بيدك الخير انك علي كل شيء
 قدير❀ فبيده اصل الخير في وصله وفصله،

١ . المصدر أخرج الطبراني عن ابن عباس عن النبي 3
 قال: إسم الله...

وليس الشر إلا ممن يؤتاه مهما امضاه ربنا تحقيقاً للمحنة في دار البلية - تكوينا - وهو لايرضاه تشريعاً.

فمهما كان كل من الخير والشر من عند الله، ولكن الخير منه والشر من نفسك: ❀.. وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فمال هؤلاء القوم لايكادون يفقهون حديثاً. ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك وارسلناك للناس رسولاً وكفي بالله شهيداً ﴿٧٩:٤﴾

و من خيره في تدبيره امور الكون غير المختار كما يدبر الكائن المختار، وفي رجعة اخري الي الآيه نقول:

إن ❀ بيدك الخير ﴿١﴾ تحلق الخير علي كل افعاله تعالي، إذناً في خير او شر وعدمه في خير او شر، فحين يريد فاعل تحقيق شره بما قدم له، والله يعلم ما يريد ويكرهه، فهلا يريد الله هنا سلباً ولا ايجاباً وقد حرّمه؟ و هذا انعزال عن الربوبية! ام يريد سلباً والشرير يحقق شره رغم ارادة الله؟ و هذا تغلب علي ارادة الله! ام يريد ايجاباً بعد ما اراده الشرير وقدم له ما أمكنه؟ وهذا هو الايتاء الرباني لما حرّمه تشريعاً، فلو انه اراد سلبه اضطر الشرير الي تركه وخرجت حياة التكليف عن دور الامتحان، فهذه الارادة الربانية - إذناً - خيرٌ وليست شراً.

نعم في دوران الأمر بين ارادة السلب والايجاب في الشر قضية الحكمة الربانية تقديم الأهم علي المهم، فان كانت ارادة السلب اهم قدّمت علي الايجاب كما في نار ابراهيم، وان كانت ارادة الايجاب اهم قدمت علي ارادة السلب كما في الأكثرية الساحقة من الشرور الشخصية، فانما يريد الله السلب في الشرور الجماعية التي فيها استئصال الحق باهله عن بكرته كما في قصة ابراهيم. ولايعنى ❀ الخير كله بيدك والشر ليس

اليك ٥ انه لا يريد الشر وان كانت ارادته خيراً، وانما هو الشر الذي هو يسببه ودونما اختيار لأهله!.

وفيدما يسد عن الشر رغم توفر مقدماته الاختيارية، فقد يجازي الشرير حيث لم يكتف بالنية، فقد قدم ماله فيه امكانية، فليعاقب بما قدم مهما خف عقابه اذ لم يحصل شره!.

دعاء من الرسول محمد3

٢

❖ وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أَنْزَلْتُ إِلَيْكَ وَأَدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٨٧) وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ❖ (٨٨)

مواصلة واحدة ❖ وادع إلي ربك ❖ تتقوم بمفاصلات أربع، وهي تتوسطها هنا، وفا على ❖ لا يصدنك ❖ هو كونه - وعوداً بالله - ظهيراً لكافرين، كخليّة أولي لذلك الظهر الظهير، أن يصدّه عن آيات الله، في أي حقل من حقولها، والتأكيد في ❖ لا يصدنك ❖ يؤكد النهي عن كونه ظهيراً لهم، أن يتهاون في تلقي الوحي وإلقاءه، بإلغائه عن فاعليّاته، أم يتهاوي بما يكذبونه فيه أنه سحرٌ أو جنةٌ أم كهانةٌ أما هيه؟

ثم ❖ وادع إلي ربك ❖ امر بالمُضَى الصارم في دعوته الناصعة الناصحة، بعيدة عن كافة النزعات والانتزاعات والرغبات إلا إعلاء كلمة الله العليا، وإلغاء كلمة الذين كفروا السفلي، ثم ❖ ولا تكونن من المشركين ❖ بالله علي أية حال، وإن شركاً خفياً كدبيب النمل، فإنه يقصم ظهر الداعية، ويفصمه عن صالح الدعوة.

❖ ولا تدع مع الله إلهاً آخر ❖ مهما كان مصلحياً لاجتذاب المشركين كما اقترحوه عليه: ❖ أعبد آلهتنا سنة نعبد إلهك سنة ❖ فنزلت سورة الكافرون ❖ ثورة قاصمة علي ازدواجية الدعوة ومصلحيتها، ف ❖ لا إله إلا هو ❖ في كل شئون الألوهية، و: ❖ كل شيء هالك إلا وجهه .. ❖: إذ ❖ كل من عليها فان. وبقى وجه ربك ذو الجلال

والاكرام ❖ (٥٥: ٢٧) .

والشيء هو الكائن أياً كان، إذاً فالله شيءٌ كما الخلقية كلها أشياء مخلوقة، وان كان

الشيءُ اللهُ هو الذى شيئاً سائر الأشياء، وبين
شيءِ الله و سائر الشيء تباين كلى، لامشاركة
بينهما إلا فى لفظة الشيء وأصل الوجود، دون
آية مشاركة فى ذلك الأصل، فالأشياء المخلوقة
كلها خُلِّ عن شيءِ الله ذاتاً وصفاتٍ وأفعالاً، كما
الله تعالى خلُو عنها فى مثلث الجهات، فـ ❊ هو
خلُو من خلقه وخلقته خلُو منه ❊ - ❊ باين عن
خلقته وخلقته باين منه ❊ - ❊ لا هو فى خلقه ولا
خلقته فيه ❊ كما: لا هو من خلقه ولا خلقته منه:
مباغضة ذاتية أمأهيه؟

وتري ❊ وجهه ❊ هنا تعذى الجارحة؟ وهى
تأويلة عليلة جارحة كيان الربوبية، انه
يهلك - وعوداً به - بسائر اجزاءه كسائر
الكون إلا وجهه! مهما أول انه وجه جارحي
لاكسائر الوجوه، حيث الجارحة لله جارحة
ألوهيته على كل الوجوه، إذ ❊ ليس كمثله
شيء ❊ فلا تركب له حتى كون له جوارح وسواها
من اجزاء وحدود مترتبة فـ ❊ من المحال ان
يهلك منه كل شيءٍ ويبقى الوجه ❊! ، لـ
❊ وجهه ❊ هنا وجهان ثانيهما وجه كل شيءٍ
المتوجه إلى الله، رجوعاً لضمير الغائب إلي
الحاضر الذكر وهو ❊ كل شيءٍ ❊ فالهالك شامل
كل شيءٍ، إلا وجهه المواجه المتوجه إلى الرب،
فإنه باق ببقاء الله بإذنه ورحمته،
كالربانيين من السابقين والمقربين واصحاب
اليمين، والجنة بأهلها، فلا هلك كلياً لهم

١ . نورالثقلين ٤ : ١٤٥ فى كتاب الاحتجاج عن
اميرالمؤمنين X حديث طويل وفيه: واما قوله ❊ كل
شيء هالك إلا وجهه ❊ فالمراد كل شيء هالك الا دينه،
لأن من المحال ان يهلك منه كل شيء ويبقى الوجه،
هو اجل واعظم من ذلك وانما يهلك من ليس منه الا تري
انه قال: ❊ كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ❊ ففصل
بين خلقه ووجهه، وفيه عن التوحيد عن ابي حمزة قال
قلت لأبى جعفر عليهما السلام قول الله عزوجل: ❊ كل شيء
هالك إلا وجهه ❊؟ قال: يهلك كل شيء ويبقى الوجه؟
إن الله أعظم من ان يوصف بالوجه، ولكن معناه: كل شيء
هالك إلا دينه والوجه الذى يؤتى منه.

ولها^١.
ثم وفى الوجه الأول لوجه لوجه الجارحة،
فان لكل شىء وجهاً يناسبه، وهو فى الكل ما
يواجهه به ويواجهه، والله يواجهه الكائنات علماً
وقدرة، ويواجهه معرفياً وعبودياً، والوجه
الوجيه هنا لوجهه هو ذاته بصفاته ذاتية
وفعلية، والروحانيون الذين يواجهونه
حياتهم معرفياً وعبودياً.

فاختصاص وجهه وجهه^٢ هنا بذاته يقتضى تبديل
وجهه بذاته، فانها صريحة فى ذاته، ووجهه
غير صريح، كما اختصاصه بغير ذاته إدخال
لها ضمن الهالكين، أن ذاته يهلك و سائر
وجوهه تبقى!.

إذا ف وجهه^٣ تعم ذاته كقمة الوجوه،
إلى متعلقاتها الربانية ذاتياً وخارجياً،
ومن الثانى دينه^٤ والدعات اليه، فانهم وجه
الله الذى يتوجه بهم إليه، وكما يروي^٥ نحن
وجه الله الذى لا يهلك^٦ وكما ان المتجهين الي
الله بهم، هم من وجهه^٧ والإضافة فى^٨ وجهه^٩
تختلف حسب مختلف مصاديق الوجه، وفى وجه

١ . راجع الي تفسير: ^{١٠} ويبقى وجه ربك ذو الجلال
والاكرام^{١١} فى الفرقان ٢٧: ٣٣ أ ٣٧.
٢ . المصدر عن التوحيد باسناده الي خيثمة قال
سألت ابا عبدالله^X عن الآية قال: دينه، وكان رسول الله³
وأمرالمؤمنين^X دين الله ووجهه وعينه فى عباده
ولسانه الذى ينطق به ويده علي خلقه ونحن وجه الله
الذى يوتى منه ولن تنزل فى عباده ما دامت لله فيهم
روية، قلت: وما الروية؟ قال: الحاجة، فإذا لم يكن
لله فيهم حاجة رفعنا اليه وصنع ما احب.
٣ . نورالثقلين ٤: ١٤٦ عن كتاب التوحيد باسناده
الي صفوان قال قال ابو عبدالله^X:...
٤ . المصدر عن التوحيد باسناده الي الحارث بن
المغيرة النصرى قال: سألت ابا عبدالله^X عن قول الله
عزوجل: كل شىء هالك إلا وجهه؟ قال: كل شىء هالك إلا
من اخذ طريق الحق، وفى محاسن البرقى مثله وفى
أخره: من اخذ الطريق الذى انتم عليه، وعن التوحيد
باسناده إلي صفوان الجمال عن ابي عبدالله^X فى الآية
قال: من أتى الله بما امر به من طاعة محمد وأئمة من
بعده صلوات الله عليهم فهو الوجه الذى لا يهلك ثم قرء:
من يطع الرسول فقد اطاع الله.

الذات هي من إضافة الشيء الي نفسه، وفي وجه صفات الذات هي إضافتها إلي الذات، وفي وجه الدعوة والدعاية هي إضافة الفعل الي مصدره، فانهم صادرون عن الله فموجهون إلي الله! فالمتخلفون عن الله هم هالكون في حياتهم وبعد موتهم وإلي النار حيث تهلك و من فيها، والمتجهون إلي الله باقون وان ماتوا فانهم في الجنة باقون كما هي دون نهاية.

هذه وجوه وجيهة من ❀ وجهه ❀ هنا مهما اختلفت درجاتها، فوجه الذات لن يتغير ولن يهلك بأى هلاك له كوناً ولاكياناً، مهما طرء ه موت أو تغير آخر في غير وجه الذات والصفات.

ثم ❀ له الحكم ❀ تكويناً وتشريعاً لاسواه ❀ واليه ترجعون ❀ لا إلي سواه. والمرجع للضمير الأول هو وجه الذات أصلياً، ووجوه الدعات إليه رسالياً وبلاغياً، فانهم الحكم من قبل الله، واما الثاني فلا مرجع له إلا الذات، إذ لا رجوع إلا إلي الله، اللهم إلا للدعات المعصومين ايضاً لأنهم موازين الأعمال ❀ يوم ندعوا كل أناس بإمامهم ❀ (٧١:١٧) فهناك رجوع إلي كتب الشريعة وأئمتها كموازين للأعمال والعقائد، والمرجع الأصيل هو الله.

١ . المصدر في اصول الكافي عن احمد بن ادريس عن محمد بن عبد الجبار عن صفوان بن يحيى عن فضيل بن عثمان عن ابن ابي يعفور قال سألت ابا عبد الله X عن قول الله عزوجل ❀ هو الأول والآخر. ❀ وقلت: أما الأول فقد عرفناه و أما الآخر فبين لنا تفسيره. فقال: إنه ليس شيء إلا يديد أو يتغير أو يدخله الغير والزوال وينتقل من لون إلي لون ومن هيئة إلي هيئة ومن صفة إلي صفة ومن زيادة إلي نقصان ومن نقصان إلي زيادة إلا رب العالمين فإنه لم يزل ولا يزال بحالة واحدة، هو الأول قبل كل شيء وهو الآخر علي ما لم يزل ولا يتخلف عليه الصفات والأسماء كما يتخلف علي غيره مثل الانسان الذي يكون تراباً مرة ومرة لحمياً ودمياً ومرة رفاتاً ورميماً، وكالبسر الذي يكون مرة بلجاً ومرة بسراً ومرة رطباً ومرة تمرأ فتتبدل عليه الأسماء والصفات والله عزوجل بخلاف ذلك.

إبتهاال محمد3 الى الله

٣

❖ لئن أشركت ليحبطن عملك و لتكونن من الخاسرين ❖ (١٤٧:٣)

اتري ان رسول الهمدي إمتري في الحق من ربه، ومنه مثل عيسى في خلقه حتي يخاطب بـ ❖ فلا تكن من الممترين ❖؟ طبعاً لا وألف كلاً، فانما ذلك التعبير هو قضية الموقف حيث المتسائلون لم يكونوا ليسكتوا عن قيلاتهم، وكان ذلك المثل لا يحمل حقاً من الله.

لذلك يخاطب الرسول3 من باب ❖ إياك اعذني واسمعي يا جاره ❖ تأكيداً لحق الجواب، حسماً لكل مرية هي بعيدة عن جادة الصواب.

فهو - اذاً - كـ ❖ لئن اشركت ليحبطن عملك ❖ — ❖ ولاتكونن من المشركين ❖ وكيف يجوز الامتراء والشك والشك علي من باشر برد اليقين وتلقي عن الروح الأمين.. او ان الخطاب في ❖ ربك ❖ ليس ليختص بمن لايمتري، بل هو كل من يجوز في حقه الامتراء وهو كل مخاطب سامع للبرهان من المكلفين كائناً من كان، فهو خطاب الأفراد شاملاً كل الأفراد علي سبيل الأبدال فيشمل الذين قالوا — فيما غالوا بحق المسيح X — انه الله او ابن الله، فـ ❖ الحق ❖ كله ❖ من ربك ❖ الذي رباك يا رسول الهمدي، وكل من يصح خطابه، دون الدجالين الدجالين ❖ فلا تكونن من الممترين ❖ بحق الحق، ولاتمار فيه مجادلاً عن الباطل، ومحاجاً ضد الحق، وقد فعلوا فنزلت آية المباهلة.

ووجه ثالث - عله معنى مع الأولين - أن ليس الامتراء هو الشك فقط بل وهو الممارسة والمجادلة بشأن الحق الجدي مع من لا يخضع لبرهان، فلماذا - إذاً - الممارسة مع المعاندين ❖ فلا تكن من الممترين ❖ فكل أمرك إلي رب العالمين مع من حاجك حول الحق اليقين، الناصع الأمين:

﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَابْنَاءَكُمْ وَ
نِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى
الْكَاذِبِينَ﴾ (٤١:٣)

هذه من غرر الآيات بشأن الغر الكرام من آل الكساء (عليهم السلام)، حيث تعبر عن علي X بـ ﴿انفسنا﴾ وعن فاطمة ﴿عليها السلام﴾ بـ ﴿نساءنا﴾ وعن الحسنين (عليهما السلام) بـ ﴿ابناءنا﴾ مما يدل علي اخص الإختصاصات لهؤلاء بالرسالة القدسية المحمدية³.

هنا ﴿من بعد ما جاءك من العلم﴾ دون ﴿ما اوحينا اليك﴾ يحمل توسيعاً لدائرة العلم، فهو علم الوحي بعد العلم العقلي وقد حصلنا معاً بتلك المماثلة في ﴿إن مثل عيسى...﴾.

وذلك مما يؤكد عدم عناية الشك من امتراءه³ لو انه المخاطب بـ ﴿فلا تكن من الممترين﴾.

﴿فمن حاجك فيه﴾ في الحق من ربك، الذي لامرية فيه ولاريبة تعتريه ﴿فقل تعالوا...﴾ وهذه دعوة صارحة صارخة في هذه الاذاعة القرآنية الي مباهلة الكاذبين المصريين علي كذبهم بـعد صُراح الحق المبين، فقد تجوز المباهلة وتفيد حين تتوفر شروطها، إذ ليس

١ . نورالثقلين ١ : ٣٥١ عن أصول الكافي علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن محمد بن حكيم عن أبي مسروق (مسروق) عن أبي عبد الله X قال: قلنا: اننا نكلم الناس فنحتج عليهم بقول الله عزوجل: ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾ فيقولون نزلت في امراء السرايا، فنحتج عليهم بقوله عزوجل ﴿إنما وليكم الله ورسوله...﴾ فيقولون: نزلت في المؤمنين ونحتج عليهم بقول الله عزوجل ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى﴾ فيقولون: نزلت في قربي المسلمين، قال: فلم ادع شيئاً مما حضرني ذكره من هذا أو شبهه إلا ذكرته فقال لي: إذا كان كذلك فادعهم إلي المباهلة قلت: وكيف أصنع؟ قال: أصلح نفسك ثلاثاً - وأظنه قال: صم واغتسل - وأبرز أنت وهو إلي الجبان فشبك أصابعك ←

الـ حق ليدقف مكـتوف الأيدى أمام الـ ناكـرين
المكـذبين، فإما تقبـله بـبرهان أم دخول فى
لعنة الله على الكاذبين.

ولقد كان على الرسول 3 الذين كانوا
يـحاجونه فى قصة المسيح X الـى اجتماع حاشد
من أـ عز الملاصقين من الـ جانبين، ليبتـهل
الجميع الـى الله فى دعاء قاصع قاطع ان ينزل
لعنته على الكاذبين فخافوا العاقبة وابوا
المباهلة وتبين الحق واضحاً وضخ الشمس فى
رايعة النهار.

ولأن الـابتهاال هو التأكـد فى الدعاء – من
البهل : الدعاء – وليس إلا فى مسرح
الإضطرار، ولا أحق من حق الله عند أهله – حين
يُنكر ويكذب ولا ينفـع الـدليل – أن يستجاب فى
ابتهاال وقد وعد الله المضطرين الإجابة * أمن
يجب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ٥.

وحيـن تستجاب الدعاء بحقنا فهلاً تستجاب بحق
الـحق ولاسيما من رسول الـحق فى هذه المعركة
الصاخبة ومعه أخص أهله الطاهرين!
والمدعوون فى هذه المباهلة ثلاثة * أبناءنا
وأبناءكم – نساءنا و نساءكم – أنفسنا
وأفـسكم ٥ يدعو كل من الطرفين أخصاءه
الثلاثة، وقد دعا رسول الله 3 – حسب متواتر
الأثر – علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال:



من يدك اليمنى فى أصابعه ثم انصفه وابدأ بنفسك
وقل: اللهم رب السماوات السبع ورب الأرضين السبع
عالم الغيب والشهادة إن كان مسترق جحد حقاً وادعى
باطلاً فأنزل عليه حسبنا من السماء وعذاباً أليماً،
ثم رد الدعوة عليه فقل: وإن كان فلا جحد حقاً وادعى
باطلاً فأنزل عليه حسبنا من السماء أو عذاباً أليماً
ثم قال لى: فإنك لاتدبث ان ترى ذلك فيه فوالله ما
وجدت خلقاً يجيبنى إليه.

١ . الدر المنثور ٢ : ٣٩ – أخرج عبدالرزاق والبخارى
والترمذى والنسائى وابن جرير وابن المنذر وابن
أبى حاتم وابن مردويه وأبو نعيم فى الدلائل عن ابن
عباس قال: لو باهـل أهل نجران رسول الله 3 لرجعوا
لايـدون أهلاً ولا مالاً.

اللهم هؤلاء أهلي ١.

١ . المصدر أخرج مسلم والترمذى وابن المنذر والحاكم والبيهقى فى سننه عن سعد بن أبى وقاص قال: لما نزلت هذه الآية دعا رسول الله3... وفيه أخرج ابن جرير عن علباء بن أحمر اليشكرى قال: لما نزلت هذه الآية أرسل رسول الله3 إلي عدى وفاطمة وبنيهما الحسن والحسين... وأخرجه مثله الجافظ أحمد بن حنبل فى مسنده ١٥: ١٨٥ والطبرى فى تفسيره ٣: ١٩٢ بطرق أربع، وأبو بكر الجصاص فى أحكام القرآن ٢: ١٦ قال: إن رواة السير لم يختلفوا فى أن النبى3 أخذ بيد الحسنين وعدى وفاطمة ودعا النصاري الذين حاجوه إلي المباهلة... والحاكم فى المستدرک ٣: ١٥٠ وفى معرفة علوم الحديث ٥٠، والثعلبى فى تفسيره كما فى العمدة لابن بطريق ٩٥ والجافظ أبو نعيم الأصبهاني فى دلائل النبوة ٢٩٧ والواحدى النيسابورى فى الباب النزول ٧٤ وابن المغازلى الواسطى كما فى العمدة لابن بطريق ٩٦ والبيهقى فى معالم التنزيل ١: ٣٠٢ وفى مصابيح السنة ٢: ٢٠٤ والزمخشري فى الكشاف ١: ١٩٣ وابن العربى الأندلسى فى أحكام القرآن ١: ١١٥ والإمام الرازى فى تفسيره ٨: ٩٥ وابن الأثير فى جامع الأصول ٩: ٤٧ والذهبي فى تلخيصه المطبوع فى ذيل مستدرک الحاكم ٣: ١٥٠ وابن طيحة الشامي فى مطالب السؤل ص ٧ وابن الأثير فى أسد الغابة ٤: ٢٥ وسبط ابن الجوزى فى التذكرة ص ١٧ والقرطبي فى الجامع لأحكام القرآن ٣: ١٠٤ والبيضاوى فى تفسيره ٢: ٢٢ والطبرى فى ذخائر العقبي ص ٢٥ ومسلم فى صحيحه من عدة طرق منهاج ٤ باب فضائل أميرالمؤمنينX فى تفسيره هذه الآية عن مقاتل والكلبي وأخرجه فى الدر المنثور نقلاً عن الحاكم وابن مردويه وأبو نعيم فى الدلائل عن جابر عنه3 والبيهقى فى الدلائل من طريق سلمة بن عبد يشوع عن أبيه عن جده عنه3 وأبو نعيم فى الدلائل من طريق الكلبي عن أبى صالح عن ابن عباس وابن أبى شيبعة وسعيد بن منصور وعبيد بن حميد وابن جرير وأبو نعيم عن الشعبى والترمذى عن سعد عنه3 ومحمد بن جرير عن علباء بن أحمر اليشكرى وروى ابن بطريق فى العمدة ٩٥: ٩٦ نزول هذه الآية فيهم بأسانيد من صحيح مسلم وتفسير الثعلبى ومناقب ابن المغازلى وابن الأثير فى جامع الأصول من صحيح مسلم عن سعد والبيضاوى فى تفسيره ٢: ٢٢ والطبرى فى ذخائر العقبي ٢٥ وفى الرياض النضرة ١٨٨ والنسفى فى تفسيره ١: ١٣٦ والمهايمى فى تبصير الرحمن وتيسير المنان ١: ١١٤ والخطيب التبريزى فى مشكاة المصابيح ٥٦٨ والخطيب الشربيني فى تفسير سراج المنير ١: ١٨٢ والنيسابورى فى تفسيره ٣: ٢٠٦ والخازن فى تفسيره ١: ٣٧ وفى البداية والنهاية ٥: ٥٢ وابن الملك فى مبارق الأزهار فى شرح مشارق الأنوار للصنعانى ٢: ٣٥٦ والعسقلانى فى الاصابة ٢:



ولأن المباهلة هي ذات جهتين: الدعاء،
 واستدعاء اللعن علي الكاذب، فلا بد - إذأ -
 أن يكون الأبناء والنساء والأنفس المدعوون
 فيها من أعزهم وأصدقهم بالداعين وأقربهم
 الي الله استجابة للدعاء.
 فليس ضم الأبناء والنساء والأنفس إلا لتأكيد
 الإستجابة والدلالة علي الحق، ثقةً بالرجال
 وتصديقاً للمقال واستيفاءً علي خصومه بصدقه



٥٠٣ وفي الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف ص ٢٦
 وابن الصباغ في الفصول المهمة ١٠٨ وملا معين
 الكاشفي في معارج النبوة ١: ٣١٥ والسيوطي في
 تاريخ الخلفاء ١١٥ وفي الإكليل ٥٣ وفي الجلالين ١:
 ٣٣ وابن حجر الهيتمي في الصواعق المحرقة ١١٩
 وأبو السعود أفندي في تفسيره ٢: ١٤٣ والحلببي في
 السيرة النبوية ٣: ٣٥ وأبو السعود محمد أفندي
 العمادى في تفسيره، والشاه عبد الحق في مدارج
 النبوة ٥٠٠ والكشفي الترمذي في مناقب مرتضى ٤٤
 والشبرواي في الاتحاف بحب الاشراف ٥ والشوكاني في
 فتح القدير ١: ٣١٦ والألوسي في تفسير روح المعاني
 ٣: ١٦٧ والعلوي الحضرمي في رشفة الصادي ٣٥ وابن
 المغازلي في مناقبه كما في كفاية الخصام ٣٨٨
 والسيد صديق حسن خان في كتاب حسن الاسوة ٣٢ والسيد
 أحمد زيني دحلان في السيرة النبوية المطبوعة بهامش
 السيرة الحلبية ٤: ٣ وعياض المغربي في الشفاء ٢: ٤١
 والبيهقي في السنن الكبرى ٦٣ وابن تيمية في منهاج
 السنة ٢٤ والبرزنجي في مقاصد الطالب ١١ وأحمد بن
 حنبل في المسند ١: ١٨٥ وسعيد بن محمد بن مسعود
 الشافعي في المنتقى في سيرة المصطفى ١٨٨ والشيخ
 أبو الحسن الكازروني في صفوة الزلال المعين والشيخ
 عبد الغني النابلسي في ذخائر المواريث ١:
 ٢٢٦ والقرماني في أخبار الدول والشيباني في تيسير
 الوصول ٢: ١٦٠ والقُدوسي الحنفي في سنن الهدى ٥٦٣
 والنقشبذ في مناقب العترة ١٨٩ والشيخ حسن النجار
 في اتحاف ذوي النجابة ١٥٤ والحسيني البصري في
 إنتهاء الأقسام ١٩٧ والشيباني في المختار في مناقب
 الأخيار ص ٣ والسيد صديق محمد حسنخان ملك بهويال
 في فتح البيان ٢: ٥٥ والشيخ عبيد الله الأمرتسري في
 أرجح المطالب ٣٧ والسيد أحمد بن سودة الإدريسي في
 رفع اللبس والشبهات ٤٠ وخواجه خواندمير في علم
 الكتاب.
 أقول: ذلك وإلي مئآت من الرواة والمصنفين
 والمفسرين (راجع ملحقات أحقاق الحق للمرجع الديني
 السيد شهاب الدين المرعشي النجفي ج ٣ ص ٤٦ - ٧٦
 وج ٩ ص ٧١ - ٩١، تجد في خمسين صفحة من هذه
 الموسوعة بحراً ملتطماً من الأحاديث حول آية
 المباهلة التي ذكرت أن علياً X نفس الرسول 3.

وكذبهم، حيث يستجره علي تعريض أعز أعزته وأفلاذ كبده.

لقد خص هنا الأبناء والنساء بالدعوة لذلك المسرح الخطير لأنهم أعز الأهل وألصقهم بالقلب ولربما فداهم الرجل بنفسه و كل نفيسه.

لذلك كانوا في الحرب يسوقون مع انفسهم الظغائن لتمنعهم من الهرب ويسمّون الزادة عنها حماة الحقائق.

ثم خص أحض خواصه المعبر عنه هنا بـ *انفسنا* رمزاً الي أنه لنفسه المقدسة كأنه هو، ففديته مع نفسه في هذه المعركة الصاخبة تضحية لنفسه مرتين، كما أن فدية النساء والأبناء تمثل فدية أخرى ثالثة.

فآية المباهلة هي من ابرز الآيات الدالات علي موقف الإمام علي X المنقطع النظير مع البشير النذير، أن لو كان للرسول 3 أنفس او نفس أخرى لكانت علياً X دون من سواه، وقد اجمع المفسرون والمحدثون والحفاظ انه لم يصاحبه 3 بعد ابنيه الحسنين وبنته فاطمة (عليهم السلام) إلا على صلوات الله عليه. فلم يعن من أبناءه إلا سبطيه ولا من نساءه إلا فاطمته ولا من نفسه إلا عليّ، حيث لا يدعوا الانسان - فيما يدعوا - نفسه، اللهم إلا من هو كنفسه، ولم يكن معه آنذاك من يمثل نفسه إلا علي X.

وهنا تجاوب لاجل عنه بين الآية ومتواتر النقل، كل يؤيد الآخر ويتأيد هو الآخر.. ف *قل* يا محمد لمن حاجك فيه *تعالوا ندع* نحن ندعوا ابناؤنا ونساءنا وانفسنا وانتم تدعون كما ندعوا.

ولكن *ندع* في جانب الرسول واحد هو الرسول، وفي جانبهم جمع، وليس *ندع* إلا اعتباراً بالطرفين وهما معاً - لامحالة - جمع مهما كان الطرف الأول مفرداً.

ف *ابناءنا* تعذّي أعز الأبناء في الجانبين دون تحديق علي كل الأبناء، ولقد

انحصروا في جانب الرسول³ في الحسنين (عليهما السلام)، مما يبرهن علي صحة انتساب ابناء البنات الي الجدود، وكما نسب المسيح X إلي ابراهيم * وتلك حجتنا آتيانها ابراهيم... ومن ذريته داوود وسليمان وايوب ويوسف وموسي وهارون.. وذكريا ويحيي وعيسي... (٨٥:٦) وهكذا يستدل الذرية المعصومة بالذكر الحكيم أمام الناكرين.^١

١ . في العيون بإسناده إلي موسي بن جعفر عليهما السلام في حديث له مع الرشيد قال الرشيد له: كيف قلت: إننا ذرية النبي والنبي لم يعقب وإنما العقب للذكر لا لأنثي وأنتم ولد البنت ولا يكون له عقب؟ فقلت: أسأله بحق القرابة والقبر ومن فيه إلا ما أعفاني عن هذه المسألة، فقال: تخبرني بحجتكم فيه يا ولد علي وأنت يا موسي يعسوبهم وإمام زمانهم كذا أنهى إلي وليست أعفيك في كل ما أسألك عنه حتي تأتيني فيه بحجة من كتاب الله وأنتم تدعون معشر ولد علي أنه لا يسقط عنكم منه شيء لا ألف ولا واو إلا تأويله عندكم واحتججتم بقوله عزوجل: ما فرطنا في الكتاب من شيء، وقد استغنيتم عن رأي العلماء وقياسهم.

فقلت: تأذن لي في الجواب؟ فقال: هات، قلت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم * ومن ذريته داود وسليمان... وعيسي * من أبو عيسي يا أمير المؤمنين؟ فقال: ليس له أب، فقلت: إنما الحقه بذري الأندياء من طريق مريم وكذلك ألقنا الله تعالى بذري النبي من أمنا فاطمة، أزيد يا أمير المؤمنين؟ قال: هات، قلت: قول الله عزوجل * فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا... ولم يدع أنه أدخل النبي³ تحت الكساء عند المباهلة مع النصاري إلا علي بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فكان تأويل قوله: أبناءنا - الحسن والحسين، ونساءنا: فاطمة، وأنفسنا، علي بن أبي طالب.

وفي نورالثقلين ١: ٣٤٩ عن الخصال في احتجاج علي X علي أبي بكر قال: فأنشدك بالله أبي برز رسول الله³ وبأهلي وولدي في مباهلة المشركين من النصاري أم بك وبأهلك وولدك؟ قال: بكم، وفيه أيضا من مناقب أمير المؤمنين X وتعدادها قال X: وأما الرابعة والثلاثون فإن النصاري ادعوا أمرا فأنزل الله عزوجل فيه * فمن حاجك... فكانت نفسي نفس رسول الله³ والنساء فاطمة والأبناء الحسن والحسين ثم ندم القوم فسألوا رسول الله³ قردة وخنازير * وفيه عن عيون أخبار الرضا X عن النبي³ حديث طويل فيه: يا علي من قتلك فقد قتلني ومن أبغضك فقد أبغضني ومن

←

فاختصاص سهم السادة بالمنتسبين بالأب - فقط - الي رسول الله 3 خرافة لاتملك برهاناً من كتاب او سنة، بل هما يعارضان ذلك الإختصاص. و ﴿نساءنا﴾ حيث تعنى كل النساء الآهلات لانتساب اليه 3 دون خصوص الأزواج، نراهن أخذصرن واحذصرن في قره عينه وفلذة كبده فاطمة الزهراء سلام الله عليها، مما يبرهن علي فضلها، وانها تجمع في نفسها الخاصة كل الانتسابات الرسالية بين نساءه بالرسول 3 فهي - اذاً - مفضلة علي كل ازواجه وسواهن من النساء المنتسبات إليه 3.

ثم ﴿وانفسنا﴾ هي في جانب الرسول 3 يتمثل في نفس واحدة هي نفسه 3 ولم يكن معه في مباهلتة من غير فاطمته وحسنية إلا عليه (عليهم السلام).

فلو كان للرسول 3 انفس يمثلونه لكان علياً X لاسواه.

ذلك وقد تواتر عن الرسول 3 قوله بحق هذه المماثلة السامية والمباعدة الحانية: ﴿علي منى وأنا منه لا يؤدي عني إلا علي﴾ - ﴿علي منى﴾



سبك فقد سبني لأنك منى كنفسى روحك من روى وطينتك من طينتي.

١ . حديث صحيح رجاله كلهم ثقات أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٤ : ١٦٤ و ١٦٥ بأسانيد أربعة والحافظ ابن ماجة القزويني في سننه ١ : ٥٧ والحافظ أبو عيسى الترمذي في جامعه ١٣ : ١٦٩ و ٢ : ٤٦٠ وفي صحيحه ٢ : ٢١٣ والنسائي في خصائمه ٦٢ و ٢٧ وابن المغازلي الشافعي في المناقب بأسانيد وفيرة والبيهقي في المصابيح ٢ : ٢٧٥ والخطيب العمري في المشكاة ٥٥٦ والكنجي في الكفاية ٥٥٧ والنووي في تهذيب الأسماء واللغات والمحجب الطبري في الرياض ٣ : ٧٤ عن الحافظ السلفي وسبط ابن الجوزي في التذكرة ٢٣ والذهبي في تذكرة الحفاظ وابن كثير في تاريخه والسخاري في المقاصد الحسنة والمناوي في كنوز الدقائق ٩٢ والحموي في فرائد السمطين ب ٧ والسيوطي في الجامع الصغير وجمع الجوامع وابن حجر في الصواعق ٧٣ والمتقى الهندي في كنز العمال عن (١١) حافظاً والبدرشاني في نزل الأبرار ٩ والفقيه شيخ بن العيدروس في العقد النبوي والشبلنجي في نور الأبصار ٧٨ والصبان في الاسعاف هامش نور الأبصار ١٥٥



منى مثل رأسى من بدنى ١ - *منزلة على منى
منزلتى من الله ٢ مما يؤكد هذه النفسية
النفسية العلوية المحمدية.

فكون على X نفس محمد3 لا يدل فقط على
افضليته على سائر الأمة بأسرهم، بل وعلى
افضليته على كافة السابقين والمقربين
واولى العزم من النبيين صلوات الله عليهم
اجمعين، ولا فارق بين محمد وعلى (عليها
السلام) إلا فى الرسالة، فهو يساميه فيما
سواها من العصمة القمة و سائر المدارج
القدسية الروحية والزمنية بأسرها.

ومهما يكن من أمر فقد *خرج 3 وعليه مرط
من شعر أسود و كان قد احتضن الحسين X وأخذ
بيد الحسن X وفاطمة تمشى خلفه وعلى X خلفها
و هو يقول: اذا دعوت فأمنوا فقال أسقف
نجران يا معشر النصاري إنى لأرى وجوهاً لو
سألوا الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله بها
فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبدقى على وجه الأرض
نصرانى الي يوم القيامة... ٣.



كلهم أخرجوه ورووه عن حبشى بن جنادة وعمران وأبى
ذر الغفارى عن رسول الله3.

وروي مثله البخارى فى ٤ من صحيحه عن عمر بن
الخطاب وفى الجمع بين الصحاح ج ٣ من عدة طرق
ومنها ما عن ابن جنادة عن رسول الله3 أنه قال: على
منى وأنا منه.

١ . رواه الإمام أحمد فى مسنده و ابن المغازلى
بالإسناد عنه3 وابن الأثير بين الصحاح ج ٣ من عدة
طرق ومنها ما عن ابن جنادة عن رسول الله3 أنه قال:
على منى وأنا منه.

٢ . أمالى الطوسى عن ابن مسعود، وأخرجه الجافظ
ابن المغازلى كما فى العمدة لابن بطريق ٥٣ بإسناده
عن بكر بن سوادة عن قبيضة بن ذويب وأبى سلمة بن
عبدالرحمن عن جابر بن عبدالله عنه3 والسيرة الحلبية
٣: ٣٩١.

٣ . تفسير الفخر الرازى ٨: ٨٠ روي أنه عليه السلام
لما أورد الدلائل على نصارى نجران ثم انهم أصروا
على جهلهم فقال عليه السلام: إن الله أمرنى إن لم
تقبلوا الحججة أن أباهلكم فقالوا: يا أبا القاسم بل
نرجع فننظر فى أمرنا ثم نأتىك فلما رجعوا قالوا
للعاقب - و كان ذا رأيهم - يا عبد المسيح ما ترى؟



و ما أبلدغه حرجة أن يبالهم بعد برها نه
المبين، تعريضاً عريضاً علي كذبهم دونه بجمع
❖ الكاذبين❖ تأكيداً أنهم هم جمع
النجرانين دونه³ إذ كان واحداً في تلك
المجابهة مها حمل معه حسنيه وفاطمة
وعليه (عليهم السلام) تأكيداً للحجة وايضاحاً
للمحجة .

ذلك! وكما أن في❖ ونجعل❖ دون❖ ونسأل❖
تأ كداً بنزول اللعنة لا محاله، ولم يكن
إحضار هؤلاء الأربعة كنماذج عن الباقيين، وإلا
لكان المفروض احضار اقل الجمع من كل من
الثلاث، ولكن الجمع الأول اختص في مسرح
المباهلة بحسنيه والجمع الثاني بفاطمة
والجمع الثالث بعليه مما يدل علي حصر تلك
الأهلية فيهم وحسرها عن سواهم .

ومن الطريف حوار بين الامام الرضاX

←
فقال: والله لقد عرفتم يا معشر النصاري أن محمداً نبي
مرسل ولقد جاءكم بالكلام الحق في أمر صاحبكم والله ما
بأهل قوم نبياً قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن
فعلتم لكان الإستئصال فإن أبيتم إلا الإصرار علي
دينكم والإقامة علي ما أنتم عليه فوادعوا الرجل
وانصرفوا إلي بلادكم وكان رسول الله³ خرج وعليه
مرط... ثم قالوا يا أبا القاسم رأينا أن لا نباهلك
وأن نقرك علي دينك فقال³ فإذا أبيتم المباهلة
فأسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما علي
المسلمين فأبوا فقال³ فإني أناجزكم القتال فقالوا
ما لنا بحرب العرب طاقه ولكن نصالحك علي أن لا
تغزونا ولا تردنا عن ديننا علي أن نؤدى إليك في كل
عام ألف حلة: ألفا في صفر وألفاً في رجب وثلاثين
درعاً عادية من حديد فصالحهم علي ذلك وقال: والذي
نفسي بيده إن الهلاك قد تدلي علي أهل نجران ولو
لاعنوا لمسحوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي
نارا ولاستأصل الله نجران وأهله حتي الطير علي رؤوس
الشجر ولما حال الحول علي النصاري كدهم حتي
يهلكوا .

قال: وروى أنه عليه السلام لما خرج في المرط الأسود
فجاء الحسنX فأدخله ثم جاء الحسينX فأخله ثم
فاطمة ثم علي عليهما السلام ثم قال: إنما يريد الله
ليذهب عنكم الرجس أهل البيت وليطهركم تطهيراً،
وأعلم أن هذه الرواية كالمتفق علي صحتها بين أهل
التفسير والحديث.

والمأمون حيث قال: ما الدليل علي خلافة جدك علي بن أبي طالب؟ قال: آية انفسنا، قال: لولا نساءنا قال: لولا أبناءنا.^١

فقد عنى المأمون بـ ﴿لولا نساءنا﴾ انها دليل كون الأنفس هم كل الذكور بقريظة المقابلة فليسوا هم علياً فحسب، فأجاب ﴿لولا ابناءنا﴾ ان لو عنى بـ ﴿انفسنا﴾ الذكور لشملت الأبناء، فأفراد الأبناء دليل اختصاص ﴿انفسنا﴾ بذكور خصوص، وهو رجل خاص: علي X، حيث حمل كل نفسيات الرسول في شخصه الشخيص، فلو كان هناك انفس للنبي 3 يمثلونه لم تكن إلا علياً X الذي هو بدوره نفس الرسول 3 إلا في رسالته، فلا دور لما اوردته بعض المجاهيل علي انطباق ابناءنا علي الحسنين لمكان التثنية ونساءنا وانفسنا علي فاطمة وعلي (عليهما السلام) لمكان الأفراد، لأن ذلك من باب الإنطباق دون الدلالة اللغوية.

فقد عنى من ﴿نساءنا﴾ أخص النساء و

١ . ومثله ما في حقائق التأويل لليسيد الشريف الرضى ص ١١٢ قال: ومن شجون هذه المسألة ما حكى عن القاسم بن سهل النوشجاني قال: كنت بين المأمون في ديوان أبي مسلم بمرور وعلي بن موسى الرضا عليهما السلام قاعد عن يمينه فقال لي المأمون يا قاسم أي فضائل صاحبك أفضل؟ فقلت ليس شيء منها أفضل من آية المائدة فإن الله سبحانه جعل نفس رسوله 3 ونفس علي واحدة فقال لي: إن قال لك خصمك: إن الناس قد عرفوا الأبناء في هذه الآية والنساء وهم الحسن والحسين وفاطمة عليهم السلام وأما النفس فهي نفس رسول الله 3 وحده بأي شيء تجيبه؟ قال النوشجاني: فأظلم علي ما بينه وبينى وأمسكت لأهتدى بحجة فقال المأمون للرضا X ما تقول فيها يا أبا الحسن X فقال له: في هذا شيء لا مذهب عنه قال: وما هو، قال: هو أنه رسول الله 3 داع ولذلك قال الله سبحانه: ﴿قل تعالوا...﴾ والداعي لا يدعو نفسه إنما يدعو غيره، فلما دعا الأبناء والنساء ولم يصح أن يدعو نفسه لم يصح أن يتوجه دعاء الأنفس إلا إلي علي بن أبي طالب X إذ لم يكن بحضرته - بعد من ذكرنا - غيره ممن يجوز توجه دعاء الأنفس إليه ولو لم يكن ذلك كذلك لبطل معنى الآية، قال النوشجاني: فإنجلي عن بصرى وأمسك المأمون قليلاً ثم قال له يا أبا الحسن إذا أصيب الصواب انقطع الجواب.

ألمصقهن بالمباهلين فانحصرن للذبيى بفاطمة (عليهما السلام) و من أبناءنا أخص الأبناء فانحصروا بالحسنين، بل ولم يكن له أبناء غير هـما، ثم و من انفسنا خير الممثلين للمباهلين و لم يكن الذبيى (صلى الله عليه و آله و سلم) الا على (عليه السلام)، و اما نساء كم و ابناكم و انفسكم فهم كثرة حسب عديد المباهلين الكاذبين مهـما لم يكونوا حضوراً اذا طلب منهم إحضارهم ولكنهم تحاشوا عن ذلك المسرح الخطير بقية علي أنفسهم وأهليهم.

ولقد نري من ذكر الجمع و ارادة مصداق واحد عديداً فى الذكر الحكيم، كـ * انما وليكم الله و رسوله و الذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة و يؤتون الزكاة و هم راعون ﴿٥:٥٥﴾ ولا مصداق له الا على (عليه السلام) حيث زكى فى ركوع الصلاة، فكان * الذين آمنوا ﴿٥٨:٢﴾ عنواناً مشيراً إلى خصوص ذلك المصداق.

و كذلك الجموع التى نزلت بشأن الوحدات تعميماً للأحكام التى تضمنها كـ * الذين يظاهرون منكم من نساءهم ما هن امهاتهم ﴿٥٨:٢﴾ و الذين يظاهرون من نساءهم ثم يعيدون لما قالوا ﴿٥٨:٢﴾^١

^١ الشعر الجاهلي هو

بنونا بنوا ابناؤنا وبناتنا بنوهن أبناء الرجال الأغباب

والحديث ما فى الوسائل ٦:١٨٨ مرسل الكليني عن العبد الصالح فى حديث طويل قال: ومن كانت أمه من بنى هاشم و أبوه من سائر قريش فإن الصدقات تحل له وليس له من الخمس شىء فإن الله يقول: * اعودهم لأبائهم ﴿٥٨:٢﴾.

أقول هذه آية الأحزاب * وما جعل أديعاءكم أبناءكم ذلك من قولكم بأفواحكم والله يقول الحق و هو يهدى السبيل ﴿٤﴾ ولا تعنى إلا الأديعاء، فهل إن أبناء البنات من الأديعاء، أم ترى أن الحسنين عليهما السلام و سائر الأئمة عليهم السلام هم من أديعاء الرسول ³؟ إن هى إلا فرية جاهلة وقحة!

دعاء محمد 3 بامر الله

٤

❁ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ
سُلْطَانًا نَصِيرًا ﴿٨٠:١٧﴾

وسلطانه النصير هو من مقامه المحمود هنا، كما شفاعته الكبرى من سلطانه النصير هناك! فقد جعل الله له سلطاناً نصيراً في الأولي والأخري!

تلك دعاء يحتاجها الرسول ولكي يجتث ويجتاح كل عراقيل الدعوة، يؤمر علي طول خط الدعوة الرسالية إدخال صدق وإخراج صدق، و سلطاناً نصيراً حينها وقبلهما وبعدهما، دعاء مثلثة الزوايا تجمع مجامع الخيرات لصاحب هذه الرسالة السامية.

فالصدق هنا مطلق دون قيد، صدقاً في العلم والايمان، وصدقاً في النية والعمل، تطابقاً في جنباته كلها، دون نفاق وشقاق، ودون اية كذبة ولانقيراً!

صحيح أن علي الإنسان - اياً كان - أن ينتظم دخوله في كل مدخل وخروجه عن كل مخرج بصدق صارم قاطع، ولكنما هناك العراقيل التي تحول دونه وما يريد متغلّبة علي ما يريد و إن قليلاً، فليطلب من الله أن يدخله ويخرجه بصدق، عصمة عن المزال وحفاظاً عن الضلال، والعصمة القمة التي مالها من سباق هي العصمة المحمدية التي يطلبها من ربه ليل نهار.

وإن ذلك استسلام تام للرب تبارك و تعالي، أن يستضيف الي حوله حول الله، والي قوته قوة الله، والي ارادته ارادة الله، بل يري انه ❁ لا حول ولا قوة إلا بالله ﴿١﴾ فيجعل نفسه مجالاً لمشيئة الله، فلا يشاء إلا ما يشاء الله، بعدما يكرس كل طاقاته في تحقيق وتطبيق مرضات الله، لقد كان للرسول خروج عن مكة هجرة الي المدينة دخولاً فيها، ومن ثم دخول في مكة

يوم الفتح ثم خروج عنها منتصراً مظفراً^١،
وبين ذلك دخولات وخرجات في مداخل ومخارج
شتي لتحكيم الدعوة وتدعيم الرسالة، وكل
ذلك تشمله دعاءه * وقل رب.. ﴿١٧﴾ كما ادخله
واخرجه صدقاً.

* .. واجعل لي من لَدُنكَ سلطاناً نصيراً ﴿١٨﴾
سلطاناً من لدن الرب تبارك وتعالى. نصيراً
له في دعوته الرسالية العالمية في كل مدخل
ومخرج وكل مقام ومقام^٢.

ان السلطان النصير ايأ كان يختص بالرسول³
فلا نجد في سائر القرآن سلطاناً نصيراً لمن
سواه إلا سلطاناً مبيناً هو معجزة الرسالة
وهي لزام الرسالات كلها، وقد بدء الرسول
بها في قرآنه فإنه أفضل سلطان وأخلده.

و من سلطانه النصير نظيره ووزيره علي
أمير المؤمنين X فانه شاهد لبينة الرسالة
حيث يتلوه: * أفمن كان علي بينة من ربه
ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى اماماً
ورحمة.. ﴿١١:١٧﴾^٣.

ومن سلطانه النصير – في آخر الزمن –
القائم المهدي X من عترته المعصومين(عليهم

١ . الدر المنثور ٤: ١٩٨ – اخرج احمد والترمذي
وصححه وابن جرير وابن المنذر والطبراني والحاكم
وصححه وابن مردويه وابو نعيم والبيهقي معاً في
الدلائل والضيء في المختارة عن ابن عباس قال: كان
النبي³ بمكة ثم امر بالهجرة فأنزل الله تعالى: وقل
رب ادخلني.. ﴿١٧﴾.

٢ . الدر المنثور ٤: ١٩٨ – اخرج الحاكم وصححه
والبيهقي في الدلائل عن قتادة في الآية قال: اخرج
الله من مكة مخرج صدق وادخله المدينة مدخل صدق –
قال: و علم نبي الله³ انه لا طاقة له بهذا الامر الا
بسلطان فسأل سلطاناً نصيراً لكتاب الله تعالى وحدوده و
فرائضه واقامة كتاب الله تعالى فان السلطان عزة من
الله تعالى جعلها بين عباده ولولا ذلك لغار بعضهم علي
بعض واكل شديدهم ضعيفهم.

٣ . ملحقات الاحقاق. اخرج الحاكم الحسكاني في
شواهد التنزيل ج ١ ص ٣٤٨ ط بيروت باسناد متصل عن
عبدالله بن عباس في الآية قال: والله لقد استجاب الله
لنبينا دعاءه فاعطاه علي بن ابي طالب سلطاناً
ينصره علي اعدائه.

السلام): فيه - لا سواه - ﴿يَمَلَأُ اللَّهُ بِهِ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا بَعْدَ مَا مَلَأَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا﴾، وفي الحق إن هذه الدولة المباركة هي تحقيقة شاملة وتطبيقة كاملة لرسالته في العالمين، كما تحققت علي ضوءها كافة الرسالات الإلهية. إذا فهي حُصالة غالية من كل سلطانه النصير، المنقطع النظير في كل سلطان نصير، فانها انتصار صارمة لرسالة السماء في الأرض، بعد كل تشرد له بتمرد مارد من المرسل اليهم طوال التاريخ الرسالي، والآية التالية تبشيرة لطيفة بحق ذلك السلطان النصير:

﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ (١٧:٨١)

اجل ﴿بل نقذف بالحق علي الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون﴾ (٢١:١٨)! ﴿قل ان ربي يقذف بالحق علام الغيوب. قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد﴾ (٣٤:٤٩).

﴿انزل من السماء ماءً فسالت اودية بقدرها فاحتمل السيل زبداً رابياً ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فا ما الزبد فيذهب جفاً وأما ما ينفخ الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الامثال﴾ (١٣:١٧)! ﴿ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار﴾ (١٤:٢٦)

لقد قال الرسول هذه الكلمة الطيبة فيما قال في سلطانه النصير عندما فتح مكة واخذ يكسر الاصنام^١ واذا لم يز هق الباطل في

١ . الدر المنثور ٤: ١٩٩ - اخرج ابن ابي شيبة وابويعلی وابن المنذر عن جابر(رضي الله عنه) قال: دخلنا مع رسول الله³ مكة وحول البيت ثلثمائة وستون صنماً فامر بها رسول الله³ فاكبت لوجهها وقال: ﴿جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقاً﴾ واخرجه مثله الطبراني في الصغير وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس عنه³ واخرجه ابن ابي شيبة والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن جرير وابن

صورته زهاقه في سيرته زمن الرسول³ حتى الآن فسوف يزهق تما ما زمن الدولة المباركة الاسلامية العالمية في قيام الامام المهدي عجل الله تعالي فرجه الشريف، فـ ❁ اذا قام القائم ذهبت دولة الباطل❁ فان للحق دولة وللباطل صولة وجولة، ينفخ وينفخ ولكنه هس سريع العطب كشعلة الهشيم!

وقد كانت هذه الآية مكتوبة علي ذراع المهدي X الأيمن لما ولد❁ حيث تعذى أن مجيء الحق تماماً وزهاق الباطل تماماً ليس إلا بيمين المهدي X لاسواه، مهما بذر بذره الرسول البشير النذير، حيث بذر بلا اي تبذير:

وفي الحق ان الحق كيانه الإنجلاء والقرار، والباطل كيانه الجلاء والإنحجار!.. والحق وان كان جائياً قبل ذلك الحق ولكنه لم يكن بالذي لاينسخ ولايُحرف، وأما ذلك الحق فكتابه حق لاينسخ او يحرف ❁ لا يآيته الباطل من بين



المنذر وابن مردويه عن ابن مسعود عنه³ بزيادة الآية ❁ جاء الحق وما يبديء الباطل وما يعيد❁ ومثله في امالي الطوسي باسناده الي سليمان بن خالد قال حدثنا علي بن موسى عن ابيه عن جعفر بن محمد عن ابيه عن ابيه قال: وفي كفاية الخصام ٥٣٦ - ان هبل وهو اكبر الاصنام التي كانت علي جدران الكعبة انما نزلها وكسرها علي X، بامر النبي³ حين وضع قدمه علي ظهره الشريف، رواه ابوبكر الشيرازي في كتاب نزول القرآن في شأن امير المؤمنين X عن قتادة عن ابن المسيب عن ابي هريرة عن جابر بن عبدالله الانصاري قال: كنا مع رسول الله³ حين دخل الكعبة... .

ورواه مثله ابو المؤيد موفق بن احمد بسنده عن ابي

مريم عن علي بن ابي طالب X... .

١ . نورالثقلين ٣: ٢١٢ عن روضة الكافي باسناده عن ابي جعفر الباقر X في الآية قال: اذا قام القائم ذهبت دولة الباطل.

٢ . المصدر ص ٢١٣ ح ٤١٠ في الخرائج والجرائح عن

حكيمه في خبر طويل وفيه لما ولد القائم X كان نظيفاً مفروغاً منه وعلي ذراعه الايمن مكتوب ❁ جاء الحق... .❁

يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد (٤٢:٤١) ورسوله لايزول فان رسالته مؤبدة، ودولته سوف تفوق الدول وتشمل العالم أجمع، اذاً ف ❀ ما يبديء الباطل ❀ نفسه ان يبدء حياته من جديد ❀ وما يعيد ❀ ما كانت من حياته البائدة، فلا بدء له بعد ولا عود، وانما هما الآن وعلي مر الزمن والأجيال للحق!

الحق الخالص الصارم بمن له من أنصار صامدين، ثابت لا حول عنه، والباطل زاهق مهما كان له من انصار... فالباطل شجرة خبيثة اجثتت من فوق الأرض ما لها من قرار حيث لايطمنن الي حقيقة مهما تنفخ وتنفج فانه هش العطب... وهو زبد يطفوا علي الماء ويخيل الي من غربت عقولهم أنه عال، ولكنه يذهب جفاءً ويبقي الماء.

في معترك الحق والباطل، القوة كلها للحق حيث يضرب علي الباطل فيدمغ ❀ ولكم الويل مما تصفون ❀ ومهما انهزم أهل الحق احياناً ولكن الحق لاينهزم ❀ ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته إنه عليهم بذات الصدور ❀ (٤٢:٢٤).

إن الحق من الله وهو مع الله ومن ورائه الله، والباطل من الشيطان ومن وراءه الشيطان ❀ والله غالب علي أمره ولكن اكثر الناس لايعلمون ❀ ❀ ألا إن حزب الله هم الغالبون ❀!

الباطل كلما أرعذ وأبرق وعربد لايمك عقولاً صافية وحقولاً ضافية، مهما ملك غاربه من سنخه وفي مجراه، ولكنما الحق يملك عقولاً وتنضج به عقول، مهما عرضه من لايعقلون! لقد جاء الحق في القرآن (٢٥٤) مرة ولم يجيء الباطل إلا (٢٦) مرة، ولان دلائل الحق تحيط بنا وليس للباطل دلائل إلا زوراً وغروراً! ❀ ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق واتخذوا آياتي وما أنذروا هزواً ❀ (٥٦:١٨) ❀ بل نقذف بالحق علي الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما

تصفون ﴿٢١:١﴾ * وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب ﴿٤٠:٥٠﴾؟ * بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون ﴿٢١:٢٤﴾ لذلك * وأكثرهم للحق كارهون ﴿٢٣:٧٠﴾ .

* وقبل جاء الحق ﴿١﴾ ليحق ويبقي * وزهق الباطل ﴿٢﴾ لان حقه الزهاق * ان الباطل كان ﴿٣﴾ منذ وجد وفي أعماق الزمان والمكان * زهوقاً ﴿٤﴾ لاثبات له فلامسك له ولا سماك لبنائه وإنما يبغي امتحاناً وبلاءً في دار البلاء * والعاقبة للتقوي ﴿٥﴾ .

* وَنَزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا

خَسَارًا ﴿١٧:٨٢﴾

القرآن كله شفاءً ورحمة للمؤمنين ومزيد خسار للظالمين، ولا تعنى * من ﴿١﴾ تبعيضاً في القرآن، بل هو بيان لكيان القرآن اياً كان كما * فاجتنبوا الرجس من الاوثان ﴿٢﴾ فالرجس هو طبيعة الاوثان؛ والشفاء والرحمة هما طبيعة القرآن ولكن لمن؟ * للمؤمنين ﴿٣﴾!

أتري إذا اختص القرآن في شفاءه ورحمته بالمؤمنين فما بال غيرهم يؤذون ويعذبون ولا يشملهم هدى القرآن؟ رغم انه * هدي للناس وبينات من الهدى الفرقان ﴿٤﴾! ثم الشفاء والرحمة حاصلتان للمؤمنين بالايمان، وغيرهم يحتاجونها حتي يحصل الايمان! والظلم داءً عضالً فكيف لا يشفيه القرآن.

* المؤمنين ﴿٥﴾ هنا كـ * المتقين ﴿٦﴾ في * هدي للمتقين ﴿٧﴾ تعنى من يبتغى الايمان اصلاً او مزيداً، ويتقى خلاف الايمان اصلاً او مزيداً، فالكافر اياً كان إذا فتش عن الايمان، وكفره قصور وشك مقدس ولما يصل الي برهان الايمان هو هنا من * المؤمنين ﴿٨﴾ فإنه: * هدي ورحمة لقوم يؤمنون ﴿٩﴾ (٧:٢٠٣) .

واما المتعنت المتعمد في كفره وظلمه فهو الظالم الذي لايزيده القرآن إلا خساراً، وان كان مذسلاً في سلك المسلمين كالمنافقين،

ام والمؤمنين الضعفاء ❁ وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون ❁ (١٢: ١٠٦) .
فالقرآن هو مذبج الشفاء والرحمة بجاذب الإيمان ممن نظفت فطرته ولطفت سريرته، وان لم يصل قبل الإمعان فى القرآن الي واقع الإيمان .

والظالم نفسه والظالم آيات ربه، الذي غربت فطرته لايزيده هذا القرآن إلا خساراً ❁ فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ❁ (٣: ١٠) .
ليست الشفاء إلا عن مرض اياً كان فى الروح ام فى البدن، ولا الرحمة إلا قوة بعد نقاهة، وليستا إلا للذين يؤمنون: ❁ قل هو للذين آمنوا هدي وشفاء ❁ (٤١: ٤٤) مهما خوطب بهما الناس اجمعون ❁ يا ايها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين ❁ (١٠: ٥٧) فالشفاء هنا وهناك هى الشفاء، تخلية عن الامراض، والرحمة هى الموعظة والهدى تخلية وتجلية للأرواح، وهى مزيد سلامة للأبدان!

إن القرآن شفاء ورحمة لحد سمي شفاء ورحمة، شفاء فى مثلث الآيات ورحمة فى عشرات: ❁ ولقد جنناهم بكتاب فصلناه علي علم هدي ورحمة لقوم يؤمنون ❁ (٧: ٥٢) ❁ هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ❁ (٧: ٢٠٣) ❁ ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شىء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ❁ (١٢: ١١١) .
ف ❁ يؤمنون ❁ هنا وهناك تلمح الي معني ❁ المؤمنين ❁ فى آية الشفاء والرحمة، كما بيناه .

فهو ❁ شفاء ❁ عن أمراض الفطرة والعقل، ومضايق الصدر وعمي القلب، عن ظلمات الأفكار ام ماذا؟ و عن أمراض الأبدان ما كان لها شفاء لمن دخل مستشفى القرآن، فانه

١. نورالثقلين ٣: ٣١٣ ح ٤١٥ طب الأئمة قال ابو عبدالله X ما اشتكى احد من المؤمنين شكاية قط وقال يا خلاص نية ومسح موضع العلة ❁ وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولايزيد

❖ الشفاء الاشفي❖ .. ❖ من استشفى به شفاه الله❖^١
❖ شفاءً لا تخشى اسقامه❖^٢: ❖ شفاءً❖ ومن ثم
❖ رحمة❖ فـ ❖ إنه هدي من الضلالة وتبيان من
العمي واستقالة من العثرة ونور من الظلمة
وضياءً من الأحداث وعصمة من الهلكة ورشد من
الغواية وبيان من الفتن وبلاغ من الدنيا
إلى الآخرة وفيه كمال دينكم❖.

❖ وانما الشفاء في علم القرآن❖^٣ ❖ للأرواح
والأبدان، للمؤمنين بدرجاتهم، عالية في
ائمة الهدى ونازلة لمن ذاق طعماً من
الايمان، فالشفاء والرحمة لكل قدر الايمان
❖ وان ليس للانسان إلا ما سعي❖.

وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَؤُسًا (١٧:٨٣)
تنديد بنسيان الانسان نعمة ربه حين ينعم
عليه، ويأسه حين يمسه الشر❖ والدهر لك
يومان يوم لك ويوم عليك فاذا كان لك فلا
تبطر وإذا كان عليك فاصبر فبكلاهما ستختبر❖
ولكن ❖ إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى❖!



الظالمين إلا خساراً❖ الا عوفى من تلك العلة اية
علة كانت ومصداق ذلك في الآية حيث يقول ❖ شفاء
ورحمة للمؤمنين❖ وباسناده الي عبدالله بن سنان عن
ابي عبدالله X قال: يابن سنان لا بأس بالرقية والعوذة
والنشرة اذا كانت من القرآن ومن لم يشفه القرآن
فلا شفاه الله وهل شيء ابلغ في هذه الاشياء من القرآن
اليس الله يقول: ❖ ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة
للمؤمنين❖.

١ . اصول الكافي ج ٢ ص ٦٠٠ عن رسول الله³ في خطبة
مفصلة حول القرآن راجع عن ٣٠ المقدمة من القرآن.

٢ . نهج البلاغة الخطبة ١٠٣ ص ٢٠٢ - راجع مقدمة
الفرقان ج ٣٠.

٣ . نورالثقلين ٣: ٢١٣ في ٤١٢ في تفسير العياشي
عن مسعدة بن صدقة عن ابي عبدالله X حديث طويل يقول
فيه: وانما الشفاء في علم القرآن لقوله: ننزل من
القرآن ما هو شفاء - للناس ورحمة لاهله لاشك فيه
ولامرية واهله ائمة الهدى الذين قال الله ❖ ثم اورثنا
الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا❖.

٤ . المصدر بنفس السند عنه X قال: انما الشفاء في
علم القرآن لقوله ❖ ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين
لا اله لاشك فيه ولا مرية آه❖.

فحين يُترك الإنسان بلا شفاء ولارحمة يعيش دهره خساراً في يوميه: حيث يبطر إذا انعم الله عليه فاعرض وناً بجانبه، ويئس حين يمسسه الشر، فمن طبيعة النعمة أنها تُطغى وتبطر ما لم يذكر المنعم واهدبها فيحمد ويشكر، والشر والضر يُقنط ويئس ما لم يرجو الله ويأمل، وهنالك تتجلي القيمة لشفاء القرآن ورحمته، او خسارة ونقمتة، وكل يعمل علي بشاكلته.

﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا﴾ (١٧:٨٤)

﴿قل﴾ يا رسول الهدي ﴿كل﴾ من المؤمن والظالم ﴿يعمل علي شاكلته﴾ متبنياً كلما يعمل من عمل الايمان واللا ايمان علي شاكلته الخاصة به ﴿فربكم﴾: انتم العاملون، الخالق المدبر لكم ﴿اعلم بمن هو اهدي سبيلاً﴾ حيث الرب يعلم عمل المربوب بشاكلته!

تري وما هي شاكلة كل عامل يتبناها في عمله تقوي او طغوي؟ مع العلم انها ليست الشاكلة الصورية؟ الشاكلة صفة لموصوف محذوف فهل هي فطرته؟ وهي لاتختلف فيمن فطر عليها! ولاتتخلف عما هي عليها! ولاتتبعها الأعمال إلا لمن لم يُجب عنها! ثم ولا تكفي حكماً لكل صغيرة وكبيرة، فان لها احكاماً عامة يشترك فيها كل المفطورين عليها!

ام هي العقلية والفكرة؟ وهما علي اختلافهما بين العاملين، لاتكفيان تبدياً للأعمال، فكثير هؤلاء الذين يعملون اعمالاً خلاف فكرهم وعقليانهم!

ام هي مطلق العقيدة التي تتبناها العقلية والفكرة؟ ورب معتقد بشيء يخالفه في قوله او عمله ام فيهما؟!

ام هي النية التي تتبني العقيدة، ان صالحة فصالحة وإن طالحة فطالحة؟ وكأنها هي ﴿فالنية هي العمل﴾ حيث العامل الاخير لكل عمل هو النية التي تستتبع الإرادة ثم العمل!

ثم تري النية الحاصلة من عقيدة وهي حصيلة العقلية والفكرة، هل تنتهي الي سجية عليزية او سجينية هي لزام كل انسان، اذا فهل الشاكلة الأصلية لكل عامل، والنية وعواملها هي كلها حصيلة تلك السجية، دون تدخل لإرادة العامل؟ وهو جبر في الأعمال التكليفية ويخالف العقل والنقل وحديث ❁ الشقي من شقي في بطن امه والسعيد من سعد في بطن امه ❁ مفسراً بعلم الله، فانه يعلم من سوف يشقي ويسعد وهو في بطن امه، فليست السجية المسيرة هي الشاكلة، وإنما النية الميسرة وهي حصيلة شاكلة العقيدة الحاصلة عن العقلية والفكرة، فان ابتدأت هذه من الفطرة غير المحجوبة وتمشت مع الوحي انتجت الأعمال الصالحة، وإن تخلفت بداية في سيرها انتجت الطالحة، وإن كانت بين ذلك عواناً خلطت عملاً صالحاً وآخر سيئاً.

فالنية الصالحة هي التي تذبغ من الايمان وتوافق سنة الله كما يروي: ❁ لا قول إلا بعمل ولا قول ولا عمل إلا بالنية ولا قول ولا عمل ولا نية إلا باصابة السنة❁^١.

فنية كل إنسان علي جذورها وفروعها هي شاكلة الإنسان وماهيدته حيث تشكل عمله ويشاكلها عمله، فانها حصيلة فعلية لطاقاته الروحية كلها، إذا فالإنسان هو النية كما ❁ ان النية هي العمل❁^٢ فمن ❁ إنما الاعمال بالنيات وإنما لكل امريء ما نوي❁ وقد عبرت عنها بالشاكلة لكي تشملها وكل ماتبناه النية وتتبناها في العمل.

ولان النية هي النبذة الأصلية فالحق يقال ❁نية المؤمن خير من عمله ونية الكافر شر من عمله❁ فلإنسان سبيلان سبيل الهدى وسبيل

١ . الكافي باسناده الي الامام الصادقX.

٢ . نورالثقلين ٣: ٢١٤ ح ٢١٧ في اصول الكافي باسناده عن ابي عبداللهX قال: النية افضل من العلم ألا وان النية هي العمل ثم تلا قوله عزوجل: ❁قل كل يعمل علي شاكلته❁. يعني علي نيته.

الردى *فربكم أعلم بمن هو أهدي سبيلاً: شاكلة، فالسبيل هى الطريقة الشاكلة هدى أو ضلالة، وما العمل إلا صورة بينة عن سيرة وسريرة خفية، وهى هى الصورة الانسانية او البهيمية! كما النية هى شاكلة العمل.

ادعية من حملة العرش

﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ (٧:٤٠)

من الذين يحملون العرش ثمانية: ﴿ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية﴾ (١٧:٦٩) وتري الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين ﴿(٧٥:٣٩)﴾ .

حملة العرش يومئذ ثمانية، وما ندرى قبله كم هيه، هل هم الثمانية ام زائدة او ناقصة؟ ثم ﴿ومن حوله﴾ ومنهم الملائكة، هل هم من هؤلاء الحملة؟ فلماذا افردوا عنهم ان كانوا من ﴿الذين يحملون العرش﴾! ام هم المحمولون مع العرش من حوله؟ وحمل العرش - فقط - هو المحور في آية الثمانية! إلا ان تدلنا علي حملهم ﴿والملك علي ارجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية﴾ وتري الملائكة حافين من حول العرش! ﴿

واين هي الدلالة إلا احتمالاً في آية ﴿من حوله﴾ مع احتمال انهم ممن ﴿يسبحون بحمد ربهم﴾ مع ﴿الذين يحملون العرش﴾ لا وأنهم المحمولون معه! إلا أن واضح التعبير عنه ﴿الذين يحملون العرش يسبحون...﴾ ومن حوله ﴿ففي عطف من حوله - دون فصل وردفه ايحاءً - علي اقل تقدير - انهم محمولون مع العرش، وان كانوا مع الحملة يسبحون ويؤمنون ويستغفرون...﴾^٢.

١ . راجع ٢٩ ص ٩٥ من الفرقان تجد تفصيل البحث حول العرش وحملته الثمانية .
٢ . البرهان ج ٢٩ ص ٩٥ من الفرقان تجد تفصيل البحث حول العرش وحملته الثمانية .

قال المحدث ان أدخله علي ابي الحسن الرضا X فاستأذنته فاذن له فدخل فسأله عن الحلال والحرام ثم قال افتري ان الله محمول؟ فقال ابو الحسن X كل
←

وعلي آية حال فالحامل افضل من المحمول
واكمل، فمن يُحمَلون مع العرش هم دون
الحاملين، أفيبقي بعد احتمال أن استوائه
تعالى على العرش جلوسه عليه وارتكانه
فيحمل مع المحمولين، وقد كان ولا عرش ولا
حامل له حيث ❖ كان اذا لا كان❗! ومن أفضل
حملة عرش العلم والرحمة رسول الله³ والأوصياء
من بعده وهم محمد وعلي والحسن والحسين ومن
المحمولين نوح و ابراهيم وموسي و عيسي.



محمول مفعول مضاف الي غيره محتاج والمحمول اسم
نقص والحامل فاعل وهو فى اللفظ مدحة وكذلك قول
القائل فوق وتحت واعلي واسفل وقد قال الله: ❖ والله
الاسماء الحسنى فأدعوه بها❗ ولم يقل فى كتبه انه
المحمول بل قال: انه الحامل فى البر والبحر
والممسك للسموات. والأرض ان تزولا والمحمول ما سوي
الله ولم يسمع احد آمن بالله وعظمه قط قال فى دعائه:
يا محمول، قال ابو قره: ويحمل عرش و ربك فوقهم
يومئذ ثمانية، وقال: الذين يحملون العرش فقال
ابوالحسن X العرش ليس هو الله والعرش اسم علم وقدرة
والعرش فيه كل شيء تم اضاف الحمل الي غيره خلق من
خلقه لأنه استعبد خلقه بحمله عرشه وهم حملة علمه
وخلقاً يسبحون حول عرشه وهم يعملون بعلمه وملائكته
يكتبون اعمال عباده واستعبد اهل الأرض بالطواف
حول بيته والله على العرش استوي كما قال، والعرش ومن
يحملة ومن حول العرش والله الحامل لهم الحافظ لهم
الممسك القائم على كل نفس وفوق كل شيء وعلا كل شيء
ولا يقال محمول ولا اسفل قولاً مفرداً لا يوصل بشيء
فيفسد اللفظ والمعنى، قال ابوقرة. فتكذب بالرواية
التي جاءت ان الله اذا غضب انما يعرف غضبه ان
الملائكة الذين حملون العرش يجدون ثقله على
كواهلهم فيخرون سجداً فاذا ذهب الغضب خف ورجعوا
الي مواقعهم فقال ابوالحسن X عن الله تبارك وتعالى
فقد لعن ابليس الي يومك هذا هو غضبان عليه فمتي
رضى وهو فى صفتك لم يزل غضباناً عليه وعلي اوليائه
و علي اتباعه كيف تجترى ان تصف ربك بالتغيير من
حال الي حال وانه يجرى عليه ما يجرى علي
المخلوقين سبحانه وتعالى لم يزل مع الزائلين ولم
يتغير مع المتغيرين ولا يتبدل مع المتبدلين ومن
دونه فى يده وتدبيره وكلهم اليه يحتاج وهو غنى
عمن سواه.

١ . تفسير البرهان ٤ : ٩١ ح ٦ بسند عن محمد بن
مسلم قال سمعت ابا جعفر X يقول فى الآية يعنى
محمدأ وعليأ والحسن والحسين X ونوح و ابراهيم
وموسي وعيسي يعنى هؤلاء الذين حول العرش وفيه ح ٦



وعلّمهم حملة عرش العلم والرحمة ﴿ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً﴾ فهم دائبون في ﴿يسبحون بحمد ربهم﴾ ﴿يؤمنون به ويستغفرون﴾.

تسبيحاً بالحمد، لاحمداً فقط او تسبيحاً فقط، حيث التسبيح سلب لما لا يليق بذاته المقدسة دون إثبات، والحمد إثبات في معرض الإحباط لقدسية الذات، ولكنهما التسبيح بالحمد هو سلب بلسان الإثبات جامعاً بين السلب والإثبات، وهو الحرى في توصيف الذات، فقولهم إنه عليم، تسبيح له عن الجهل بإثبات علم، وتسبيح له عن سائر العلم لسائر الخلق، يعزى أنه ليس بجاهل علي الإطلاق ولا بعالم كالعلماء!

﴿ويؤمنون به﴾ إيماناً صارماً واصباً يناسب حملة العرش ومن حوله وتسبيحهم بحمد ربهم، وقد تلمح ﴿يؤمنون به﴾ علي وضوح الإيمان لهؤلاء الكرام، إلي الرد علي الذين يتخذونهم ارباباً من دون الله من ملائكة ونبيين، وهل الرب يؤمن بالرب مهما اختلفت الدرجات؟ ام ﴿يؤمنون به﴾ واحداً لاشريك له فلا يُعبد إلا هو، فهل يؤمن الشريك بالوحدانية لشريكه؟ وملامح الايمان ايأ كان ظاهرة في وحدة الكون وتناسقه، ووحدة التدبير وترافقه ووحدة الوحي بتواتره، فليس لكلي من هؤلاء ربوبية بعرشه الخاص، وانما حمل لعرش العلم والرحمة الي من يشاء من عباده دون خيرة لهم ولا اقتداء، فإنما هم حملة مأمورون ﴿لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾.

﴿ويستغفرون للذين آمنوا﴾ وليس لسائر المكلفين إذ لا يُغفر إلا للذين آمنوا، وليس



شرف الدين النجفي قال وروي عن عمرو بن شمر عن جابر بن يزيد قال قال ابو جعفر X في ﴿الذين يحملون العرش﴾ يعني الرسول والاصياء من بعده يحملون علم الله عزوجل ثم قال ﴿ومن حوله﴾ يعني الملائكة.

لأنفسهم علّه لأنهم معصومون لا يعصون أو وأن من آداب الدعاء أن يدعوا الداعي لغيره متناسياً نفسه، ثم الله يغفر له كما للمدعويين، ولكن ❀ واستغفر لذنبك وللمؤمنين ❀ قد تطارده، والرسول وهو أفضل حملة العرش يؤمر بتقديم نفسه في الإستغفار، فقد تعذى ❀ ويستغفرون... ❀ بعدما استغفروا لأنفسهم، ودعاء الاستغفار تختلف عن سائر الدعاء، فعلى الداعي أن يصلح نفسه باستغفاره لنفسه حتى يستصلح غيره باستغفاره لهم، و كان ذلك الإستغفار عن غير ذنب فإنه إستصلاح الإستكمال والدفع عما يطرد، عصمة عن كل وارد وشارد لايناسب ساحة النبوة.

حملة العرش وحوليه ❀ يستغفرون للذين آمنوا ❀ قائلين قبله ما يهياً جو الغفران: ❀ ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً... ❀ قضية سعة عرش الرحمة والعلم، فلا تسع الرحمة ما لم يسع العلم، ولا تفيد سعة العلم ما لم تسع الرحمة ❀ ورحمتي وسعت كل شيء ❀ فسعة العلم والرحمة معاً هي التي تسمع لمطلق الغفر والغفر المطلق عن أي ذنب كان، فلأنه واسع الرحمة والعلم، لذلك ❀ إن ربك واسع المغفرة هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم... ❀ (٣٣: ٥٣).

ولأنك واسع العلم والرحمة فواسع المغفرة: ❀ فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ❀ فليست التوبة لفظة تقال، أم نية تُنال، أم عقيدة كامنة، فإنها كلها ذرايع لاتباع سبيل الله، فلا غفران للذين تابوا ولم يتبعوا سبيل الله، إذ ليست التوبة إلا عن انحراف السبيل.

وتري إذا كانت رحمته وسعت كل شيء كما علمه، فلماذا يحرم عنها غير المؤمنين؟ إنها وسعت كل شيء إمكانية الشمول دون ضيق أو مضايقة ولكن ❀ فسأكتبها للذين يتقون... ❀ قال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون

الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون. الذين يتبعون الرسول النبي الأمي.. ﴿٧:١٥٧﴾. وإذا تم الغفران بالتوبة فقد تمت الوقاية عن عذاب الجحيم، فما هو إذاً موقف ﴿وقهم عذاب الجحيم﴾ بعد ﴿فاغفر﴾؟ علها الوقاية دفعاً عن العصيان حتي لا يحتاج إلي توبة وغفران، أم وتهم الدفع والرفع عموماً بعد خصوص، اجتثاً صارماً لبواعث الجحيم، وقد تعم ﴿السيئات﴾ سيئات المسيئين سواهم ألا تلحقهم بخلفياتها وكما ﴿وقاهم الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب﴾ ﴿٤٥﴾ فانها وقاية الدفع عما مكروا بموسي ان يفتكوا به ويقتلوه!

﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٨:٤٠﴾

وإذا كانت الدعاء ﴿للذين آمنوا وتابوا واتبعوا سبيلك﴾ فـ ﴿هم﴾ في ﴿أدخلهم﴾ يعمهم، فما هو إذاً موقف ﴿ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم﴾ وهم داخلون في ﴿وادخلهم﴾ إذا كانوا مؤمنين فإنهم ممن ﴿صلح﴾؟

﴿من صلح من﴾ تقيّد ﴿الذين آمنوا﴾ بالمؤمنين الأصول، فتعني هي المؤمنين الفروع وكما في- الطور: ﴿والذين آمنوا واتبعتم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء كل امرئ بما كسب رهين﴾ ﴿٢١﴾ إلا في آبائهم وأزواجهم في ظاهر اللفظ، ولكنما الذرية في الطور هي ذرية الإيمان فتشملهم من آباء وأزواج وأولاد، الذين عاشوا الإيمان على هوامش الأصول، حيث ﴿اتبعتهم ذريتهم بإيمان﴾.

وعلى الأزواج تعم الذكران والأنثا كما تعم كافة القرناء في الإيمان، واختص بالذكر الآباء والذريات لاختصاص قرابة الإيمان، فذرية الطور تشمل الثلاث هنا، والذرية هنا تقابل الآباء والأزواج، كما الأزواج هنا -

عَلَّهَا - تشمل كافة القرناء أنسباء وغير أنسباء .

ولماذا ❊ إنك انت العزيز الحكيم ❊ فى موضع الغفر والرحمة؟ لانهما من لوازم وسعة العلم والرحمة ، استشفاعاً بسعة رحمته وعلمه يضع العزة حيث تقتضيها الحكمة!

❊ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنزِلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ

يُنِيبُ (١٣)

فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (١٤:٤٠)

❊ هو ❊ الله الواحد ❊ الذى يريكم آياته ❊ الدالة على وجوده ووحدانيته وسائر صفاته الحسني، والكون كله آياته من آفاقية وأنفسية ❊ وينزل لكم من السماء ❊ رحمت مادية ومعنوية ❊ رزقاً ❊ لأبدانكم وأرواحكم ❊ ومايتذكر ❊ آياته البينات ورزقه النازل ❊ إلا من ينيب ❊ إليه ويرجع عن غفوته وغفلته إلى فطرته وفكرته .

❊ لو كان لربك شريك لأتتك رسله ❊ وأراك آياته، والآيات كلها مجمعة عليه، دالة إليه، حيث الكون مكرس جامع، وكتاب بارع، يدل على مكوّنه دلالة ناصحة ناصعة، دونما مناورة، ولامنازعة، او مضادة ومناقضة ❊ ما تري فى خلق الرحمن من تفاوت ❊ فى ذوات ودلالات.

واذ كان واحداً تدل عليه آياته فى كافة الجهات والجنبات ❊ فادعوا الله مخلصين له الدين ❊ إخلاصاً له فى طاعته وعبادته ❊ ولو كره المشركون ❊ وكراهم منفية فى الفطرة وحسب ما تهدي إليه الادلة، كما تلمح إليها ❊ لو ❊ الإمتناعية، إلا أن غشاوات الفطرة تجعل من المحبوب مكروهاً، ومن النور ظلمات.

❊ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ

١ . عن الإمام اميرالمؤمنين X.

يَوْمَ التَّلَاقِ ﴿١٥:٤٠﴾

مواصفات ثلاث لله تعالى تقتضى ان ندعوه
مخلصين له الدين ولو كره الكافرون، وهى من
صفات الأفعال دون الذات المقدسة المتعالية
عن هذه الصفات.

أتري أن له درجات تُرفع ويتدرج إليها؟ وله
درجة واحدة دائبة لازائدة ولاناقصة هى
الألوهية!

هذه الدرجات الرفيعة هى التى يُدرج إليها
أهلها كمن يلقي عليه الروح من أمره:
﴿نرفع درجات من نشاء﴾ ﴿٨٣:٦﴾ إذ ﴿هم درجات
عند الله﴾ ﴿١٦٣:٣﴾ ولكل درجات مما عملوا وما
ربك بغافل عما يعملون ﴿١٣٢:٦﴾ نرفع
درجات من نشاء وفوق كل ذى علم عليم ﴿٧٦:١٢﴾
﴿يرفع الله الذين آمنوا والذين اوتوا العلم
درجات﴾ ﴿١١:٥٨﴾

فلانه ذو العرش علماً وتربيةً وتدبيراً
أمّاهيه، فهناك درجات إلي عرشه لكل علي
حدّه ومدّه دونما فوضى جزاف، فمنازل العز
ومراتب الفضل التى يخص بها عباده الصالحين
وأوليائه المخلصين رفيعة الأقدار، مشرقة
المنار، فهى الدرجات التى يرفع عباده
إليها، لا التى يرتفع هو بها! تعالى عن ذلك
علواً كبيراً.

وتأويل الرفيع إلي معني الرفع تأويل
عديل، فإنما هو الرفيع، يملك الدرجات
الرفيعة، فيرفع بها من يشاء من عباده ﴿ذو
العرش﴾ ﴿١﴾ فله عرش الربوبية بكافة جنباتها
لاسواه، تجتمع فى عرشه أزمة الأمور، ويتنزل
منه كل أمر برفيع الدرجات حسب القابليات.
﴿يلقي الروح من أمره﴾ ﴿١﴾ إلقاء من أمره
لاسواه، وروحاً من أمره لاسواه: ﴿قل الروح من
امر ربي﴾ ﴿١﴾ ينزل الملائكة بالروح من أمره
علي من يشاء من عباده ﴿٢:١٦﴾ تنزيلاً من

١. فـ ﴿من أمره﴾ ﴿١﴾ حال ام صفة للإلقاء والروح
فكلاهما من أمره.

أمره بالروح من أمره لا أمر في أي من أمره لسواه .

تري الروح هنا هو الروح القدس، روح العصمة والتسديد المستكن في قلوب المعصومين^١ أم هو الروح الأمين^٢ نزل به الروح الأمين علي قلبك...^٣ (١٩٣:٢٦) * قل نزله روح القدس من ربك بالحق^٤ (١٠٢:١٦) وهما جبريل الأمين^٥؟ أم هو روح الوحي: * ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي...^٦ (٨٥:١٧) فالكل ملقي ومنزل علي من يشاء من عباده، مهما كان روح الوحي هو الأصل، وروح العصمة ظرف لنزوله، والروح الأمين سبب لإنزاله؟

قد يعنى الروح الملقي من أمره الثلاثة متأصلة روح الوحي، وهو أحق أن يسمى روحاً وأحري من سائر الأرواح، لأن المكلفين يحيون به من موت الضلالة وينشرون به من مدافن الغفلة والمتاهة .

و * من يشاء من عباده^٧ ليست مشية فوضي جزاف، بل هي اصطفاء * إن الله يصطفى من الملائكة رسلاً^٨ ومن الناس^٩ * لينذر يوم التلاق^{١٠} إنذاراً لائقاً برب العالمين لكل العالمين، ثم تبشيراً لمن آمن منهم، فالإنذار هو حجر الأساس الذي ترتك عليه دعوة الرسالات ومن ثم التبشير * إنما أنت منذر ولكل قوم هاد^{١١} (٧:١٣) و * يوم التلاق^{١٢} هو القيامة التي تتلقى فيها الأرواح بأجسادها بعد فصال، ويتلقى أهل الحشر عن آخرهم * يلتقى أهل السماوات والأرض^{١٣} فهو

١ . تفسير البرهان ٤ : ٩٤ ح ١ علي بن ابراهيم قال قال روح القدس وهو خاص لرسول الله³ والأئمة (عليهم السلام) .

٢ . البرهان ٤ : ٩٤ ح ٢ القمي بسند عن ابي بصير عن ابي جعفر^X قال سألته قول الله عزوجل: ينزل الملائكة بالروح من امره فقال: جبرئيل .

٣ . نورالثقلين ٤ : ٥١٤ ح ٢٤ في معاني الاخبار بسند عن ابي عبدالله^X قال: يوم التلاق يوم يلتقى اهل السماء وأهل الأرض .

يوم بروز الكل للكل فهل يخفون علي الله الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور؟ ثم تلاق في وئام تام لأهل الإيمان، وفي حاجة وصيدام بين سواهم، وتلاق رابع بين المكلفين وأعمالهم، وخامس تلاقى جزاءهم، وهل يعم التلاق لقاء الله في يوم الله؟ عليه نعم ❀ واعلموا أنكم ملاقوه ﴿٢٢٣:٢﴾ ❀ يا أيها الإنسان إنك كادح إلي ربك كدحاً فملاقية ﴿٦:٨٤﴾ وعليه لا، حيث التلاق الملاقاة عن التلاق، حيث الثانية تفاعل بين اثنين علي سواء، والأولي فعل من الملاقى بتقبل من الملاقى، فما هما علي سواء، اللهم إلا أن تعذيه ضمن ما عذته من تلاقى أهل الحشر وسواه، فكما أنه يوم الفصل كذلك هو يوم التلاق، كل في موقفه وعلي حده. ولأن الإنذار هادف يوم التلاق، فلتعن التلاق لقاء الله في يوم الحساب حتي يتحقق حق الإنذار، إذ لا خوف من سائر التلاق لولا لقاء الله، مهما عنت سائر التلاق.